

الحَقْدُ الْفَرِيدُ

تَأَلَّفَ

الْفَقِيهَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْدَلُسِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٢٢٨ هـ

بِتَحْقِيقِ

د. كُنُور
مُفِيدٍ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةٍ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى
١٤٠٤م - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
صندوق بريد ٩٤٢٤ - ١١ . هاتف ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤
الرملة البيضاء - بناية ملكارت سنتر

بسم الله الرحمن الرحيم

[رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِن]

قال أبو عمرو أحمد بن عبد ربّه الأندلسي، رحمه الله :

الحمد لله الأوّل بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء؛ المنفرد بقُدْرته، المتعالي في سلطانه؛ الذي لا تحويه الجهات ولا تنعته الصفات؛ ولا تدركه العيون، ولا تبلّغه الظنون؛ الباديء بالإحسان، العائد بالامتنان؛ الدالّ على بقائه بفناء خلقه، وعلى قُدْرته بعجز كلّ شيء سواه؛ المغتفر إساءة المذنب بعفوه، وجهلّ المسيء بحلمه؛ الذي جعل معرفته اضطراباً، وعبادته اختياراً؛ وخلق الخلق من [بين] ناطق معترف بوحدانيته، وصامت متخشّع لرؤوبيته؛ لا يخرج شيء عن قُدْرته، ولا يعزّب^(١) عن رؤيته؛ الذي قرّن بالفضل رحمته، وبالعدل عذابه؛ فالناس مدينون بين فضله وعدله، آذنون بالزوال، آخذون في الانتقال؛ من دار بلاء، إلى دار جزاء.

أحمدُه على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قُدْرته؛ فإنه رضيي الحمد ثمناً لجزيل نعمائه، وجليل آلائه^(٢)؛ وجعله مفتاح رحمته، وكفاء نعمته، وآخر دعوى أهل جنّته، بقوله جلّ وعزّ: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)

(١) يعزّب: يغيب.

(٢) آلائه: نعمه.

(٣) سورة يونس الآية ١٠.

وصلّى الله على [سيّدنا محمد] النبيّ المكرّم، الشافع المقرّب، الذي بُعث آخرًا
وأصطَفِيَّ أوَّلًا، وجَعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَغَتَّقَاءِ شَفَاعَتِهِ.

وبعد: فَإِنَّ أَهْلَ كُلِّ طَبَقَةٍ، وَجَهَابِذَةً^(١) كُلِّ أُمَّةٍ؛ قَدْ تَكَلَّمُوا فِي الْأَدَبِ
وَتَفَلَّسَفُوا فِي الْعُلُومِ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ، وَمَعَ كُلِّ زَمَانٍ؛ وَإِنْ كُلُّ مُتَكَلِّمٍ مِنْهُمْ قَدْ
اسْتَفْرَغَ غَايَتَهُ وَبَذَلَ مَجْهُودَهُ فِي اخْتِصَارِ بَدِيعِ مَعَانِي الْمُتَقَدِّمِينَ، وَاخْتِيَارِ جَوَاهِرِ
أَلْفَاظِ السَّالِفِينَ؛ وَأَكْثَرُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى احْتِجَّ الْمُخْتَصَرُ مِنْهَا إِلَى اخْتِصَارٍ، وَالْمُتَخَيَّرُ
إِلَى اخْتِيَارٍ.

ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ آخِرَ كُلِّ طَبَقَةٍ، وَوَاضِعِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَمُؤَلِّفِي كُلِّ أَدَبٍ، أَعَذَبَ
أَلْفَاظًا وَأَسْهَلَ بَنِيَّةً وَأَحْكَمَ مَذْهَبًا وَأَوْضَحَ طَرِيقَةً مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ نَاكِصٌ
مُتَعَقِّبٌ^(٢)، وَالْأَوَّلُ بَادِيٌّ مُتَقَدِّمٌ.

فَلْيَنْظُرِ النَّازِرُ إِلَى الْأَوْضَاعِ الْمُحْكَمَةِ وَالْكُتُبِ الْمُرْجَمَةِ بَعَيْنِ إِنْصَافٍ، ثُمَّ يَجْعَلَ
عَقْلَهُ حَكَمًا عَادِلًا [وَقِيصَلًا] قَاطِعًا؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَعْلَمُ أَنَّهَا شَجَرَةٌ بِاسِقَةِ الْفَرْعِ، طَيِّبَةُ
الْمَنْبَتِ، زَكِيَّةُ التَّرْبَةِ، يَانِعَةُ الثَّمَرَةِ. فَمَنْ أَخَذَ بِنَصِيْبِهِ مِنْهَا كَانَ عَلَى إِرْثٍ مِنَ التَّبَوُّةِ،
وَمِنْهَا جِ مِنْ الْحِكْمَةِ؛ لَا يَسْتَوْحِشُ صَاحِبُهُ، وَلَا يَضِلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ.

وَقَدْ أَلَّفْتُ هَذَا الْكِتَابَ وَتَخَيَّرْتُ جَوَاهِرَهُ مِنْ مُتَخَيَّرِ جَوَاهِرِ الْأَدَابِ وَمَحْصُولِ
جَوَامِعِ الْبَيَانِ، فَكَانَ جَوْهَرُ الْجَوْهَرِ وَلُبُّابُ اللَّبَابِ؛ وَإِنَّمَا لِي فِيهِ تَأْلِيفُ [الْأَخْبَارِ،
وَفَضْلُ] الْاِخْتِيَارِ، وَحُسْنُ الْاِخْتِصَارِ، وَفَرَشُ فِي صَدْرِ كُلِّ كِتَابٍ؛ وَمَا سِوَاهُ
فَمَا خُذَ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ، وَمَأْثُورٌ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ. وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ أَصْعَبُ مِنْ
تَأْلِيفِهِ. وَقَدْ قَالُوا: اخْتِيَارُ الرَّجُلِ وَافِدُ عَقْلِهِ^(٣). وَقَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ عَرَفْنَاكَ بِاخْتِيَارِكَ إِذْ كَانَتْ دَلِيلًا عَلَى اللَّيْسِ اخْتِيَارُهُ

(١) الجهابذة: جمع جهبذ، وهو الخبير بالأمور المميز بين جيدها وورديتها.

(٢) متعقب: متأخر. (٣) وافد عقله: أي صادر عنه ودليل عليه.

وقال أفلاطون: عُقُولُ النَّاسِ مُدَوَّنةٌ فِي أَطْرَافِ أَقْلَامِهِمْ، وَظَاهِرَةٌ فِي حُسْنِ اخْتِيَارِهِمْ.

فَتَطَلَّبتُ نَظَائِرَ الْكَلَامِ وَأَشْكَالَ الْمَعَانِي وَجَوَاهِرَ الْحِكَمِ وَضُرُوبَ الْأَدَبِ وَنَوَادِرَ الْأَمْثَالِ، ثُمَّ قَرَنْتُ كُلَّ جِنْسٍ مِنْهَا إِلَى جِنْسِهِ، فَجَعَلْتُهُ بَاباً عَلَى حَدِّهِ؛ لِيَسْتَدِلَّ الطَّالِبُ لِلخَبَرِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَنَظِيرِهِ فِي كُلِّ بَابٍ.

وَقَصَدْتُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَخْبَارِ وَفُنُونِ الْأَثَارِ أَشْرَفَهَا جَوْهَرًا، وَأَظْهَرَهَا رَوْنَقًا، وَأَلْطَفَهَا مَعْنَى، وَأَجَزَلَهَا لَفْظًا، وَأَحْسَنَهَا دِيبَاجَةً، وَأَكْثَرَهَا طِلَافَةً وَحِلَاوَةً؛ أَخَذًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (١).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: النَّاسُ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ، وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَكْتُبُونَ؛ وَيَتَحَدَّثُونَ بِأَحْسَنِ مَا يَحْفَظُونَ.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ سَقَطَ الرَّأْيُ، وَزَلَّ الْقَوْلُ؛ وَلِكُلِّ عَالِمٍ هَقْفَةٌ [وَلِكُلِّ جَوَادٍ كِبَوَةٌ]، وَلِكُلِّ صَارِمٍ نَبَوَةٌ (٢).

وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ: انْفَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكَمَالِ، وَلَمْ يَرَأَ أَحَدٌ مِنَ النُّقْصَانِ. وَقِيلَ لِلْعَتَاتِيِّ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا لَا عَيْبَ فِيهِ؟ قَالَ: إِنْ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ لَا يَمُوتُ [أَبَدًا]، وَلَا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ.

وَقَالَ الْعَتَابِيُّ: مَنْ قَرَضَ شِعْرًا أَوْ وَضَعَ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَهْدَفَ لِلْخُصُومِ وَاسْتَشْرَفَ لِلْأُلْسُنِ، إِلَّا عِنْدَ مَنْ نَظَرَ فِيهِ بَعَيْنُ الْعَدْلِ، وَحَكَمَ بِغَيْرِ الْهَوَى، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

وَحَذَفْتُ الْأَسَانِيدَ مِنْ أَكْثَرِ الْأَخْبَارِ طَلَبًا لِلِاسْتِخْفَافِ وَالِإِيجَازِ، وَهَرَبًا مِنْ

(١) سورة الزمر الآية ١٨.

(٢) نَبَا السِّيفِ عَنِ الضَّرْبِيَّةِ نَبْوَةً: لَمْ يَصْنَعِهَا.

التثْقِيلِ والتَّطْوِيلِ؛ لأنها أَخْبَارٌ مُمْتَنِعَةٌ وَحِكْمٌ وَنَوَادِرٌ، لَا يَنْفَعُهَا الْإِسْنَادُ بِاتِّصَالِهِ، وَلَا يَضُرُّهَا مَا حُذِفَ مِنْهَا.

وقد كَانَ بَعْضُهُمْ يَحْذِفُ أَسَانِيدَ الْحَدِيثِ مِنْ سَنَةِ مُتَّبَعَةٍ، وَشَرِيعَةٍ مَفْرُوضَةٍ؛ فَكَيْفَ لَا نَحْذِفُهُ مِنْ نَادِرَةٍ شَارِدَةٍ، وَمِثْلٍ سَائِرٍ، وَخَبَرٍ مُسْتَطَرَفٍ، [وَحَدِيثٍ يَذْهَبُ نُورُهُ إِذَا طَالَ وَكَثُرَ].

سَأَلَ حَقْصُ بْنُ غِيَاثٍ الْأَعْمَشَ عَنْ إِسْنَادِ حَدِيثٍ. فَأَخَذَ بِحُلُقِهِ وَأَسْنَدَهُ إِلَى حَائِطٍ وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادُهُ!

وَحَدَّثَ ابْنُ السَّمَّانِ بِحَدِيثٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَا إِسْنَادُهُ؟ فَقَالَ: هُوَ مِنَ الْمُرْسَلَاتِ عَرَفًا^(١).

[وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ خَبَرًا، فَسُئِلَ عَنْ إِسْنَادِهِ. فَقَالَ: هُوَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ وَحُجَّةٍ].

وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِحَدِيثٍ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، عَمَّنْ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بَعَمَّنْ يَا بْنَ أَخِي؟ أَمَا أَنْتَ فَنَالَتْكَ مَوْعِظَتُهُ، وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجَّتُهُ.

وَقَدْ نَظَرْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فَوَجَدْتُهَا غَيْرَ مُتَصَرِّفَةٍ فِي فُنُونِ الْأَخْبَارِ، وَلَا جَامِعَةٍ لَجَمَلِ الْآثَارِ؛ فَجَعَلْتُ هَذَا الْكِتَابَ كَافِيًا [شَافِيًا] جَامِعًا لِأَكْثَرِ الْمَعَانِي الَّتِي تَجْرِي عَلَى أَفْوَاهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ. وَتَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ. وَحَلَّيْتُ كُلَّ كِتَابٍ مِنْهَا بِشَوَاهِدَ مِنَ الشَّعْرِ، تُجَانِسُ الْأَخْبَارَ فِي مَعَانِيهَا، وَتُؤَافِقُهَا فِي مَذَاهِبِهَا؛ وَقَرَنْتُ بِهَا غَرَائِبَ مِنْ شِعْرِي، لِيَعْلَمَ النَّازِرُ فِي كِتَابِنَا هَذَا أَنَّ لِمَغْرِبِنَا عَلَى قَاصِيَّتِهِ^(٢)، وَبَلَدِنَا عَلَى انْقِطَاعِهِ، حِفْظًا مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ.

(١) الْمُرْسَلَاتُ عَرَفًا: قِيلَ الرِّيَاحُ الْمُرْسَلَاتُ، وَعَرَفًا: يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

(٢) قَاصِيَّتُهُ: بَعْدَهُ.

وسمّيته كتابَ (العقد الفريد) لِمَا فيه من مُختلف جواهر الكلام، مع دقّة السِّلْك وحُسْن النِّظام؛ وجَزَّأته على خمسةٍ وعِشرينَ كتاباً، كلُّ كتاب منها جُزْآن، فتلک خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً [و] قد انفرد كلُّ كتاب منها بِاسمِ جَوْهرة من جواهر العِقد، فأَوَّلها :

- كتاب اللؤلؤة في السلطان .
- ثم كتاب الفريدة في الحروب [ومدار أمرها] .
- ثم كتاب الزَّبرجدة في الأجواد والأصفاد .
- ثم كتاب الجُمَانة في الوُفود .
- ثم كتاب المَرْجَانة في مُخاطبة الملوك .
- ثم كتاب الياقوتة في العِلْم والأدب .
- ثم كتاب الجوهرة في الأمثال .
- ثم كتاب الزُّمُرْدَة في المواعظ والزُّهد .
- ثم كتاب الدَّرّة في التعازي والمراثي .
- ثم كتاب اليتيمة في النسب [وفضائل العرب] .
- ثم كتاب المسجدة في كلام الأعراب .
- ثم كتاب المجنّبة في الأجوبة .
- ثم كتاب الواسطة في الخطب .
- ثم كتاب المجنّبة الثانية في التوقيعات والفصول والصُّدور وأخبار الكتّبة .
- ثم كتاب المسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم .
- ثم كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج [والطالبين والبرامكة] .
- ثم كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم .
- ثم كتاب الزُّمُرْدَة الثانية في فضائل الشعر ومقاطععه ومخارجِه .
- ثم كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعِلَل القوافي .

ثم كتاب الياقوتة الثانية في [علم] ^(١) الألحان واختلاف الناس فيه .

ثم كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن .

ثم كتاب الجمانة الثانية في المتنبيين والممرورين والبُخلاء والطُفيليين .

ثم كتاب الزُّبرجدة الثانية في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان [وتفاضل

البلدان] .

ثم كتاب الفريدة الثانية في الطَّعام والشراب .

ثم كتاب اللؤلؤة الثانية في [التُّنف والهدايا و] الفُكاهات والملَّح .

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها أخذاً عن عنوان هذا الباب في موضعه من الكتاب .

كِتَابُ اللّٰوِلْوَةِ فِي السُّلْطَانِ

فرش الكتاب:

السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار [الدين و] الدنيا. وهو حِمَى الله في بلاده وظِلُّه الممدود على عبادته، به يمتنع حريمهم، ويتنصر مظلومهم، وينقمع ظالمهم^(١)، ويأمن خائفهم.

للحكماء:

قالت الحكماء: إمام عادل، خير من مطر وابل^(٢). وإمام غشوم، خير من فتنة تدوم. ولَمَّا يَزَعُ الله بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن^(٣).

وقال وهب بن مُنْبَهٍ: فيما أنزل الله على نبيه داودَ عليه السلام: إني أنا الله مالك الملوك، قُلُوبُ الملوك بيدي. فمن كان لي على طاعة جَعَلْتُ الملوك عليهم رحمة، ومن كان لي على مَعْصِيَةٍ جَعَلْتُ الملوك عليهم نقمة.

فحق على من قلده الله أزمّة حُكْمِهِ، وملّكه أمورَ خَلْقِهِ، وأختصه بإحسانه، ومكّن له في سلطانه، أن يكون من الآهتام بمصالح رعيته، والاعتناء بمرافق أهل طاعته، بحيث وضعه الله من الكرامة، وأجرى عليه من أسباب السعادة.

قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٤).

(١) ينقمع: يرتدع. (٢) الوابل: المطر المنهمر.

(٣) يزع: يمنع المحارم. (٤) سورة الحج الآية ٤١.

للنبي ﷺ :

وقال النبي ﷺ : « عدل ساعة في حُكومة خير من عبادة ستين سنة ». وقال ﷺ :
كلّكم راع ، وكلّ راع مسئول عن رعيته .

وقال الشاعر :

فكلّكم راعٍ ونَحْنُ رَعِيَّةٌ وكلّ يُلَاقِي رَبَّهُ فَيُحَاسِبُهُ

ومن شأن الرعية قلة الرضى عن الأئمة ، وَتَحَجَّرُ العُذْرُ عَلَيْهِمْ ^(١) ، وإلزام الأئمة لهم
ورب ملوم لا ذنب له . ولا سبيل إلى السلامة من السنة العامة إذ كان رضى جملتها ،
وموافقة جماعتها من المعجز الذي لا يُدْرَك والممتنع الذي لا يُمْلِك .

ولكل حصته من العدل ، ومنزلته من الحكم . فمن حقّ الإمام على رعيته أن
يقضي عليهم بالأغلب من فعله والأعمّ من حكمه ، ومن حق الرعية على إمامها حسنُ
القبول لظاهر طاعتها وإضرابه صفحاً عن مكاشفتها ، كما قال زياد لما قدّم العراق
والياً عليها : أيها الناس ، قد كانت بين وبينكم إحْن ^(٢) ، فجعلت ذلك دَبْر ^(٣) أَذْنِي
وتحت قدمي ، فمن كان مُحسناً فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً فلينزِع عن
إساءته . إني لو علمتُ أنّ أحداً قد قتله السِّل من بغضي لم أكشف له قناعاً ولم أهتِك
له سِتراً حتى يُبدي صفحته لي ^(٤) .

لابن عمر :

وقال عبد الله بن عمر : إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان
الإمام جائراً فله الوزرُ وعليك الصبر .

لكعب الأحبار :

وقال كعب الأحبار : مثل الإسلام والسلطان والناس : مثل القُسطا ط والعمود

(١) التحجّر : التضيق . (٢) الإحن : الحزازات والعداوات .

(٣) دبر : خلف . (٤) صفحته : طوبته .

والأوتاد. فالفسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأوتاد الناس. ولا يصلح بعضها إلا ببعض.

وقال الأفوه الأودي:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لِسَرَاةٍ لَهُمْ وَلَا سَرَاةٍ إِذَا جَهَّاهُمْ سَادُوا^(١)
وَالْبَيْتُ لَا يَبْتَنَى إِلَّا لَهُ عَمَدٌ وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ
وإن تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ يَوْمًا فَقَدْ بَلَّغُوا الأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

نصيحة السلطان ولزوم طاعته

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

وقال أبو هريرة: لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الأئمة. وطاعتهم من طاعة الله، وعصيائهم من عصيان الله.

للنبي ﷺ:

وقال النبي ﷺ: «مَنْ فارق الجماعة أَوْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». وقال ﷺ: «الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأولي الأمر منكم». فنُصِّح الإمام ولزوم طاعته فرض واجب وأمر لازم، ولا يتم إيمان إلا به، ولا يثبت إسلام إلا عليه.

مما وصى به العباس ابنه حين قدمه عمر:

الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي أبي: أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يستفهمك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد ﷺ. وإني

(١) السراة: السادة والقادة. (٢) سورة النساء الآية ٥٩.

مُوصِيكَ بِخِلَالِ أَرْبَعٍ: لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا، وَلَا تَطْوِي عَنْهُ نَصِيحَةً، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا.

قال الشعبي: فقلت لأبن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: إي والله، ومن عشرة آلاف.

لرجل من الهند ينصح ملكاً:

وفي كتاب للهند^(١): أَنَّ رجلاً دخل على بعض ملوكهم فقال: أيها الملك، إن نصيحتك واجبة في الصغير الحقيق والكبير الخطير، ولولا الثقة بفضيلة رأيك، واحتمالك ما يشق^(٢) موقعه [من الأسماع والقلوب]^(٣) في جنب صلاح العامة وتلافي الخاصة، لكان خرقاً مني^(٤) أن أقول؛ ولكننا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا موصول ببتائنك، وأنفسنا متعلقة بنفسك، لم نجد بداً من أداء الحق إليك وإن أنت لم تسلي ذلك، فإنه يقال: مَنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ، وَالْأَطِبَاءَ مَرَضَهُ، وَالْإِخْوَانَ بَيْتَهُ^(٥)، فَقَدْ أَخْلَى بِنَفْسِهِ؛ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ لَا يَتَشَجَّعُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ، إِلَّا أَنْ يَثْقُ بِعَقْلِ الْمَقُولِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا أَحْتَمِلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ نَفْعٍ فَهُوَ لِلْسَامِعِ دُونَ الْقَائِلِ. وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ذُو فَضِيلَةٍ فِي الرَّأْيِ وَتَصَرُّفٍ فِي الْعِلْمِ، وَيُشْجِعُنِي ذَلِكَ عَلَى أَنْ أَخْبِرَكَ بِمَا تَكْرَهُ، وَاثِقًا بِمَعْرِفَتِكَ نَصِيحَتِي لَكَ وَإِثَارِي إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي.

ابن عتبة ينصح الوليد:

وقال عمرو بن عتبة للوليد حين تغيّر الناس عليه: يا أمير المؤمنين، إنه يُنطقني الأنسُ بك، وتُسكتني الهيبة لك، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك، أفأسكتُ مطيعاً أم أقول مشفقاً؟ قال: كلٌّ مقبول منك، والله فينا علمٌ غيب نحن صائرون إليه. فقتل بعد ذلك بأيام.

(١) يقصد كلية ودمنة، لابن المقفع، وكذلك شأنه في أكثر ما يقول: «كتاب الهند».

(٢) يشق: يضيي ويتعب.

(٣) التكملة من عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٤) الخرق: الجهل والطيش.

(٥) البث: نشر الحديث والافصاح عنه.

لابن صفوان في خالصة السلطان:

وقال خالد بن صفوان: مَنْ صحب السلطان بالصحة والنصيحة أكثرُ عدوّاً ممن صحبه بالغش والخيانة؛ لأنّه يجتمع على الناصح عدوّ السلطان وصديقه بالعداوة والحسد، فصديق السلطان يُنافسه في مرتبته، وعدوّه يُبغضه لنصيحته.

ما يصحب به السلطان

لابن المقفع في خادم السلطان:

قال ابن المقفع: ينبغي لمن خَدَم السلطان ألا يغتر به إذا رضي ولا يتغير له إذا سَخَط، ولا يَسْتَقِل ما حمّله، ولا يُلحِف في مسألته. وقال أيضاً: لا تكن صُحْبَتَكَ للسلطان إلا بعد رياضة^(١) منك لنفسك على طاعتهم. فإن كنتَ حافظاً إذا ولّوك، حَذِراً إذا قرّبوك، أميناً إذا آثمتنوك ذليلاً إذا صرّموك^(٢)، راضياً إذا أسخطوك، تعلّمهم وكأنك متعلّم منهم، وتؤدّبهم وكأنك متأدّب بهم، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر. وإلا فالبعدَ منهم كلّ البعد، والحذرَ منهم كلّ الحذر.

وقال المأمون: الملوك تتحمّل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القَدَح في الملك، وإفشاء السر، والتعرّض للحرم.

وقال ابن المقفع: إذا نزلت من السلطان بمنزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له في كل كلمة؛ فإنّ ذلك يُوجب الوحشة ويلزم الانقباض^(٣). وقال الأصمعي: توصلتُ بالملّح وأدركتُ بالغريب^(٤). وقال أبر حازم الأعرج لسليمان بن عبد الملك: إنّما السلطان سوق، فما نفق عنده حُمِل إليه.

(١) رياضة النفس: تدريبها. (٢) الصرم: الهجر والقطيعة.

(٣) الانقباض: التجهم والتبرّم.

(٤) الملّح: نواذر الظرف والأدب.

وصاة أبي سفيان وزوجه لابنها معاوية حين عمل لعمر:

ولما قَدِم معاوية من الشام، وكان عمر قد استعمله عليها، دخل على أمه هند؛ فقالت له: يا بُنيّ، إنه قلما ولدت حُرّة مثلك، وقد استعملك هذا الرجل، فأعمل بما وافقه أحببتَ ذلك أم كرهته. ثم دخل على أبيه أبي سفيان؛ فقال له: يا بُنيّ، إنّ هؤلاء الرهط^(١) من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم، فرقعهم سَبَقُهُمْ وقصّر بنا تأخرنا، فصيرنا أتباعاً وصاروا قادة؛ وقد قلّدوك جسيماً من أمرهم؛ فلا تخالفن أمرهم، فإنك تجري إلى أمدٍ لم تبلغه، ولو قد بلغته لتنفّست^(٢) فيه.

قال معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ.

لابرويز ينصح صاحب بيت ماله:

وقال أبرويز لصاحب بيت المال: إني لا أعذرُك في خيانة درهم، ولا أحذك على صيانة ألف ألف؛ لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك، فإنك إن خُنت قليلاً خنت كثيراً. واحترس من خصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطي؛ وأعلم أنني لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والعُدّة على العدو، إلا وأنت عندي آمِنٌ من موضعه الذي هو فيه، وخواتمه التي هي عليه، فحقّق ظني باختياري إياك أحقق ظنّك في رجائك إياي؛ ولا تتعوّض بخير شرّاً، ولا برفعة ضعة، ولا بسلامة ندامة، [ولا بأمانة خيانة]^(٣).

ليزيد بن معاوية ينصح سلماً حين ولاه خراسان:

ولما ولى يزيد بن معاوية سلّم بن زياد خراسان قال له: إنّ أباك كفى أخاه عظيماً، وقد استكفيتك صغيراً؛ فلا تتكلن على عُذرٍ مني فقد اتكلتُ على كفاية منك. وإياك مني قبل أن أقول إياي منك؛ فإن الظن إذا أخلف مني فيك أخلف منك فيّ؛ وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك.

(٢) تنفّست فيه: أي استرحت عنده.

(١) الرهط: الجماعة.

(٣) التكملة من عيون الأخبار.

لعمر بن الخطاب ومعاوية حين قدم عليه الشام:

قال يزيد: حدثني أبي أنّ عمر بن الخطاب لما قدّم الشام قدم على حِيار ومعه عبدُ الرحمن بن عوف على حمار، فتلقّاهما معاوية في موكبٍ ثَقِيل، فجاوزَ عمرَ معاوية حتى أخبر به، فرجع إليه. فلما قُرب منه نزل إليه، فأعرض عنه، فجعل يمشي إلى جنبه راجلاً. فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبتَ الرجل. فأقبل عليه عمر فقال: يا معاوية، أنت صاحبُ الموكبِ آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ولم ذاك؟ قال: لأنّا في بلدٍ لا نَمْتَنع فيها من جواسيس العدو ولا بُدّ لهم مما يُرهبهم من هيبة السلطان؛ فإن أمرتني بذلك أقمت عليه، وإن نهيتني عنه انتهيت. فقال: لئن كان الذي تقول حقاً فإنه رأيُ أريب^(١)؛ وإن كان باطلاً خُدعة أديب، وما أمرك به ولا أنهاك عنه. فقال عبد الرحمن بن عوف: لحسنّ ما صَدَرَ هذا الفتى عما أوردته فيه! فقال: لحسنّ موارده جَشْمَنَاهُ ما جَشْمَنَاهُ^(٢).

الربيع الحارثي في حضرة ابن الخطاب:

وقال الربيع بن زياد الحارثي: كنت عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين. فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعُماله وأن يستخلفوا مَنْ هو مِنْ ثقاتهم حتى يرجعوا. فلما قدّمنا أتيتُ يرفاً^(٣)، فقلت: يا يرفاً، ابنُ سبيلٍ مُسْتَرشد، أخبرني أيّ الهيئات أحبُّ إلى أمير المؤمنين أن يَرى فيها عُماله؟ فأوماً إلى الخشونة. فأخذتُ خُفَّين مطارقين^(٤)، ولبستُ جُبة صوف، ولثتُ رأسي. بعمامة دَكْناء. ثم دخلنا على عمر، فصقنا بين يديه وصعدَ فينا نظره وصوّب^(٥)، فلم تأخذ عينه أحداً غيري، فدعاني؛ فقال: من أنت؟ قلت: الربيع بن زياد الحارثي. قال: وما تتولى من أعمالنا؟ قلت: البحرين. قال: فكم تُرزق؟ قلت: خمسة دراهم في كل

(١) رأي أريب: رأي فيه الصواب والعقل.

(٢) جشمناه: حثلناه.

(٣) يرفاً: غلام عمر بن الخطاب.

(٤) مطارقين: أي أطبقت نعل على نعل ثم خرزتا.

(٥) صوّب: أمعن النظر ووجهه.

يوم. قال: كثير! فما تصنع بها؟ قلت: أتقوت منها شيئاً وأعود بباقيها على أقارب لي، فما فَضَّلَ منها فعلى فقراء المسلمين. فقال: لا بأس، أرجع إلى موضعك؛ فرجعت إلى موضعي من الصف. ثم صعد فينا وصوب، فلم تقع عينه إلا عليّ، فدعاني؛ فقال: كم سنوك؟ فقلت: ثلاث وأربعون سنة قال: الآن حين استحكمت. ثم دعا بالطعام، وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد تجوَّعت له، فأتي بخبز يابس وأكسار بعير^(١)، فجعل أصحابي يعافون ذلك، وجعلت أكل فأجيد الأكل. فنظرت فإذا به يلحظني من بينهم، ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سُخِّت في الأرض ولم أَلِفْظ بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك، فلو عمدت إلى طعام هو أَلَيْنُ من هذا. فزجرني وقال: كيف قلت؟ قلت: أقول: لو نظرت يا أمير المؤمنين إلى قوتك من الطحين فيُخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويُطبخ لك اللحم كذلك، فتؤتَى بالخبز ليتاً وباللحم غريضاً. فسكَّن من غربه وقال: هذا قصدت؟ قلت: نعم. قال: يا ربيع، إنا لو نشاء للملأنا هذه الرَّحَاب من صلائق وسبائك وصناب، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم فقال: ﴿أَذْهَبَتْ طَبَّائِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾^(٢) ثم أمر أبا موسى أن يُقرني وأن يستبدل بأصحابي!

ابن عبد ربه يفسر غريب الخبر:

قوله «لثتها على رأسي». يقال: رجل ألوث، إذا كان شديداً، وذلك من اللُّوث؛ ورجل ألوث، إذا كان أهوج، مأخوذ من اللُّوثة. يقال: (لثت عمامة على رأسي) يقول: أدرتها بعضها على بعض على غير استواء.

وقوله «صلائق» هي شيء يعمل من اللحم، فمنها ما يطبخ ومنها ما يشوى، يقال: صلقت اللحم، إذا طبخته، وصلقته إذا شويته. وقوله «غريضاً» يقول طرياً. يقال: لحم غريض، تراد به الطراوة قال العتابي:

(١) في أكثر الأصول: وأكسار بغير آدام.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٠.

إذا ما فاتني لحم غريض ضربت ذراع بكري فاشتويتُ

و«سبائك» يريد الحواري من الخبز، وذلك أنه يُسبك فيؤخذ خالصه، والعرب تسمي الرقاق: السبائك.

و«الصناب» طعام يؤخذ من الزبيب والخردل، ومنه قيل للفرس: صِنابي إذا كان في لونه حمرة. قال جرير:

تُكَلِّفُنِي مَعَاشِشَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمَرْقَقِ وَالصَّنَابِ

وقوله: «أكسار بعير» فالكسر والقصل والجزل: العظم يفصل ما عليه من اللحم. وقوله «نعى على قوم شهواتهم» أي عابهم بها ووبّخهم.

زياد أول من استن ترك السلام على قادم عند السلطان:

ومما يُصحب به السلطان: ألا يُسَلِّمَ على قادم بين يديه، وإنما استنَّ ذلك زياد بن أبيه؛ وذلك أن عبد الله بن عباس قَدِمَ على معاوية وعنده زياد؛ فرحّب به معاوية وألطفه وقَرَّبَ مجلسه ولم يكَلِّمه زياد شيئاً فابتدأه ابن عباس وقال: ما حالك أبا المغيرة! كأنك أردتَ أن تُحدثَ بيننا وبينك هجراً. قال: لا، ولكنه لا يُسَلِّمَ على قادم بين يدي أمير المؤمنين. فقال له ابن عباس: ما تركَ الناسُ التحيةَ بينهم بين يدي أمرائهم. فقال له معاوية: كُفَّ عنه يا بن عباس، فإنك لا تشاء أن تغلبَ إلا غلبتَ.

ترك أبي مسلم السلام على المنصور بحضرة السفاح:

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده المنصور. فسلم على أبي العباس. فقال له: يا أبا مسلم، هذا أبو جعفر! فقال له: يا أمير المؤمنين. هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك!

معاوية وابن العاص بين يدي عمر حين مقدمهما من الشام ومصر:

أبو حاتم عن العتيبي قال: قَدِمَ معاوية من الشام، وعمرُ بن العاص من مصر على عمر بن الخطاب؛ فأقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالهما، إلى أن أعترض عمرو في حديث معاوية، فقال له معاوية: أَعْمَلِي تَعِيبَ إِلَيَّ تقصد؟ هلم تخبر أمير المؤمنين عن عملي وأخبره عن عملك! قال عمرو: فعلتُ أنه بعلمي أبصر مني بعمله، وأنَّ عمر لا يدع أولَ هذا الحديث حتى يصير إلى آخره؛ فأردت أن أفعل شيئاً أشغل به عمر عن ذلك، فرفعتُ يدي فلطمتُ معاوية. فقال عمر: تالله ما رأيت رجلاً أسفه منك! قُمْ يا معاوية فاقتص منه. قال معاوية: إن أبي أمرني ألا أقضي أمراً دونه. فأرسل عمر إلى أبي سفيان. فلما أتاه ألقى له وسادة وقال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمَ فَأَكْرَمُوهُ». ثم قصَّ عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية. فقال: لهذا بعثت إلي؟ أخوه وابن عمه؛ وقد أتى غيرَ كبير، وقد وهبتُ ذلك له.

لبعضهم في تلمس الحيلة لنصيحة السلطان:

وقالوا: ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتُم عنه نصيحةً وإن آستثقلها، وليكن كلامه له كلامَ رفيق لا كلامَ خرق، حتى يُخبره بعيبه من غير أن يُواجهه بذلك ولكن يضرب له الأمثال، ويُخبره بعيب غيره ليعرف عيبَ نفسه. وقالوا: من تعرّض للسلطان آزدراه، ومن تطامن له تخطّاه^(١). فشبهوا السلطان في ذلك بالريح الشديد التي لا تضرُّ بما لَانَ وتمايلَ معها من الحشيش والشجر، وما آستهدف لها قصمته^(٢). قال الشاعر:

إِن الرِّيحَ إِذَا مَا أَغْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدَانَ نَبْعٍ وَلَا يَعْبَأَنَّ بِالرَّثَمِ^(٣)

لشبيب في مسامرة السلطان:

وقال شبيب بن شيبة: ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد

(١) تطامن له: تناول واستشرف. (٢) قصمته: قطعته.

(٣) النبع: من شجر الجبال تتخذ منه القسي، وربما افتدح به، والرثم: نبات من أدق الشجر كأنه من دقته يشبه بالرثم، وهي الخيوط.

الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتاج إلى أن يلتفت، ويكون من ناحية إذا التفت لم تستقبله الشمس .

وزير للهند بين الملك والمملكة:

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدي لملك ثياب وحلى، فدعا بامراتين له، وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلى . وكان وزيره حاضراً فنظرت المرأة كالمشيرة له، فغمرها باللباس تغضينا^(١) بعينه، فلحظه الملك . فاخترت الحلية لثلاثا يفطن للغمرة وصار اللباس للأخرى . فأقام الوزير أربعين سنة كاسراً عينه لثلاثا تقرّ في نفس الملك، وليظن أنها عادة وخليفة .

اختيار السلطان لأهل عمله

لابن هبيرة يوصي مسلم بن سعيد حين وجهه إلى خراسان:

لما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد إلى خراسان قال له: أوصيك بثلاثة: حاجبك، فإنه وجهك الذي به تلقى الناس: إن أحسن فأنت المحسن، وإن أساء فأنت المسيء؛ وصاحب شرطتك، فإنه سوطك وسيفك: حيث وضعتها فأنت وضعتها؛ وعمّال القدر^(٢) قال: وما عمال القدر؟ قال: أن تختار من كل مورة^(٣) رجالاً لعملك، فإن أصابوا فهو الذي أردت، وإن أخطئوا فهم المخطئون وأنت المصيب .

اختيار ابن أرطاة بين إياس والقاسم:

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: أن أجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني فولّ القضاء أنفذهما؛ فجمع بينهما، فقال له إياس: أيها الرجل، سلّ عني وعن القاسم فقيهي البصرة: الحسن وابن سيرين - وكان القاسم يأتي

(١) تغضينا: إطباقاً وكسراً . (٢) عمال القدر: ذوو الشرف والحسب .

(٣) الكورة: المدينة والبقة .

الحسن وابن سيرين وكان إياس لا يأتيهما - فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عني ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء ؛ فإن كنت كاذباً فما ينبغي أن توليني ، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي . فقال له إياس : إنك جئت برجل فوقفته على شفير ^(١) جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف . فقال له عدي : أما إذ فهمتها فأنت لها . فاستقضاه .

بين عدي وإياس في القراء :

وقال عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية : دُلّني على قوم من القراء أولّهم . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك . وضرب يعملون للدنيا . فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها ؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يَسْتَحْيُونَ لأحسابهم فولّهم .

أبو قلابة والقضاء :

أيوب السَّخْتِيَانِي ، قال : طُلب أبو قلابة لقضاء البصرة ، فهرب إلى الشام فأقام حيناً ثم رجع . قال أيوب : فقلت له : لو أنك وليت القضاء وعدلت كان لك أجران . قال : يا أيوب ، إذا وقع السابح في البحر فكم عسى أن يسبح .

تولية عبد الملك الشَّعْبِي على قضاء البصرة :

وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه : دُلّوني على رجل أستعمله . فقال له رَوْح ابن زنباع : أدلك يا أمير المؤمنين على رجل إن دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحف طلباً ، ولا باللمعِن هرباً : عامر الشَّعْبِي ؛ فولاه قضاء البصرة .

عمر بن عبد العزيز يسأل أبا مجلز عمّن يوليه خراسان :

وسأل عمر بن عبد العزيز أبا مجلّر ^(٢) عن رجل يولّيه خراسان . فقال له : ما

(١) الشفير : الحافة .

(٢) في الأصول « أبا مخلد » والتصويب من الطبري .

تقول في فلان؟ قال: مَصْنوع له وليس بصاحبها. قال: ففلان؟ قال: سريع الغضب بعيد الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، يحسد أخاه وينافس أباه ويحقر مولاه. قال: ففلان؟ قال: يكافئ الأكفاء ويعادي الأعداء ويفعل ما يشاء. قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

عمر ورجل طلب عملاً:

وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلاً، فبدر الرجل يطلب منه العمل فقال عمر: والله لقد أردتك لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يُعَنَّ عليه.

وطلب رجل من النبي ﷺ أن يستعمله. فقال: «إنا لا نستعمل على عملنا من يريده».

وطلب العباس عم النبي ﷺ إلى النبي ولاية. فقال: «يا عم، نفسٌ تحييها خير من ولاية لا تحييها».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: فِرّ من الشرف يتبعك الشرف؛ واحرص على الموت توهب لك الحياة.

وتقول النصارى: لا يُختار للجَنَلَة^(١) إلا زاهداً فيها غير طالب لها.

توليه ابن هبيرة لإياس:

وقال إياس بن معاوية: أرسل إليّ ابنُ هبيرة فأتيتُه، فساكتني فسكت، فلما أطلت قال: هيه. قلت: سل عما بدا لك. قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف. قال: إني أريد أن أستعين بك على عملي. قلت: إن فيّ خلالاً^(٢) ثلاثاً لا أصلح معها للعمل. قال: ما هي؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا حديد، وأنا عَيّ^(٣). قال: أما دمامتك فإني لا أريد أن أحسن الناس

(١) الجنثقة: رياسة النصارى. (٢) الخلال: الصفات والمزايا.

(٣) الحديد: من الحدة في الطبع، والعَي: عدم القدرة على الافصاح والتعبير.

بك. وأما العيّ فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدة فإن السوط يقومك. [قُم
قد وليتكَ] قال: فولّاني وأعطاني مائة درهم، فهي أول مال تمولته .

وقال الأصمعي: وليّ سليمان بن حبيب المحاربي قضاء دمشق لعبد الملك والوليد
وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام .

وأراد عمر بن عبد العزيز مكحولاً على القضاء فأبى عليه . قال له: وما يمنعك
قال مكحول: قال رسول الله ﷺ: « لا يَقْضِي بين الناس إلا ذو شرف في قومه، وأنا
مولى » .

توليه ابن الخطاب للمغيرة مكان ابن أبي وقاص على الكوفة:

ولما قَدِمَ رجالُ الكوفة على عمر بن الخطاب يشكون سعد بن أبي وقاص، قال: مَنْ
يَعْذِرُنِي من أهل الكوفة، إن وليتُ عليهم التقيّ ضعّفوه، وإن وليت عليهم القويّ
فَجَرّوه^(١) ؟ فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين، إن التقيّ الضعيف له تقواه وعليك
ضعفه، والقويّ الفاجر لك قوّته وعليه فجوره . قال: صدقت، فأنت القويّ الفاجر
فأخرج إليهم . فلم يزل عليهم أيامَ عمرَ وصدرًا من أيام عثمان وأيام معاوية، حتى
مات المغيرة^(٢) .

حسن السياسة وإقامة المملكة

للحجاج يصف سيرته للوليد:

كتب الوليد ن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه بسيرته،
فكتب إليه: إني أيقظتُ رأيي وأنمتُ هواي، فأدّيت السيد المطاع في قومه، ووليت
المجرّب^(٣) الحازم في أمره، وقلّدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصم من

(١) فجّروه: اهتموه بالفجر . (٢) الخبر في شرح نهج البلاغة، ومحاضرات الادباء .

(٣) المجرّب: أي صاحب التجربة والخبرة، وفي عيون الأخبار « الحرب »، وهو الشديد القوي .

نفسى قسماً أعطيه حظاً من لطيف عنايتي ونظري؛ وصرفتُ السيفَ إلى النَّطْفِ^(١) المسيء، والثوابَ إلى المحسن البريء؛ فخاف المريبُ صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب.

لأردشير يوصي ابنه:

وقال أردشير لابنه: يا بني، إنَّ المُلْكَ والعدْلَ أخوان لا غنى بأحدهما عن صاحبه فالملْكُ أسُّ والعدْلُ حارس، وما لم يكن أسٌّ فمهْدوم، وما لم يكن له حارس فضائع. يا بُنَيَّ اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول^(٢).

للحكّماء في واجب السلطان:

وقالت الحكّماء: مما يجب على السلطان العدلُ في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان. ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها. وينبغي لمن كان سلطاناً أن يُقيم على نفسه حُجّة الرعية. ومن كان رعية أن يقيم على نفسه حجة السلطان. وليكن حكمه على غيره بمثل حكمه على نفسه؛ فإنما يعرف حقوق الأشياء من عَرَف مبلّغ حدودها ومواقع أقدارها. ولا يكون أحد سلطاناً حتى يكون قبل ذلك رعية.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلّمكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيف مَسْلُول، ومال مَبْذُول، وعدل تَطْمِئِنُّ إليه القلوب.

لبعض الملوك يصف سياسته:

ووصف بعض الملوك سياسته فقال: لم أهزل في وعد ولا وعيد، ولا أمر ولا نهى

(١) النَّطْف: المتهم المريب.

(٢) انظر عيون الأخبار (١ - ١٣٠) ومحاضرات الأدباء (١ - ١٠٤) فبين الخبر هنا وهناك اختلاف في بعض الألفاظ.

ولا عاقبت للغضب . واستكفيت^(١) ، وأثبتت^(٢) على الغناء لا للهوى . وأودعت
القلوب هيبة لم يشبها مقت^(٣) ، ووداً لم تشبه جرأة . وعممت بالقوت ، ومنعت
الفضول .

لأعرابي في وصف أمير :

وذكر أعرابي أميراً فقال : كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه ، وأرسل العيون على
عيونه^(٤) ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ؛ فالحسن راج والمسيء خائف .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين في غير
ضعف ، القوي في غير عنف .

بين الوليد بن عبد الملك وأبيه في السياسة :

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أبت ، ما السياسة ؟ قال : هيبة الخاصة مع
صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع^(٥) .

لأرسطوطاليس يوصي الإسكندر :

وكتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : أملك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالحبّة
منها ، فإنّ طلبك ذلك منها بإحسانك أديم بقاء منه باعتسافك^(٦) . واعلم أنك إنما
تملك الأبدان فأجمع لها القلوب بالحبّة ؛ واعلم أن الرعية إذا قدرّت أن تقول قدرّت
أن تفعل ؛ فأجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل .

وقال أردشير لأصحابه : إني إنما أملك الأجساد لا النيات ، وأحكم بالعدل لا
بالرضى ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر .

(١) استكفيت : ولّيت الأكفاء . (٢) أثبتت : أجزت وكافأت .

(٣) المقت : البغض . (٤) العيون : الجواسيس .

(٥) الصنائع : أي الرجال الذين اتّخذهم السلطان لنفسه وكلّفهم بيعض المهام .

(٦) الاعتساف : الجور والظلم .

وكان عمرو بن العاص يقول في معاوية: اتقوا أَدَمَ^(١) قریش وابنَ کَرِيمِها، من یضحک فی الغضب، ولا ینام إلا علی الرضی، ویتناول ما فوقه من تحته^(٢).

لمعاوية في سياسته:

وقال معاوية: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني؛ ولو أن بني وبين الناس شعرة ما انقطعت. فليل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

لعمر بن العاص في معاوية وسياسته:

وقال عمرو بن العاص: رأيت معاوية في بعض أيامنا بصقن خرج في عدة لم أره خرج في مثلها، فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنته فيرى الخلل، فيبدر إليه من يسده. ثم يفعل ذلك بميسرته، فتغنيه اللحظة عن الإشارة. فدخله زهو مما رأى، فقال: يا بن العاص، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحداً أوتي له من طاعة رعيته ما أوتي لك من هؤلاء. فقال: أفندري متى يفسد هذا وفي كم ينتقض جميعه؟ قلت: لا. قال: في يوم واحد. قال: فأكثرُ التعجب. قال: إي والله وفي بعض يوم. قلت: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كذبوا في الوعد والوعيد، وأعطوا على الهوى لا على الغناء: فسد جميع ما ترى.

لابن عباس يوصي الحسن:

وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي إذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه: أن شمر للحرب^(٣)، وجاهد عدوك، وأشر من الظننين^(٤) دينه بما لا يثلم^(٥)

(١) الأدم: الأسوة والسيد. (٢) يصف حسن تأتبه للأمر وقدرته على الصعاب ويسيرها وتذليلها.

(٣) شمر: استعد. (٤) الظننين: المتهم في دينه.

(٥) يثلم: ينقص ويعيب.

دينك، وولَّ أهل البيوتات تستصلحُ به عشائِرهم .

للحكّماء في السياسة :

وقالت الحكّماء : أسّوسُ الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها ، وقلوبها بخواطرها .
وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرغبة .

لأبرويز يوصي ابنه شيرويه :

وقال أبرويز لابنه شيرويّه : لا توسّعن على جُنْدك سعة يستغنون بها عنك ولا
تضيّقنّ عليهم ضيقاً يضجون به منك ؛ ولكن أعطهم عطاءً قَصْداً ، وأمنعهم منعاً
جيلاً ، وابسّط لهم في الرجاء ، ولا تبسّط لهم في العطاء .

بين المنصور وقواده :

ونحو هذا قولُ المنصور لبعض قوّاده . صدّق الذي قال : أجعُ كلبك يتبعك ،
وسمّنه يأكلك . فقال له أبو العباس الطّوسيّ : يا أمير المؤمنين ، أما تخشى إن أجعته
أن يُلَوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

لأبرويز ينصح ابنه شيرويه :

وكتب أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس : أعلم أنّ كلمةً منك تَسفك دماء
وأخرى تحقن دماء ، وأنّ سخطك سيفٌ مسلول على من سَخَطْتَ عليه ، وأن رضاك
بركةٌ مُستفيضة على من رَضِيت عنه ، وأنّ نفاذ أمرك مع ظهور كلامك . فاحترس
في غضبك من قولك أن يُخطيء . ومن لونك أن يتغيّر ، ومن جَسَدك أن يَخِفَّ ؛ فإن
الملوك تُعاقب حَزْماً وتعفو جِلْماً . وأعلم أنّك تجلّ عن الغضب ، وأن مُلكك يصغرُ
عن رضاك ، فقدّر لسُخْطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب ^(١) .

(١) الخبر في عيون الأخبار على اختلافٍ وزيادة .

من خطبة لسعيد ابن سويد:

وخطب سعيد بن سويد بجمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنَّ للإسلام حائطاً مَنِيعاً، وباباً وثيقاً. فحائط الإسلام الحق وبابه العدل، ولا يزال الإسلام مَنِيعاً ما آشدَّ السلطان، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ولكن قضاءً بالحق وأخذاً بالعدل.

لابن الحكم في الحاقده على السلطان:

وقال عبد الله بن الحكم إنه قد يضطغن على السلطان رجلان: رجل أحسن في مُحْسِنِينَ فَأَثَبُوا وحرَم، ورجلٌ أَسَاءَ في مُسِيئِينَ فَعُوقِبَ وَعُفِيَ عَنْهُمْ؛ فينبغي للسلطان أن يحترس منها.

لأبرويز يوصي ابنه شيرويه:

وفي التاج: كتب أبرويز لابنه شيرويه يوصيه: ليكن مَنْ تَخْتَارُهُ لَوْلَايَتِكَ أَمْرًا كَانَ فِي ضَعْفَةٍ فَرَفَعْتَهُ، أَوْ ذَا شَرَفٍ كَانَ مَهْمَلًا فَأَصْطَنَعْتَهُ. وَلَا تَجْعَلْهُ أَمْرًا أَصْبَتْهُ بَقْعُوبَةٌ فَاتَّضَعْ لَهَا، وَلَا أَمْرًا اطَاعَكَ بَعْدَ مَا أَذَلَّتْهُ. وَلَا أَحَدًا مِّنْ يَقَعُ بِقَلْبِكَ أَنْ إِزَالَةَ سُلْطَانِكَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ ثَبُوتِهِ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ ضَرَعًا غَمْرًا^(١) كَثِيرًا أَعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ، قَلِيلًا تَجَرَّبَتْهُ فِي غَيْرِهِ. وَلَا كَبِيرًا مُدْبِرًا قَدْ أَخَذَ الدَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا أَخَذَتْ السَّنُّ مِنْ جِسْمِهِ.

بسط المعدلة وردة المظالم

إنصاف المأمون أمة من ابنه:

الشَّيْبَانِي قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا عَنْ عَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ عَنْ قَحْطَبَةَ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَقَدْ جَلَسَ لِلْمَظَالِمِ، فَكَانَ آخِرُ مَنْ

(١) الضرع: الضعيف، والغمر: من لا تجربة له.

تقدم إليه - وقد همَّ بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى ابن أكرم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك. فقالت:

يا خَيْرَ مُتَّصِفٍ يَهْدَى لَهُ الرَّشْدُ ويا إماماً به قد أشرق البلدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدِي عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبَدٌ^(١)
وَابْتَزَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظُلماً وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ^(٢)

فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:
في دُونِ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عني وأقرح منِّي القلبُ والكبدُ^(٣)
هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَانصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أُعِدُّ
وَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ

قال: فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدّم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟ فقالت: الواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين. وأومأت إلى العباس آبنه. فقال: يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلسَ الخصوم. فجعل كلامها يعلو كلامَ العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير، فأخفضي من صوتك. فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها وأخرسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وظلم العباس بظلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يُوغِرَ لها ضيعتها^(٤) ويُحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة.

الحكم على هشام في خصومة بينه وبين إبراهيم بن محمد:

العتبي قال: إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد ابن

(١) السبد: الشعر، ويكنى به عن الابل. (٢) ابتز: سلب ظملاً.

(٣) أقرحه: أغمه. (٤) يوغر لها ضيعتها: يسقط عنها الخراج.

طلحة وصاحب حرس هشام، حتى قعدا بين يديه، فقال: إن أمير المؤمنين جرّاني^(١) في خصومة بينه وبين إبراهيم. فقال القاضي: شاهدك على الجراية. قال أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل، وليس بيني وبينه إلا هذه السترة؟ قال: بلى، ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببينة. قال: فقام الحرسى فدخل إلى هشام فأخبره، فلم نلبث أن قعقت الأبواب^(٢) وخرج الحرسى فقال: هذا أمير المؤمنين. وخرج هشام، فلما نظر إليه القاضي قام، فأشار إليه وبسط له مصلى، فقعد عليه وإبراهيم بين يديه، وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضه. قال: فتكلموا وأحضروا البيّنة. فقضى القاضي على هشام. فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق^(٣)، فقال: الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك. فقال له هشام: لقد هممتُ أن أضربك ضربة ينتثر منها لحملك عن عظمك. قال: أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق. فقال هشام: آسرها عليّ! قال: لا ستر الله عليّ إذا ذنبي يوم القيامة إن سترتها. قال: فأني مُعطيك عليها مائة ألف. قال إبراهيم: فسترتها عليه حياته ثمناً لما أخذتُ منه، وأذعتها بعد مماته تزييناً له.

الحجاج وسليك ابن سلكة:

قال: وورد على الحجاج بن يوسف سليك بن سلكة^(٤) فقال: أصلح الله الأمير، أرعني سمعك^(٥)، واغضض عني بصرك، واكف عني غربك^(٦)؛ فإن سمعت خطأ أو زللاً دونك والعقوبة. قال: قل. فقال: عصي عاص من عُرُض العشيرة؛ فخلّق على اسمي^(٧) وهدم منزلي، وحرمت عطائي. قال: هيهات! أو ما سمعت قول الشاعر:

(١) جرّاني: وكّلني، والجراية: الوكالة.

(٢) قعقت: أحدثت أصواتاً.

(٣) الخرق: الجهل والطيش.

(٤) لعله فرعون بن عبد الرحمن المعروف بابن سلكة الذي عاصر الحجاج، إذ أن سليك بن سلكة قتل في الجاهلية.

(٥) أرعني سمعك: أي استمع مقولتي بصبر وأناة.

(٦) الغرب: حدّ السيف.

(٧) خلّق على اسمي: أي ضرب عليه بجلقة من المداد لمنع العطاء عنه.

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ تُعْدِي الصَّحَاحَ مَبَارِكُ الْجُرْب
وَلَرَبَّ مَأْخُوذٍ بِذَنْبٍ عَشِيرِهِ وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ

قال: أصلح الله الأمير، إني سمعت الله عز وجل قال غير هذا . قال: وما ذاك؟
قال: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا
نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا
لَظَالِمُونَ﴾^(١) . فقال الحجاج: عليّ بيزيد بن أبي مسلم . فمثل بين يديه ، فقال: افكك
لهذا عن اسمه ، واصكك له بعبطائه ، وآبن له منزله ، ومُرْ منادياً ينادي: صدق الله
وكذب الشاعر .

وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصراً إلا الله .

لعمر بن عبد العزيز يوصي عاملاً:

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعضُ عماله يستأذنه في تحصين مدينته . فكتب إليه:
حَصَّنْهَا بِالْعَدْلِ وَنَقَّ طُرُقَهَا مِنَ الظُّلَمِ .

للمهدي يوصي ابن أبي الجهم:

وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم - وهو والي أرض فارس: يا ربيع، أثر الحق،
والزم القصد، وابسط العدل، وارفق بالرعية، وأعلم أن أعدل الناس من أنصف من
نفسه^(٢) ، وأجورهم من ظلم الناس لغيره .

بين ابن عامر وابن أصبغ:

وقال ابن أبي الزناد: عن هشام بن عروة قال: استعمل ابن عامر عمرو بن أصبغ
على الأهواز، فلما عزله قال له: ما جئت به؟ قال له ما معي إلا مائة درهم وأثواب .

(١) سورة يوسف الآية ٧٨ و ٧٩ .

(٢) أنصف من نفسه: أي أمكن العدل منها .

قال: كيف ذلك؟ قال: أرسلتني إلى بلدٍ أهلُه رجُلان: رجل مُسلم له ما لي وعليه ما عليّ، ورجل له ذمّةُ الله ورسوله، فوالله ما دريتُ أين أضع يدي. قال: فأعطاه عشرين ألفاً. وقال جعفر بن يحيى: الخراج عمود الملك، وما استغُزِرَ بمثل العدل، ولا استنَزَرَ بمثل الظلم^(١).

وقال النبي ﷺ: «الظلم ظلماتٌ يومَ القيامةِ».

صلاح الرعية بصلاح الإمام

قال الحكماء: الناس تبعٌ لإمامهم في الخير والشر.
وقال أبو حازم الأعرج: الإمام سؤق، فما نَفَقَ عنده جُلِبَ إليه.

عمر بن الخطاب وتاج كسرى وسواريه:

ولما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسِوَارِيه. قال: إن الذي أدّى هذا لأمين. قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يُؤدّون إليك ما أدّيتَ إلى الله تعالى، فإن رتعت رتعوا^(٢).

ومن أمثالهم في هذا قولهم: إذا صلحت العين صلحت سواقيها.
الأصمعي قال: يقال: صنفان إذا صلحا صلح الناس: الأمراء والفقهاء.

بين مروان ووكيله:

اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالعُوطَة، فأنكر منها شيئاً، فقال لوكيله: ويحك! إني لأظنك تخونني. قال: أتظن ذلك ولا تستيقنه. قال: وتفعله؟ قال: نعم والله، إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين ليخون الله؛ فَلَعنَ الله شر الثلاثة.

(١) استنزر: استقل.

(٢) رتعت: تنادمت عن حقوق الله.

قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه

للحكماء في الملك والوزراء:

قالت الحكماء: لا ينفع الملك إلا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف. ثم على الملوك بعدُ ألا يتركوا مُحسناً ولا مسيئاً ما دون جزاء؛ فإنهم إذا تركوا ذلك، تهاون المحسن، وآجترأ المسيء، وفسد الأمر، وبطل العمل.

للأحنف في فساد البطانة:

وقال الأحنف بن قيس: من فسدت بطانته^(١) كان كمن غَصَّ بالماء، ومن غَصَّ بالماء فلا مَسَاغَ له، ومن خانته ثِقَاتُهُ فقد أُتِيَ من مَأْمَنِهِ^(٢).

وقال العباس بن الأحنف:

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

وقال آخر:

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمْ فَهُمْ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفِرَارُ

لعدي بن زيد:

وأول من سبق إلى هذا المعنى عدي بن زيد في قوله للنعمان بن المنذر:
لَوْ بَغِىرَ الْمَاءُ حَلْقِي شَرْقً كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي^(٣)

وقال آخر:

إِلَى الْمَاءِ يَسْعَى مَنْ يَغْصُ بِرَيْقِهِ فَقُلْ أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَغْصُ بِمَاءِ

(١) البطانة: الحاشية المقرّبة. (٢) أُنِي من مأمنه: أي تمكّن منه الذي يريد به الإيقاع.

(٣) الاعتصار: أن يترشّف الماء قليلاً قليلاً.

لابن العاص في العدل :

وقال عمرو بن العاص: لا سُلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

وقالوا: إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأموأجه.

قالوا: ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يُحسِنُ القول ولا يحسن الفعل ولا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع حُسن النية، ولا في الحياة إلا مع الصحة.

قالوا: إن السلطان إذا كان صالحاً ووزرائه وزراء سَوَاءٍ أمتنع خيره من الناس ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة. وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح، فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجاً إليه.

صفة الإمام العادل

كتاب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز في وصف الإمام العادل:

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما وليَ الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله:

أعلم يا أمير المؤمنين أن الله جَعَلَ الإمامَ العادلَ قِوَامَ كُلِّ مَائِلٍ^(١)، وَقَصْدَ كُلِّ جَائِرٍ، وَصَلَاحَ كُلِّ فَاسِدٍ، وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَنَصَفَةَ كُلِّ مَظْلُومٍ، وَمَفْزَعَ كُلِّ مَلْهُوفٍ^(٢). والإمامُ العادلُ يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيَبَ المرعى، ويدودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنُّها من أذى الحرِّ والقرِّ^(٣). والإمام العادلُ يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على

(١) قوام: اعتدال وصلاح واستقامة.

(٢) المفزع: الملجأ. (٣) القر: البرد.

ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها ووضعته كرهاً، وربته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفظمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصيَّ اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالقلب بين الجوارح: تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُسْمِعُهُمْ، وينظر إلى الله ويرىهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدّد المال، وشرّد العيال، فأفقر أهله وفرّق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه؛ فتزوّد له ولما بعده من الفرع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباباً، يسلمونك في قعره فريداً وحيداً. فتزوّد له ما يصحبك ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾^(١).

واذكر يا أمير المؤمنين ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٢) فالأسرار ظاهرة، والكتاب ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٣).

فالآن يا أمير المؤمنين، وأنت في مهل، قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا

(١) سورة عبس الآية ٣٤ و ٣٥ و ٣٦.

(٢) سورة العاديات الآية ٩ و ١٠. (٣) سورة الكهف الآية ٤٩.

تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا^(١) ولا ذمّة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك. ولا يغرّنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. ولا تنظرن إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله تعالى في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد ﴿عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾^(٢).

إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعِظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك^(٣) شفقةً ونصحاً، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريمة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

هبة الإمام في تواضعه

لابن السكّ:

قال ابن السماء لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أكبر من شرفك!
وقال عبد الملك بن مروان: أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قُدرة، وأنصف عن قُوّة.

النجاشي وقد ولد له ولد:

ذكر عن النجاشي أمير الحبشة أنه أصبح يوماً جالساً على الأرض والتاج على رأسه، فأعظم ذلك أساقفته؛ فقال لهم: إني وجدتُ فيما أنزل الله تعالى على المسيح عليه السلام، يقول له: إذا أنعمتُ على عبدي نعمةً فتواضع إليّ أتممتها عليه، وإني وُلِدَ لي الليلة غلام، فتواضعت لذلك شكراً لله تعالى.

(١) الإلّ: العهد والخلف. (٢) سورة طه الآية ١١١.

(٣) آلك: أقصرت.

لبعض الشعراء في التواضع:

وقال ابن قتيبة: لم يُقَلِّ بيتٌ أبدعُ من قول الشاعر لبعض خلفاء بني أمية:
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^(١)

وأحسن منه عندي قول الآخر:
فَتَى زَادَهُ عِزَّ الْمَهَابَةِ ذِلَّةً فَكَلَّ عَزِيزٌ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعٌ

وقال أبو العتاهية:

يَا مَنْ تَشَرَّفَ بِالْذُّنْيَا وَزِينَتِهَا لَيْسَ التَّشَرُّفُ رَفَعَ الطَّيْنَ بِالطَّيْنِ^(٢)
إِذَا أُرِدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَانْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مِسْكِينٍ
ذَاكَ الَّذِي عَظُمَتْ وَاللَّهُ نِعْمَتُهُ وَذَاكَ يَصْلُحُ لِلذُّنْيَا وَلِلدِّينِ
وقال الحسن بن هانيء في هيبة السلطان مع محبة الرعية:

إِمَامٌ عَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَمَحَبَّةٌ أَلَا بِأَبْيِ ذَاكَ الْحَبِيبِ الْمُحَبَّبِ
وقال آخر في الهيبة وإن لم تكن في طريق السلطان:
بِنَفْسِي مِنْ لَوْ مَرَّ بَرْدٌ بَنَانِهِ عَلَى كَبْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنْامُلُهُ
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَيْبَتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ
ولابن هرمة في المنصور:

لَهُ لِحْظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ^(٣)
كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانُ وَجَّةٌ لَدَى الرُّضَى أَسِيلٌ وَوَجَّةٌ فِي الْكَرِيمَةِ بَاسِلٌ^(٤)
فَأَمُّ الَّذِي آمَنْتَ أَمْنَهُ الرَّدِّي وَأُمُّ الَّذِي أَوْعَدْتَ بِالْثُّكُلِ ثَاكِلُ
وَلَيْسَ بِمُعْطِي الْعَفْوِ مِنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ وَيَعْفُو إِذَا مَا مَكَّنَّتْهُ الْمُقَاتِلُ

وقال آخر في الهيبة:

أَهَاشُمُ يَا فَتَى دِينَ وَدُنْيَا وَمَنْ هُوَ فِي اللَّبَابِ مِنَ اللَّبَابِ^(٥)

(١) البيت للفوزدق في زين العابدين علي بن الحسين . (٢) في الديوان « يا من تشرف بالذنيا وطينتها » .

(٣) حفا في سريره : جانباه . (٤) الأسيل : الرقيق الناعم ، والباسل : الشجاع .

(٥) اللباب : الخالص من كل شيء .

أَهَابُكَ أَنْ أَبُوحَ بَدَاتِ نَفْسِي وَتَرَكِي لِلْعِتَابِ مِنَ الْعِتَابِ

وقال أشجع بن عمرو في هيبة السلطان:

مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النَّفُوسَ حَدِيثَهَا بِالشَّيْءِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ
وَمِنَ الْوَلَاةِ مُفَخِّمٌ لَا يَتَّقِي وَالسَّيْفُ تَقَطَّرُ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ

وقال أيضاً لهرون الرشيد:

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ: ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ، وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيْفُوكَ الْأَحْلَامُ^(١)

وقال الحسن بن هانيء في الهيبة فأفرط:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِفَجْرَةٍ إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا اللَّحْظَانُ^(٢)
حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكْ صُورَةٌ لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانٌ

فمجاز هذا البيت في إفراطه أن الرجل إذا خاف شيئاً أو أحبه أحبه بسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه ودمه وجميع أعضائه، فالنطف التي في الأصلاب داخله في هذه الجملة.

قال الشاعر:

أَلَا تَرِثِي لِمُكْتَتِبٍ يُحِبُّكَ لَحْمُهُ وَدَمُهُ

وقال المكفوف في آل محمد:

أَحْبَبُّكُمْ حَبّاً عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ تَضَمَّنَهُ الْأَخْشَاءُ وَاللَّحْمُ وَالْدَمُ

ومثل هذا قول الحسن بن هانيء:

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النَّطْفُ الْتِي لَمْ تُخْلَقْ

(١) رعته: أخفته، وسلت: شهرت.

(٢) الفجرة: المرة من الفجر، وهو الانبعاث في المعاصي، واللحظان: النظر بمؤخر العين.

فإذا خافه أهل الشرك خافته النطف التي في أصلابهم، على المجاز الذي ذكرناه .

ومجاز آخر: أن النطف التي أخذ الله ميثاقها يجوز أن يضاف إليها ما هي لا بد فاعلة من قبل أن تفعله، كما جاء في الأثر: إن الله عز وجل عَرَضَ على آدم ذريته فقال: هؤلاء أهل الجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، وهؤلاء أهل النار ويعمل أهل النار يعملون .

شعر للمؤلف في الهيبة:

وها أنا أقول في الهيبة:

يا من يُجَرِّدُ مِنْ بَصِيرَتِهِ	تحت الحوادث صارم العزم
رُعَتِ الْعَدُوَّ فَمَا مَثَلَتْ لَهُ	إلا تَفَزَّعَ مِنْكَ فِي الْحُلُمِ
أَضْحَى لَكَ التَّدْبِيرُ مُطَرِّدًا	مِثْلَ اطِّرَادِ الْفِعْلِ لِلْإِسْمِ
رَفَعَ الْجَسُودُ إِلَيْكَ نَاطِرَهُ	فَرَأَى مُطَّلِعًا مَعَ التَّجَمُّ

للأخطل في معاوية:

أبو حاتم سهل بن محمد قال: أنشدني العتي للأخطل في معاوية:
تَسْمُو الْعَيُونَ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ مُعْطَى الْمَهَابَةِ نَافِعَ ضَرَّارِ
وترى عليه إذا العيونُ لَمَحْنَهُ سِيما الحليمِ وَهَيْبَةِ الْجَبَّارِ

حسن السيرة والرفق بالرعية

مما جاء في الكتاب والسنة في معنى هذا العنوان:

قال الله تعالى لنبيه ﷺ فيما أوصاه به من الرفق بالرعية: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١) .

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

وقال النبي ﷺ : « مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ ،
ومن حُرِّمَ حَظُّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِّمَ حَظُّهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ » .

مشورة سالم وابن كعب على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة:

ولما آسَتْخَلَفَ عمر بن عبد العزيز أَرْسَلَ إِلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ .
فَقَالَ لَهَا : أَشِيرَا عَلَيَّ . فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : اجْعَلِ النَّاسَ أَبَاً وَأَخَاً وَابْنًا ، فَبَرَّ أَبَاكَ ، وَاحْفَظْ
أَخَاكَ ، وَارْحَمْ ابْنَكَ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : أَحْبِبْ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ وَارْكَرْ لَهُمْ
مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ يَمُوتُ .

بين عمر بن عبد العزيز وابنه في الرفق:

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت، مالك لا تَنْفُذُ في
الأُمُور، فوالله لا أبالي في الحق لو غَلَّتْ بي وبك القُدُور . قال له عمر: لا تعجل يا
بُني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرَّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن
أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْحَقِّ جَمَلَةً فَيُدْفِعُوهُ وَتَكُونَ فِتْنَةً .

من عمر إلى ابن أُرطاة في الرفق:

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِيِّ بْنِ أُرطَاةَ: أما بعد، فإن أَمَكنتَكَ القُدرة على
المخلوق فاذا ذكر قدرة الخالق عليك، وأعلم أن مالك عند الله مثل ما للرعية عندك .

مما وصى المنصور به ابنه:

وقال المنصور لولده عبد الله المهدي: لا تُبْرِمَ^(١) أُمراً حتى تفكر فيه؛ فإن فكرة
العاقل مرآته تُريه حسناته وسيئاته؛ واعلم أن الخليفة لا يُصلحها إلا التقوى، والسلطان
لا تصلحها إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدَرُهم على
العقوبة، وأنقصَ الناس عقلاً من ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ .

(١) تبرم: تعقد وتنفذ .

وصية خالد القسري لبلال:

وقال خالد بن عبد الله القسري لبلال بن أبي بردة: لا يَحْمِلَنَّ فضلُ المقدرة على شدة السطوة، ولا تَطْلُبْ من رعيّتك إلا ما تبذله لها؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(١).

وقال أبو عبد الله كاتِبُ المهدي: ما أحوَجُ ذا القدرة والسلطان إلى قرين^(٢) يحجزه، وحياء يكفه، وعقل يعقله^(٣)، وإلى تجربة طويلة، وعين حفيظة، وأعراق تسري إليه، وأخلاق تُسهِّلُ الأمور عليه؛ وإلى جليس شفيق، وصاحب رقيق، وإلى عين تُبصر العواقب، وقلب يخاف الغير. ومن لم يعرف لؤم الكِبَر لم يَسلم من فَلَآت اللسان، ولم يتعاضم ذنباً وإن عظم، ولا ثناء وإن سُمح^(٤).

وكتب أردشير إلى رعيّته: من أردشير المؤيد ملك الملوك ووارث العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين، والأساورة الذين هم حفظة البيضة^(٥)، والكتّاب الذين هم زينة المملكة، وذوي الحرث الذين هم عماد البلاد: السلام عليكم، فإننا بحمد الله إليكم سالمون؛ فقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رأفتنا بها إتاوتها الموضوعة عليها^(٦)، ونحن مع ذلك كاتبون إليكم بوصية فاحفظوها: لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو، ولا تحتكروا فيشملكم القحط؛ وتزوّجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم وأثبت للنسب، ولا تَعُدُّوا هذه الدنيا شيئاً؛ فإنها لا تُبقي على أحد، ولا ترفضوها فإن الآخرة لا تُدرَك إلا بها.

وصية مروان ابن الحكم لعبد العزيز ابنه حين ولاه مصر:

ولما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام آستعمل عبد العزيز ابنه على

(١) سورة النحل الآية ١٢٨: (٢) القرين: من القرن، وهو القيد، أو هو صاحب.

(٣) يعقله: يربطه ويمنعه. (٤) سمح: كان سمحاً ليناً وسهلاً.

(٥) الأساورة: الأسود أو الشجعان وحفظة البيضة: حفظة الحمى والذمار.

(٦) الإتاوة: الضرائب.

مصر، وقال له حين ودّعه: أرسل حكيمًا ولا توصيه . أي بُنيّ، انظر إلى عمّالك، فإن كان لهم عندك حقٌّ غُدُوَّةٌ فلا تؤخرهم إلى عشيّة، وإن كان لهم عشيّةٌ فلا تؤخرهم إلى غدوة، وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم . وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدّقوك في الحق . واستشر جلساءك وأهل العلم؛ فإن لم يَسْتَبِنْ لك فاكتب إليّ يأتك رأيي فيه إن شاء الله تعالى . وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذ به عند سورَةِ الغضب^(١)، واحبس عنه عقوبتك حتى يَسْكُنَ غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفىء الجمرة، فإن أولَ مَنْ جَعَلَ السجَنَ كان حليماً ذا أناة^(٢) . ثم انظر إلى ذوي الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك؛ ثم ارفع منازلهم منك على غيرهم، على غير آسَترِ سال ولا انقباض، أقول هذا وأستخلف الله عليك .

من معاوية إلى زياد في رجل فر إليه :

قال أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن مجالد عن الشعبي، قال: قال زياد: ما غلبني أمير المؤمنين معاوية في شيء من السياسة إلا مرة واحدة، استعملت رجلاً فكسر خراجَه، فخشيت أن أعاقبه ففرّ إليه وأستجار به فأمنه؛ فكتبت إليه: إن هذا أدب سوءاً من قبلي . فكتب إليّ: إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلن جميعاً فتمرح الناس في المعصية، ولا نستبد جميعاً فنحمل الناس على المهالك . ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرفافة والرحمة .

ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم

قالت الحكماء: أحزم الملوك من قهر جدّه هزله: وغلب رأيُه هواه، وجعل له الفكر صاحباً يُحسِّنُ له العواقب، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده .

(١) سورة الغضب: حدّته وشدّته .

(٢) الأناة: الصبر والروية .

وصية عبد الملك لولي عهده الوليد:

وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد وكان ولي عهده: يا بُنَيَّ، اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه إلا حرفان: حزمٌ وتوان.

لبعضهم في السير من الزلل:

وقالوا: ينبغي للعاقل ألا يستصغر شيئاً من الخطأ والزلل، فانه متى ما آستصغر الصغير يوشك أن يقع في الكبير؛ فقد رأينا الملك يُؤْتَى من العدو المحتقر، ورأينا الصحة تُؤْتَى من الدواء اليسير، ورأينا الأنهار تتدفق من الجداول الصغار.

في الذم يكون من الرعية:

وقالوا: لا يكون الذم من الرعية لراعيها إلا لأحد ثلاثة: كرمٌ قُصِّرَ به عن قدره فاحتمل لذلك ضيغنا، أو لئيمٌ بُلِّغَ به ما لا يستحق فأورثه ذلك بطراً^(١)، أو رجلٌ مُنِعَ حظّه من الإنصاف فشكا تفريطاً.

من كلام للهند في الملوك:

وفي كتاب الهند: خير الملوك من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه الجيف حولها النسر.

وقيل للملك سَلِبٌ مُلْكَه: ما الذي سلبك ملكك؟ قال: دَفَعُ شغل اليوم إلى غد، والتاسُ عُدَّةٌ بتضييع عُدَد، واستكفاء كلِّ مخدوع عن عقله. والمخدوع عن عقله من بلغ قدراً لا يستحقه، وأثيب ثواباً لا يستوجه.

لابن أبي طالب في الفرص:

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا هذه الفرص فإنها تمرّ مرّ السحاب، ولا تطلبوا أثراً بعد عين.

(١) البطر: جحود النعمة.

شي عن عمر ولعائشة فيه:

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحزم الخلفاء، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا ذكر عمر تقول: كان والله أخوزياً^(١) نسيجَ وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها^(٢).

وقال المغيرة بن شعبة: ما رأيت أحداً هو أحزم من عمر: كان والله له فضل يمنعه أن يخدع، وعقل يمنعه أن يُخدع. وقال عمر: لست بخبّ والخبّ لا يخدعني^(٣).

عمر وعامل البحرين:

ومر عمر ببنيان يُبنى، بآجرٍ وجصّ، فقال: لمن هذا؟ قيل: لعاملك على البحرين. فقال: أثبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها^(٤)، فأرسل إليه فشاطره ماله.

عمر وابن أبي وقاص:

وكان سعد بن وقاص يقال له المستجاب، لقول النبي ﷺ: «اتقوا دعوة سعد». فلما شاطره عمر ماله، قال له سعد: لقد هممتُ. قال له عمر: بأن تدعو عليّ. قال: نعم. قال إذاً لا تجدني بدعاء ربي شقياً.

ابن أبي وقاص وشاعر هجاء:

وهجا رجل من الشعراء سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، فقال:

ألم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَسَعَدَ بَابَ الْقَادِسِيَّةِ مُعْصِمٌ^(٥)

فَأَبْنَا وَقَدْ آمَتَ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَنِسْوَةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ^(٦)

فقال سعد: اللهم اكفني يده ولسانه. فقطعت يده وبُكِمَ لسانه.

(١) الأخوزي: الحسن السياق للأمور. (٢) أقرانها: أي أكفائها.

(٣) الخبّ: المخادع. (٤) أي إلا أن تظهر وتعرف.

(٥) معصم: معصم. (٦) آمت: فقدت أزواجها.

عمر وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة والحارث:

ولما عَزَلَ عمرُ أبا موسى الأشعريَّ عن البصرة وشاطره ماله وعزل أبا هريرة عن البحرين وشاطره ماله، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله، دعا أبا موسى فقال له: ما جاريتان بلغني أنها عندك، إحداها تُدْعَى عقيلة والأخرى من بنات الملوك؟ قال: أما عقيلة فجارية بيني وبين الناس، وأما التي هي من بنات الملوك فإني أردتُ بها غَلاءَ الفِداء. قال: فما جَفَتان تعملان عندك؟ قال: رزقي شاة في كل يوم، فيُعمل نصفُها غُدوة ونصفها عِشية. قال: فما مِكيالان بلغني أنها عندك؟ قال: أما أحدهما فأوفِّي أهلي به ودَيَّني، وأما الآخر فيتعامل الناس به. قال: أدفع لنا عقيلة، والله إنك لمؤمن لا تُغَلَّ أو فاجرٌ مُبِلٌ^(١)؛ ارجع إلى عملك عاقصاً بقرنك مُكْتَسِعاً بذَنَبِك^(٢)؛ والله إن بلغني عنك أمرٌ لم أُعِدك.

ثم دعا أبا هريرة فقال له: هل علمت من حين أني آستعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك آبتعت أفراساً بألف دينار وستائة دينار؟ قال: كانت لنا أفراس تنائج. وعطايا تلاحقت. قال قد حَسَبْتُ لك رزقك ومؤونتك وهذا فضلٌ فأدّه. قال: ليس لك ذلك. قال: بلى والله وأوجع ظهرك! ثم قام إليه بالدرة فضر به حتى أدماه، ثم قال: إيت بها. قال: احتسبتها عند الله. قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً، أجبث من أقصى حَجَرٍ بالبحرين ييجي^(٣) الناس لك لا لله ولا للمسلمين؟ ما رجعت بك أُمَيْمَةً إلا لرعيةِ الحُمُر. وأُمَيْمَةٌ أم أبي هريرة.

وفي حديث أبي هريرة قال: لما عزلني عمر عن البحرين قال لي: يا عدو الله وعدو كتابه، سرقت مال الله؟ قال: فقلت: ما أنا عدو الله ولا عدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما، وما سرقت مال الله. قال: فمن أين آجتمعت لك عشر آلاف؟ قلت:

(١) لا تُغَلَّ: لا تخون، والمبِلُ الخبيث الداهية أو الغالب بمجته.

(٢) القرن: من الشعر، وعقصه: عقده والاكْتِصَاعُ بالذَّنَبِ: إدخاله بين الأرجل وأراد بالعبارتين: الذلة والمهانة.

(٣) ييجي: من الجباية أي جمع الضرائب.

خيل تناجحت، وعطايا تلاحقت، وسهام تتابعت. قال: فقبضها مني، فلما صليتُ الصبح استغفرت لأمر المؤمنين. فقال لي بعد ذلك: ألا تعمل؟ قلت لا. قال: قد عمل من هو خير منك يوسف صلواتُ الله عليه. قلت: يوسف نبيّ وأنا ابن أُميمة، أخشى أن يُشتم عِرْضي، ويُضْرَبَ ظهري، ويُنزَعَ مالي.

قال: ثم دعا عمرُ الحارثَ بن وهب، فقال: ما قِلاصٌ وأَعْبَدُ بعثها بمائتي دينار؟ قال: خرجتُ بنفقةٍ معي فتَجَرْتُ فيها. فقال: أما والله ما يعثناكم لَتَتَجَرُوا في أموال المسلمين، أَدَّها. فقال: أما والله لا عَمِلْتُ عملاً بعدها! قال: أنتظر حتى أستعملك!

بين عمر بن الخطاب وابن العاص:

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص. وكان عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، سلامٌ عليك، أما بعد. فإنه بلغني أنه فَشَت لك فاشية^(١) من خَيْل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مالَ لك. فكتب إليّ من أين أصلُ هذا المال ولا تكتمه.

فكتب إليه: من عمرو بن العاص إلى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فَشَا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك لا مال لي. وإني أعلمُ أمير المؤمنين أني بأَرْضِ السَّعْرِ فيه رخيص، وأنّي أعالج من الحِرْفة والزراعة ما يُعالج أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سعة. والله لو رأيت خيانتك حلالاً ما خنتك؛ فأقصِر أيها الرجل، فإن لنا أحساباً هي خيرٌ من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها. ولعمري إن عندك من لا يذم معيشته ولا تذم له [وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خيرٌ مني]^(٢) فأنتى كان ذلك ولم يُفْتَح قُفْلُكَ ولم نَشْرُكَكَ في عملك؟

(١) فشَت: كثرت.

(٢) التكملة من شرح نهج البلاغة (١ - ٨).

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تُسطر وتُسقك الكلام في غير مرجع، وما يغني عنك أن تزكي نفسك. وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة فشاطره مالك؛ فإنكم أيها الرهط الأمراء جلستم على عيران المال، لم يعوزكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتمهدون لأنفسكم. أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار. والسلام.

فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاماً كثيراً. فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئاً. فقال له عمرو: أتحرمون طعامنا؟ فقال: لو قدمت إليّ طعام الضيف أكلته، ولكنك قدمت إليّ طعاماً هو مقدمة شر. والله لا أشرب عندك ماء. فكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه. فشاطره ماله بأجمعه، حتى بقيت نعلاه، فأخذ إحداها وترك الأخرى! فغضب عمرو بن العاص فقال: يا محمد بن مسلمة، قبح الله زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل. والله إني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الخطب وعلى ابنه مثلها، وما منها إلا في نمرة^(١) لا تبلغ رُسغيه؛ والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزوراً^(٢) بالذهب.

قال له محمد: اسكت، والله إن عمر لخير منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار، والله لولا الزمان الذي سبقك به لألقيت مقتعد شاة يسرك غزوها^(٣) ويسوءك بكؤها^(٤). فقال عمرو: هي عندك بأمانة الله. فلم يخبر بها عمر.

وأبو سفيان في مال وأدهم:

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه قال: بعث معاوية إلى عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم؛ وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر - يعني بالأدهم القيد - وكتب إلى عمر يقول: إني وجدت في حصون الروم جماعة من أسارى

(١) النمرة: بردة من صوف تلبسها الأعراب. (٢) مزوراً: مزيناً.

(٣) غزوها: درها. (٤) بكؤها: قلة لبنها.

المسلمين مقيدين بقيود حديد - أنفذت منها هذا ليراه أمير المؤمنين - وكانت العرب قبل ذلك تقيد بالقيود . قال جرير : ... أو لجدل الأدهم^(١) .

فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدهم . قال : فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر وأحتبس المال لنفسه . فلما قرأ عمر الكتاب ، قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومَعونة ، ولنا في بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئاً قاصصتنا به . فقال عمر : أطرحوه في الأدهم حتى يأتي بالمال . قال : فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال . فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم . قال : فلما قدم الرسول على معاوية قال له : رأيت أمير المؤمنين أعجبَ بالأدهم ؟ قال : نعم ، وطرح فيه أباك . قال : ولم ؟ قال : جاءه بالأدهم وحَبَس المال ؛ قال : إي والله ، والخطاب لو كان لطرحه فيه !

عمر وأبو سفيان في مال حاول إخفاءه :

زار أبو سفيان معاوية بالشام ، فلما رجع من عنده دخل على عمر فقال : أجزنا أبا سفيان . قال : ما أصبنا شيئاً فنَجيزك به . فأخذ عمر خاتمة فبعث به إلى هند ، وقال للرسول : قل لها : يقول لك أبو سفيان : انظري إلى الخُرَجَيْن اللذين جئتُ بهما فأحضرهما . فما لبث عمر أن أتَيَ بمخرجين فيها عشرة آلاف درهم ، فطرحهما عمر في بيت المال . فلما وليَ عثمان ردهما عليه . فقال أبو سفيان : ما كنت لأخذ مالاَ عابه عليَّ عمر .

عمر وعتبة في مال وجده معه :

ولما وليَ عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائفَ وصدقاتها ثم عزله ، تلقاه في بعض الطريق ، فوجد معه ثلاثين ألفاً ، فقال : أنى لك هذا ؟ قال : والله ما هو لك

(١) البيت :

هو القين وابن القين لا قين مثله — لبطح المساحي أو لجدل الأدهم

ولا للمسلمين، ولكنه مال خرجتُ به لضيعةٍ أشتريها . فقال عمر: عاملنا وجدنا معه مالا، ما سبيله إلا بيت المال . ورفعهُ؛ فلما وليَ عثمان قال لعتبة: هل لك في هذا المال، فإني لم أر لأخذ ابن الخطاب فيه وجهاً؟ قال: والله إن بنا إليه حاجة، ولكن لا تَرَدَّ علي من قبلكَ فيَرَدَّ عليك من بعدك .

عمر وأبو سفيان في رجل دعا بدعاء الجاهلية:

القَحْذَمِي^(١) قال: ضَرَبَ عمر رجلاً بالدرّة، فنَادَى: يَا لَقُصَيَّ! فقال أبو سفيان: يا بن أخي، لو قبل اليوم تنادي قصياً لأنتك منها الغطاريف^(٢) . فقال له عمر: اسكت لا أبالك . قال أبو سفيان: ها، ووضع سبّابته على فيه .

كتاب يزيد إلى مروان يأمره بالبيعة:

خليفة بن خياط قال: كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص - وإنما قيل له الناقص لفطر كماله - إلى مروان بن محمد - وبلغه عنه تلكو في بيعته - : أما بعد، فإني أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى . فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيها شئت والسلام . فأتته بيعته .

أبو غسان وأهل مرو حين منعوا المال:

ولما منع أهل مرو أبا غسان الماء وزجّته^(٣) إلى الصحاري، كتب إليهم أبو غسان: إلى بني الأستاذ من أهل مرو؛ ليمسني الماء أو لتصبّحنكم الخيل . فما أمسى حتى أتاه الماء . فقال: الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد .

كتاب ابن طاهر إلى الحسن التغلبي:

وكتب عبد الله بن طاهر الخراساني إلى الحسن بن عمر التغلبي: أما بعد، فقد بلغني ما كان من قطع الفسقة الطريق ما بلغ، فلا الطريق تحمي، ولا اللصوص

(٢) زجّته: أبعدهته لإخفائه .

(١) هو الوليد بن هشام القحذمي .

(٣) الغطاريف: السادة الأشراف .

تَكْفِي، ولا الرعية تُرْضِي، وتطمع بعد هذا في الزيادة! إنك لمفسح الأمل. وآيم الله لتكفيني مَنْ قَبْلَكَ أو لأَوْجَهَنَّ إليك رجالاً لا تعرف مُرَّةً من جَهم ولا عَدِيٍّ من رُهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كتاب الحجاج إلى قتيبة في أمر وكيع:

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم واليه بخراسان: أما بعد، فإن وكيع ابن حسان كان بالبصرة منه ما كان، ثم صار لصاً بسجستان، ثم صار إلى خراسان، فإذا أتاك كتابي هذا: فاهدم بناءه، واحلّل لواءه. وكان على شرطة قتيبة فعزله. وولى الضبيَّ عمَّ مسعود بن الخطاب.

كتاب الحجاج إلى قوم يفسدون في الأرض:

وبلغ الحجاج أن قوماً من الأعراب يُفسدون الطريق، فكتب إليهم: أما بعد، فإنكم قد استخفّتكم الفتنة، فلا عن حق تُقاتلون. ولا عن منكر تنهون، وإني أهم أن تردّ عليكم مني خيلٌ تنسف الطارف والتالد^(١)، وتدعُ النساء أيامي والأبناء يتامى والديار خراباً! فلما أتاهاهم كتابه كفّوا عن الطريق.

التعرض للسلطان والردة عليه

قالت الحكماء: من تعرض للسلطان أرداه، ومن تطامن له تخطاه^(٢). وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر بما لان لها من الشجر ومال معها من الحشيش. وما آستهدف لها من الدوح العظام قصفت^(٣). قال الشاعر:

إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيदान تبع ولا يغبان بالرّم^(٣)

وقال حبيب بن أوس، وهو أحسن ما قيل في السلطان:

(١) الطارف والتلبد: المال المحدث والموروث.

(٢) تطامن له: انخفض.

(٣) سبقت هذه العبارة في صفحة سابقة مع تغيير يسير.

هو السَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ أَنْقَدَتْ طَوْعَهُ وَتَقْتَادَهُ مِنْ جَانِبِهِ فَيَتَّبَعُ
وقال آخر:

هو السَّيْفُ إِنْ لَايَنْتَهُ لَايَنْتَهُ لَانْ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتْهُ خَشِنَانْ

بين معاوية وأبي الجهم:

وقال معاوية لأبي الجهم العدوي: أنا أكبر أم أنت؟ فقال: لقد أكلتُ في عُرْسِ
أَمَكْ يا أمير المؤمنين. قال: عند أيِّ أزواجها؟ قال: عند حفص بن المغيرة. قال: يا
أبا الجهم، إيتاك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيّ ويأخذ أخذ الأسد.

وأبو الجهم هو القاتل في معاوية:

وَنُغْضِبُهُ لَنُخْبِرَ حَالَتِيهِ فَنُخْبِرُ مِنْهَا كَرَمَاءَ وَلِينَا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا

معاوية وعقبة الأسدي:

وقدم عَقْبَةُ الأسدي على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات:
مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَاسْجَحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ^(١)
أَكَلْتُمُ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ
أَتَطْمَعُ بِالْخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مِنْ خُلُودِ
فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكْتَ ضِيَاعًا يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ

فدعا به معاوية فقال: ما جرّأك عليّ؟ قال: نَصَحْتُكَ إِذَا غَشَوْكَ؛ وَصَدَّقْتُكَ إِذَا
كَذَّبُوكَ. فقال: ما أظنك إلا صادقاً، وقضى حوائجه.

ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال: خطب أبو جعفر المنصور، فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله. فقام إليه رجل من عُرْضِ الناس فقال:

(١) فأسجح: فأحسن.

أذكرك الله الذي ذكرتنا به يا أمير المؤمنين . فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية :
سمعاً وطاعة لمن ذكرَ بالله ، وأعوذ بالله أن اذكرَ به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم
﴿قد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين﴾^(١) . وأما أنت ، فوالله ما الله أردتَ بها ،
ولكن ليقال : قال فعوقبَ فصبر ! وأهونُ بها لو كانت ، وأنا أحذرُكم أيها الناس
أختها ؛ فإن الموعظة علينا نزلت ، ومنا أخذت . ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

الرشيد ومعارض عليه في خطبته :

وقام رجل إلى هارون الرشيد وهو يخطب بمكة ، فقال : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ
تَقُولُوا مَالًا تَفْعَلُونَ﴾^(٢) فأمر به فضربَ مائة سوط ، فكان يئنُّ الليل كله ويقول :
الموت ! الموت . فأخبر هارون أنه رجل صالح ، فأرسل إليه فاستحلّه ، فأحلّه .

الوليد ومعارض عليه في خطبته :

المدائني قال : جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت
الشمس ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوقت لا ينتظرك ، وإنَّ الرب لا
يعذرك . قال : صدقت ، ومن قال مثلاً مقالتك فلا ينبغي له أن يقوم مثل مقامك .
من ها هنا من أقرب الحرس يقوم إليه فيضربُ عنقه ؟

مخاطر بين معاوية وزباد :

الرياشي عن الأصمعي قال : خاطر رجل رجلاً أن يقوم إلى معاوية إذا سجد
فيضع يده على كَفَلِه ويقول : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! ما أشبه عَجيرَتَكَ بعَجيرةِ
أمك هند ! ففعل ذلك . فلما انفتل معاوية عن صلاته قال :

يا بن أخي ، إن أبا سفيان كان إلى ذلك منها أميل ؛ فخذ ما جعلوا لك . فأخذه .

(١) سورة الانعام . الآية ٥٦ .

(٢) سورة الصف الآية ٣ .

ثم خاطر أيضاً أن يقوم إلى زياد وهو في الخطبة فيقول له: أيها الأمير، من أبوك؟ ففعل. فقال له زياد: هذا يُخبرك - وأشار إلى صاحب الشرطة - فقدّمه فضرب عنقه. فلما بلغ ذلك معاوية قال: ما قتله غيري، ولو أدبته على الأولى ما عاد إلى الثانية.

وخاطر رجل أن يقوم إلى عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول: أيها الأمير، أمك؟ ففعل. فقال له: النابغة بنت عبد الله، أصابتها رماح العرب فبيعت فبعكاز، فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل، فولدت فأنجبت، فإن كانوا جعلوا لك شيئاً فخذ.

بين معاوية وخرم:

دخل خرم الناعم على معاوية بن أبي سفيان: فنظر معاوية إلى ساقيه فقال: أي ساقين! لو أنها على جارية! فقال له خرم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين! قال: واحدة بأخرى والباديء أظلم.

تحلم السلطان

على أهل الدين والفضل إذا اجتراءوا عليه

أبو جعفر مع مالك وابن طاوس:

زياد عن مالك بن أنس قال: بعث أبو جعفر المنصور إليّ وإلى ابن طاوس؛ فأتيناه فدخلنا عليه، فإذا هو جالس على فرش قد نُصِّدت، وبين يديه أنطاع قد بُسِطت، وجلاوة^(١) بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأوماً إلينا أن آجلسا، فجلسنا. فأطرق عنا طويلاً، ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس فقال له: حدثني عن أبيك. قال: نعم، سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً

(١) الجلاوة: الشرطة.

يوم القيامة رجلٌ أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجورَ في عدله . فأمسك ساعة ؛ قال مالك : فضمت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه . ثم التفت إليه أبو جعفر فقال : عِظني يا بن طاوس قال : نعم يا أمير المؤمنين ، [إنَّ] الله تعالى يقول ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلِرْصَادٍ ﴾ ^(١) قال مالك : فضمت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه . فأمسك ساعة حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا بن طاوس ناولني هذه الدواة . فأمسك عنه . ثم قال : ناولني هذه الدواة . فأمسك عنه ؛ فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال : أخشى أن تكتبَ بها معصية لله فأكونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك قال : قوما عني . قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم .

قال مالك : فما زلتُ أعرفُ لابن طاوس فضله .

أبو هريرة ومروان حين أبطأ بالجمعة :

أبو بكر بن أبي شيبة قال : قام أبو هريرة إلى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة فقال له : أنظِل عند آبنة فلان تُروِّحُك بالمراوح وتَسْقِيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يُصْهَرُونَ من الحرِّ ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : أسمعوا من أميركم .

بين أبي جعفر وابن أبي ذئب :

فرج بن سلام عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : حدَّثني رجل من أهل المدينة كان ينزل بشقَّ بني زُرَيْق ، قال : سمعت محمد بن إبراهيم يحدث قال : سمعت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قریش وأهل بيت من المهاجرين بالمدينة ليسوا من

(١) سورة الفجر الآيات ٦ - ١٤ .

قريش؛ فقالوا لأبي جعفر: آجعل بيننا وبينه ابن أبي ذئب. فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب: ما تقول في بني فلان؟ قال: أشرار من أهل بيت أشرار. قالوا: أسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد. وكان عامله على المدينة. قال: ما تقول في الحسن بن زيد؟ قال: يأخذ بالإحنة^(١) ويقضي بالهوى. فقال الحسن: يا أمير المؤمنين، والله لو سألتَه عن نفسك لرمأك بداهية أو وصفك بشر، قال: ما تقول في؟ قال: أعفني. قال: لا بد أن تقول. قال: لا تعدل في الرعية، ولا تقسم بالسوية. قال: فتغير وجه أبي جعفر. فقال إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي صاحب الموصل: طهرني بدمه يا أمير المؤمنين. قال: أقعد يا بني، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور. قال: ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال: يا أمير المؤمنين، دعنا مما نحن فيه؛ بلغني أن لك ابناً صالحاً بالعراق، يعني المهدي قال: أما إنك قلت ذلك، إنه الصوام القوام البعيد ما بين الطرفين^(٢) قال: ثم قام ابن أبي ذئب فخرج، فقال أبو جعفر: أما والله ما هو بمستوثق العقل، ولقد قال بذات نفسه.

قال الاصمعي: ابن أبي ذئب، من بني عامر بن لؤي، من أنفسهم.

المأمون والحارث بن مسكين:

قال: ودخل الحارث بن مسكين على المأمون فسأله عن مسألة فقال: أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون الرشيد، وذكر قوله فلم يعجب المأمون. فقال: لقد تيسر فيها وتيسر مالك. قال الحارث بن مسكين: فالسامع يا أمير المؤمنين من التيسين أتيس؛ فتغير وجه المأمون. وقام الحارث بن مسكين فخرج وتندم على ما كان من قوله، فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون، فأيقن بالشر ولبس ثياب أكفانه؛ ثم أقبل حتى دخل عليه، فقربه المأمون من نفسه، ثم أقبل عليه بوجهه فقال له: يا هذا، إن الله قد أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني، فقال

(١) الإحنة: العداوة والبغضاء.

(٢) بعد الطرفين: كناية عن شرف النسب.

لنبيه موسى ﷺ إذ أرسله إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١) قال: يا أمير المؤمنين، أبوء^(٢) بالذنب، وأستغفرُ الرب. قال: عفا الله عنك، أنصرف إذا شئت.

المنصور وأبو سفيان الثوري:

وأرسل أبو جعفر إلى سفيان الثوري، فلما دخل عليه قال: عِظني أبا عبد الله. قال: وما عِظْتِ فيما عَلِمْتَ فأعظك فيما جهَلْتَ؟ فما وجد له المنصور جواباً.

أبو النضر وعامل للخليفة:

ودخل أبو النضر سالم مولي عمر بن عبد الله على عامل للخليفة، فقال له أبا النضر، إنّا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها، ولا نجد بداً من إنفاذها، فما ترى؟ قال له أبو النضر؛ قد أتاك كتاب من الله تعالى قبل كتاب الخليفة؛ فأئيها اتبعت كنت من أهله.

ونظير هذا القول ما رواه الأعمش عن الشعبي. أن زياداً كتب إلى الحكم بن عمرو الغفاري، وكان على الصائفة^(٣): إن أمير المؤمنين معاوية كتب إليّ يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة [واقسم ما سوى ذلك] فكتب إليه: «إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين. والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً^(٤) على عبد فأتقى الله لجعل له منها مخرجاً» ثم نادى في الناس فقسّم فيهم ما اجتمع له من الفيء.

ابن هبيرة والحسن البصري والشعبي:

ومثله قول الحسن حين أرسل إليه ابن هبيرة وإلى الشعبي فقال له: ما ترى أبا سعيد في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها، فإن أنفذنا

(١) سورة طه الآية ٤٤. (٢) أبوء: أتحمّل وأعترف.

(٣) الصائفة: الغزاة في الصيف. (٤) التكملة في البيان والتبيين.

وافقت سخطَ الله، وإن لم أنفذها خشيت على دمي؟ فقال له الحسن: هذا عندك، الشعبيّ فقيه الحجاز. فسأله فرّق له الشعبيّ وقال له: قارب وسدّد، فإنما أنت عبد مأمور، ثم التفت ابن هبيرة إلى الحسن وقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ فقال الحسن: يا ابن هُبيرة، خَفِ الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله. يا ابن هبيرة، إن الله مانِعُكَ من يزيد وإن يزيد لا يَمْنَعُكَ من الله. يا ابن هبيرة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فانظر ما كتب إليك فيه يزيدُ فأعرضه على كتاب الله تعالى، فما وافق كتابَ الله تعالى فأنفذه، وما خالف كتابَ الله فلا تُنفذه؛ فإن الله أولى بك من يزيد، وكتاب الله أولى بك من كتابه. فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن وقال: هذا الشيخ صدّقني وربّ الكعبة. وأمر للحسن بأربعة آلاف، وللشعبيّ ألفين؛ فقال الشعبيّ: رققنا فرقق لنا. فأما الحسن فأرسل إلى المساكين، فلما اجتمعوا فرّقها، وأما الشعبيّ فإنه قبلها وشكر عليها.

معاوية والأحنف في استخلاف يزيد:

ونظير هذا: قولُ الأحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره في استخلاف يزيد. فسكت عنه، فقال: مالك لا تقول؟ فقال: إن صدّقناك أسخطناك، وإن كذّبناك أسخطنا الله، فسُخطُ أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله! فقال له: صدقت.

كتاب أبي الدرداء إلى معاوية:

وكتب أبو الدرداء إلى معاوية: أما بعد. فإنه من يلتمس رضا الله بسُخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكلّهُ الله إلى الناس.

كتاب عائشة إلى معاوية:

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: أما بعد فإنه من يعمل بمساخط الله يصرّ حامدُهُ من الناس ذامّاً له. والسلام.

هشام وناصره نصحه بأربع:

أبو الحسن المدائني قال: خرج الزهري يوماً من عند هشام بأربع، قيل له: وما هن؟ قال: دخل رجل على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاحُ مُلكك واستقامة رعيّتك. فقال: هاتهن. فقال: لا تَعِدَنَّ عِدَّةً لا تثق من نفسك بإنجازها. قال: هذه واحدة فهات الثانية. قال لا يَغُرَّنكَ المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدرَ وعراً. قال: هات الثالثة. قال: واعلم أن للأعمال جزاء فائق العواقب. قال: هات الرابعة. قال: واعلم أن الأمور بَعَثَاتٌ فكن على حذر.

قعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم! فالتفت إلى المغيرة فقال له: هذا رجل فاستَوْص به خيراً.

عبد الملك والحارث في ابن الزبير:

وقال عبد الملك بن مروان للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: ما كان يقول الكذاب في كذا وكذا؟ - يعني ابن الزبير -؛ فقال: ما كان كذاباً. فقال له يحيى بن الحكم: من أَمَتك يا حارث؟ قال: هي التي تعلم. قال له عبد الملك: اسكت فهي أنجب من أَمَتك.

الوليد ابن عبد الملك والزهري:

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك، فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال يحدثوننا أن الله إذا آسترعى عبداً رعيةً كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات. قال: باطلٌ يا أمير المؤمنين، أنبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال بل نبي خليفة. قال: فإن الله يقول لنبيه داود: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ»^(١) فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبيّ خليفة؛ فما ظنك بخليفة غير نبيّ؟ قال: إن الناس ليُغرونا عن ديننا .

بين ابن يسار وعبد الملك:

الأصمعي عن إسحاق بن يحيى عن عطاء بن يسار قال: قلت للوليد بن عبد الملك: قال عمر بن الخطاب: «وددتُ أني خرجت من هذا الأمر كفافاً»^(٢) لا عليّ ولا لي . فقال: كذبت . فقلت: أو كُذِّبتُ! فما أفلت منه إلا بجُرَيْعَةِ الذَّقْنِ^(٣) .

المشورة

قال النبي ﷺ: «ماندم من استشار، ولا شقي من استخار» .

من كلام الله تعالى:

وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ؛ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤) .

عثمان وثقيف لما همت بالارتداد:

ولما هَمَّتْ ثقيف بالارتداد بعد موت النبي ﷺ استشاروا عثمان بن أبي العاصي، وكان مطاعاً فيهم؛ فقال لهم لا تكونوا آخر العرب إسلاماً وأولهم ارتداداً؛ فنفعهم الله برأيه .

لبعض الحكماء فيما ينفع ويضر:

وسئل بعضُ الحكماء: أيُّ الأمور أشدّ تأييداً للفتى وأبها أشدّ إضراراً به؟ فقال: أشدها تأييداً له ثلاثة أشياء: مُشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحُسن التثبُّت .

(١) سورة ص الآية ١٧ . (٢) الكفاف: السير الذي يكفي العيش .

(٣) مثل يضرب لمن نجا من التلف وقد أشرف عليه أي أن الموت قرب منه كقرب الجريعة من الذقن .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

بين حكيم وحكيم:

وأشار حكيم على حكيم برأي فقبله منه . فقال له : لقد قلتَ بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حُلُوَ كلامه بمرّة، وسهله بوعره، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكنٌ من غيره، وقد وعيتُ النصيح وقبلته؛ إذ كان مصدره من عند مَنْ لا يُشكُّ في مودّته وصفاء غيبه ونُصح جيبه . وما زلتَ بحمد الله إلى الخير طريقاً واضحاً، ومناراً بيناً .

للراسي في الرأي الفطير:

وكان عبد الله بن وهب الراسي يقول: إياكم والرأي الفطير^(١) . وكان يستعيد بالله من الرأي الدبري^(٢) الخمير .

لعلي في رأي الشيخ:

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: رأيي الشيخ أحسن من مشهد الغلام .

لابن هبيرة يوصي ابنه:

وأوصي ابن هُبيرة ولده فقال: لا تكن أول مُشير، وإياك والهوى والرأي الفطير . ولا تشيّرْ على مستبد [ولا على وغد ولا على مسكون ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير]^(٣) ، فإن التماس موافقته لؤم، والاستماع منه خيانة .

(١) الرأي الفطير: الرأي المعجل به دون الإعمال والتبصر .

(٢) الرأي الدبري: الذي يسنح بعد فوات الفرصه .

(٣) التكملة من البيان والتبيين للجاحظ .

لعامر بن الظرب:

وكان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول: دعوا الرأي يغبّ حتى يختمر، وإياكم
والرأي الفطير. يريد الأناة في الرأي والتثبت فيه.

ومن أمثالهم في هذا قولهم: لا رأي لمن لا يطاع.

للمهلب في الرأي:

وكان المهلب يقول: إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره.

لعبسي في الحزم:

العتبي قال: قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجل وفينا
حازم واحد، فنحن نشاوره، فكأننا ألف حازم.

قال الشاعر:

الرأي كالليل مُسوّدّ جوانبُه والليل لا يَنجَلِي إلّا بإصباح
فأضْمَمْ مصابيحَ آراءِ الرجالِ إلى مصباحِ رأيك تَزوّدُ ضوءَ مصباح

عبد الله بن عبد الأعلى بعد سخط الخليفة عليه:

العتبي قال: أخبرني من رأى عبد الله بن عبد الأعلى وهو أول داخلٍ على الخليفة
وآخرُ خارج من عنده. قال: ثم رأيتُه وإنه لِيَتَقَي كما يَتَقَى البعيرُ الأجرَب، فقال لي:
يا أخا العراق، اتَّهَمْنَا القومُ في سريرتنا، ولم يقبلوا منا علانيتنا، ومن ورائهم
وورائنا حَكَمَ عدلٌ.

لسبيع في أهل اليمامة:

ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل، قولُ سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع

خالد بهم: يا بني حَنيفة، بُعْداً لكم كما بَعِدَتْ عاد وثمود. ^(١) أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأنّي أسمع جَرَسَه وأبصر غَيِّه، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة. وإنّي لما رأيتم تتهمون النّصيح وتُسَفِّهون الحليم، استشعرتُ منكم اليأس وخِفْتُ عليكم البلاء. والله ما منعكم الله التوبة ولا أَخَذكم على غِرّة، ^(٢) ولقد أمهلكم حتى مَلّ الواعظُ ووهن الموعوظ، وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذبي التصديق، ومن نصيحتي الندامة؛ وأصبح في يدي من هلاككم البكاء، ومن دُلّكم الجزع. وأصبح ما فات غيرَ مردود، وما بقي غيرَ مأمون.

وقال القطامي في هذا المعنى:

ومَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ تَمَّا يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِيعَا
وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبّعه اتّباعا
كذاك وما رأيت الناسَ إلا إلى ما جرّ غاويهم سراعاً
تراهم يغمزون من استرّكوا ويحْتَنِبُونَ مِنْ صَدَقِ الْمِصَاعِ ^(٣)

وكان يقال: لا تستشر معلما ولا حائكا ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء.

وأنشد في المعلمين:

وكيف يُرْجَى الْعَقْلُ وَالرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ يَرُوحُ إِلَى أَنْثَى وَيَغْدُو إِلَى طِفْلِ

وكان يقال: لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها.

وكان يقال: لا رأي لحاقن ولا حازق: وهو الذي ضغطه الخف. ولا الحاقب وهو الذي يجد ررّاً في بطنه.

ويُنْشَدُ فِي الرَّأْيِ بَعْدَ فَوْتِهِ:

وعاجز الرأي مضياغٌ لفرصته حتى إذا فات أمرٌ عاتب القدرا

(١) بعداً لكم: أي الهلاك لكم. (٢) الغرّة: الغفلة.

(٣) المصاع: المقاتلة والمجادلة بالسيف.

شعر للمؤلف:

ومن قولنا في هذا المعنى:

فَلَيْتَ سَمِعْتَ نَصِيحَتِي وَعَصَيْتَهَا مَا كُنْتُ أَوَّلَ نَاصِحٍ مَعْصِيٍّ

وقال حبيب في بني تغلب عند إيقاع مالك بن طوق بهم:

لَمْ يَأْلِكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفَرَةً لَوْ كَانَ يَنْفِخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحْمٍ^(١)

حفظ الأسرار

قالت الحكماء: صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك.

وقالوا: سرك من دمك. يعنون أنه ربما كان في إفشائه سفك دمك.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف:

وَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
وَإِنِّي رَأَيْتُ غُوَاةَ الرَّجَا لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا^(٢)

وقالت الحكماء: ما كنت كاتمه من عدوك فلا تطلع عليه صديقك.

وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلاً سرّاً فأفشاه فلُمته؛ لأنني كنت أضيّق صدراً منه حين استودعته إياه حين أفشاه.

وقال الشاعر:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

لبعض الأعراب:

قيل لأعرابي: كيف كتمانك للسِر؟ قال: أجحد المخبر وأحلف للمستخبر.

(١) يَأْلِكُمْ: يقصر عنكم، والقَيْن: الحداد.

(٢) الأديم: الجلد، يريد أن الغواة يمزقون أعراض الناس.

وقيل لآخر: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما قلبي له إلا قبر .

وقال المأمون: الملوك تحتل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القدح في الملوك، وإفشاء السر، والتعرض للحرم .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه: إن أمير المؤمنين أسرّ إليّ حديثاً، أفلا أحدثك به؟ قال لا، يا بني، إنه من كتم سره كان الخيار له، [ومن أفشاه كان الخيار عليه^(١)] فلا تكن مملوكاً بعد أن كنت مالكا .

ملك من ملوك العجم استشار وزيره:

وفي التاج أنّ بعض ملوك العجم استشار وزيره، فقال أحدهما: لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحداً إلا خالياً به؛ فإنه أموت للسر، وأحزم للرأي، وأجدر بالسلامة، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض^(٢)؛ فإن إفشاء السرّ إلى رجل واحد أوّثق من إفشائه إلى اثنين، وإفشاءه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة؛ لأن الواحد رهنّ بما أفشيه إليه، والثاني مطلق عنه ذلك الرهنّ. والثالث علاوة فيه . فإذا كان السر عند واحد كان أخرى أن لا يظهره رغبة ورهبة، وإن كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة، واتسعت على الرجلين المعارض . فإن عاقبها عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمها اتهم بريئاً بخيانة مجرم، وإن عفا عنها كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجة معه .

لعمر بن أبي ربيعة في السر:

ومن أحسن ما قالت الشعراء في السر قولُ عمر بن أبي ربيعة:
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السُّرِّ: إِنَّمَا مَعِيَ فَتَحَدَّثْ غَيْرَ ذِي رَقِيَّةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا: مَا بِي لَهْمٍ مِنْ تَرَقُّبٍ وَلَكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

(١) التكملة من عيون الأخبار .

(٢) الغائلة: المهلكة والشرّ والحقد .

وقال أبو مِجْنِ الثَّقَفِي :

لا تسألني الناسَ عن مالي وكَثْرَتِهِ وسألي الناسَ عن بَأْسِي وعن خُلُقِي
قَدْ أَطْعَنَ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ عَنْ عُرْضِ وَأَكْتُمُ السِّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ^(١)

وقال الخطيئة يهجو:

أَغْرَبَالاً إِذَا أُسْتُرِدِّعَتْ سِرّاً وَكَأَنُوناً عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا

الإذن

بين زياد وحاجبه:

قال زيادٌ لحاجبه عَجَلَان: كيف تَأْذُنُ للناسِ؟ قال: على البيوتات، ثم على
الأسنان، ثم على الآداب. قال: فمن تُؤَخِّرُ؟ قال: مَنْ لَا يَعْْبَأُ اللهُ بِهِمْ. قال: وَمَنْ
هم؟ قال: الذين يلبسون كُسوةَ الشتاء في الصيف وكُسوةَ الصيف في الشتاء.

لسعيد بن عتبة في بعده عن الآذن:

وكان سعيد بن عتبة بن حُصَيْن إذا حضر بابَ أَحَدٍ من السلاطين جلس جانباً؛
فقليل له: إِنَّكَ لَتَتَّبَعِدَ مِنَ الْإِذْنِ جُهْدَكَ؛ قال: لَأَنْ أَدْعَى مِنْ بَعِيدٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَقْصَى
مِنْ قَرِيبٍ. ثم قال^(٢):

وَإِنْ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلِي هُوَ الْمَنْزَلُ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبْ
وَلَسْتُ وَإِنْ أَدْنَيْتُ يَوْمًا بِيَانِعَ خَلَاقِي وَلَا دِينِي ابْتِغَاءَ التَّحَبُّبِ
وَقَدْ عَدَّهُ قَوْمٌ تِجَارَةً رَابِحَ وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَاكَ دِينِي وَمَنْصِبِي

وقال آخر:

رَأَيْتُ أَنْاساً يُسْرِعُونَ تَبَادُراً إِذَا فَتَحَ الْبَوَابُ بِابِكَ إِصْبَعَا
وَنَحْنُ جُلُوسٌ سَاكِنُونَ رِزَانَةً وَحِلْماً إِلَى أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ أَجْمَعَا^(٣)

(١) النجلاء: الواسعة. (٢) الشعر: للبيعت بن حريث، «انظر الحماسة».

(٣) الشعر للحصين بن المنذر «انظر البيان والتبيين».

بين معاوية وابن الأشعث في الدخول على الملوك :

ووقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية ، فأذن للأحنف ، ثم أذن لابن الأشعث ، فأسرع في مشيته حتى تقدم الأحنف ودخل قبله . فلما رآه معاوية غمه ذلك وأحنقه ، فالتفت إليه فقال : والله إني ما ادنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله ، وإنما كما نلي أموركم نلي آدابكم ، ولا يزيد متزئد في خطوه إلا لنقص يجده من نفسه .

وقال همام الرقاشي^(١) :

أبلغ أبا مسمع عني مغلفة	وفي العتاب حياة بين أقوام
قدمت قبلي رجلاً ما يكون لهم	في الحق أن يلجوا الأبواب قدامي
لو عد قبر وقبر كنت أقربهم	قربى وأبعدهم من منزل الدام
حتى جعلت إذا ما حاجة عرّضت	بباب قصرِكَ أدلوها بأقوام ^(٢)

لمعاوية في آذنه :

قل لمعاوية : إن آذنتك يقدم معارفه في الإذن على وجوه الناس . قال : وما عليه ؟ إن المعرفة لتتفع في الكلب العقور والجمال الصئول^(٣) ، فكيف في رجل حسيب ذي كرم ودين ؟

للحكماء في الوصول إلى المراد :

وقالت الحكماء : لا يؤاظب أحد على باب السلطان فيُلقي عن نفسه الأنفة ويحتمل الأذى ويكظم الغيظ إلا وصل إلى حاجته .

وقالوا : من أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح له .

(١) في نسبة هذه الأبيات خلاف كبير بين ابن قتيبة والجاحظ وصاحب تاج العروس .

(٢) أدلوها بأقوام : أستشفع بهم .

(٣) الصئول : المؤذي للناس .

وقال الشاعر^(١) :

كم من فتى قصّرت في الرزق خطوته أصبته بسهام الرزق قد فلّجَا
إنّ الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كلّ ما ارتجأ^(٢)
لا تياسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمن القرع للأبواب أن يلجا^(٣)

بين رجل وروح :

ونظر رجل إلى رَوْح بن حاتم واقفاً في الشمس عند باب المنصور؛ فقال له : لقد طال وقوفك في الشمس . فقال : ذلك ليطول جلوسي في الظل .

بين رجل والحسن بن عبد الحميد :

ونظر آخر إلى الحسن بن عبد الحميد يُزاحم الناس على باب محمد بن سليمان ، فقال : أمثلك يرضى بهذا ! فقال :
أهينُ لمن نفسي لأكرمها بهم ولا يُكرم النفس الذي لا يهينها
من كلام للهند :

وفي كتاب للهند : إن السلطان لا يقرب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ، ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم ، فيُقرب البعيد لنفعه ، ويبعد القريب لضرّه . وشبهوا ذلك بالجرذ الذي هو في البيت مجاور ، فمن أجل ضرّه نُفي ، والبازي الذي هو وحشيّ ، فمن أجل نفعه أُقني .

بين النبي ﷺ ومستأذن :

استأذن رجل على النبي ﷺ وهو في بيت فقال : أألج ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه :
« اخرج إلى هذا فعَلِّمه الاستئذان وقلْ له يقول : السلام عليكم ، أَدْخِل » ؟

(١) ينسب هذا الشعر لبشار بن برد ، ولحمد بن بشير على خلاف في ذلك .

(٢) أرتج : أقفل . (٣) أخلق : أحسن وأحرى وأجدر ، ويلج : يدخل .

وقال النبي ﷺ: «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الأولى إذن، والثانية مؤامرة، والثالثة عزمة، إما أن يأذنوا وإما أن يرجع.

الحجاب

زياد وحاجبه:

قال زياد لحاجبه: يا عجلان، إني وليتك حِجَابِي وعزلتك عن أربع: هذا المنادي إلى الله في الصلاة والفلاح، لا تحجبه عني فلا سلطان لك عليه، وطارق الليل لا تحجبه، فشر ما جاء به، ولو كان خيراً، ما جاء به تلك الساعة؛ ورسول الثغر^(١) فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عمل سنة، فأدخله عليّ وإن كنت في لحافي، وصاحب الطعام، فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسَد.

ووقف أبو سفيان بباب عثمان بن عفان وقد اشتغل ببعض مصالح المسلمين فحجبه؛ فقال له رجل وأراد أن يُغريه: يا أبا سفيان ما كنت أرى أن تقف بباب مُضَرِّي فيحجبك، فقال أبو سفيان: لا عِدْتُ من قومي من أقف ببابه فيحجبني.

أبو الدرداء بباب معاوية:

استأذن أبو الدرداء على معاوية فحجبه؛ فقال: من يَغْشَ أبواب الملوك يَقُمُ ويقعد، ومن يجد باباً مُغْلَقاً يجد إلى جانبه باباً مفتوحاً، إن دَعَا أُجِيبَ وإن سأل أُعْطِيَ.

قال محمود الوراق:

شاد الملوك قصورهم فتحصنوا من كل طالب حاجة أو راغب
غالوا بأبواب الحديد لِعِزِّها وتنوّقوا في قُبْح وجه الحاجب^(٢)

(١) الثغر: الفرجة في الجبل أو غيره مقابل الأعداء.

(٢) غالوا: أكثروا المغلاة، وتنوّقوا: أي بالغوا.

فَإِذَا تَلَطَّفَ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِمْ رَاجِ تَلَقَّوْهُ بِوَعْدِ كَاذِبٍ
فَاطْلُبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ بَادِي الضَّرَاعَةِ طَالِباً مِنْ طَالِبٍ

بين سعيد بن مسلم وأبي هفان في الحجاب:

سعيد بن مسلم، قال: كنت والياً يارمينية، فغبر^(١) أبو هفان أياماً ببائي. فلما وصل إليّ مَثَلٌ قائماً بين السماطين وقال: والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سَفَّ التراب يُقيم من أود^(٢) أصلابهم لجعلوه مُسَكَّةً لأرماقهم إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي. أما والله إني لبعيد الوثبة، بطيء العطفة. إنه والله لا يشيني عنك إلا ما يصرفك عني، ولأنّ أكون مُقَلّاً مُقَرَّباً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُكَثِّراً مُبْعِداً؛ والله ما نسأل عملاً لا نضبطه، ولا مالاً إلا ونحن أكثر منه؛ وهذا الأمر الذي قد صار إليك وفي يديك قد كان في يدي غيرك، فأمسوا والله حديثاً، إن خيراً فخير إن شراً فشر. فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب، فإن حُبَّ عباد الله موصولٌ بحب الله، وبُغْضُهُمْ موصولٌ ببغضه، لأنهم شهداء الله على خلقه، ورقبائهم على من اعوجَّ عن سبيله.

بين أبي مسهر وابن عبد كان:

أبو مسهر قال: أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان فحجبتني، فكتبت إليه:

إِنِّي أَتَيْتُكَ لِلتَّلَاسِيمِ أَمْسَ فَلَمْ تَأْذَنَ عَلَيْكَ لِي الْأَسْتَارُ وَالْحُجُبُ
وَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي لَمْ أَرَدْ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَدَّ إِلَّا الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

فأجابني ابن عبد كان، فقال:

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما قال ابن أوسٍ وفيما قاله أدب^(٣)
« ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إن السماء تُرجّي حين تحتجب »

(١) غبر: مكث وبقي. (٢) الأود: الأعوجاج.

(٣) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

ابن منصور ورجل من خاصته حجب عنه:

وقف بباب محمد بن منصور رجل من خاصته فَحُجِبَ عنه ؛ فكتب إليه :
على أي باب أطلب الإذن بعدما حُجِبَ عَنِ الباب الذي أنا حاجبه
وقف أبو العتاهية إلى باب بعض الهاشميين فطلب الإذن، فقيل له : تكون لك
عودة، فقال :

لئن عدت بعد اليوم إني لظالمٌ سأصرف وجهي حيث تُبغي المكارمُ
متى يظفر الغادي إليك بحاجةٍ ونصفك محجوبٌ ونصفك نائمٌ ؟
ونظير هذا المعنى للعتابي حيث يقول :

قد أتيناك للسلام مراراً غيرَ من منّا بذاك المزار
فإذا أنت في استتارك باللي ل على مثل حالنا بالنهار

أبو دلف ورجل حجب عنه :

وقف رجل بباب أبي دلف، فقام به حيناً لا يصل إليه، فتلطف في رقعة وأوصلها
إليه، وكتب فيها :

إذا كان الكرم له حجابٌ فما فضل الكرم على اللئيم ؟
فأجابه :

إذا كان الكرم قليل مالٍ ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك مُحجباتٌ فلا تستعظمن حجاب بابي

وقال حبيب الطائي في الحجاب :

سأترك هذا الباب ما دام إذنه على ما أرى، حتى يلين قليلاً
فما خاب من لم يأت متعمداً ولا فاز من قد نال منه وصولاً
ولا جعلت أرزاقنا بيد أمريء حمى بابه من أن ينال دخولاً
إذا لم نجد للإذن عندك موضعاً وجدنا إلى ترك المجيء سبيلاً

وأنشد أبو بكر العطار:

مالك قد حُلّت عن وفائك واستبدلت يا عمرو شيمَةً كدِرَةٍ
لستُم ترجّون للحساب ولا يوم تكون السماء منفطرة^(١)
قد كان وجهي لديك معرفةً فالיום أضحى باباً من النكرة

وقال غيره:

أتيتك للتسليم؛ لا أني امرؤ أردتُ باتيانيك أسباب نائلك
فألفيت بواباً ببابك مُغرماً بهدم الذي وطدته من فضائلك^(٢)
وقد قال قوم: حاجبُ المرء عاملٌ على عرضه؛ فاحذرُ خيانةَ عاملك

وقال الحسن بن هانيء:

أيها الراكب المغدّ إلى الفضل - ل ترققُ فدونَ فضلِ حجاب
ونعمَ هَبْكَ قد وصلت إلى الفضل - ل فهل في يدك إلا التراب!

وقال آخر - وهو محمود البغدادي:

حجابك من مهابتِه عسيرٌ وخيرك في اليدين غداً يسيراً
خرجتُ كما دخلتُ إليك إلا تُراباً صارَ في خُفي كثيراً

وقال العتابي:

حجابك ليس يشبهه حجابٌ وخيرك دون مَطلبه السحابُ
ونومك نومٌ من ورد المنايا فليس له إلى الدنيا إيابُ

وقال غيره:

أنا بالباب واقفٌ منذ أصبح - ت على السّرج مُمسكاً بعناني
وبعين البواب كلّ الذي بي ويراني كأنه لا يراني

(١) منفطرة: متشققة. (٢) وطدته: دعمته وأرسيت قواعده.

(٣) المغدّ: المسرع.

وقال غيره:

إذا ما أتيناهُ في حاجةٍ رَفَعنا الرقاع له بالقَصْبِ
لَهُ حاجِبٌ دُونَهُ حاجِبٌ وحاجِبٌ حاجبه مُحْتَجِبٌ^(١)

بين أبي بشير وبعض كتاب العسكر:

قال أبو بشير^(٢): حجّبي بعض كتاب العسكر، فكتبت إليه: إن من لم يرفعه
الإذن لم يضعه الحجاب، وأنا أرفعك عن هذه المنزلة، وأرغب بك عن هذه الخليفة.
وكل من قام في منزلك، عظم قدره أو صَغُر. وحاولَ حِجَابَ الخليفة، أُمَكَّنَه؛
فتأمَّلْ هذه الحال وانظر إليها بعين الفهم ترها في أقبح صورة وأدنى منزلة.

لابن عبد ربه:

وقد قلت في ذلك:

إذا كنت تأتي المرءَ تعظم حقُّهُ ويجهل منك الحقّ فالهجر أوسعُ
وفي النَّاسِ أبدالٌ وفي الهجر راحةٌ وفي النَّاسِ عَمَّنْ لا يُؤَاتيك مقنع
وإنَّ امرءًا يَرْضَى الهوانَ لِنَفْسِهِ حَرِيٌّ بجَدْعِ الأنفِ والأنفِ أشنعُ^(٣)

وقال آخر:

يا أبا مُوسَى وأنت فتى ماجدٌ حُلُوٌّ ضَرَائِبُهُ^(٤)
كن على منهاج مَعْرِفَةٍ إنَّ وجه المرء حاجبه
فبه تبدو محاسنه وبه تبدو معايبه

(١) كذا في نهاية الأرب، والبيت هناك منسوب للعاني.

(٢) هو أبو بشير رازم مولى خالد بن عبد الله القسري وفي الأصول أبو اليسر.

(٣) جدع الأنف: قطعه وإرغام صاحبه.

(٤) ضَرَائِبُهُ: سجاياه.

وأنشد حسين الجمل ، وبَكَرَ إلى باب سليمان بن وهب فحجبه الحاجب وأدخل ابن سَعُوَةَ وحمدويه :

ولعمري لئن حُجِبْنَا عَنِ الشَّيْءِ - - - خ فلا عن وجهٍ هناك وجيه
لا ولا عن طعامه التافه النَّزْر الذي حوله لطامُ بَنِيهِ^(١)
بل حُجِبْنَا بِهِ عَنِ الخُسْفِ والمس - - - خ وذاك التَّبْرِيقِ والتَّمْوِيهِ
فَجَزَى اللهُ حَاجِباً لَكَ فظاً كلَّ خَيْرٍ عَنَّا إِذَا يَجْزِيهِ
إِنَّ دَبْحِي نَذَالَةً قَدْ تَأْتِي مِنْ صَبَاحِي بِقُبْحِ تِلْكَ الْوُجُوهِ
وقال أحمد بن محمد البغدادي في الحسن بن وهب الكاتب :

وَمُسْتَنْبٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ
أَتَانِي كَيْ أَخْبِرَهُ بَعْلَمِي
هُوَ الرَّجُلُ الْمَهْذَبُ غَيْرَ أَنْيَّ
وَأَكْثَرُ مَا يُغْنِيهِ فَتَاهُ
« وَلَوْ لَا الرِّيحُ أَسْمَعُ أَهْلَ حَجَرٍ
وَمَنْ قَوْلُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

مَا بَالُ بَابِكَ مَحْرُوساً بِبَوَابٍ
لَا يَحْتَجِبُ وَجْهَكَ الْمَقْوُوتُ عَنْ أَحَدٍ
فَاعْزَلْ عَنِ الْبَابِ مَنْ قَدْ ظَلَّ يَحْجِبُهُ
يَحْمِيهِ مِنْ طَارِقٍ يَأْتِي وَمُنْتَابٍ^(٤)
فَالْمَقْتُ يَحْجِبُهُ مِنْ غَيْرِ حُجَّابٍ^(٥)
فَإِنَّ وَجْهَكَ طَلَّسَمَ عَلَى الْبَابِ^(٦)

وقف حبيب الطائي بباب مالك بن طوق فحجب عنه ؛ فكتب إليه يقول :
قُلْ لَا بِنَ طَوُوقٍ رَحَى سَعْدٍ إِذَا خَبِطَتْ نَوَائِبُ الدَّهْرِ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا^(٧)

(١) النَّزْر: القليل من كل شيء . (٢) الخير: الكرم والشرف .

(٣) هذا البيت لمهلل بن ربيعة ، وحجر: هي البهامة .

(٤) الطارق: الضيف الذي يطرق ليلاً ، والمنتاب: القاصد .

(٥) المقت: البغض .

(٦) الطَّلَسَم: خطوط وأعداد يستعملها السحرة .

(٧) رحى سعد: أي سيدها الذي يدور عليه مدار أمرها ، ويريد بسعد: بني سعد بن زهير بن جشم بن بكر

قبيلة مالك بن طوق .

أَصْبَحَتْ حَاتِمَهَا جُوداً، وَأَخْتَفَهَا حِلْماً، وَكَيْسَهَا عِلْماً، وَدَغَفَلَهَا^(١)
مَالِي أَرَى الْقُبَّةَ الْبَيْضَاءَ مُقْفَلَةً دُونِي وَقَدْ طَالَ مَا اسْتَفْتَحْتُ مَقْفَلَهَا
أَظْنُهَا جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَعْرُضَةً وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ زَاكِ فَأَدْخُلُهَا

باب الوفاء والغدر

بين مروان وعبد الحميد الكاتب:

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت إلى أن تصير مع عدوي وتظهر الغدرَ بي؛ فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظنِّ بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد مماتي. فقال عبد الحميد: إن الذي أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي، وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك. وأنشأ يقول:

أَسِرُّ وَفَاءً ثُمَّ أَظْهَرُ غَدْرَةً فَمَنْ لِي بَعْدَ يَوْسَعَ النَّاسِ ظَاهِرُهُ

عبد الملك بعد قتله ابن سعيد:

أبو الحسن المدائني قال: لما قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بَعْدَ مَا صَالَحَهُ وَكَتَبَ لَهُ أَمَاناً وَأَشْهَدَ شَهِوداً. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِرَجُلٍ كَانَ يَسْتَشِيرُهُ وَيُصَدِّرُ عَنْ رَأْيِهِ إِذَا ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ: مَا رَأَيْكَ فِي الَّذِي كَانَ مِنِّي؟ قَالَ: أَمْرٌ قَدْ فَاتَ دَرْكُهُ^(٢)! قَالَ: لَتَقُولَنَّ! قَالَ حَزَمٌ لَوْ قَتَلْتَهُ وَحَيَّيْتُ. قَالَ: أَوْلَسْتُ بِحَيٍّ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِحَيٍّ مَنْ أَوْقَفَ نَفْسَهُ مَوْقِفاً لَا يُوثِقُ لَهُ بَعْدُ وَلَا يَبْعُدُ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: كَلَامُ لَوْ سَبَقَ سَمَاعُهُ فِعْلِي لَأَمْسَكَتُ.

(١) يعني: حاتماً الطائي، والأحفف بن قيس، والكيس بن أبي الكيس المحدث، أو زيد بن الكيس النمري النسابة، ودغفل بن حنظلة الشيباني النسابة.

(٢) دركه: نيله وإدراكه.

أبو جعفر وابن هبيرة:

المدائني قال: لما كتب أبو جعفر أمان ابن هبيرة واختلف فيه الشهود أربعين يوماً^(١) ركب في رجال معه حتى دخل على المنصور، فقال: إن دولتكم هذه جديدة، فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها، لتسرّع محبتكم إلى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم، وما زلتُ منتظراً لهذه الدعوة. فأمر أبو جعفر برفع الستر بينه وبينه، فنظر إلى وجهه وبأسطه بالقول حتى أطمأن قلبه. فلما خرج قال أبو جعفر لأصحابه: عجباً من كل من يأمرني بقتل مثل هذا! ثم قتله بعد ذلك غدراً.

أبو جعفر وسلم في قتل أبي مسلم:

وقال أبو جعفر لسلم بن قتيبة: ما ترى في قتل أبي مسلم؟ قال: لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا، قال: حسبك الله أبا أمية.

قال أبو عمرو بن العلاء: كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يُسمون الغدر في الجاهلية كيسان، فقال فيهم الشاعر:

إذا كنتَ في سَعْدٍ وخَالِكَ مِنْهُمْ غريباً، فلا يَغْرُكَ خَالِكَ مِنْ سَعْدٍ
إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كانت كهولهم إلى الغدر أذنى من شبابهم المُرْدِ

الولاية والعزل

قال النبي ﷺ: «ستحرصون على الإمارة ثم تكون حسرة وندامة؛ فنعمت المرزعة وبئست الفاطمة».

لابن شعبة في حب الولاية وكراهيتها:

وقال المغيرة بن شعبة: أحب الإمارة لثلاث وأهجرها لثلاث: أحبها لرفع

(١) لما هم أبو جعفر أن يكتب الأمان لابن هبيرة يزيد بن عمر الذي كان عاملاً لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية على العراق، مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه ابن هبيرة.

الأولياء، ووضع الأعداء واسترخاخص الأشياء. وأكرهها لروعة البريد، وموت العزل^(١)، وشماتة العدو.

بين ابن شبرمة وأبيه في موكب طارق:

وقال ولدُ ابن شبرمة القاضي: كنت جالساً مع أبي قبل أن يلي القضاء. فمرّ به طارق بن أبي زياد في موكب نبيل، وهو والي البصرة، فلما رآه أبي تنفس الصعداء وقال:

أراها وإن كانت تحبُّ كأنها سحائبُ صيفٍ عن قريبٍ تقشع^(٢)

ثم قال: اللهم لي ديني ولهم دنياهم: فلما ابتلى بالقضاء قلت له: يا أبت، أتذكر يوم طارق؟ قال: يا بني، إنهم يجدون خلفاً من أبيك، وإن أباك لا يجد خلفاً منهم: إن أباك حط في أهوائهم، وأكل من حلوائهم!

لابن الحسن في رجل غيرته الولاية:

قيل لعبد الله بن الحسن: إن فلاناً غيرته الولاية. قال: من ولي ولاية يراها أكبر منه تغير لها، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها.

بين عمر والمغيرة حين عزله:

ولما عزل عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة عن كتابة أبي موسى، قال له: أعن عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين؟ قال: لا عن واحدة منهما، ولكني أكره أن أحل فضل عقلك على العامة.

دعوة ابن عمر على زياد:

وكتب زياد إلى معاوية: قد أخذت العراق بيمينني وبقيت شمالي فارغة - يُعرض له

(١) العزل: الاقصاء عن الولاية.

(٢) تقشع: تزول وتنكشف عما تحجبه.

بالحجاز - فبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فرفع يده إلى السماء وقال: اللهم اكفنا شِمالَ زياد: فخرجت في شماله قرحة فقتلته .

بين ابن الخطاب وأبي هريرة:

ولقي عمر بن الخطاب أبا هريرة، فقال له: ألا تعمل؟ قال: لا أريد العمل. قال: قد طلب العمل مَنْ هو خير منك يوسف عليه الصلاة والسلام، قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

خالد القسري وتوليته بلالا:

المدائي قال: كان بلال بن أبي بردة ملازماً لباب خالد بن عبد الله القسري، فكان لا يركب خالد إلا رآه في موكبه، فبرم به^(٢)، فقال لرجل من الشرط: إيت ذلك الرجل صاحبَ العمامة السوداء فقل له: يقول لك الأمير: مالزومك بابي وموكبي؟ لا أوليك ولاية أبداً. فأتاه الرسول فأبلغه. فقال له بلال: هل أنت مُبلغ عني الأمير كما بلغتني عنه؟ قال: نعم. قال: قل له: والله لئن وليتني لا عزلتني. فأبلغه ذلك. فقال خالد: ماله قاتله الله! إنه ليعِدُّ من نفسه بكفاية. فدعاه فولّاه.

بين عمر وطالب عمل:

وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلاً، فبادر الرجل فطلب منه العمل، فقال له عمر: والله لقد كنتُ أردتُك لذلك، ولكن مَنْ طلب هذا الأمر لم يُعَنْ عليه.

بين النبي ﷺ والعباس:

وطلب العباسُ عم النبي ﷺ من النبي ولاية، فقال له: «ياعم، نفسٌ تحييها، خيرٌ من ولاية لا تحصيها».

(١) سورة يوسف الآية ٥٥ .

(٢) برم به: مله واستثقله .

بين النبي ﷺ ورجل طلب عملاً:

وطلب رجل من أصحاب النبي ﷺ عملاً، فقال له: «إننا نستعين على عملنا بمن يريده».

وتقول النصارى: لا نختار للجليلة إلا زاهداً فيها غير طالب لها.

لزياد في أغبط الناس عيشاً:

وقال زياد لأصحابه: من أغبطُ الناس عيشاً؟ قالوا: الأميرُ وأصحابه! قال: كلا، إنَّ لأعواد المنبر لهيبة، ولقرع لجام البريد لفرعة؛ ولكن أغبطُ الناس عيشاً رجل له دار يجري عليه كراؤها^(١)، وزوجةٌ قد وافقته في كفاف من عيشه، لا يعرفنا ولا نعرفه؛ فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه.

بين معاوية والمغيرة حين كبر:

وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر وخاف أن يُستبدل به:
أما بعد، فقد كبرتُ سنِّي، ورقَّ عظمي، وأقرب أجلي، وسفَّهني سفهاء قريش، فرأيي أمير المؤمنين في عمله مَوْقُوقٌ.

فكتب إليه معاوية: أمّا ما ذكرتَ من كِبَرِ سنِّك، فأنت أكلتَ شبابك؛ وأمّا ما ذكرتَ من اقتراب أجلك، فإني لو أستطيع دفعَ المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان؛ وأمّا ما ذكرتَ من سفهاء قريش، فحلماؤها أحلّوك ذلك المحل؛ وأمّا ما ذكرتَ من العمل، فـ«صَحَّ رَوَيْدًا يَدْرُكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ»^(٢) وهذا مثل، وقع وقع تفسيره في كتاب الأمثال.

فلما انتهى الكتابُ إلى المغيرة كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له فخرج

(١) الكراء: الأجرة

(٢) حل: هو حل بن بدر من فرسان العرب والمثل في النهي عن العجلة، والأصل فيه النهي عن العجلة في الذبح، ثم استعمل في النهي عن العجلة عامة.

وخرجنا معه، فلما دخل عليه قال له: يا مُغيرة، كبرت سنك ورقّ عظمك ولم يبق منك شيء، ولا أراني إلا مستبدلاً بك. قال المحدث عنه: فأنصرف إلينا ونحن نرى الكتابة في وجهه، فأخبرنا بما كان من أمره. قلنا له: فما تُريد أن تصنع؟ قال: ستعلمون ذلك. فأتى معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ الأنفس ليُغدى عليها ويُراح، ولست في زمن أبي بكر ولا عمر، فلو نصبتَ لنا علماً من بعدك نصير إليه! فإني قد كنت دعوتُ أهل العراق إلى بيعة يزيد. فقال: يا أبا محمد، أنصرف إلى عملك ورُم هذا الأمر لابن أخيك. فأقبلنا نركُض على النَّجْب^(١)، فالتفت فقال: والله لقد وضعتُ رجله في ركاب طويل ألقى عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

باب من أحكام القضاة

قال عمرُ بن عبد العزيز: إذا كان في القاضي خُسُ خصال فقد كَمُل: عِلْمٌ بما كان قبله، ونزاهةٌ عن الطمع، وحِلْمٌ عن الخصم، واقتدالٌ بالأئمة، ومشاورةُ أهل العلم والرأي.

وقال عمر بن عبد العزيز: إذا أتاك الخصم وقد فُقِئت عينه، فلا تحكم له حتى يأتيَ خصمُه؛ فلعله قد فُقِئت عيناه جميعاً.

كتاب عمر بن الخطاب إلى معاوية في القضاء:

وكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية في القضاء كتاباً يقول فيه: إذا تقدّم إليك الخصمان فعليك بالبيّنة العادلة أو اليمين القاطعة، وإدناء الضعيف حتى يشتدّ قلبه وينبسط لسانه؛ وتعهّد الغريب! فإنك إن لم تتعاهده سقط حقّه ورجع إلى أهله؛ وإنما ضيّع حقّه من لم يَرُقّق به: وآس بين الناس في لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء.

(١) النجب: الإبل.

العُتي قال: تنازع إبراهيم بن المهديّ هو وبُخْتِشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دواد القاضي في مجلس الحكم في عقار بناحية السّواد؛ فزرى عليه ابن المهدي وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دواد، فأحفظه ذلك^(١)، فقال: يا إبراهيم، إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً، ولا أشرت إليه بيدي، وليكن قصدك أمماً، وطريقك نهجاً، وريحك ساكنة؛ ووفّ مجالس الحكومة حقوقها مع التوقير والتعظيم والتوجيه إلى الواجب؛ فإن ذلك أشبه بك، وأشكل لمذهبك في محتدك^(٢) وعظم خطرک؛ ولا تعجل؛ فربّ عجلة تهب ريثاً. والله يعصمك من الزلل، وخطل القول والعمل^(٣)، ويثم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل، إن ربك حكيم عليم. قال إبراهيم: أصلحك الله، أمرت بسداد، وحضضت على رشاد. ولست بعائد إلى ما يثلم مروءتي عندك^(٤)، ويسقطني من عينك، ويخرجني عن مقادر الواجب إلى الاعتذار؛ فها أنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقرر بذنبه، باخع^(٥) مجرمه وتلك عادة عندنا منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقد وهبت حقي من هذا العقار لبختيشوع! فليت ذلك يقوم بأرشي^(٦) الجناية؛ ولن يتلف مال أفاد موعظة، وبالله التوفيق.

كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء:

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، رواها ابن عيينة: أما بعد فإنّ القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة؛ فافهم إذا أدلى إليك الخصم؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في مجلسك ووجهك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك^(٧) ولا يخاف ضعيف من جورك. البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر

(١) أحفظه: وجد عليه. (٢) المحتد: الأصل.

(٣) الخطل: الفساد. (٤) يثلم: يعيب وينقص.

(٥) باخع: متذلل معترف. (٦) الأرشي: الدية.

(٧) الحيف: الظلم.

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً . ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس ثم راجعت فيه نفسك وهُديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ؛ فإن الحق قديم والرجوع إليه خير من التماذي على الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ . واعرف الأمثال والأشباه ، وقس الأمور عند ذلك ثم أعمد إلى أحبّها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ؛ واجعل للمدعي أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء ؛ فإن ذلك أجل للعَمَى وأبْلَغ في العُذر . والمسلمون عُدول ^(١) بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً في حدّ ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنياً في ولاء أو قرابة أو نسب ؛ فإنّ الله تَوَلَّى منكم السرائر ، ودراً ^(٢) عنكم بالبينات والأيمان ؛ ثم إياك والتأديّ بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحقوق التي يُوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر ، فإنه من تخلّص نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزَيّن للناس بما يعلم الله خلافه منه هَتَكَ الله ستره .

وله أيضاً يوصيه :

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : أما بعد ؛ فإنّ للناس نُفرةً عن سلطانهم ؛ فاحذر أن تدركني وإياك عمياء مجهولة ، وضغائنُ محمولة ، وأهواء مُتَّبعة ، ودُنيا مؤثرة . أقم الحدود واجلس للمظالم ولو ساعة من النهار وأخِفِ الفُسّاق واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً ، وإذا كانت بين القبائل نائرة ^(٣) فنادوا يا لفلان ! فإنما تلك نجوى من الشيطان ، فاضربْ بهم بالسيف حتى يَفِيثُوا ^(٤) إلى أمر الله وتكونَ دَعَوَاتُهُمْ إلى الله والإسلام وَاسْتِدِمَّ النعمة بالشكر ، والطاعة بالتألّف ، والمقدرة بالعفو والنصرة بالتواضع والمحبة للناس . وبلغني أن ضبةً تنادى : يا لَضَبّة . والله ما علمتُ أن ضبة ساق الله بها خيراً قط ولا صرف بها شراً . فإذا جاءك كتابي

(١) العدول : الأعباء والأعمال . (٢) درأ : منع وأبعد .

(٣) النائرة : العداوة الشديدة . (٤) يفيثوا : يذعنوا .

هذا فأنهكهم عقوبة حتى يَفَرَّقُوا إن لم يفقهوا، وألصق بغيلان بن خَرشة مَن بينهم: وعُدَّ مَرَضَى المسلمين، وأشهد جنائزهم، وبأشَرُ أمورهم، وافتح بابك لهم؛ فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فَشَت لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها؛ فإياك يا عبد الله أن تكون كالبهيمة: هَمَّها في السَّمنِ والسَّمنُ حَتَفُها. وأعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من يشقى به الناس. والسلام.

ابن الخطاب وابن العاص والغزو في البحر:

أراد عمر بن الخطاب أن يغزو قوماً في البحر، فكتب إليه عمرو بن العاص وهو عامله على مصر: يا أمير المؤمنين، إنَّ البحر خلق عظيم، يركبه خلق صغير، دُوِّدَ على عود. فقال عمر: لا يسألني الله عن أحد أحله فيه.

للشعبي قال: كنت جالساً عند شُريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديداً، فقلت: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة. قال: وما علمك؟ قلت: لبكائها. قال: لا تفعل؛ فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاءً يَبْكُونَ، وهم له ظالمون.

الحسن ورجل رد إياس شهادته:

وكان الحسن بن أبي الحسن، لا يرى أن يرد شهادة رجل مسلم إلا أن يجرّحه المشهود عليه؛ فأقبل إليه رجل فقال: يا أبا سعيد، إنَّ إياساً ردَّ شهادتي. فقام معه الحسن إليه فقال: يا أبا وائلة، لِمَ رَدَدْتَ شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله ﷺ: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم: له مالنا وعليه ما علينا؟ فقال: يا أبا سعيد، إن الله يقول: ﴿مَنْ تَرَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ﴾^(١) وهذا لا يُرَضَى.

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢

من عدل شريح القاضي:

ودخل الأشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة، فقال: مرحباً وأهلاً بشيخنا وسيدنا، وأجلسه معه. فبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث. فقال له شريح: قُمْ فاجلس مجلس الخصم وكَلِّمْ صاحبك. قال بل أَكَلِّمُهُ من مجلسي. فقال له: لَتَقُومَنَّ أو لَأَمْرَنَّ من يُقِيمُكَ. فقال له الأشعث: لشد ما ارتفعت؟ قال: فهل رأيتَ ذلك ضَرَك؟ قال: لا. قال: فأراك تعرفُ نعمة الله على غيرك وتجهلُها على نفسك.

إياس ورده لشهادة ابن أبي سود

وأقبل وكيع بن أبي سود صاحب خراسان ليشهد عند إياس بشهادة، فقال: مرحباً وأهلاً بأبي مُطَرَّف وأجلسه معه، ثم قال له ما جاء بك؟ قال لأشهد لفلان. فقال: مالك وللشهادة! إنما يَشْهَدُ الموالي والتجار والسُّوقَة. قال صدقت، وانصرف من عنده فقيل له: خَدَعَكَ، إنه لا يَقْبَلُ شهادتَكَ. قال: لو علمتُ ذلك لعلوته بالقضيب.

عدي بن أرطاة وشريح:

دخل عدي بن أرطاة على شريح فقال: أين أنتَ أصلحك الله؟ قال: بينك وبين الجدار. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: نائي المحلِّ سحيقُ الدار. قال: قد تزوجتُ عنديكم. قال: بالرفاء والبنين. قال: ووُلِدَ لي غلام. قال: لِيَهْنِكَ الفارس. قال: وأردتُ أن أرحلها. قال: الرجل أحقُّ بأهله. قال: وشرطتُ لها دارها، قال: الشرطُ أَمْلَكَ. قال: فاحكم الآن بيننا. قال: قد فعلت. قال: على من قضيت؟ قال: على ابن أُمِّك. قال: بشهادة مَنْ؟ قال: بشهادة آبن أختِ خالتِكَ؛ يريد إقراره على نفسه.

شريح ورجل يخاصم في سنور:

سفيان الثوري قال: جاء رجل يُخاصم إلى شريح في سنور، قال: بَيِّنْكَ. قال: ما أجد بينة في سنور وُلِدْتُ عندنا. قال شريح: فاذهبوا بها إلى أمها فأرسلوها، فإن استقرت واستمرت ودرت فهي سنورك، وإن هي أقشعت وازبأرت^(١) فليست بسنورك.

سفيان الثوري قال: جاء رجل إلى شريح فقال: ما تقول في شاة تأكل الدبى^(٢)؟ فقال: لبن طيب وعَافَ مَجَّان.

لشريح وقد سئل حكماً:

وقيل لشريح: أيها أطيّب الجوز ينق أو اللاّزينق؟ قال: لست أحكم على غائب.

الشعبي في الفصل بين رجل وامرأته:

ودخل رجل على الشعبي في مجلس القضاء ومعه امرأة، وهي من أجل النساء فأختصما إليه؛ فأدلت المرأة المرأة بمجبتها وقربت بيّنتها. فقال للزوج: هل عندك من مدفع؟ فأنشأ يقول:

فَتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَتَنَّتْهُ بِدَلَالٍ وَبَحْطَئِي حَاجِبَيْهَا
قَالَ لِلْجُلُوزِ قَرَّبْهَا وَأَحْضِرْ شَاهِدَيْهَا^(٣)
فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصْمِ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

قال الشعبي: فدخلت على عبد الملك بن مروان، فلما نظر إليّ تبسم وقال:

فَتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

(١) ازبأرت: انتفشت وتمهأت للشر.

(٢) الدبى: الجراد وقيل صغاره. (٣) الجلواز: الشرطي.

ثم قال: ما فعلتَ بقائل هذه الأبيات ؟ قلت: أوجعته ضرباً يا أمير المؤمنين؛ بما آنتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وبما افتري به عليّ! قال: أحسنت .

تم الجزء الثاني من كتاب اللؤلؤة في السطان . والله المنّة
يتلوه إن شاء الله تعالى « كتاب الفريدة في الحروب » وهو الجزء الثالث من قسمة خمسة وعشرين من
قسمة للمؤلف والحمد لله أولاً وآخراً . وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتابُ الفريضة في الحروبِ ومدارِ أمرها

فرش كتاب الحروب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه وما على الرعية من لزوم طاعته وإدامة نصحيته، وما على السلطان من العدل في رعيته والرفق بأهل مملكته. ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها، وقود الجيوش وتدبيرها، وما على المدبّر لها من أعمال الخدمة، وانتهاز الفرصة، والتماس الغيرة، وإذكاء العيون، وإفشاء الطلائع، واجتناب المضايق، والتحفظ في البيات. هذا بعد معرفة أحكامها، وإحكام معرفته، وطول تجربته لها، ولمقاساة الحروب ومعاناة الجيوش، وعلمه أن لا دِرْع كالصبر، ولا حصن كاليقين. ثم نذكر كرم الإقدام ومحمود عاقبته، ولوّم الفرار ومذموم معبّته، والله المعين.

صفة الحروب

الحرب: رحي. ^(١) ثفالها الصبر؛ وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد، وثقالها الأناة ^(٢)، وزمامها الحذر. ولكل شيء من هذه ثمرة: فثمرة المكر الظفر، وثمرّة الصبر التأيّد، وثمرّة الاجتهاد التوفيق، وثمرّة الأناة اليمن، وثمرّة الحذر السلامة؛ ولكل

(١) الثفال: ما يبسط تحت الرّحى ليكون عليه الدقيق.

(٢) الثقف: ما تسوى به الرماح.

مقام مقال، ولكل زمان رجال والحرب بين الناس سجال^(١)، والرأي فيها أبلغ من القتال.

قال عمر بن الخطاب لعمر بن معد يكرب: صف لنا الحرب. قال: مرّة المذاق، إذا كشفت عن ساق؛ من صبر فيها عرف، ومن نكل عنها تلف، ثم أنشأ يقول:

الحربُ أوَّلَ ما تكونُ فتيّةً تسهى بزنتها لكلّ جهول
حتى إذا حميتُ وشبَّ ضرامُها عادتُ عجوزاً غير ذات خليل^(٢)
شمطاء جَزَتْ رأسها وتنگرتُ مكروهةً للشّم والتقييل^(٣)

وقيل لعنّرة الفوارس: صف لنا الحرب. فقال: أولها شكوى، وأوسطها نجوى، وآخرها بلوى.

وقال الكميّ:

والناسُ في الحرب شتى وهي مُقبلةٌ ويستوون إذا ما أذبر القبلُ
كلٌّ بأمسيّتها طبٌّ مُولّيةٌ والعالمون بذئ غُدويّها قُللُ^(٤)

وقال نصر بن سيار صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها:

أرى خَلَلَ الرّمادِ وميضَ نارٍ ويوشك أن يكون له ضرامُ
فإنّ النّارَ بالعودين تُذكى وإنّ الحربَ أولها الكلامُ

من حكمة لسليمان:

وفي حكمة سليمان بن داود عليها السلام: الشر حلّ أوله، مرّ آخره.

للعرب:

والعرب تقول: الحرب غشوم؛ لأنها تنال غير الجاني.

(١) سجال: مداورة. (٢) شبّ ضرامها: اتقد لها.

(٣) الشمطاء: التي خالط سواد شعرها البياض.

(٤) طبّ: خير وعالم، وغدوتها: أي ما يحمله الغد، وقلل: أي قلّة.

وقال حبيب^(١) :

والحرب تَرْكَبُ رَأْسَهَا فِي مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمٍ
فِي سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ لُقْمَانَ بِهَا وَهُوَ الْحَيَكُمُ لَكَانَ غَيْرَ حَكِيمٍ

وقال أكرم بن صيفي حكيم العرب : لا حلم لمن لا سفيه له .

ونحو هذا هول الأحنف بن قيس : مَا قَلَّ سَفَهَاءُ قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا ذَلُّوا .

وقال : لَأَنْ يُطِيعَنِي سَفَهَاءُ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُطِيعَنِي حُلَمَاءُهُمْ .

وقال : أَكْرَمُوا سَفَهَاءَكُمْ فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ النَّارَ وَالْعَارَ .

للنابغة الجعدي ودعوة النبي ﷺ :

وقال النابغة الجعدي :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْيِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وأنشد هذا الشعر للنبي ﷺ ، فلما انتهى إلى هذا البيت . قال له النبي ﷺ : لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ . فعاش ثلاثين ومائة سنة لم تسقط له ثنية .

وقال النابغة الذبياني يصف الحرب :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

يريد بقوله : « تبدو كواكبه والشمس طالعة ، شدة الهول والكرب ، كما تقول

العامية : أَرَيْتَهُ النُّجُومَ وَسَطَ النَّهَارِ . قال الفرزدق :

أَرَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ

وقال طرفة بن العبد :

وَتَرَيْكَ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

(١) هو حبيب بن أوس الطائي ، أبو تمام .

واليه ذهب جرير في قوله :

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

يقول : إن الشمس طالعة وليست بكاسفة نجوم الليل ، لشدة الغم والكرب الذي

فيه الناس .

لابن عبد ربه :

ومن قولنا في صفة الحرب :

وَمُعَبَّرُ السَّمَاءِ إِذَا تَجَلَّى
كَأَنَّ نَهَارَهُ ظِلْمَاءٌ لَيْلٍ
سَمَوْتُ لَهُ سُمُومُ النَّقْعِ فِيهِ
وَكُلُّ مُشْطَبِ الْمَتْنِ صَافٍ

بُعَادِرُ أَرْضِهِ كَالْأَرْجُوانِ
كَوَاكِبِهِ مِنَ السَّمَرِ اللَّدَانِ^(١)
بِكُلِّ مُدَلَّقٍ سَلَبِ السَّنَانِ^(٢)
كَلَوْنِ الْمَلْحِ مَنْصَلَتِ يَمَانٍ^(٣)

وفي صفة المعترك :

وَمُعْتَرِكٌ تَهَزَّبُ بِهِ الْمَنَايَا
لَوَامِعٌ يُبْصِرُ الْأَعْمَى سَنَاها
وَخَافِقَةُ الدَّوَابِّ قَدْ أَنْافَتْ
يُحَوِّمُ حَوْلَهَا عِقْبَانُ مَوْتٍ
بِیَوْمٍ رَاحَ فِي سَرَبَالِ لَيْلٍ
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْنُو فِي قَتَامٍ
فَكَمْ قَصَّرَتْ مِنْ عُمُرٍ طَوِيلٍ

ذُكُورُ الْهِنْدِ فِي أَيْدِي ذُكُورِ^(٤)
وَيَعْمَى دُونَهَا طَرْفُ الْبَصِيرِ
عَلَى حَمَرَاءَ ذَاتِ شَبَّاءٍ طَرِيرِ^(٥)
تَخَطَّفَتِ الْقُلُوبَ مِنَ الصَّدُورِ
فَمَا عُرِفَ الْأَصِيلُ مِنَ الْبُكُورِ
رُنُوُّ الْبُكْرِ مِنْ بَيْنِ السُّتُورِ^(٦)
بِهِ ، وَأَطْلَتْ مِنْ عُمُرٍ قَصِيرِ

(١) السمر اللدان : الرماح اللينة .

(٢) النقع : الغبار ، والمذلق : المحدد و سلب : طويل .

(٣) مشطب : كناية عن السيف المصقول الأبيض الذي نسبته اليمن .

(٤) ذكور الهند : سيوفها القاطعة .

(٥) الدواب : خصلات الشعر ، وأراد بالحمراء : القناة والشبا : جمع شباة وهي الحد ، والطرير : المحدد .

(٦) ترنو : تنظر ، والقتام : الغبار .

العمل في الحروب

قيل لأَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ: صف لنا العمل في الحرب. قال أَقْلَوُا الخَلاَفَ على أَمْرَاتِكُمْ، فلا جماعةَ لمن اختلفَ عليه. واعلموا أن كثرةَ الصياح من الفشل؛ فثبَّتُوا؛ فإن أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنِ. وَرُبَّ عَجَلَةٍ تُعَقِّبُ رَيْثًا. وادْرَعُوا اللَّيْلَ فإنه أَخْفَى لِلْوَيْلِ، وَتَحَفَّظُوا مِنَ الْبَيَاتِ.

وقال شَيْبُ الْحَرُورِيِّ: الليل يكفيك الجبان ونصفَ الشجاع. وكان إذا أَمَسَ يقول لأَصْحَابِهِ: أَتَاكَ الْمَدَدُ.

وقالت عائشةُ رضي الله تعالى عنها يومَ الجمل، وسمعتُ منازعةَ أصحابها وكثرةَ صياحهم: المَنَازَعَةُ فِي الْحَرْبِ خَوْرٌ^(١)، والصياحُ فيها فِشَلٌ، وما برأني خَرَجْتُ مع هؤلاء.

وقال عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ لأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرَ لما رأى عسكرَ رسولِ الله ﷺ: أَمَا تَرَوْنَهُمْ خُرْسًا لَا يَتَكَلَّمُونَ، يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْحَيَاتِ^(٢).

لابن أبي طالب في العواقب:

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مَنْ أَكْثَرَ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْجَعْ.

وقال النعمان بن مُقَرَّنَ لأَصْحَابِهِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ: إِنِّي هَازٌّ لَكُمْ الرَّايَةَ، فَلْيُصْلِحْ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ وَلْيَشُدَّ عَلَى نَفْسِهِ وَفِرْسِهِ؛ ثُمَّ إِنِّي هَازٌّ لَكُمْ الثَّانِيَةَ. فَلْيَنْظُرْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَوْقِعَ سَهْمِهِ وَمَوْضِعَ عَدُوِّهِ وَمَكَانَ فِرْصَتِهِ؛ ثُمَّ إِنِّي هَازٌّ لَكُمْ الثَّالِثَةَ وَحَامِلًا، فَاحْلُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ.

(١) الخور: الضعف.

(٢) تَلَمَّظَتِ الْحَيَّةُ: أَخْرَجَتْ لِسَانَهَا.

لعمر بن الخطاب في ابن مقرن:

وللنعمان بن مقرن هذا؛ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ تكاملت [الخيل] وتطلع الصحابة إلى التقدم عليها: لأَقْلَدَنَّ أَعَنَّتَهَا رجلاً يكون غداً لأول أسنةٍ يلقاها، فقلدها النعمان بن مقرن .

علي في الفرصه:

وقال علي رضي الله عنه: انتهزوا الفرصة فإنها تمرّ مرّ السحاب، ولا تطلبوا أثراً بعد عين .

وقال بعض الحكماء: انتهز الفرصة فإنها خلّسة؛ وثب عند رأس الأمر ولا تثب عند ذنبه؛ وإياك والعجز فإنه أدلّ مَرَكَب، والشفيعُ المهين فإنه أضعف وسيلة .

لابن مسلم في ابن أبي سود

وخرجتُ خارجةً بخراسانَ على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك، فقليل له: ما يهْمُكَ منهم؟ وجّه إليهم وكيع بن أبي سُود فإنه يكفيهم . فقال: لا، إن وكيعاً رجل به كِبَرٌ يحقر أعداءه، ومن كان هكذا قلّت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم . فيجد عدوّه غِرّةً منه^(١) .

لبعض الملوك في الحزم:

وسئل بعض الملوك عن وثائق الحزم في القتال فقال: مخاتلة العدو^(٢) عن الريف وإعدادا العيون^(٣) على الرّصد، وإعطاء المبلّغين على الصدق، ومعاقة المتوصّلين بالكذب، وآلاً تخرج هارباً إلى قتال؛ ولا تُضَيّقُ أماناً على مستأمن، ولا تشدّهنك^(٤) الغنيمة عن المحاذرة .

(١) الغرة: الغفلة . (٢) المخاتلة: الخداع .

(٣) العيون: الجواسيس . (٤) تشدّهنك: تدهشّتك .

للعجم في أشد الأمور تدريباً :

وفي بعض كتب العجم : إن حكيماً سئل عن أشد الأمور تدريباً للجنود وشحذاً لها . فقال : تَعَوُّدُ القتال ، وكثرة الظفر ، وأن يكون لها موادٌّ من ورائها .

بين معاوية وعمرو بن العاص :

وقال عمرو بن العاص لمعاوية : والله ما أدري يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان ؟ فقال معاوية :

شَجَاعٌ إِذَا مَا أُمَكَّنْتَنِي فُرْصَةً وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِي فُرْصَةً فَجَبَانٌ
وقال الأحنف بن قيس : إن رأيت الشر يتركك إن تركته ، فاتركه .

قال هُدْبَةُ العذري :

وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ^(١)
وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جَاذِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ

الصبر والإقدام في الحرب

جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) .

للعرب في الشجاعة :

وتقول العرب : الشجاعة وقاية والجبن مَقْتَلَةٌ . واعتبر من ذلك أن من يُقْتَلُ مدبراً أكثرُ ممن يُقْتَلُ مُقْبِلاً .

(١) أحل : أدفع وأقاد ، أي أنه حتى لا يجد مناصاً من الشر فإنه فاعله .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٥ .

لأبي بكر يوصي خالداً:

ولذلك قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد: احرص على الموت
توهب لك الحياة.

للعرب:

والعرب تقول: الشجاع مَوْقَى والجبان مُلْقَى.

وقال أعرابي: الله مُخْلَف ما أتلَف الناس. والدهرٌ متلف ما جمعوا، وكم من مُنية
علَّتها طلب الحياة، وحياةٍ سببها التعرُّض للموت.

لخالد في الصبر:

وكان خالد بن الوليد يسير في صفوف يُذَمَّرُ^(١) الناس ويقول: يا أهل الإسلام:
إن الصبر عز، وإن الفشل عجز، وإن مع الصبر النصر.

وكتب أنو شروان إلى مرزبته: عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛ فإنهم أهلُ
حُسْنِ الظنِّ بالله.

وقالت الحكماء: استقبال الموت خير من استدباره.

وقال حسان بن ثابت:

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلُّومُنَا ولكن على أعقابنا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ^(٢)

وقال العلوي في هذا المعنى:

مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَلِيٍّ عَلَى الْقَنَا وَدَامِيَّةٌ لَبَّاتُهَا وَنَحُورُهَا^(٣)
حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدْبِرٍ وَتَنْدَقُّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا

(١) يذمهم على القتال.

(٢) روي هذا البيت في الحماسة للحصين بن الحمام المزي، من شعراء الجاهلية.

(٣) يقصد أنه كَرَّارٌ غير فرار، لأن الجراح من قبل وليست من دُبُر.

وكانوا يتماجدون بالموت قَعَصاً^(١) ويتهاجون بالموت على الفراش، ويقولون فيه:
مَاتَ فُلَانٌ حَتَفَ أَنْفِهِ . وأول من قال ذلك النبيُّ عليه الصلاة والسلام .

عبد الله بن الزبير في مقتل أخيه مصعب:

وخطب عبد الله بن الزبير الناس لما بلغه قتل مصعب أخيه، فقال: إن يُقتل فقد
قتل أبوه وأخوه وعمه، إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قعصاً بأطراف الرماح؛ موتاً
تحت ظلال السيوف؛ وإن يُقتل مصعب فإن في آل الزبير خلفاً منه . وقال السموأل بن
عدياء:

وما مات منا سيّد حَتَفَ أَنْفِهِ ولا طَلَّ منا حيثُ كان قَتِيلُ^(٢)
تَسِيلُ على حدِّ الظُّبَاتِ نفوسنا وليس على غير السُّيُوفِ تَسِيلُ^(٣)
وقال آخر:

وإنا لَتَسْتَخْلِي المنايا نفوسنا ونَتْرُكُ أُخْرَى مُرَّها فنذوقُها
وقال الشَّنْفَرِي:

فلا تدفِنوني، إنْ دَفَنِي مُحَرَّمٌ عليكم ولكنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ
إذا حُمِلَتْ رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغَوْدَرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى قَمَّ سَائِرِي
هنالك لا أَبْغِي حَيَاةً تُسَرِّنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَزَائِرِ^(٤)

قوله « خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ »: هي الضبع . يعني: إذا قتلتُموني فلا تدفِنوني ولكن
ألقوني إلى التي يقال لها: خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ، وهي الضبع . وهذا اللفظ بعيد من المعنى .

(١) يقولون مات قعصاً: أي أصابته ضربة أو رمية فهات مكانه .

(٢) حَتَفَ أَنْفِهِ: أي على فراشه . وَطَلَّ: ذهب دمه هدرًا ولم يثأر له .

(٣) تَسِيلُ: أي تزهق والظُّبَاتِ: السيوف والرماح وغيرها .

(٤) سَجِيسَ اللَّيَالِي: أي أبداً؛ ومُبْسَلًا: أي مسلماً .

لعلي بن أبي طالب:

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - وقيل له: أتقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشي في أزار ورداء؟ فقال: أبا الموت تخوفوني؟ فوالله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط عليّ.

وقال لابنه الحسن عليها السلام: لا تدعون أحداً إلى المبارزة، وإن دُعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغ والباغي مصروع.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: بقية السيف أنمى عدداً، وأطيب ولداً. يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم وغما ولدتهم.

ومما يستدل به على صدق قوله: ما عمِل السيفُ في آل الزبير وآل أبي طالب وما أكثر من عددهم.

وقال أبو دلف العجليّ:

سَيْفِي بَلَيْلِي قَبْسِي وفي نَهَارِي أَنَسِي^(١)
إِنِّي فَتَى عَوْدَنِي مُهْرِي رُكُوبَ الْغُلَسِ
يَحْمَدُنِي سَيْفِي كَمَا يَحْمَدُ كَرِّي فَرَسِي

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان:

لَسْتُ لِرَبِّحَانٍ وَلَا رَاحٍ وَلَا عَلَى الْجَارِ بَنَفَاحٍ^(٢)
فَإِنْ أَرَدْتَ الْآنَ لِي مَوْفِئاً فَيَيْنَ أَسْيَافٍ وَأَرْمَاحٍ
تَرَى فَتَى تَحْتَ ظِلَالِ الْقَنَا يَقْبِضُ أَرْوَاحاً بِأَرْوَاحٍ

وقال أشهب بن رميلة:

أَسُودُ شَرِّى لَاقَتْ أَسُودَ خَفِيَّةٍ تَلَاقُوا عَلَى جُرْدٍ بِمَاءِ الْأَسَاوِدِ^(٣)

(١) القبس: الضوء.

(٢) النفاح: الذي ينفخ الطيب، كناية عن العطاء وحسن المعاملة.

(٣) الجرد: الغضب.

للمهلب في أعجب ما رأى في حرب الأزارقة:

وقيل للمهلب بن أبي صُفرة: ما أعجب ما رأيت في حرب الأزارقة؟ قال: فتي
كان يخرج إلينا منهم في كل غداة فيقف فيقول:

وسائِلَةٌ بالغَيْب عَنِّي وَلَوْ دَرْتُ مُقَارَعَتِي الْأَبْطَال طَال نَحِيبُهَا
إِذَا مَا التَّقِينَا كُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ يَجُود بِنَفْسٍ أَثْقَلَتْهَا ذُنُوبُهَا

ثم يحمل فلا يقوم له شيء إلا أقعده، فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك.

بين هشام وأخيه مسلمة في الذعر:

وقال هشام بن عبد الملك لأخيه مسلمة: يا أبا سعد، هل دخلك ذعرٌ قط لحرب
أو عدو؟ قال: ما سلمت في ذلك من ذعر يُنبّه على حيلة، ولم يُغشني ذعرٌ قطّ سلبني
رأبي. قال هشام: صدقت هذه والله البسالة.

وقيل لعنتر: كم كنتم يومَ الفُروق^(١)؟ قال: كنّا مائة لم نكثر فنتكل، ولم نقلّ
فندلّ.

ما كان يتمثل به ابن المهلب:

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً في الحرب بقول حصين بن الحُمام:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وقالت الخنساء:

نَهْنِ النَّفْسَ وَبَذِلْ النَّفْسَ سَ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ أَبْقَى لَهَا

وقيل لعباد بن الحصين، وكان من أشدّ أهل البصر: في أيّ عدّة كنت تُريد أن
تلقّى عدوك؟ قال: في أجل مستأخِر.

وكان مما يتمثل به معاوية رضي الله تعالى عنه يوم صفين:

(١) من أيام عيس وذيان.

وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرِّيحِ
وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرْجِي^(١)
وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عَرَضٍ صَحِيحِ

مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
سِوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي

أَبَتْ لِي شِمَّتِي وَأَبَى بِلَائِي
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ
لِإِدْفَعٍ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتِ

ونظير هذا قول قطري بن الفجاءة:
[أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا]^(٢)
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ حَيَاةَ يَوْمِ

لابن أبي طالب في صفين:

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين
الصفين ويقول:

أَيَّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفِرَّ
يَوْمَ لَا يُقَدَّرُ لَا أَرْهَبُهُ
يَوْمَ لَا يُقَدَّرُ أَوْ يَوْمَ قَدِرُ
وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يُنْجَى الْحَذَرُ

ومثله قول جرير:

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرَجُهُ
هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرَكِ الْمَنِيَّةِ نَاجِ^(٣)
وهذا البيت في شعره الذي أوله:

هاج الفراق لقلبك المهتاج

ومدح فيه الحجاج، فلما أنشده:

قل للجبان إذا تأخر سرجه

(١) جشأت: أي تطلعت ونهضت جزعا وكراهة.

(٢) في الأصل: «وقولي كلما جشأت لنفسي».

(٣) شرك المنية: حبالها.

قال له: جَرَأْتُ عَلَى النَّاسِ يَا بْنَ اللَّخْنَاءِ! قال: والله ما أَلْقَيْتُ لَهَا بِأَلَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ
إِلَّا وَقْتِي هَذَا.

عاصم بن الحذثان والفرزدق:

وكان عاصم بن الحذثان عالماً ذكياً، وكان رأس الخوارج بالبصرة، وربما جاء
الرسول منهم من الجزيرة يسأله عن الأمر يختصمون فيه، فمرّ به الفرزدق، فقال
لأبنة: أنشد أبا فراس، فأنشده:

وَهُمْ إِذَا كَسَرُوا الْجُفُونَ أَكَارِمَ صَبْرٌ وَحِينَ تُحَلَّلِ الْأُزْرَارُ^(١)
يَغْشَوْنَ حَوَامِاتِ الْمُنُونِ وَإِنَّهَا فِي اللَّهِ عِنْدَ نَفْسِهِمْ لَصِغَارُ
يَمْشُونَ بِالْخَطْيِ لَا يَشْنِيهِمْ وَالْقَوْمُ إِنْ رَكِبُوا الرِّمَاحَ تَجَارُ^(٢)

فقال له الفرزدق: ويحك! اكتم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجوا علينا
بجفوفهم^(٣) فقال أبوه: هو شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين.

ونظير هذا مما يشجع الجبان قولُ عنترَةَ الفوارس:

بَكَرْتُ تُخَوِّفُنِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْخُتُوفِ بِمَعَزِلِ^(٤)
فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا بُدَّ أَنْ أَسْقِي بِكَأْسِ الْمَنَهْلِ
فَاقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَعْلَمِي أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أَقْتُلِ^(٥)

ومن أحسن ما قالوه في الصبر، قولُ نهشل بن حَرِيٍّ بن ضَمْرَةَ النهشلي:

وَيَوْمٌ كَانَ الْمَصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَارٌ وَقُوفٌ عَلَى جَمْرِ^(٦)
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى يَبُوءَ، وَإِنَّمَا تَفَرِّجُ أَيَّامَ الْكَرِيمَةِ بِالصَّبْرِ^(٧)

(١) الجفون: الأغمد، وكسر الجفون وحلّ الأزرار كناية عن الاستعداد والنهوض للحرب.

(٢) الخطي: الرماح منسوبة إلى الخط. وتجار: يمارسون البيع والشراء، أي يقتلون ويُقتلون.

(٣) الخف: المنسج. (٤) بكرت: عجلت.

(٥) فاقني حياءك: الزميه. (٦) المصطلين: الذين يعانون من حرّ وسعيره.

(٧) يبوء: يسكن. والكرية: الحرب.

وأحسن من هذا عندي قول حبيب:
فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ
وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ إِخْمَصِكَ الْحَشْرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى
لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُندُسٍ خَضِرُ

وأحسن من هذا قوله:

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ
لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقوله في المعنى:

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ حَسِبَتْهُمْ
أَنْظُرُ بِحَيْثُ تَرَى السُّيُوفَ لَوَامِعًا
لَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْمَنِيَّةَ تُخْلِقُ
أَبَدًا وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ تَتَأَلَّقُ

وقال الجحّاف بن حكيم:

شَهِدَنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوِّمَاتٍ
وَوَقَعَةً رَاهِطٍ شَهِدَتْ وَحَلَّتْ
حُنَيْنًا وَهِيَ دَامِيَةُ الْخَوَامِي^(١)
سَنَابِكُهُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
تَعَرَّضَ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا
خُدُودًا لَا تَعَرَّضُ لِلطَّامِ

أخذه من قولهم: ضربة بسيف في عزّ، خير من لطمه في ذلّ.

ومن أحسن ما وُصِفَتْ به رجالُ الحرب قول الشاعر^(٢):

رَوَيْدًا بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ
تُلَاقُوا رَجَالًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعَى
تَلَاقُوا غَدَاً خَيْلِي عَلَى سَفْوَانِ^(٣)
إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي فَنَاءِ الْمِيدَانِ
إِذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاهُمْ
لَأَيَّةِ أَرْضٍ أَوْ لِأَيِّ مَكَانٍ

ونظير هذا قول الآخر:

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِدَارِهِمْ
تَرَكَوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ^(٤)

(١) المسوّمات: المعارك. والخوامي: ميامن الحافر ومياسره.

(٢) هو وداك بن نميل المازني.

(٣) سفوان: هبوب وعجل، والسافنة الريح التي تهب على وجه الأرض.

(٤) أي تركوه صاحب خيل وعبيد، كناية عن إغنائهم إياه.

وَإِذَا دَعَوْتَهُمْ لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ لَتَطْلُبَ الْعِلَاقُ بِالْعِيدَانِ^(١)
بَلْ يُسْفِرُونَ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

ومن أحسن المحدثين تشبيهاً في الحرب، مُسلم بن الوليد الأنصاري في قوله ليزيد بن مزيد:

تَلْقَى الْمَيِّتَةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتِهَا كَالسَّيْلِ يَقْذِفُ جَلْمُودًا بِجَلْمُودِ
تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
وقوله أيضاً:

مُوفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ، يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ^(٢)
يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا تَعَيَا الرِّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجَلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
وقال أبو العتاهية:

كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا تَفِرُّ عَنِ السَّلَمِ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ تَجْرِي لَدَى الْوَعَى إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِكَ
فَمَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَعَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حِبَائِكَ^(٣)

وقال زيد الخيل:

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَامَةً أَنَّ سَيْفِي كَرِيمَةً كُلَّمَا دُعِيتُ نَزَالِ
أَحَادِيثُهُ بِصَقْلٍ كُلِّ يَوْمٍ وَأَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

وقال أبو محلم السعدي:

تَقُولُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتْقَاعِسِ^(٤)

(١) ينكتون الأرض: كناية عن التفكير في توسل العلل المانعة للعطاء.

(٢) الرهج: الغبار، والأجل: الموت. (٣) الحباء: العطاء.

(٤) صكت: لطمت، والمتقاعس: الذي دخل ظهره وخرج صدره، يقول: إن امرأته حين رآته منشغلاً بالرحى لطمت وجهها لأن هذا العمل ليس من عاداته وأفعاله.

فقلت لها لا تعجلي وتبيني بلائي إذا التفت علي الفوارس
ألست أُرْدُ القِرْنَ يركب رده وفيه سنان ذو غرارين نائس^(١)
إذا هاب أقوامٌ تقحمت غمرة يهاب حمياه الألد المداعس^(٢)
لعمر أبيك الخير إني لخادم لضيئي وإني إن ركبْتُ لفارس

وقال آخر يمدح المهلب بالصبر:
وإذا جُدِدَتْ فكلُّ شيءٍ نافع وإذا حُدِدَتْ فكلُّ شيءٍ ضائر^(٣)
وإذا أتاك مهلبٌ في الوغى في كفه سيفٌ فنعم الناصر

ومن قولنا في القائد أبي العباس في الحرب:
نفسى فداؤك والأبطال واقفة والموت يقسم في أرواحها النقا
شاركت صرَفَ المنايا في نفوسهم حتى تحكمت فيها مثل ما احتكما
لو تستطيع العلا جاءتك خاضعة حتى تقبل منك الكف والقدا

ومن قولنا في وصف الحرب:
سيوفٌ يَقيِلُ الموتُ تحت طباتها لها في الكلى طعمٌ وبين الكلى شرب^(٤)
إذا اصطفت الرايات حمراً متونها ذوائبها تهفو فيهنو لها القلبُ
ولم تنطق الأبطال إلا بفعلها فآلسنها عجمٌ وأفعالها عربُ
إذا ما التقوا في مازقٍ وتعانقوا فلقياهم طعنٌ وتغنيقهم ضربُ

ومن قولنا في رجال الحرب وأنّ الوغى قد أخذت منهم ومن أجسامهم فهي مثلُ
السيوف في رقّتها وصلابتها:
سيفٌ تقلّد مثله عطفَ القضيّب على القضيّب

(١) يركب رده: أي يغرّ صريعاً لوجهه والنائس: المضطرب، والغرار: الحد.

(٢) تقحمت: أي أقدمت، والغمرة: الحرب وحياها: شدتها، والألد: اللجوج الشديد الخصومة والمداعس: المطاعن.

(٣) جُدِدَتْ: أي كنت محظوظاً.

(٤) يَقيِلُ الموت: أي يتقيل ويرتاح والظباة: حدّ السيف والسهم وغيرها.

هَذَا تُجَرِّزُ بِهِ الرَّقَا بٌ وَذَا تُجَرِّبُ بِهِ الْخَطُوبُ

ومن قولنا أيضاً:

تَرَاهُ فِي الْوَعَى سَيْفًا صَقِيلًا يُقَلِّبُ صَفْحَتَيْ سَيْفٍ صَقِيلٍ

ومن قولنا أيضاً:

سَيْفٌ عَلَيْهِ نِجَادٌ سَيْفٍ مِثْلِهِ فِي حَدِّهِ لِلْمُفْسِدِينَ صِلَاحٌ

ومن قولنا أيضاً في الحرب وذكر القائد:

مَقِيلُكَ تَحْتَ أَظْلَالِ الْعَوَالِي وَيُتُّكَ فَوْقَ صَهَوَاتِ الْجِيَادِ

تَبَخَّرُ فِي قَمِيصٍ مِنْ دِلَاصٍ وَتَرْفُلُ فِي رِداً مِنْ نِجَادٍ^(١)

كَأَنَّكَ لِلْحُرُوبِ رَضِيعُ تَذِي غَذَّتْكَ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ^(٢)

فَكَمْ هَذَا التَّمَنِّي لِلْمَنَايَا وَكَمْ هَذَا التَّجَلُّدُ لِلْجِلَادِ

لِئِنْ عُرِفَ الْجِهَادُ بِكُلِّ عَامٍ فَإِنَّكَ طَوْلَ دَهْرِكَ فِي جِهَادِ

وَإِنَّكَ حِينَ أُبْتُ بِكُلِّ سَعْدٍ كَمِثْلِ الرُّوحِ آبَ إِلَى الْفَوَادِ

رَأَيْنَا السَّيْفَ مُرْتَدِيًا بِسَيْفٍ وَعَايِنَا الْجَوَادَ عَلَى الْجَوَادِ

وقد وصفنا الحربَ بتشبيهه عجيب لم يُتَقَدَّمْ عليه، ومعنى بدیع لا نظير له، فمن

ذلك قولنا:

وَجَيْشٌ كَظْهَرِ الْيَمِّ تَنْفُحُهُ الصَّبَا يَعْبُ عُبَاباً مِنْ قَنَاءٍ وَقَنَابِلٍ^(٣)

فَتَنْزِلُ أَوْلَاهُ وَلَيْسَ بِنَازِلٍ وَتَرْحَلُ أَخْرَاهُ وَلَيْسَ بِرَاحِلٍ

وَمُعْتَرِكٍ ضَنْكَ تَعَاطَتْ كُمَاتُهُ كَثُوسَ دِمَاءٍ مِنْ كُلِّ وَمَفَاصِلٍ

يُدِيرُونَهَا رَاحاً مِنَ الرُّوحِ بَيْنَهُمْ بَيْضٍ رِقَاقٍ أَوْ بِسْمِرٍ ذَوَابِلٍ^(٤)

(١) الدلاص: الدرع، والنجاد: حائل السيف.

(٢) النّاد: الداهية. (٣) القنابل: القطع من الخيل.

(٤) الراح: الخمر، والبض: السيوف والسمر الذوابل: الرماح الدقيقة يريد أنّ هذه الخمر من أرواح القتلى

بالسيوف والرماح.

وَتُسْمِعُهُمْ أُمَّ الْمَيْتَةِ وَسَطَهَا

غِنَاءَ صَلِيلِ الْبَيْضِ تَحْتَ الْمُنَاصِلِ^(١)

ومن قولنا في هذا المعنى:

سَيْفٌ مِنَ الْحَتَفِ تَرَدَّى بِهِ
مَوَاصِلًا أَعْدَاءُهُ عَنْ قَلِيٍّ
وَصَلَ يَحِينَ الْإِلْفُ مِنْ بُغْضِهِ
حَتَّى إِذَا نَادَمَهُمْ سَيْفُهُ
تَرَى حُمَيَّاهَا بِهَامَاتِهِمْ
عَلَى أَهَازِجٍ ظُبًا بَيْنَهَا
طَاعُوا لَهُ مِنْ بَعْدِ عِصْيَانِهِمْ
وَكَمْ أَعَدُّوا وَاسْتَعَدُّوا لَهُ

يَوْمَ الْوَعَى سَيْفٌ مِنَ الْحَزْمِ
لَا صِلَةَ الْقُرْبَى وَلَا الرَّحْمِ^(٢)
شَوْقًا إِلَى الْمَهْجَرَانِ وَالصَّرْمِ
بِكُلِّ كَأْسٍ مُرَّةَ الطَّعْمِ
تَغُورُ بَيْنَ الْجُلْدِ وَالْعِظْمِ^(٣)
مَا شَتَّتَ مِنْ حَذْفٍ وَمِنْ خَرَمٍ^(٤)
وَطَاعَةً الْأَعْدَاءِ عَنْ رَغْمِ
هَيْهَاتَ لَيْسَ الْخِضْمُ كَالْقَضْمِ^(٥)

ومن قولنا في شبهه:

كَمْ أَلْحَمَ السَّيْفُ فِي أَبْنَاءِ مَلْحَمَةٍ
وَأَوْرَدَ النَّارَ مِنْ أَرْوَاحٍ مَارِقَةٍ
كَأَنَّمَا صَالَ فِي ثِنْيَيْ مُفَاضَتِهِ
لَمَّا رَأَى الْفِتْنَةَ الْعَمِيَاءَ قَدْ رَحِبَتْ
وَأُطْبِقَتْ ظُلْمٌ مِنْ فَوْقِهَا ظَلَمٌ
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْأَعْدَاءِ سَارِبَةً

مَا مِنْهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ دَيَّارٌ^(٦)
كَادَتْ تَمِيزُ مِنْ غَيْظٍ لَهَا النَّارُ^(٧)
مُسْتَأْسَدٌ حَنِقُ الْأَحْشَاءِ هَدَّارٌ^(٨)
مِنْهَا عَلَى النَّاسِ آفَاقٌ وَأَقْطَارُ
مَا يُسْتَضَاءُ بِهَا نُورٌ وَلَا نَارُ
قُبًّا طَوَاهَا كَطِيِّ الْعَصَبِ إِضْهَارٌ^(٩)

(١) الصليل: صوت السيف عند القراع.

(٢) القلي: الكره.

(٣) الحميّا: الخمرة وأثرها.

(٤) الخرم: اختراق الشيء من ناحية إلى ناحية.

(٥) الخضم: الأكل بالأضراس والقطم. الأكل بأطراف الأسنان، وهو أشد.

(٦) ألحم السيف: امتزج، ومتن الأرض: ظهرها.

(٧) المارقة: الخارجون عن الجماعة.

(٨) المفاضة: الدرع الواسعة. (٩) القبّ: الضوامر البطون: الواحد أقب.

ملمومة تَبَارَى فِي مُلَمَّمَةٍ
تَزَوَّرَ عِنْدَ أَحْتِمَاسِ الطَّعْنِ أَعْيُنُهَا
تَفُوتُ بِالنَّارِ أَقْوَامًا وَتُدْرِكُهُ
فَانْسَابَ نَاصِرِ دِينِ اللَّهِ يَقْدُمُهُمْ
كَتَائِبُ تَبَارَى حَوْلَ رَايَتِهِ
قَوْمٌ لَهُمْ فِي مَكْرٍ اللَّيْلِ غَمْغَمَةٌ
يَسْتَقْبِلُونَ كِرَادِيْسًا مَكْرَدَسَةً
مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ لَا يَرْعَى لِهَاجِسَةٍ
فِي قَسْطِلٍ مِنْ عَجَاجِ الْحَرْبِ مَدَّ لَهُ
فَكَمْ بِسَاحَتِهِمْ مِنْ شِلْوٍ مُطَرَّحٍ
كَأَنَّمَا رَأْسُهُ أَفْلَاقُ حَنْظَلَةٍ
وَكَمْ عَلَى النَّهْرِ أَوْصَالًا مُفَرَّقَةً
قَدْ فُلِّقَتْ بِصَفِيحِ الْهِنْدِ هَامُهُمْ

ومن قولنا في الحروب:

وَحَوْمَةٍ عَادَرَتْ فُرْسَانَهَا
مُسْتَلْحَمٍ بِأَلْوَتٍ مُسْتَشْعِرٍ

كَأَنَّهَا لَاعْتَدَالِ الْخُلُقِ أَفْهَارُ^(١)
وَهُنَّ مِنْ فُرُجَاتِ النَّقْعِ نُظَارُ^(٢)
مِنْ آخِرِينَ إِذْ لَمْ يُدْرِكِ الثَّارُ
وَحَوْلَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ أَنْصَارُ
وَجَحْفَلُ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارُ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَإِقْبَالُ وَإِدْبَارُ^(٣)
كَمَا تَدَافَعُ بِالنَّيَّارِ تِيَّارُ^(٤)
كَأَنَّهُ مُخْدِرٌ فِي الْخَيْلِ هَصَّارُ^(٥)
بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنِ الْأَرْضِ أَسْتَارُ
كَأَنَّهُ فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ إِجَارُ^(٦)
وَسَاعِدَاهُ إِلَى الزَّنْدَيْنِ جُمَارُ^(٧)
تَقْسَمُهَا الْمَنَايَا فَهِيَ أَشْطَارُ
فَهُنَّ بَيْنَ حَوَامِي الْخَيْلِ أَعْشَارُ^(٨)

فِي مَبْرِكٍ لِلْحَرْبِ جَعْفَاعُ^(٩)
مُفَرَّقٍ لِلشَّمْلِ جَمَّاعُ

(١) الأفهار: حجارة يدق بها الطيب.

(٢) تزور: تنظر بضيقة.

(٣) الغممة: أصوات غير مفهومة، والعجاج: الغبار.

(٤) الكراديس: القطع العظيمة من الجيش.

(٥) المخدر: الأسد، والمصار: الفتاك.

(٦) الشلو: العضو المقطوع المطروح. والإجار: السطح، يريد أن ذلك الشلو قد سوي بالأرض فصار كالسطح على سطحها.

(٧) الحنظلة: نبات مرّ، وجار.

(٨) الحوامي: ميامن الحافر ومياسره، يشبه هامات القتل بجزور الميسر، أي أنها مقسمة بين حوافر الخيل.

(٩) الجمعاع: الموضع الضيق الخشن.

وبلدة صحصحت منها الرِّيا
 كأنَّها باضتَ نعامُ الفلا
 تراهُم عند احتماسِ الوغَى
 بكلِّ مأثورٍ على متنِهِ
 يَرْتدُّ طرفُ العينِ من حَدِّهِ
 لفَيْلقٍ كالسَّيلِ دَفَاعِ^(١)
 منهم بهامٍ فوقَ أذراعِ
 كأنَّهم جِنٌّ بأَجْراعِ^(٢)
 مثلُ مدبِّ النَّمْلِ في القاعِ
 عن كوكبٍ للموتِ لَمَاعِ

ومن قولنا في الحروب:

ورُبَّ مُلْتَقَاةٍ العُوالِي
 إذا تَوَطَّتْ حُزُونُ أَرْضِ
 يَقُودُهَا مِنْهُ لَيْثٌ غَابَ
 تَمْضِي بِآرَائِهِ سَيْوَفٌ
 بِيضٌ تَحُلُّ الْقُلُوبَ سُوداً
 تَتْبَعُهُ الطَّيْرُ فِي الْأَعَادِي
 أقدامُ إذْ كاعَ كُلُّ لَيْثٍ
 فَأَقْحَمَ الْخَيْلَ فِي غِمَارِ
 عَنَّتْ لَهُ أَوْجُهُ الْمَنَابِي
 يَلْتَمِعُ الْمَوْتُ فِي ذُرَاهَا^(٣)
 طَحَطَحَتِ الشَّمُّ مِنْ رُبَاهَا^(٤)
 إِذَا رَأَى فُرْصَةً قُضَاهَا
 يَسْتَبِقُ الْمَوْتُ فِي ظُبَاهَا^(٥)
 إِذَا انْتَضَى عِزْمَهُ انْتِضَاهَا^(٦)
 تَجْنِي كَلَا الْعُشْبِ مِنْ كُلَّهَا^(٧)
 عَنْ حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِذْ رَاهَا^(٨)
 تَفْغُرُ بِالْمَوْتِ لَهَوْتَاهَا^(٩)
 فَعَاْفَهَا الْقَوْمُ وَاشْتَهَاها

(١) صحصحت منها الرِّيا: أي جعلت مستوية.

(٢) الأَجْراع: الأرض ذات الحزونة، وقيل هي الرمال السهلة المستوية.

(٣) العوالي: الرماح.

(٤) تَوَطَّتْ: أي توطأت، وطحطحت الشَّم من ربها: أي كسرتها ودققتها.

(٥) الظبّا: الحد من السيف وغيره.

(٦) انتضى: استلَّ وشهر.

(٧) الكلا: العشب.

(٨) كاع: جبن.

(٩) تفغر: تفتح: اللهوة: من اللهاة.

فرسان العرب في الجاهلية والإسلام

ابن مكرم وقول حسان فيه:

كان فارس العرب في الجاهلية ربعة بن مُكَدَّم. من بني فراس بن غَنَم بن مالك
ابن كنانة، وكان يُعَقَّر على قبره في الجاهلية. ولم يُعَقَّر على قبر أحد غيره. وقال
حسان بن ثابت وقد مرَّ على قبره:

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيتَ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ
لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرِيبُ خَمْرِ مِسْعَرٍ لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّفَارُ وَطُولُ قَفْرِ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَجْبُو عَلَى عُرْقُوبِ^(١)

فراس بن غنم وكلمة لعل فيهم:

وكان بنو فراس بن غنم بن كنانة أنجد العرب. كان الرجل منهم يعدل عشرة من
غيرهم. وفيهم يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأهل الكوفة: من فاز بكم فقد
فاز بالسهم الأخيب، أبدلكم الله بي مَنْ هو شرُّ لكم، وأبدلني بكم من هو خيرٌ
منكم. وِدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ لِي بِجَمِيعِكُمْ - وَأَنْتُمْ مِائَةُ أَلْفٍ - ثَلَاثَاةٌ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ.

ومن فرسان العرب في الجاهلية عنزة الفوارس، وعُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ؛
وأَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مُلَاعِبُ الْأَسْنَةِ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ، وَبِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ، وَالْأَحْيَمِرُ
السَّعْدِيُّ، وَعَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدَّةٍ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرَبُ.

وفي الإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والزبير، وطلحة،
ورجال الأنصار: عبد الله بن خازم السُّلَمِيُّ، وعُبادُ بْنُ الْحُصَيْنِ، وَعُمَيْرُ بْنُ الْحَبَابِ،
وَقَطْرِيٌّ بْنُ الْفُجَاءَةِ، وَالْحَرِيشُ بْنُ هِلَالِ السَّعْدِيِّ، وَشَيْبِ بْنِ الْحُرُورِيِّ.

(١) المهمة: القفر والغلاة. والعرقوب: عصبٌ غليظ فوق العقب، ومن الدابة في رجلها كالركبة في يدها.

للعرب في بعض فرسانهم:

وقالوا: ما استحيا شجاع قطّ أن يفرّ من عبد الله بن خازم وقطريّ بن الفجاءة،
صاحب الأزارقة.

وقالوا: ذهب حاتم بالسخاء، والأحنف بالحلم، وخُرّم بالنعمة، وعُمير بن الحباب
بالشدة.

ابن خازم مع ابن زياد في جرد:

وبينا عبد الله بن خازم عند عبيد الله بن زياد إذ دُخل عليه بِجُرْدٍ أبيض، فعجب
منه عبيد الله، وقال: هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا؟ ونظر إليه، فإذا
عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ، واصفرّ كأنه جرادة ذكر فقال عبيد الله:
أبو صالح يعصى الرحمن، ويتهاون بالسلطان، ويقبض على الثعبان، ويمشي إلى الليث،
ويلقى الرماح بنحره، وقد آعتراه من جُرْدٍ ما ترون، أشهد أن الله على كل شيء
قدير.

وكان شبيب الحروريّ: يصيح في جنّات الجيش فلا يلوي أحد على أحد. وفيه
يقول الشاعر:

إِنَّ صَاحَ يَوْمًا حَسِبْتَ الصَّخْرَ مَنْحَدْرًا والريحَ عاصِفَةً والمَوْجَ يَلْتَطِمُ

ولما قُتل أمر الحجاج بشق صدره. فإذا له فؤاد مثل فؤاد الجمل. فكانوا إذا
ضربوا به الأرض ينزوا كما تنزو المئانة المنفوخة^(١).

لابن عباس في الأنصار:

ورجال الأنصار أشجع الناس؛ قال عبد الله بن عباس: ما استلّت السيوف، ولا
زحفت الزحوف، ولا أقيمت الصفوف، حتى أسلم ابنا قيلة: يعني الأوس والخزرج،
وهما الأنصار، من بني عمرو بن عامر من الأزد.

(١) ينزو: ينضج.

أبو براء لما أسن:

العتبي: لما أسنَّ أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخَرَفَوْه. ولم يكن له ولد يحميه، أنشأ يقول:

دَفَعْتُكُمْ عَنِّي وما دَفَعُ راحيةً بشيء إذا لم تَسْتَعِنْ بِالْأَنَامِلِ
يُضَعِّفُنِي حِلْمِي وكثرةُ جَهْلِكُمْ عليَّ وأني لا أَصُولُ بِجَاهِلٍ^(١)

لعلي في همدان:

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ رأى همدان وغنأها في الحرب يوم صفين:

ناديت هَمْدَانَ والأبوابُ مغلقةً ومثلُ هَمْدَانَ سَتَى فَتَحَةَ البابِ^(٢)
كالهَنُودِوانِيٍّ لم تَقْلَلْ مضارِبُهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غَيْرُ وَجَابٍ^(٣)

وقال ابن بَرَّاقة الحمداني:

كذبتُم وَبَيَّتِ اللهُ لا تَأْخِذُونَهَا مُرَاعِمَةً ما دامَ لِلسيفِ قائمٌ^(٤)
متى تَجْمَعُ القلبَ الذكيَّ وصارِمًا وأنفًا حَمِيماً تَحْتَنِبُكَ المَظالمُ
وكنْتُ إذا قومٌ عَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فهل أنا في ذا يا لَهْمْدَانَ ظالمُ
وقال تأبط شراً:

قليلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهَمِّ يُصِيبُهُ كثيرُ النوى شَتُّ الهوى والمسالِكِ
يَبِيْتُ بِمَوْمَاءٍ وَيُضْحِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرَوْرِي ظُورَ المِهالِكِ^(٥)
إذا حاصَ عينيه كرى النوم لم يَزَلْ لَهُ كَالِيٌّ من قلب شِيحانَ فَاتِكِ^(٦)

(١) أصول: أثب وأسطو. (٢) سَتَى: فتح.

(٣) تَقْلَلْ: تنصَّع، والوجاب: المضطرب. (٤) قائمُ السيف: مقبضه.

(٥) الموماء: المفازة لا ماء فيها، وجحيشاً: متفرداً ويعروري: أي يركب، واصله من اعرورى الدابة، إذا ركبها عارية الظهر.

(٦) حاص عينيه: ضيقها، والشيحان: الحازم.

وَيَجْعَلُ عَيْنَهُ رِبِيَّةً قَلْبَهُ إِلَى سَلَّةٍ مِنْ حَدٍّ أَخْلَقَ بِاتِكَ^(١)
إِذَا هَرَّةٌ فِي عَظْمٍ قَرْنٌ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَآيَا الضَّوَاحِكِ

وقال أبو سعيد المخزومي - وكان شجاعا :

وَمَا يُرِيدُ بَنُو الْأَغْبَارِ مِنْ رَجُلٍ بِالْجَمْرِ مُكْتَحِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتَمِلٍ^(٢)
لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلِيبٍ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌّ عَلَى وَجَلٍ^(٣)

ونظير هذا قول بشار العقيلي :

فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ^(٤)

بين ابن الزبير والأشتر :

وقال عبد الله بن الزبير : التقيت بالأشتر النخعي يوم الجمل ، فما ضربته ضربةً حتى
ضربني خساً أو ستاً ، ثم أخذ برجلي فألقاني في الخندق ، وقال : والله لولا قرابتك من
رسول الله ﷺ ما اجتمع منك عضو إلى آخر .

جائزة عائشة لمن بشرها بنجاة ابن الزبير :

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أعطت عائشة الذي بشرها بحياة ابن الزبير إذ التقى
مع الأشتر عشرة آلاف .

لمنعم في أخيه :

وذكر متمم بن نويرة أخاه مالكا وجلده ، فقال : كان يخرج في الليلة الصنبر^(٥) ،
عليه الشملة الفلوت ، بين المزادتين على الجمل الثفال^(٦) ، معتقِل الرُمح الخطي .
قالوا : وأبيك إن هذا هو الجلد .

(١) الربيّة : الرقيب ، والسلة : المرة من سلّ السيف إذا جرّده ، والأخلق : الأملس والباتك : القاطع .

(٢) الأغبار : جمع غير وهو بقية الحيض ، وهو من صفات اكزّم عندهم .

(٣) القليب : البر ، والوجل : الخوف . (٤) الدمنة : الخقد .

(٥) الصنبر : الشديدة البرد . (٦) الثفال : البطيء .

من عمر إلى ابن مقرن في الصائفة:

وكتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن وهو على الصائفة: أن استعين في حربك بعمر بن معد يكرب، وطليحة الأزري، ولا تولهما من الأمر شيئاً؛ فإن كل صانع أعلم بصناعته.

وقال عمرو بن معد يكرب يصف صبره وجلده في الحرب:

أَعَاذِلُ عُدَّتِي بَرْزِي وَرُعْمِي وَكُلَّ مُقْلَصٍ سَلَسِ الْقِيَادِ^(١)
أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي إِبْجَابِي الصَّرِيخَ إِلَى الْمَنَادِي^(٢)
مَعَ الْأَبْطَالِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ النَّجَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي
وَمَنْ عَجِبَ عَجِبْتُ لَهُ حَدِيثٌ بَدِيعٌ لَيْسَ مِنْ بَدْعِ السَّدَادِ
تَمَنَّى أَنْ يَلَاقِيَنِي أَبِي وَدِدْتُ وَأَيْنَمَا مَنِّي وَدَادِي
تَمَنَّى أَنِي وَسَابِغِي قَمِيصِي كَأَنْ قَتِيرَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ^(٣)
وَسَيْفٌ لَابِنِ ذِي كِنَعَانَ عِنْدِي تُخَيِّرُ نَصْلُهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لِلْقَيْتِ لَيْثاً هَمْصُوراً ذَا ظُبَاً وَشَبَاً حِدَادِ^(٤)
وَلَا سَتَيْقَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَصَرَخَ شَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي قَيْسِ بْنِ مَكْشُوحٍ الْمُرَادِي:

تَمَنَّى عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِسٌ أَسَدُهُ
عَلَيَّ مُفَاضَةٌ كَالنَّهْيِ أَخْلَصَ مَاءُهُ جَدَّةُ^(٥)
فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لِلْقَيْتِ لَيْثاً فَوْقَهُ لِبَدُهُ

(١) البر: السلاح، والمقلص: الفرس الطويل القوائم المشرف المشمر.

(٢) الصريخ: المستغيث به. (٣) السابقة: الدرع، والقدير: المسامير التي تكون بين حلقاتها.

(٤) المصور: الذي يقضي على فريسته.

(٥) المفاضة: الدرع الواسعة، والنهي: الغدير من الماء، والجدد: الأرض الصلبة، شبه الدرع بالغدير في صفاتها واطرادها.

سَبَّتَنِي ضَيْغاً هَصَراً صَلَخْداً نَاشِراً كَتَدَه^(١)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنَ تَيَمَّمَه فَيَعْتَصِدَه^(٢)
فِيأْخُذَه فَيُرْدِيَه فَيُخَفِّضُه فَيَقْتَصِدَه^(٣)
فَيَدْمَغُه فَيَحْطُمُه فَيُخَصِمُه فَيَزْدِرْدَه

المكيدة في الحرب

قال النبي ﷺ : الحرب خدعة .

وقال المهلب لبنيه : عليكم بالمكيدة في الحرب فإنها أبلغ من النجدة .

وكان المهلب يقول : أناة في عواقبها فوت ، خير من عجلة في عواقبها ترك^(٤) .

وقال مسلمة بن عبد الملك : ما أخذتُ أمراً قط بحزم فلمتُ نفسي فيه وإن كانت العاقبة عليّ . ولا أخذتُ أمراً قطّ وضيعتُ الحزم فيه إلا لُمتُ نفسي عليه وإن كانت لي العاقبة .

وسئل بعض أهل التمرس بالحرب : أيُّ المكايد فيها أحزم ؟ قال : إذكاء العيون^(٥) ، وإفشاء الغلبة ، واستطلاع الأخبار ؛ وإظهار السرور ، وإماتة الفرق^(٦) ، والآحتراس من البطانة^(٧) من غير إقصاء لمن يُستنصح ، ولا استناد لمن يُستغش ، وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره .

وفي كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال : يحذر المواثبة إن قُرب ، والغارة إن بُعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى .

بين المأمون والفضل بن سهل في رأي فات الأمين :

قال المأمون للفضل بن سهل : قد كان لأخي رأي لو عمل به لظفر . فقال له

(١) السبتي الجري ، المقدام ، والتمر ، والصلخد : الصلب القوي ، والناشر : المرتفع ، والكند : ما بين الكتفين .

(٢) تيممه : قصده ، ويعتصده : أي يحمله ويرفعه .

(٣) يقتصده : أي يقتله .

(٤) ترك : نيل . (٥) إذكاء العيون : نشر الجواسيس .

(٦) الفرق : الخوف . (٧) البطانة : الحاشية المقرّبة ، الخاصة .

الفضل: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال لو كتب إلى أهل خراسان وطبرستان والري ودُنياوند أنه قد وهب لهم الخراج لسنة، لم نخل نحن من إحدى خصلتين: إما ردنا فعله ولم نلتفت إليه فَعَصَانَا أَهْلُ هَذِهِ الْبِلْدَانِ وَفَسَدَتْ نِيَاتُهُمْ فَانْقَطَعُوا عَنْ مُعَاوَنَتِنَا . وإما قبلناه وأمضيناه فلا نجد ما نعطي منه مَنْ معنا، وتفرق جندنا ووهى أمرنا . فقال الفضل: الحمد لله الذي ستر هذا الرأي عنه وعن أصحابه .

وكتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب إليه: إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يُبصره .

لبعض أهل التمرس:

وكان بعض أهل التمرس يقول لأصحابه: شاوروا في حربكم الشجعان من أولي العزم، والجبنة من أولي الحزم؛ فإن الجبان لا يألو^(١) برأيه ما بقي مُهْجَمٌ، والشجاع لا يعدو ما يشدُّ نصرتكم؛ ثم خلَّصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم مَعَرَّةَ الْجَبَانِ^(٢)، وتهوّر الشجعان، فتكون أنفدً من السهم الزالج^(٣)، والحسام الوالج^(٤) .

بين الاسكندر ومؤدبه في مدينة فتحها:

وكان الإسكندر لا يدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها، حتى مرَّ بمدينة كان مؤدِّبُه فيها؛ فخرج إليه، فألطفه الإسكندر وأعظمه . فقال له: أصلح الله الملك، إن أحقَّ مَنْ زَيْنَ لَكَ أَمْرَكَ، وأعانَكَ على كل ما هَوَيْتَ لَأَنَا، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيكَ لمكاني منك، فأحب أن تشفعني فيهم، وألا تخالفني في كل ما سألتكَ لهم . فأعطاه من العهود والمواثيق على ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه قال: فإن حاجتي إليك أن تهدمها وتقتل أهلها . قال: ليس إلى ذلك سبيل، ولا بد من مخالفتك . فقال له: ارحل عنا .

(٢) معرة الجبان: أي عيبه وعاره .

(١) يألو: يقصّر .

(٣) الزالج: النافذ الذي يخترق المصاب به .

(٤) الوالج: الداخل .

سعيد بن العاص وحسن فتحه:

قيل: صالح سعيد بن العاص حصناً من حصون فارس على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، فقتلهم كلهم إلا رجلاً واحداً.

عمرو بن العاص وعلم قيسارية:

ابن الكلبي قال: لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل غزّة، فبعث إليه علجها^(١): أن أبعث إليّ رجلاً من أصحابك أكلمه. ففكر عمرو وقال: ما لهذا أحد غيري. قال: فخرج حتى دخل على العليج فكلّمه فسمع كلاماً لم يسمع قطّ مثله. فقال العليج: حدّثني: هل في أصحابك أحد مثلك؟ قال لا تسأل عن هذا، إني هينّ عليهم إذ بعثوا بي إليك وعرضوني لما عرضوني له، ولا يدرون ما تصنع بي. قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب: إذا مر بك فأضرب عنقه وخذ ما معه. فخرج من عنده فمرّ برجل من نصاري غسان فعرفه؛ فقال: يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج. ففطن عمرو لما أراحه، فرجع. فقال له الملك: ما ردّك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد. فقال: صدقت. أعجل بهم. وبعث إلى البواب أن خلّ سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمّن قال: لا عدتُ لمثلها أبداً. فلما صالحه عمرو ودخل عليه العليج قال له: أنت هو؟ قال: نعم، على ما كان من غدرك.

عمر والهرمزان:

وقال: ولما أتني بالهرمزان أسيراً إلى عمر بن الخطاب قيل له: يا أمير المؤمنين، هذا زعيم العجم وصاحب رستم^(٢) فقال له عمر: أعرض عليك الإسلام نصحاً لك في

(١) العليج: الكافر، وهنا رئيسها.

(٢) هو رستم بن فرخزاد، كان من أعظم رجال فارس وقائد جيوش يزدجرد ملك ساسان في وقعة القادسية، وقد قتل رستم في هذه الوقعة.

عاجلك وآجلك. قال: يا أمير المؤمنين، إنما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب في الإسلام. فدعا له عمر بالسيف. فلما هم بقتله قال: يا أمير المؤمنين، شربة من ماء أفضل من قتلي على ظمأ. فأمر له بشربة من ماء. فلما أخذها قال: أنا آمن حتى أشر بها؟ قال: نعم. فرمى بها وقال: الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلغ. قال: صدقت، لك التوقف عنك والنظر في أمرك؛ ارفعا عنه السيف. فلما رفع عنه. قال: الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وما جاء به حق من عنده. قال عمر: أسلمت خيراً إسلام، فما أخرك؟ قال كرهت أن تظن أني أسلمت جزعاً من السيف وإيثاراً لدينه بالرهبة. فقال عمر: إن لأهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك. ثم أمر به أن يُبرَّ ويُكرَّم، فكان عمر يشاوره في توجيه العساكر والجيوش لأهل فارس.

معن ونفر من الأسرى:

وهذا نظير فعل الأسير الذي أتى به معن بن زائدة في جملة الأسرى. فأمر بقتلهم، فقال له: أقتل الأسرى عطاشاً يا معن فأمر بهم فسقوا، فلما شربوا قال: أقتل أضيافك يا معن؟ فخلى سبيلهم.

ملك من ملوك العجم:

وذكروا: أن ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً ببعد الغور^(١) ويقظة الفطنة وحسن السياسة، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجه إليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يُظهر محاربته، فيكشف عن ثلاث خصال من حاله؛ فكان يقول لعيونه: انظروا، هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها أم يخدعه عنها المنهي ذلك إليه؟ وانظروا إلى الغنى في أي صنف هو من رعيته، أفيمن اشتد أنفه وقلَّ شرهه، أم فيمن قلَّ أنفه واشتد شرهه؟ وانظروا في أي صنف من رعيته

(١) بعد الغور: يعني عمق التفكير.

القَوَامُ بأمره؟ أفيمَن نظر ليومه وغده، أم مَن شغله يومه عن غده؟ فإن قيل له: لا يُخَذَّع عن أخباره؛ والغِنَى فيمن قلَّ شرُّه واشتدَّ انْفِه، والقَوَامُ بأمره مَن نَظَرَ ليومه وغده، قال: اشتغلوا عنه بغيره. وإن قيل له ضدُّ ذلك قال: نارُ كائنةٍ تنتظرُ موقِداً، وأضغانٌ مُزملَةٌ^(١) تنتظرُ مَخْرَجاً، اقصدوا له، فلا حِينَ أَحِينُ من سلامةٍ مع تضييع، ولا عدوّ أعدى من أَمْنٍ أدَى إلى اغترار.

وقية ملك الهياطلة بيزدجرد:

كانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ، ثم نزلت بابل، ثم نزل أردشير ابن بابك فارس، فصارت دارَ مملكتهم، وصار بخراسان ملوكُ الهياطلة وهم الذين قتلوا فيروز بن يَزْدَجَرْد بن بهرام مَلِك فارس، وكان غزاهم؛ فكاده ملكُ الهياطلة بأن عمَد إلى رجل ممن عرفه بالمكيدة وحُسن الإدارة، فأظهر السخط عليه وأوقع به على أعين الناس توقيعاً قبيحاً ونكلاً به تنكيلاً شديداً. ثم أرسله وقد واطأه^(٢) على أمر أبطنه معه وظاهره عليه فخرج حتى أتى فيروز في طريقه، فأظهر النزوع^(٣) إليه والاستنصار به من عظيم ما ناله. فلما رأى فيروز ما به من التوقيع والنكاية فيه، وثِقَ به واستنام إليه. فقال: أنا أدلك أيها الملك على غِرة القوم وعورتهم وأعلمك مكانَ غفلتهم. فسلك به سبيلَ مهلكةٍ مُعْطِشَةٍ؛ ثم خرج إليه ملك الهياطلة فأسره وأكثرَ أصحابه، فسألهم أن يمينوا عليه وعلى من معه، وأعطاهم موثقاً لا يغزوهم أبداً، ونصب لهم حجراً جعله حداً بينه وبينهم، وحلف لهم ألاَّ يجاوزوه هو ولا جنوده، وأشهد الله عليه وعلى من حضر من قرابته وأساورته؛ فمَنُوا عليه وأطلقوه ومن معه. فلما عاد إلى مملكته أخذته الأنفة بما أصابه، فعاد إلى غزوههم ناكثاً لعهد غادراً بذمته، إلا أنه تَلَطَّف في ذلك بحيلة ظنَّها مَجْرِيَّةً في أيمانه، فجعل الحجر الذي نصبه لهم على فيل في مقدِّمة عسكره، وتأوَّل في ذلك أنه لا يجاوزوه فلما صار إليهم ناشدوه

(١) أضغان مُزملَةٌ: أحقاد مستورة ومغطاة.

(٢) واطأه: اتفق معه. (٣) النزوع: الميل والتقرب.

الله وذَكَرُوهُ الأَيْمَانُ بِهِ، وما جعل على نفسه من عهده وذمته، فأبى إلا لجأجأ^(١) ونكثاً. فواقعوه فظفروا به فقتلوه وقتلوا حُماته واستباحوا عسكره.

للنبي صلى الله عليه وسلم:

أسامة بن زيد اللَّيْثِي قال: كان النبي ﷺ إذا غزا أخذ طريقاً وهو يريد أخرى، ويقول: الحرب خدعة.

مالك الخثعمي وتسميته بالثعلب:

زياد عن مالك بن أنس قال: كان مالك بن عبد الله الخثعمي، وهو على الصائفة. يقوم في الناس كلما أراد أن يرحل؛ فيحمد الله تعالى ويثني عليه ثم يقول: إني دارب^(٢) بالغداة إن شاء الله تعالى دربَ كذا. فتتفرق الجواسيس عنه بذلك؛ فإذا أصبح الناس سلك بهم طريقاً أخرى. فكانت تُسميه الروم: الثعلب.

وصايا أمراء الجيوش

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح: إنه بلغني أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً أو سرية قال: اغزُوا بِسْمِ اللَّهِ، وفي سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تَغْلُوا ولا تَغْدُرُوا ولا تُمَثِّلُوا ولا تَقْتُلُوا امرأة ولا وليداً. فإذا بعثت جيشاً أو سرية فمرهم بذلك.

وكان عمر بن الخطاب يقول عند عقد الألوية: بسم الله وبالله وعلى عون الله. امضوا بتأييد الله. وما النصر إلا من عند الله ولزوم الحق والصبر. فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. ولا تَجَبَّنُوا عند اللقاء، ولا تُمَثِّلُوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هَرِماً ولا امرأة ولا وليداً،

(١) لجأجأ: تمادياً ومعاودة لسيرته والنكث: عدم الوفاء بالعهد والميثاق.

(٢) دارب: سالك.

وَتَوَقَّوْا قَتْلَهُمْ إِذَا تَقَى الزَّحْفَانِ، وَعِنْدَ شَنِ الْغَارَاتِ .

أبو بكر يوصي يزيد بن أبي سفيان:

ولما وجه أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام شيعه راجلاً . فقال له يزيد: إما أن تركب وإما أن أنزل . فقال: ما أنت بنازل وما أنا براكب . إني أحسب خطاي^(١) هذه في سبيل الله . ثم قال: إنك ستجد قوماً حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له - يعني الرهبان - وستجد قوماً فحصوا^(٢) عن أوساط رؤسهم الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف . ثم قال له: إني موصيك بعشر: لا تغدر، ولا تمثّل، ولا تقتل هَرِماً ولا امرأة ولا وليداً، ولا تقِرّن شاة ولا بعيراً إلا ما أكلتم، ولا تحرقنّ نخلاً، ولا تحرقنّ عامراً، ولا تغلّ ولا تبخس .

أبو بكر يوصي خالد بن الوليد:

وقال أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد، حين وجهه لقتال أهل الردّة: سير على بركة الله، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً من الحملة، فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسير بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح، فإنّ بعضه ليس منه؛ واحترس من البيّات، فإنّ في العزب غرة^(٣)؛ وأقلل من الكلام، فإنما لك ما وُعِيَ عنك؛ واقبل من الناس علانيتهم، وكلهم إلى الله في سرائرهم، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

من خالد إلى مرازمة فارس:

كتب خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس مع ابن نُفيلة الغساني: الحمد لله الذي فضّ حُرمتكم^(٤)، وفرّق جمعكم، وأوهن بأسكم، وسلّب ملككم، وأذلّ عزكم؛ فإذا أتاكم كتابي هذا فابعثوا إليّ بالرّهن، واعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا

(١) احتسب خطاي: أي أجعلها واحتسبها . (٢) فحصوا: قلبوا وكشفوا .

(٣) الغرة: الغفلة، وعدم الخبرة . (٤) فضّ حُرمتكم: فرقها .

والله الذي لا إله إلا هو، لأسيرن إليكم يقوم يُحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا .

من عمر إلى ابن أبي وقاص :

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنها - ومن معه من الأجناد :

أما بعد ؛ فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ؛ فإن تقوى الله أفضلُ العدة على العدو، وأقوى المكيمة في الحرب، وأمرُك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتِراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم، وإِنَّمَا يُنْصَرُّ المسلمون بمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لَهِ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ؛ لِأَنَّ عِدَدَنَا لَيْسَ كَعِدَدِهِمْ، وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ، فَإِذَا اسْتَوَيْنَا^(١) فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ، وَإِلَّا نُنْصَرَّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . وَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي مَسِيرِكُمْ حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ، وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ وَلَا تَقُولُوا إِنْ عَدُونَا شَرٌّ مِنَّا فَلَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا وَإِنْ أَسَآنَا ؛ فَرُبَّ قَوْمٍ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ، كَمَا سَلَّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاخِطِ اللَّهِ كَقَارِ الْمَجُوسِ ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾^(٢) . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ، وَلَا تُجَشِّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُهُمْ، وَلَا تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ، حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ وَالسَّفَرَ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ، فَإِنَّهُمْ سَائِرُونَ إِلَى عَدُوِّهِمْ مَقِيمٌ حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ^(٣) . وَأَقِمْ مَعَكُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً، حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يَجْمُونَ^(٤) فِيهَا أَنْفُسَهُمْ، وَيَرْمُونَ^(٥) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ . وَنَحْ مِنْزِلَهُمْ عَنْ قَرَى أَهْلِ

(١) استوينا في المعصية: أي كنا سواء . (٢) سورة الإسراء الآية ٥ .

(٣) الكراع: الخيل . (٤) يجمون فيها أنفسهم: أي يريحونها .

(٥) يرمون: يصلحون .

الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه . ولا يَرَزَاً أحداً من أهلها شيئاً: فإن لهم حرمة وذمة ابتليت بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولّوهم خيراً، ولا تستبصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح . وإذا وطئت أدنى أرض العدو فأذكِ العيون بينك وبينهم، ولا يخفَ عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإنّ الكذب لا ينفعلك خبره وإن صدّقك في بعضه، والغاشّ عينٌ عليك وليس عيناً لك . وليكن منك عند دنوّك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم . فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم . وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخيّر لهم سوابق الخيل؛ فإن لقوا عدوّاً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك . واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلال، ولا تخصّ بها أحداً بهوى، فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت^(١) به أهل خاصيتك . ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية^(٢)؛ فإذا عاينت العدو فاضمّ إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوك كصنعه بك، ثم أذكِ أحراسك على عسكريك، وتحفظ من البيات^(٣) جهذك . ولا تؤت بأسيرٍ له عهد إلا ضربت عنقه، لترهب بذلك عدوّ الله وعدوك . والله ولي أمرك ومن معك، ووليّ النصر لكم على عدوّكم، والله المستعان .

عبد الملك يوصي أميره إلى أرض الروم:

وأوصى عبد الملك بن مروان أميراً سيره إلى أرض الروم فقال: أنت تاجرُ الله لعباده، فكن كالمضارب الكيس^(٤) الذي إن وجد رجماً تجرّ وإلا تحفظ برأس المال .

(١) حابيت: توددت وأظهرت الميل .

(٢) النكاية: القهر والقلبة . (٣) البيات: الإقامة ليلاً .

(٤) الكيس: العاقل اللبق .

ولا تطلب الغنيمة حتى تحزّز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشدّ حذراً من احتيال عدوك عليك .

زياد يوصي قواده:

وكان زياد يقول لقواده: تجنّبوا آئنين لا تقاتلوا فيهما العدو: الشتاء، وبطون الأودية .

بين الوليد وعباد في زياد:

وأغزى الوليدُ بن عبد الملك جيشاً في الشتاء، فغنموا وسلموا . فقال لعباد: يا أبا حرب، أين رأي زياد من رأينا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد أخطأت، وليس كل عورة تُصاب .

معاوية وقد أراد استعمال ابن خالد ثم الغامدي:

العُتبي قال: جاشت الرّوم وغزت المسلمين براً وبحراً، فاستعمل معاوية على الصائفة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فلما كتب له عهده قال: ما أنت صانع بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً لا أعصيه . قال: أرُدّد عليّ عهدي . ثم بعث إلى سُفيان ابن عوف الغامديّ فكتب له عهده، ثم قال له: ما أنت صانع بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً أمام الحزم، فإن خالفه خالفته . فقال معاوية: هذا الذي لا يُكفّك من عجلة، ولا يُدفع في ظهره من خور^(١)، ولا يُضرب على الأمور ضربَ الجمل الثفال^(٢) .

دريد وابن عوف النصري:

وقال دريد بن الصّمة لمالك بن عوف النصري، قائد هوازن، يوم حنين: يا مالك، إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك، وإنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رُغاء البعير، ونهيق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سقتُ مع الناس

(١) خور: أي سقط وضعف . (٢) الثفال: البطيء .

أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : وَلِمَ ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجلٍ أهله وماله ليقاتل عنهم . فأنقض به ^(١) ، وقال : راعي ضأن الله ! وهل يَرُدُّ المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك ، فُضِحَتْ في أهلك ومالك ؛ وَنَحَكَ ! إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن ^(٢) إلى نحر الخيل شيئاً ، أرفعهم إلى مُتَمَنِّعٍ بلادهم وعُلياً قومهم ، ثم الق الصِّبَاءَ ^(٣) على متون الخيل ؛ فإن كانت لك لَحِقَ بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك . قال : لا والله لا أفعل ذلك ؛ إنك قد كبرت وذهل عقلك . قال دريد : هذا يوم أشهده ولم يَفْتِنِي . ثم أنشأ يقول :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ أَخْبٌ فِيهَا وَأَضَعٌ ^(٤)
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعٌ ^(٥)

لقتيبة ينصح أصحابه :

وكان قتيبة بن مُسلم يقول لأصحابه : إذا غزوتم ، فأطيلوا الأظفار ، وقصّروا الشعور ، والحظوا الناس شُرّاً ^(٦) ، وكلّموهم رمزاً ، واطعنوهم وخزاً ^(٧) .

لأبي مسلم ينصح قواده :

وكان أبو مسلم يقول لقواده : أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها من أسباب الظفر ، وأكثرُوا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزمو الطاعة فإنها حصن المحارب .

(١) انقض به : أي أنكر عليه ، وزجره . (٢) بيضة هوازن : أي جماعتهم .

(٣) الصباء : يريد المسلمين ، كان المشركون يسمونهم بهذا الاسم لأنهم تركوا دينهم وخرجوا من دين الجاهلية إلى الاسلام .

(٤) الجدع : الشاب أو الخبب والوضع : ضربان من السير .

(٥) الوطفاء : الطويلة الشعر ، والزمع : الشعر الذي فوق مريط قيد الدابة ، والشاة : الوعل أي تيس الجبل ، هنا ، والصدع : من الأوعال والظباء والحر : الفتي الشاب القوي .

(٦) شُرّاً : أي بمؤخرة عيونكم ، غصابي . (٧) الوخز : أي كوخز الابر .

وكان سعيد بن زيد يقول لبنيه: قَصِّروا الأَعْنَةَ، واشحذوا الأسنة، تأكلوا
القريب، ويرهبكم البعيد .

المنصور وعيسى ابن موسى:

وقال عيسى بن موسى: لما وجهني المنصور إلى المدينة لمحاربة عبد الله بن الحسن،
جعل يُوصيني ويكثر، فقلت: يا أمير المؤمنين، إلى متى توصيني؟
إني أنا ذاك الحسامُ الهندي أكلتُ جَفَنِي وقرئتُ غَمْدِي^(١)
فكلُّ ما تَطْلُبُ عندي عندي

المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير

لجعل يصف لعبد الملك قومه:

قال عبد الملك بن مروان لجُعيل بن علقمة الثعلبي: ما مَبْلَغُ عَزْمِ؟ قال: لم يُطَمَعْ
فينا ولم يُؤْمَنَ مِنَّا. قال: فما مبلغ حِفْظِكُمْ؟ قال: يدفع الرجل منا عمن استجار به
غير قومه كدفاعه عن نفسه. قال عبد الملك: مثلك من يصف قومه.

لابن مطاع:

وقال عبد الملك بن مروان لابن مُطاع العنزى: أخبرني عن مالك بن مِسْمَعٍ قال
له: لو غضب مالكُ لغضب معه مائة ألف سيف لا يسألونه في أي شيء غضب. قال
عبد الملك: هذا والله السُّودد.

قال: ولم يَلِ قطُّ مالكُ بن مِسْمَعٍ ولا أسماءُ بن خارجة شيئاً للسلطان.

للعرب في الدفاع عن الجار:

وكانت العرب تمتدح بالذَّبِّ^(٢) عن الجار، فيقولون: فلانٌ منيعُ الجار حامي

(١) الجفن: غمد السيف، وفريت: قطعت. (٢) الذب: الدفاع.

الذمار^(١). نعم، حتى كان فيهم من يحمي الجراد إذا نزل في جواره، فسُمي مجير الجراد.

وقال مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة ويصف مفاخر بني شيبان ومنعهم لمن أستجار بهم:

هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا أَجَابُوا، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لِحَاثِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنْزِلُ^(٢)

وقال آخر:

هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّهُ كَثِيبَةُ زَوْرٍ بَيْنَ خَافِئَتَيْ نَسْرِ^(٣)

معاوية وهانيء في مال اختانه ابن شهاب:

وذكر أن معاوية ولّى كثير بن شهاب المذحجي خراسان، فاختان مالا كثيرا. ثم هرب فاستتر عند هانيء بن عروة المرادي. فبلغ ذلك معاوية فهدر دم هانيء. فخرج هانيء إلى معاوية، فكان في جواره. ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه. فلما نهض الناس ثبت مكانه، فسأله معاوية عن أمره، فقال: أنا هانيء بن عروة، فقال: إن هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك:

أَرْجَلُ جُمُعَتِي وَأَجْرُ ذَيْلِي وَتَحْمِلُ شِكَّتِي أَفَقَّ كُمَيْتُ^(٤)
وَأَمْشِي فِي سَرَاةِ بَنِي غُطَيْفٍ إِذَا مَا سَاءَ لِي أَمْرٌ أَيْتُ^(٥)

قال: أنا والله يا أمير المؤمنين اليوم أعز مني ذلك اليوم. قال: بَمَ ذلك؟ قال: بالإسلام. قال: أين كثير بن شهاب؟ قال: عندي وعندك يا أمير المؤمنين. قال: انظر إلى ما اختانه فخذ منه بعضاً وسوِّغه بعضاً، وقد أمَّناه ووهبناه لك.

(١) الذمار: ما يحمي ويدافع عنه كالعرض والشرف.

(٢) السماكين: نجمين في السماء.

(٣) كثيبة الزور: أي مجتمعه. والخافية: الريش في الجناح بعد القوادم جمعة: خوافي.

(٤) الأفق: الفرس الرائعة الكريمة. (٥) السراة: السادة.

مقتل محمد ابن أبي بكر:

الشياباني قال: لما نزل محمد بن أبي بكر مصر وصيّر إليه معاوية معاوية بن حديج الكندي. تفرّق عن محمد من كان معه، فتغيّب فذلّ عليه، فأخذه فضرب عنقه وبعث برأسه إلى معاوية. فكان أول رأس طيف به في الإسلام. وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه، فاستجار بأخواله من خثعم فغيبوه؛ وكان سيّد خثعم يومئذ رجلاً في ظهره بَزَخ^(١) من كسر أصابه، فكان إذا مشى ظنّ الجاهل أنه يتبختر في مشيته، فذكر لمعاوية أنه عنده، فقال له: أسلم إلينا هذا الرجل. فقال: ابن أختنا لجأ إلينا لنحقن دمه، فدعّه عنك يا أمير المؤمنين. قال: والله لا أدعه حتى تأتيني به. قال: لا والله لا آتيك به. قال: كذبت، والله لتأتيني به، إنك ما علمت لأوره^(٢). قال: أجل، إني لأوره حين أقاتلك على ابن عمك لتحقن دمه، وأقدّم ابن عمي دونه تسفك دمه. فسكت عنه معاوية وخلّى بينه وبينه.

المهدي ومعن في رجل أهدر دمه:

الشياباني قال: قال سعيد بن سلم: أهدر المهدي دم رجل من أهل الكوفة فأقام الرجل حيناً متوارياً، ثم إنه ظهر بمدينة السلام، فكان ظاهراً كغائب، خائفاً مترقباً. فبينما هو يمشي في بعض نواحيها إذ بصّر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأهوى إلى مجامع ثوبه وقال هذا بُغْيَةُ أمير المؤمنين. فأمكن الرجل من قياده ونظر إلى الموت أمامه. فبينما هو على تلك الحالة إذ سمع وقع الخوافر من وراء ظهره، فالتفت فإذا معن بن زائدة، فقال: يا أبا الوليد، أجرتني أبارك الله. فوقف وقال للرجل الذي تعلق به: ما شأنك؟ قال: بُغْيَةُ أمير المؤمنين الذي أهدر دمه وأعطى لمن ذلّ عليه مائة ألف. فقال: يا غلام، أنزل عن دابتك واحمل أخانا. فصاح الرجل: يا معشر الناس، يُحالُ بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين. قال له معن: اذهب فأخبره أنه عندي. فانطلق إلى باب أمير المؤمنين فأخبر الحاجب، فدخل إلى المهدي فأخبره، فأمر بحبس

(١) البزخ: خروج الصدر ودخول الظهر. (٢) الأوره: الأحق.

الرجل ووجهه إلى معن من يحضر به، فأنته رسلُ أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقُرِبَ إليه دابته، فدعا أهل بيته ومواليه فقال: لا يُخْلَصَنَّ^(١) إلى هذا الرجل وفيكم عينٌ تطرف. ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدي، فلم يردَّ عليه، فقال: يا معن، أتعجير عليّ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ونعم أيضاً! واشتدَّ غضبه. فقال معن: يا أمير المؤمنين، قَتَلْتُ في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً، ولي أيام كثيرة قد تقدّم فيها بلائي وحسن غنائِي، فما رأيتموني أهلاً أن تهبوا لي رجلاً واحداً أستجار بي؟ فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه وقد سرِّي عنه^(٢)، فقال: قد أجزنا من أجزت. قال معن: فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله - فيكون قد أحياه وأغناه - فَعَلَّ. قال: قد أمرنا له بخمسة آلاف. قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ صلات الخلفاء على قدر جنایات الرعية وإن ذنب الرجل عظيم؛ فأجزل له الصلة. قال: قد أمرنا له بمائة ألف. قال: فَتَعَجَّلْهَا يا أمير المؤمنين بأفضل الدعاء. ثم انصرف ولحقه المال؛ فدعا الرجل فقال له: خذ صلتك والحق بأهلك، وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى.

الجبين والفرار

لعمر بن معديكرب في الفرعات:

قال عمرو بن معديكرب: الفرعات ثلاث: فمن كانت فَرَعَتَه في رجله فذلك الذي لا تُقِلُّه رجلاه، ومن كانت فَرَعَتَه في رأسه فذلك الذي يفرُّ عن أبويه، ومن كانت فَرَعَتَه في قلبه فذلك الذي يقاتل.

وقال الأحنف: أسرع الناس إلى الفتنة، أقلهم حياة من الفرار.
وقالت عائشة أم المؤمنين: إنَّ لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير، كلما خَفَقَت الريح خفقت معها؛ فأفَّ للجبنة!

وقال الشاعر:

(١) لا يخلصن: لا يصل أحل إليه. (٢) سرِّي عنه: زال غضبه.

يَقِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ أَمِّ نَفْسِهِ وَيَحْمِي شَجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ
وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ وَيُحَرِّمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ^(١)

وقال خالد بن الوليد عند موته: لقد لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسمي موضعُ شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رميةٌ؛ ثم هأنذا أموت حتفَ نفسي كما يموت العير^(٢)؛ فلا نامت أعينُ الجبناء.

للفرار السلمي في الفرار:

ومن أشعار الفرّارين الذين حسّنوا فيها الفرار على قبحه حتى حسن، قول الفرّاء السلمي^(٣):

وكتيبةٌ لبّستها بكتيبةٍ حتى إذا التّبتّت أملتُ بها يدي^(٤)
وتركتهم تقصُّ الرياحُ ظهورهم من بين مقتولٍ وآخرٍ مُسندٍ^(٥)
هل ينقّعنّي أن تقولَ نساؤهم وقُتِلْتُ دونَ رجالها: لا تبعدِ

للحارث بن هشام في الفرار:

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى: ما أعذر أحد من الفرّارين بأحسن مما أعذر به الحارث بن هشام حيث يقول:

الله يعلم ما تركتُ قتالهم حتى رموا مُهري بأشقر مُزبد
وعلمت أنّي إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدفتُ عنهم والأحبةُ فيهم طمعاً لهم بعقابٍ يوم مرصدٍ^(٦)

وهذا الذي سمعه صاحب رتبيل فقال: يا معشر العرب، حسّنتم كلّ شيء فحسّنت

حتى الفرار.

(١) معروف الجواد: أي كرمه. (٢) العير: الخمار.

(٣) هو حيان بن الحكم شاعر مخضرم صحابي، كان صاحب راية بني سليم يوم الفتح.

(٤) لبّستها: أي خلطتها، ونفضت لها يدي: كناية عن الاعراض عنها.

(٥) تقص: تكسر وتقصم. (٦) صدفت عنهم: أعرضت عنهم.

وبعد هذا يأتي قول حسان في ذلك .

وأسلم الحارث يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر إلى الشام من مكة بأهله وماله ، فاتبعه أهل مكة يبيكون ، فرق وبكى وقال : أما لو كنا نستبدل داراً بدارنا ، أو جاراً بجارنا ، ما رأينا بكم بدلاً ؛ ولكنها النقلة إلى الله فلم يزل هناك مجاهداً حتى مات .

وقال آخر :

قامت تُشجّعني هندٌ وقد علمت أن الشجاعة مقرُون بها العطبُ
لا والذي منعَ الأبصارَ رؤيتهُ ما يشتهي الموتَ عندي من له أدبُ
للحرب قومٌ أضلَّ اللهَ سغيهمُ إذا دعتهُم إلى نيرانها وثبوا
ولستُ منهم ولا أهوى فعالمهمُ لا القتلُ يُعجبني منها ولا السلبُ

وقال محمود الوراق :

أيها الفارسُ المشيخُ المغيرُ إن قلبي من السلاحِ يطيرُ^(١)
ليسَ لي قوَّةٌ على رهجِ الخيِّ - ل - إذا ثورَ الغبارِ مُثيرُ^(٢)
واستدارتُ رَحَى الحروبِ بقومٍ فقتيلٌ وهاربٌ وأسيرُ^(٣)
حيثُ لا ينطقُ الجبانُ من الدُّعْرِ ويعلو الصيَّاحُ والتَّكبيرُ
أنا في مثلِ ذا وهذا بليدٌ وليبَّ في غيرهِ نحريرُ^(٤)

وقال أيمن بن خريم :

إنَّ لِلْفِتْنَةِ مِيطاً بَيْنَا فَرُوَيْدَ المِيطِ منها يعتدلُ^(٥)
فإذا كانَ عطاءً فَأَتِهِمُ وإذا كانَ قتالاً فاعْتَزِلْ
إنما يُوقِذُها جَهَّالُها حطَبَ النَّارِ فدَعَّها تشعلُ

(١) المشيخ : الجاد الماضي في أموره . (٢) الرهج : الغبار الساطع .

(٣) الرَحَى : الطاحون . (٤) النحرير : العالم .

(٥) الميط : الهياج والصخب .

لصاحب كليلة ودمنة:

ومما يحتج به الفارّون: ما قاله صاحب كليلة ودمنة: إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدّاً منه؛ لأن النفقة^(١) فيه من النفس، والنفقة في غيره من المال.

أخذ هذا المعنى حبيب فنظمه في شعره حيث يقول:

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ إِنَّمَا نَفَقَاتُهُمْ مَالٌ وَقَوْمٌ يَنْفِقُونَ نَفْسًا

ومن الفرّارين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فرّ من الأزارقة وكان في عشرة آلاف، وكان قد بعث إليه المهلب: يا بن أخي، خذْ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ، فَإِنِّي عَالِمٌ بِأَمْرِ الْخَوَارِجِ، وَلَا تَغْتَرَّ. فبعث إليه: أنا أعلم بهم منك، وهم أهونُ عليّ من ضَرْطَةِ الْجَمَلِ فَبَيْتَهُ قَطْرِيّ صَاحِبُ الْأَزَارِقَةِ فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَمْسًا، وَفَرَّ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ. فقال فيه الشاعر:

تَرَكْتَ وَلِدَانَا تَدْمَى نَحْوَهُمْ وَجِئْتَ مُنْهَزِمًا يَا ضَرْطَةُ الْجَمَلِ

ومن الفرّارين أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد؛ فرّ يوم مرداء هَجَرَ من أبي فديك، فسار من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام، فجلس يوماً بالبصرة فقال: سرت على فرسي «المِهْرَجَانِ» من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام. فقال له بعض جلسائه: أصلح الله الأمير، فلو ركبت «النَّيْرُوزَ» لسرت إليها في يوم واحد. فلما دخل عليه أهل البصرة لم يروا كيف يُكَلِّمُونَهُ، وَلَا مَا يُلْقُونَهُ مِنَ الْقَوْلِ، أَيَسْتَثْنُوهُ أَمْ يُعَزِّوْنَهُ؛ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهِمِّ فَاسْتَشْرَفَ^(٢) النَّاسُ لَهُ، وَقَالُوا: مَا عَسَى أَنْ يُقَالَ لِلْمُنْهَزِمِ؟ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالصَّابِرِ الْمَخْذُولِ، الَّذِي خَذَلَهُ قَوْمُهُ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَظَرَ لَنَا عَلَيْكَ وَلَمْ يَنْظُرْ لَكَ عَلَيْنَا فَقَدْ تَعَرَّضْتَ لِلشَّهَادَةِ جِهْدَكَ، وَلَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ حَاجَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَيْكَ، فَأَبْقَاكَ لِمَنْ يَخْذُلَانِ مَنْ مَعَكَ لَكَ. فقال أمية بن عبد الله: ما وجدت أحداً أخبرني عن نفسي غيرك. وفيه يقول الشاعر:

(١) النفقة: الموت، ونفقت الماشية: هلكت.

(٢) استشرف الناس له توجهت إليه الأبصار.

إِذَا صَوَّتَ الْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ^(١)

الحجاج وخيل لأمية:

أتى الحجاج بدواب من دواب أمية قد وُسم على أفخاذها: «عُدَّة» فأمر الحجاج أن يكتب تحت ذلك: «للفرار».

وقال أبو دُلَامة: كنت مع مروان^(٢) أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فقتله، ثم ثان، ثم ثالث. فانقبض الناس عنه، وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم^(٣)، فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟ قال: فلما سمعتُ عشرة آلاف هانت عليّ الدنيا وسَخَوْتُ بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه. فإذا عليه قَرُوءٌ قد بلّه المطر فارْمَعْلَ^(٤)، ثم أصابته الشمس فاقفعل^(٥)، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان؛ فلما رآني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

وَخَارِجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ فِي الْمَوْتِ وَقَعَ
مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ

فلما رأيته قَنَعْتُ رأسي ووليت هارباً ومروان يقول: مَنْ هذا الفاضح؟ لا يفوتكم! فدخلت في غمار الناس.

لأعرابي في الغزو:

وقيل لأعرابي: ألا تغزو العدو؟ قال: وكيف يكونون لي عدوًّا وما أعرفهم ولا يعرفونني؟

(١) الثرايد: أي الأكل السهل الطري، والثريد: طعام من خبزٍ مفتت ومرق.

(٢) هو مروان بن محمد.

(٣) المغتلم: المتهيج.

(٤) فارمعل: ابتل.

(٥) فاقفعل: أي تقبّض.

وقيل للآخر: ألا تغزو العدو؟ قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أخب^(١) إليه ركضاً!

لحسان يعير الحارث بن هشام:

ومما قيل في الفرارين الجبناء من الشعر قولُ حسان بن ثابت يعير الحارث بن هشام بفراره يوم بدر، وقد تقدم ذكر ذلك:

إِنْ كُنْتَ كاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَنجوتَ مَنْجَى الحارثِ بنِ هشام
تَرَكَ الأَحِبَّةَ لَمْ يُقَاتِلْ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ^(٢)
مَلَأَتْ بِهِ الفَرْجَيْنِ فامتدَّتْ بِهِ وَتَوَى أَحَبَّهُ بِشَرِّ مُقَامِ

وقال بعض العراقيين في رجل أكل جبان:
إِذَا صَوَّتَ العُصْفُورُ طَارَ فؤادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ

وقال فيه:

ضَعِيفُ القَلْبِ رَعْدِيدٌ عَظِيمُ الخَلْقِ وَالْمَنْظَرِ^(٣)
رَأَى فِي النُّومِ عُصْفُوراً فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْهُرُ

وقال آخر:

لَوْ جَرَتْ خَيْلٌ نُكُوصاً جَرَتْ خَيْلٌ دُفَافَةً^(٤)
هِيَ لَا خَيْلٌ رَجَاءٍ لَا وَلَا خَيْلٌ مَخَافَةٍ

وقال آخر:

خَرَجْنَا نُرِيدُ مُغَاراً لَنَا وَفِينَا زِيَادُ أَبُو صَعْصَعَةٍ
فَسَتُّهُ رَهْطٍ بِهِ خَمْسَةٌ وَخَمْسَةُ رَهْطٍ بِهِ أَرْبَعَةٌ

(١) الخب: نوع من العدو.

(٢) الطمرة: الأنثى من الجياد، وهي المستفزة للوثب والعدو، وقيل: هي الطويلة القوائم.

(٣) رعديد: جبان.

(٤) النكوص: الهرب والتراجع.

ولم يقل أحد في وصف الجبن والفرار مثل قول الطرماح في بني تميم:
 تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتُ سُبُلَ الْمَكَارِمِ ضَلَلْتُ
 وَلَوْ أَنَّ بُرْغُوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ رَأَتْهُ تَمِيمٌ يَوْمَ زَحْفٍ لَوَلَّتْ
 وَلَوْ جَمَعَتْ يَوْمًا تَمِيمٌ جُوعَهَا عَلَى ذَرَّةٍ مَعْقُولَةٍ لَا شَمَلَتْ^(١)

وليس يُعَابُ الشَّجَاعُ وَالْبُهْمَةُ الْبَطْلُ بِالْفَرَّةِ الْوَاحِدَةِ تَكُونُ مِنْهُ خَاصَّةٌ لَا عَامَّةٌ؛ كَمَا
 قَالَ زُفَرُ بْنُ الْخَارِثِ وَفَرَّ يَوْمَ مَرْجٍ رَاهِطٌ عَنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ فَقَالَ:

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَائِيَا^(٢)
 وَلَمْ تُرَ مِنِّي زَلَّةٌ قَبْلَ هَذِهِ فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِيَّ وَرَائِيَا

وفَرَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبٍ مِنْ عَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ وَأَسَرَ أُخْتَهُ رِيحَانَةَ: وَفِيهَا يَقُولُ
 عَمْرُو:

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُؤَزِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ

وفَرَّ عَنْ بَنِي عَبْسٍ وَفِيهِمْ زُهَيْرُ بْنُ جَزِيمَةَ الْعَبْسِيُّ وَوَلَدُهُ شَأْسُ بْنُ زُهَيْرٍ وَقَيْسُ بْنُ
 زُهَيْرٍ! فَقَالَ فِيهِمْ:

أَجَاعِلَةٌ أُمُّ الثَّوِيرِ خَزَايَةَ عَلِيٌّ فِرَارِي إِذْ لَقِيتُ بَنِي عَبْسٍ^(٣)
 لَقِيتُ أَبَا شَأْسٍ وَشَأْسًا وَمَالِكًا وَقَيْسًا فَجَاشَتْ مِنْ لِقَائِهِمْ نَفْسِي^(٤)
 لَقُونَا فَضْمُوا جَانِبَيْنَا بِصَادِقٍ مِنَ الطَّعْنِ مِثْلَ النَّارِ فِي الْخَطْبِ الْيَبْسِ
 وَلَمَّا دَخَلْنَا تَحْتَ فَيءٍ رِمَاحِهِمْ خَبَطْتُ بِكَفِّي أَطْلُبُ الْأَرْضَ بِاللَّمْسِ^(٥)
 وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ مِنْ جِبْنٍ يَوْمَهُ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ

وَقَالَ أَيْضًا:

(١) اشمعلت: تفرقت

(٢) حسن البلاء: حسن الفعل والإقدام.

(٣) أم الثوير: هي امرأة عمر بن معد بكرب.

(٤) جاشت: اضطربت (٥) خبطت: ضربت

ولقد أجمع رجلَيَّ بها حذر الموت وإنِّي لَفَرُورٌ
ولقد أعطفها كارهةً حين للنفس من الموت هَرِيرٌ^(١)
كلّ ما ذلك مِنِّي خُلُقٌ وبكلِّ أنا في الرَّوعِ جَدِيرٌ
وابن صبحٍ سادراً يُودعني ماله في الناس ما عِثْتُ مَجِيرٌ^(٢)

وقال الحارث لآمراته، وذلك أنها نظرت إليه وهو يَحْدُ حربة يوم فتح مكة
فقلت له: ما تصنع بهذه؟ قال: أعددتُها لمحمد وأصحابه. فقلت: ما أَرَى يقوم
لمحمد وأصحابه شيء. قال: والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكَ بعضهم! ثم أنشأ يقول:
إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا بِي عَلَيَّ هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّهُ^(٣)
وذو غرارينَ سَرِيعُ السَّلَّةِ

فلما لقيهم خالد يوم الخندمة^(٤) انهزم الرجل، فلامته امرأته، فقال:
إنك لو شاهدتِ يومَ الْخَنْدَمَةِ إذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وفَرَّ عِكْرِمَةُ
وأبو يزيدَ قائمَ كالموتمة ولحقننا بالسيوف المسلمة^(٥)
يفلّقنَ كلَّ ساعدٍ وجمجمة ضَرْباً فلا تُسْمَعُ إِلَّا غمغمة^(٦)
لهم نَهَيْتْ خلفنا وهمهمه لم تَنْطِقِي في اللومِ أدنى كَلِمَةٍ^(٧)

بين ابن زياد وابن زرعة:

وكان أسلم بن زرعة وجّهه عبيد الله بن زياد لحرب أبي بلال الخارجي في ألفين،
وأبو بلال في أربعين رجلاً: فشدّوا عليه شدة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه، فلما

(١) الهرير: الصياح.

(٢) سادراً: أي لا يبالي ما فعل.

(٣) الألّه: الحربة لها سنان طويل والغرار: الحد.

(٤) الخندمة: جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة.

(٥) أبو يزيد: هو سهيل بن عمرو خطيب قریش والموقع: المرأة مات زوجها وترك لها أيتاماً.

(٦) الغمغمة: أصوات غير واضحة.

(٧) النهيت: الزئير والزحير.

دخل على ابن زياد عَنَّفَه في ذلك وقال: ويلك! أتمضي في ألفين وتنهزم عن أربعين؟ فخرج عنه وهو يقول: لأنْ يذُمَّني ابن زيادٍ حيّاً خيراً من أن يمدحني وأنا ميت - وفي رواية أخرى: أن يشتمني الأمير وأنا حيّ أحبُّ إليّ من أن يدعو لي وأنا ميت. فقال شاعر الخوارج:

أَأَلْفَا مُؤْمِنٍ فِيمَا زَعَمْتُمْ ويهزمهم بَأْسَكَ أَرْبَعُونَا
كذبتُمْ، ليس ذَلِكُمْ كَذَاكُمْ ولكنَّ الخوارجَ مؤمنونَا
هُمُ الْفِتَّةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ على الْفِتَّةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَا

ومثل ذلك قولُ عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وكان قرَّ يوم الحرَّة من جيش مُسلم بن عُقبة، فلما كان أيامَ حِصارِ الحجاج بمكة لعبد الله بن الزُّبير جعل يقاتل أهل الشام ويقول:

أنا الذي فررتُ يومَ الحرَّة والشيخُ لا يَفر إلا مرَّة
فاليومَ أَجزي فرَّةً بكَرِه لا بأَسْ بالكِرَّة بعد الفرَّة
فلم يزل يُقاتل حتى قُتِل .

وأحسن ما قيل في الفرار كله ما قاله قيس بن الخطيم:

إذا ما فررنا كان أسوأَ فرارنا صدود الخُدودِ وازورار المناكب
أَجَالِدُهُم يَوْمَ الحديقة حاسراً كأنَّ يدي بالسيفِ مِخْرَاقُ لاعِبٍ^(١)

وفرَّ عُتَيْبَةُ بن الحارث بن هشام يوم ثبرة عن ابنه حَزْرَةَ وقال:

يا حسرتي لقد لقيتُ حَسْرَةَ يا التميم غشيتني عُبْرَةَ
نعم الفتى غادرته بِثَبْرِهِ نَجَّيتُ نفسي وتركتُ حَزْرَةَ
هل يتركُ الحرُّ الكرمُ بِكَرِهِ^(٢)

(١) الحديقة: قرية من أعراس المدينة في طريق مكة، كانت وقعة بين الأوس والخزرج قبل الاسلام. والمخراق: مندبل أو نحوه يلوى فيضرب به أو يلف فيفزع به.

(٢) البكر: أول الصبية.

وفرّ أبو خراش الهذلي من فائد وأصحابه ، ورصدوه بعرفات فقال :
وفوني وقالوا يا حويلد لا تُرَعْ فقلتُ وأنكرتُ الوجوة هُم هُم
وقلتُ وقد جاوزتُ أصحابَ فائدٍ أعجزتُ أولَ الخيل أم أنا أحلم
فلولا أدراكُ الشرِّ قامت حليلتي تخيّر من خطّابها وهي أيمٌ ^(١)
ولولا أدراكُ الشرِّ أتلفتُ مُهجتي وكان خراشٌ يومَ ذلك يئتمُّ

وفرّ خبيب بن عوف يوم مرّءاء هجر من أبي فديك ، فقال :
بذلتُ لهم يا قوم حولي وقوتي ونُصحي وما ضمتُ يداي من التبر
فلما تناهى الأمر بي من عدوكم إلى مُهجتي وليتُ أعداءكم ظهري
وطرتُ ولم أحفل ملامّة عاجز يُقيم لأطرافِ الردينيّة السمر
فلو كان لي روحان عرّضتُ واحداً لكلّ ردينيٍّ وأبيضَ ذي أثر ^(٢)
رَجَعَ بنا القول إلى الفرّارين والجنباء وما قيل فيهم .

للفرزدق في خالد ابن أسيد :

فرّ خالد بن عبد الله بن أسيد عن مصعب بن الزبير يوم الجفرة بالبصرة ، فقال
فيه الفرزدق :

وكلُّ بني السّوداء قد فرّ فرّة فلم يبق إلاّ فرّة في آست خالدٍ
فضحتم أمير المؤمنين وأنتم تمرّون سُوداناً غلاظَ السّواعِدِ

وقيل لرجل جبان في بعض الوقائع : تقدّم . فأنشأ يقول :
وقالوا تقدّم ، قلتُ لست بفاعلٍ أخافُ على فَخَّارتي أن تحطّما
فلو كان لي رأسان أتلفتُ واحداً ولكنّه رأسٌ إذا راح أعقما
فلو كان مُبتاعاً لدى السوق مثله فعلتُ ولم أحفلُ بأن أتقدّما
فأوتيم أولاداً وأرملُ نِسوةً فكيف على هذا تَرون التقدّما

(١) الأيم : الأرملة . (٢) الرديني : الرمح ، والأبيض : السيف والأثر : فرند السيف وجوهره .

بين هند وابن زنباع:

وقالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها رَوْح بن زنباع: كيف سَوَدك قومك وأنت جَبَانٌ غيور؟ قال: أما الجبن، فإن لي نفساً واحدة فأنا أحوطها، وأما الغيرة فما أحق بها مَنْ كانت له امرأة حقاء مثلك، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فترمي به في حِجْرِهِ.

وقال كعب بن زهير:

بُخْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا مِنْ عَدُوِّكُمْ لَبُسْتِ الْخَلْتَانِ الْبَخْلُ وَالْجُبْنُ

فضائل الخيل

قال النبي ﷺ في صفة الخيل: «أعرافها أَدْفَاؤُهَا^(١)، وأذناها مَذَابُهَا^(٢)» والخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة.

وقال النبي ﷺ: «عليكم بإناث الخيل فإنَّ بطونها كنز؛ وظهورها حِرْزٌ، وأصحابها مُعَانُونَ عليها».

وسأل رجل النبي ﷺ فقال: إني أريد أن أشتري فرساً أَعِدُّهُ في سبيل الله. فقال له: اشتره أَدْهَمَ أو كُمَيْتًا أَفْرَحَ أَرْثَمَ، أو مُحَجَّلًا مطلق اليمين^(٣)، فإنها ميامينُ الخيل.

وقيل لبعض الحكماء: أي الأموال أشرف؟ قال: فَرَسٌ تتبعتها فرس في بطنها فرس.

(١) الأَدْفَاءُ: الأجنحة. (٢) مَذَابُهَا: أي ما يذبُّ عنها ويدفع.

(٣) الأَدْهَمُ: الأسود، والكُمَيْتُ: من الكُمْتَةِ وهي لون بين السواد والحمرة، والأَفْرَحُ: ما كان في جبهته بياض قليل دون الغرَّة، والأَرْثَمُ: هو ما كانت شفته العليا وأنفه أبيضين. والمحجَّلُ: ما كانت قوائمه بيضاء، ومطلق اليمين: أي لا تحجيل فيها.

صفة جِيَاد الخيل

للنبي صلى الله عليه وسلم :

كان رسول الله ﷺ يستحب من الخيل الشقر .
وقال : « لَوْ جُمِعَتْ خَيْلُ الْعَرَبِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ مَا سَبَقَهَا إِلَّا أَشْقَرٌ » .
وسأله رجل : أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ ؟ قال : سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ ، وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ^(١) .
وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشَّكَالَ ^(٢) في الخيل .

لبعضهم :

وقالوا : إِنَّمَا سَمِيَتْ خَيْلًا لِأَخْتِيَالِهَا .
ووصف أعرابيٌّ فرساً فقال : إِذَا تَرَكْتَهُ نَعَسَ ، وَإِذَا حَرَكْتَهُ طَارَ .
وَأَرْسَلَ مُسْلِمٌ بَنَ عَمْرٍو لَابْنَ عَمٍّ لَهُ بِالشَّامِ يَشْتَرِي لَهُ خَيْلًا ، فَقَالَ لَهُ : لَا عِلْمَ لِي
بِالْخَيْلِ . فَقَالَ : أَلَسْتُ صَاحِبَ قَنْصٍ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَانْظُرْ ، كُلَّ شَيْءٍ تَسْتَحْسِنُهُ فِي
الْكَلْبِ فَاطْلُبْهُ فِي الْفَرَسِ . فَأَتَى بِخَيْلٍ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مِثْلَهَا .

وقال بعض الضَّبَّيِّينَ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :
مَتَقَاذِفٍ عِبْلٍ الشَّوَى شَنِجَ النَّسَا سَبَّاقٍ أُنْدِيَّةٍ الْجِيَادِ عَمِيثِلٍ ^(٣)
وَإِذَا تَعَلَّلَ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهَا أَعْطَاكَ نَائِلُهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلْ

بين المهدي وابن دراج في أفضل الخيل :

سأل المهدي مطرب دراج عن أي الخيل أفضل ؟ قال : الذي إذا استقبلته قلتَ
نافر ، وإذا استدبرته قلتَ زاخر ^(٤) ، وإذا استعرضته قلتَ زافر ^(٥) . قال : فأَيُّ هذه

(١) السِّكَّةُ : الطريق المصطفة من النخل ، والمأبورة : الملقحة ، والمأمورة : الكثيرة النتاج .

(٢) الشَّكَالُ : أن تكون ثلاث قوائم محجلة واحدة مطلقة .

(٣) عِبْلُ الشَّوَى : العبل : الضخم ، والشوى : القوائم والنسا : عرق من الورك الى الكعب . والعميثل : النشط .

(٤) الزاخر : الممتليء . (٥) الزافر : لعل المراد بالزافر : العظيم الزفرة بالضم وهي وسط الفرس .

أفضل؟ قال: الذي طرفه إمامه، وسوطه عنائه.

وقال آخر: الذي إذا مَشَى رَدَى^(١)، وإذا عَدَا دَحَا^(٢)، وإذا اسْتَقْبَلَ أَقْعَى، وإذا اسْتَدْبَرَ جَبَى^(٣)، وإذا اسْتَعْرِضَ آسَتَوَى.

بين معاوية وصعصعة:

وسأل معاوية بن أبي سفيان صعصعة بن صوحان: أي الخيل أفضل؟ قال: الطويل الثلاث، القصير الثلاث، العريض الثلاث، الصافي الثلاث. قال: فسر لنا. قال: أما الطويل الثلاث، فالأذن والعنق والحزام؛ وأما القصير الثلاث، فالصُّلب والعسيب والقضيب؛ وأما العريض الثلاث، فالجبهة والمنخر والورك؛ وأما الصافي الثلاث، فالأديم والعين والحافر.

بين عمر بن الخطاب وعمرو بن معديكرب في عراب الخيل:

وقال عمر بن الخطاب لعمر بن معديكرب: كيف معرفتك بعراب الخيل؟ قال: معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده. فأمر بأفراس فعُرِضَتْ عليه، فقال: قدّموا إليها الماء في التّراس^(٤)، فما شرب ولم يَكْتِفِ^(٥) فهو من العراب، وما ثَنَى سُنْبُكَه^(٦) فليس منها.

قلت: إنما المحفوظ أن عمر شك في العِتَاق والهجن، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فأخبره، فدعا سلمان بطست من ماء فوَضِعَ بالأرض، ثم قدّم إليه الخيل فرساً فرساً، فما ثَنَى سُنْبُكَه وشرب هَجَنَه، وما شرب ولم يَثْنِ عَرَبَه.

(١) ردى: من الرديان، أي أن يرمم الأرض رجلاً بين المشي والعدو.

(٢) دحا: أي أن الفرس في سيره يرمي بيديه لا يرفع سنبكة عن الأرض.

(٣) جَبَى: انكَبَ على وجهه.

(٤) التراس: جمع ترس، وهو صفحة مستديرة تحمل للوقاية من سيف وغوه.

(٥) يكتف الفرس: أي ترتفع فروع كتفه.

(٦) السنبك: طرف الحافر، أو الزمام.

وقال حسان بن ثابت يصف طولَ عنقِ الفرس :

بكلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ أَقَبَّ طَوَالَ مُشْرِفٍ فِي الْخَوَارِكِ^(١)

وقال زهير :

وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنَالُ قَذَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنْامِلُهُ^(٢)

وقال آخر :

لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَا ضَبٍ فُوجِيءٍ بِالرُّعْبِ^(٣)
حَدِيدُ الطَّرْفِ وَالْمَنَكِ - بِبِ الْعُرْقُوبِ وَالْقَلْبِ

وقال آخر^(٤) :

هَرَيْتَ قَصِيرَ عِذَارِ اللَّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرِّسَنِ^(٥)

لم يرد بقوله « قصير عذار اللجام » قصر خذّه، وإنما أراد طويل شق الفم؛ وأراد بطول عذار الرسن، طول الخذ.

وقال آخر :

بِكلِّ هَرَيْتِ نَقِيٍّ الْأَدِيمِ طَوِيلِ الْحِزَامِ قَصِيرِ اللَّبِّ^(٦)

لأبي عبيدة في عتاقه الفرس :

وقال أبو عبيدة : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَتَاقَةِ الْفَرَسِ جِحَافِلُهُ وَأُرْنَبَتُهُ، وَسَعَةٌ مِنْخَرَتُهُ،

وَعُرَى نَوَاقِهِ^(٧)، وَدِقَّةُ حَقَوِيهِ وَمَا ظَهَرَ مِنْ أَعَالِي أُذُنِيهِ، وَرَقَّةٌ سَالَفَتِيهِ وَأُدِيمُهُ، وَلَيْنٌ

(١) الكميت، من الكمة وهي لون بين السواد والحمرة وجوزه: وسطه، والأقَب من الخيل: الدقيق الخصر الضامر البطن، والطوال: الطويل والحواريك: أعالي الكاهل.

(٢) القذال من الفرس: معقد الغدار خلف الناصية.

(٣) الظليم: ذكر النعام، والخاضب: الذي أعتلم فاحمرت ساقاه.

(٤) هو تميم بن أبي مقبل أحد شعراء الجاهلية، مخضرم عاش مائة وعشرين سنة.

(٥) الهرت: الواسع الشدين الطويل شق القم والأسيل: صفحة الخذ الناعمة.

(٦) اللب: المنحر. (٧) النواهي: يريد بالنواهي: انهقين وهما العظمان الشاخصان في مجرى الدمع.

شعره . وأَبَيْنُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ لَيْنُ شَكِيرٍ نَاصِيَتِهِ وَعُرفِهِ .^(١)

وكانوا يقولون: إذا اشتدَّ نَفْسُهُ، وَرَحَبَ مُتَنَفِّسُهُ، وطالَ عُنُقُهُ، واشتدَّ حِقْوُهُ،
وانْهَرَّتْ شِدْقُهُ، وعظمت فخذاه، وانشبخت^(٢) أنساؤه، وعظمت فصوصه، وصلبت
حوافره ووقّحت: ألحق بجياد الخيل .

قيل لرجل من بني أسد: أتعرف الفرس الكريم من المُقْرِفِ^(٣) ؟ قال نعم: أما
الكريم فالجواد الجيد، الذي نَهَزَ نَهْزَ الْعَيْرِ^(٤)، وَأَنْفٌ تَأْنِيفُ السَّيْرِ، الذي إذا عدا
أسلَّه^(٥)، وإذا قَيَّدَ اجْلَعَبَ^(٦)، وإذا انتصب اتْلَأَبَ^(٧) .

وأما المُقْرِفُ فإنه الدَّلُولُ الحَجَبَةُ، الضخم الأرنبة، الغليظ الرقبة، الكثير الجلبة،
الذي إذا أرسلته قال أَمْسِكْنِي، وإذا أمسكته قال أُرْسِلْنِي .

وكان محمد بن السائب الكلبي يحدث أَنَّ الصَّافِنَاتِ^(٨) الجياد المعروضة على سليمان
ابن داود عليهما السلام كانت ألف فرس ورثها عن أبيه، فلما عُرِضَتْ عليه أَلْهَتْهُ عَنْ
صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى تَوَارَتْ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ، فَعَرَّقَهَا إِلَّا أَفْرَاسًا لَمْ تُعْرَضْ عَلَيْهِ،
فوفد أقوامًا من الأزد، وكانوا أصهاره، فلما فرغوا من حوائجهم، قالوا: يا نبي
الله، إِنَّ أَرْضَنَا شَاسِعَةٌ فَزَوِّدْنَا زَادًا يَبْلُغُنَا . فَأَعْطَاهُمْ فَرَسًا مِنْ تِلْكَ الْخَيْلِ، وَقَالَ: إِذَا
نَزَلْتُمْ مِنْزَلًا فَاحْمِلُوا عَلَيْهِ غَلَامًا وَاحْتَطَبُوا؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَوْرُونَ نَارَكُمْ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ
بَطْعَامُكُمْ . فَسَارُوا بِالْفَرَسِ، فَكَانُوا لَا يَنْزِلُونَ مِنْزَلًا إِلَّا رَكِبَهُ أَحَدُهُمْ لِلْقَنْصِ فَلَا
يَفْلُتُهُ شَيْءٌ وَقَعَتْ عَيْنُهُ مِنْ ظُبْيٍ أَوْ بَقْرٍ أَوْ حِمَارٍ، إِلَى أَنْ قَدِمُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَقَالُوا:
« مَا فَرَسُنَا إِلَّا زَادَ الرَّاكِبِ، فَسَمَوْهُ زَادَ الرَّاكِبِ، فَأَصْلُ فَحُولِ الْعَرَبِ مِنْ نَتَاجِهِ .

(١) الشكير: ما أطاف بالناحية من قصير الشعر وهو مما يستدلّ به على العنق .

(٢) أشبخت: تقلّصت .

(٣) المقرف: البعيد عن الأصلة .

(٤) العير: الحمار الوحشي .

(٥) أسلَّه: مضى . (٦) اجلعب: امتدّ على الأرض .

(٧) اتْلَأَبَ: رفع صدره ورأسه .

(٨) الصافنات: جياد الخيل، والشافن: الفرس القائم على ثلاث قوائم

ويقال إن « أعوج » كان منها ، وكان فحلا لهلal بن عامر أنتجته أمه ببعض بيوت الحي ، فنظروا إلى طِرف يضع . حَفَلَتْه على كاذتها - على الفخذ مما يلي الحياء - فقالوا : أدركوا ذلك الفرس لا ينزو على فرسكم ، لعظم ، « أعوج » وطول قوائمه فقاموا إليه فوجدوا المهر ، فسموه أعوج .

وأخبرنا فرج بن سلام عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : أغير على أهل النصار^(١) وأعوج موثق بشامة ،^(٢) فجال صاحبه في متنه ثم زجره فاقتلع الشامة ، فخرجت تحف في متنه كالخدروف^(٣) وراءه ، فعدا بياض يومه وأمسى يتعشى من جَميم قُباء^(٤) .

وقال الشاعر في وصف فرس :
وأحر كالديباج أما سماءه فرّيا ، وأما أرضه فمحول
قوله : سماءه : أعلاه . وأرضه : أسفله ، يريد قوائمه .

وللطائي نظير هذا حيث يقول :
مُبْتَلٌ مَتْنٌ وَصَهْوَتَيْنِ إِلَى حَوَافِرِ صَلْبَةٍ لَهُ مُلْسٍ
فَهُوَ لَدَى الرَّوْعِ وَالْجَلَائِبِ ذُو أَعْلَى مُنْدَى وَأَسْفَلِ يَبَسِ
أَوْ أَدْهَمَ فِيهِ كُمْتَةٌ أُمَمٌ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ الْغَلَسِ^(٥)
صَهْصَلِقٌ فِي الصَّهِيلِ ، تَحْسَبُهُ أَشْرَجَ حُلُقُومُهُ عَلَى جَرَسِ

وقال حبيب أيضاً يصف فرساً أهدها إليه الحسن بن وهب الكاتب .
ما مُقَرَّبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلَانٌ مِنْ صَلْفٍ بِهِ وَتَلْهُوقُ^(٦)
بِحَوَافِرِ حُفَرٍ وَصَلْبٍ صَلْبِ وَأَشَاعِرِ شُعْرٍ وَحُلُقٍ أَحْلَقُ^(٧)

(١) النصار : ماء لبني عامر ، له يومٌ من أيام العرب .

(٢) ثمامة : أي يشجيرة من شجيرات الشام المعروف .

(٣) الخدروف : عود صغير يدوره الولد بخط فيدور ويسمى له صوت .

(٤) الجميم : النبات الكثير ، وقباء : بئر سميت باسمها قرية على ميلين من المدينة ، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار .

(٥) الأُمم : الشيء بين الشيئين ، والغلس الظلام .

(٦) الأشطان : الجبال ، والتلهوق : المبالغة في العجب والاختيال .

(٧) الصلب : الظهر ، وتَلَب : قوي ، والأشاعر : ما استدار بالخافر من منتهى الجلد ، وشعر : شديدة ، وأحلق : واسع .

في صَهْوَتَيْهِ بُدُوْ شَيْبِ الْمَفْرَقِ
 من صِحَّةِ إِفْرَاطٍ ذَاكَ الْأَوْلَقِ^(١)
 في نَعْتِهِ عَفْوَاً وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ
 وَمُجَمَّعٍ مِنْ حَسَنِهِ وَمُفَرَّقِ
 فِيهِ فَمَفْتَرِقٌ عَلَيْهِ وَمَلْتَقِي^(٢)
 مِنْ سُنْدُسٍ ثَوْباً وَمِنْ إِسْتَبْرَقِ
 مُبَيَّضٍ شَطْرَ كَابِيضِاضِ الْمَهْرَقِ^(٣)
 فِي مَتْنِهِ أَبْنَاءٌ لِلصَّبَاحِ الْأَبْلَقِ
 فِي صَهْوَتَيْهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقِ^(٤)
 دُونَ السِّلَاحِ سِلَاحِ أَرْوَغِ مُمْلِقِ^(٥)

وَبِشْعَلَةٍ تَبْدُو كَأَنَّ حُلُولَهَا
 ذُو أَوْلَقٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَإِنَّمَا
 تُغْرَى الْعَيُونُ بِهِ وَيُفْلِقُ شَاعِرٌ
 بِمُصَعَّدٍ مِنْ نَعْتِهِ وَمُصَوَّبِ
 قَدْ سَالَتْ الْأَوْضَاحُ سَيْلَ قَرَارَةٍ
 صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهُ
 مُسَوَّدَ شَطْرِ مِثْلِ مَا اسْوَدَّ الدَّجَى
 فَكَأَنَّ فَارِسَهُ يُصَرِّفُ إِذْ بَدَأَ
 إِمْلِيسَةً إِمْلِيدَةً لَوْ عَلَّقَتْ
 يُرْقَى وَمَا هُوَ بِالسَّلِيمِ وَيَغْتَدِي

لبعض الشعراء في أبي دلف:

وقال أبو سويد: شهد أبو دلف وقعة البذا وتحت فرس أدهم وعليه نضح الدم،
 فاستوقفه رجل من الشعراء وأنشد:

لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ الْأَذْهَمُ
 نَمَقٌ يَنْمَقُهُ الْحُسَامُ الْمِخْذَمُ^(٧)
 وَكَأَنَّهُ يَغْرَى الْمَجَرَّةَ مُلْجَمُ^(٨)
 شَقْرَاءُ كَاسِرَةٌ طَوَتْ مَا تَطْعَمُ^(٩)
 لَا بَلَّ يَفُوتُ الرِّيحَ فَهُوَ مُقَدَّمُ

كَمْ ذَا تُجَرَّعُهُ الْمَنُونُ وَيَسْلَمُ
 فِي كُلِّ مَنَبَتٍ شَعْرَةٌ مِنْ جَلْدِهِ
 وَكَأَنَّمَا عَقَدَ النَّجُومَ بِطَرْفِهِ
 وَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْبَوَارِقِ لَقْوَةٌ
 مَا تُدْرِكُ الْأَرْوَاحُ أَذْنَى سِيرِهِ

(١) الأولق: الجنون، يريد وصفه بشدة النشاط.

(٢) الأوضاح: جمع وَضَحَ وهو البياض.

(٣) المهرق: ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه.

(٤) إمليسه إمليدة: أملهس أملهه: أي لين ناعم والعين يريد بها التي تصيب الإنسان وغيره.

(٥) يرقى من الرقية، والسليم: الذي لدغ، والأروع: الشجاع، والمملق: الذي لا سلاح له.

(٦) البذا: كورة بين أذربيجان وأران، بها كان يخرج بابك الخرمي في أيام المعتصم، وشهدها أبو دلف.

(٧) المخذم: القاطع.

(٨) يشير بهذا البيت إلى أنه مرتفع الرأس لا يخفضه.

(٩) البوارق: السيوف.

رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا وَاللُّونُ أَذْهَمُ حِينَ ضَرَجَهُ الدَّمُ
قال: فأمر له بعشرة آلاف.

لابن عبد ربه في وصف الفرس:

ومن قولنا في وصف الفرس:
وَمُقَرَّبَةٌ يَشْقُرُ فِي النَّقْعِ كَمَثُهَا
تَطِيرُ بِلا رِيشٍ إِلَى كُلِّ صَيْحَةٍ

وقال عدي بن الرقاع:

يَخْرُجْنَ مِنْ فُرْجَاتِ النَّقْعِ دَائِمَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ

وطلب البحري الشاعر من سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب فرساً ووصف له أنواعاً من الخيل في شعره فقال:

لَا كَلْفَنَّ الْعَيْسَ أَبْعَدَ هِمَّةٍ
وإلى سَرَاةِ بَنِي حُمَيْدٍ إِنَّهُمْ
وَالْبَيْتُ لَوْلَا أَنَّ فِيهِ فَضِيلَةٌ
فَاعِنُ عَلَى غَزْوِ الْعَدُوِّ بَمَنْطَوٍ
إِذَا بِأَشْقَرٍ سَاطِعٍ أَغْشَى الْوَعَى
مُتَسَرِّبِلٍ شَيْئَةً طَلَّتْ أَغْطَافُهُ
أَوْ أَذْهَمٍ صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّهُ
ضَرَمَ يَهْيَجُ السَّوْطُ مِنْ شُؤْبِيهِ
خَفَّتْ مَوَاقِعُ وَطْئِهِ فَلَوْ أَنَّهُ

يَجْرِي إِلَيْهَا خَائِفًا أَوْ مُرْتَجِي
أَمْسُوا كَوَاكِبَ أَشْرَقَتْ فِي مَذْحَجٍ
تَعْلُو الْبُيُوتُ بِفَضْلِهَا لَمْ يُحْجَجِ
أَحْشَاؤُهُ طَيِّ الرَّدَاءِ الْمُدْرَجِ
مَنْهُ بِمَثَلِ الْكُوكَبِ الْمُتَأَجِّجِ
بَدَمٍ فَهَا تَلْقَاهُ غَيْرَ مُضَرَّجِ^(١)
تَحْتَ الْكَمِيِّ مُظْهَرٌ بَيْرُنْدَجِ^(٢)
هَيَّجَ الْجَنَائِبِ مِنْ حَرِيقِ الْعَرْفَجِ^(٣)
يَجْرِي بِرَمْلَةٍ عَالِجٍ لَمْ يُرْهِجِ^(٤)

(١) النقع: الغبار. (٢) الشية: العلامة، واللون الذي يخالف غيره.

(٣) اليرندج: السواد يسود به الخف، أو هو الزاج يسود به.

(٤) الشؤبوب: شدة العدو، والجنائب: وهي من الرياح، والعرفج: ضرب من النبات سهل طيب الرائحة، ولهبه شديد الحمرة.

(٥) عالج: رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بخت من طيء، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة، ولم يرهج: أي لم يثر الغبار.

أو أشهب يَفْقِ يضيء وراءه
تَخْفِي الحُجُولُ ولو بَلَّغْنَ لَبَانَهُ
أَوْفَى بَعْرِفٍ أَسْوَدٍ مُتَفَرِّدٍ
أو أبلق ملأ العيون إذا بدا
جذلان تحسده الجياد إذا مَشَى
وعريض أعلى المتن لو عَلَيَّتْهُ
خَاضَتْ قَوَائِمُهُ الوثيقُ بناوِها
ولأنت أبعَدُ في السَّاحَةِ هَمَّةً

متن كمتن اللَّجَّة المترجرج^(١)
في أبيض متألج كالدملج^(٢)
فيما يليه وحافر فيروزي
من كل لون مُعْجِب بنموذج
عَنَقًا بأحسن حَلَّةٍ لم تُنْسَجِ^(٣)
بالزئبق المنهال لم يَتَدَحَّرَجِ
أمواج تخيب بهن مدرج^(٤)
من أن تَضِنَّ بمُلْجَمٍ أو مُسْرَجِ

لامريء القيس:

وأول من شبّه الخيل بالظباء والسّرحان والنعامة، وتبعه الشعراء وحذوا حذوه وعلى

مثاله - امرؤ القيس بن حجر:

له أَيْطَلًا ظَبْيِي وساقا نَعَامَةً
كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى
مِكْرَمٍ مَقْبَلٍ مُدِيرٍ مَعَاً
دَرِيرٍ كَخَذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ
كَمَيَّتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ

وإرخاء سِرْحَانٍ وتقريبُ تنفل^(٥)
مَدَاكَ عُرُوسٍ أو صَلَايَةِ حَنْظَلٍ^(٦)
كجلمودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عُلٍ
تَتَابَعُ كَفْيُهُ بَخِيْطٍ مَوْصَلٍ^(٧)
كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ^(٨)

(١) اليق: الشديد البياض.

(٢) اللَّبان: الصدر، والدملج: حلي يلبس في المعصم.

(٣) العنق: ضرب من السير فسيح سريع.

(٤) التخيب: احديداً في وظيفي يدي الفرس، ويوصف صاحبه بالشدة، وقيل: هو بعد ما بين الرجلين من غير فجج.

(٥) الأيطل: الخاصرة، والإرخاء شدة العدو، والسرحان: الذئب، والتنفل: ولد الثعلب.

(٦) المتنان: ما اكتنفا فقار الظهر، وانتحى: اعتمد وقصد والمداك: الحجر الذي يسحق عليه الطيب.

والصلاية: الحجر الأملس الذي يسحق عليه حب الحنظل وغيره.

(٧) الدرير: السريع العدو، والخذروف: عود أو قصبة مشقوقة تحدث أصواتاً يلعب به الصبيان، وأمره: قلبه ثم أداره بين كفيه.

(٨) الحال: وسط الظهر، والصفواء: الصخرة الملساء التي لا يثبت عليها شيء، والمنتزل: المتزحلّق عليها.

فأخذت الشعراء هذا التشبيه من امرئ القيس فحذوا عليه ، فقال طفيل الخيل :
 إِنِّي وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَا يُفَارِقُنِي مِثْلُ النَّعَامَةِ فِي أَوْصَالِهَا طَوْلُ
 تَقْرِيْبِهَا الْمَرْطَى وَالْجَوْزُ مُعْتَدِلٌ كَأَنَّهُ سَبَدٌ بِالمَاءِ مَغْسُولٌ^(١)
 أَوْ سَاهِمُ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولٌ^(٢)

بين عبد الملك بن مروان وأصحابه :

وقال عبد الملك بن مروان لأصحابه : أي المناديل أفضل ؟ فقال بعضهم : مناديل
 مصر التي كأنها غِرْقِيٌّ^(٣) البيض . وقال بعضهم : مناديل اليسن التي كأنها أنوار الربيع .
 فقال : ما صنعتُم شيئاً ، أفضلُ المناديل مناديل عبدة بن الطَّيِّب حيث يقول :
 لَمَّا نَزَلْنَا ضَرَبْنَا ظِلَّ أُخْيِيَّةٍ وَفَارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَوْمِ الْمَرَاغِيلُ
 وَرَدًّا وَأَشْقَرَ لَمْ يُنْهَهُ طَابِجُهُ مَا قَارَبَ النَّضْجَ مِنْهَا فَهُوَ مَأْكُولٌ^(٤)
 وَقَدْ وَثَبْنَا عَلَى عُوجٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلٌ^(٥)

سوابق الخيل

قال الأصمعي : ما سبق في الرهان فرسٌ أهْضَمُ قَطُّ . وأنشد لأبي النجم :
 مُنْتَفِجُ الْجَوْفِ عَرِيضٌ كَلِكَلُهُ^(٦)

لأبي النجم في فرس هشام :

قال : وكان هشام بن عبد الملك رجلاً مُسَبِّقاً لَا يَكَادُ يَسْبِقُ ، فَسَبَّقتْ لَهُ فرسٌ
 أَنْتَى وَصَلَّتْ أَخْتَهَا ، ففرح لذلك فرحاً شديداً ، وقال : عليّ بالشعراء . قال أبو النجم :

(١) التقريب: ضرب من العدو ، وهو أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا ، والمرطى : فوق التقريب ،
 والجوز: الوسط ، والسبد : ثوب يسدُّ به الخوض المركو لئلا يتكدَّر الماء ، يفرش فيه وتسقى الابل عليه .
 (٢) الساهم : العابس ، والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل ، وهو في الفرس بمنزلة الأكحل في
 الانسان .

(٣) غرقبيء البيض : القشرة الرقيقة الملتزمة بالبياض من البيضة .

(٤) لم ينهته : لم ينضجه .

(٥) الكلكل : الصدر . (٦) الجرد : الخيل القصار والشعر ، والسومة : المعلمة .

فدُعينا فقليل لنا: قولوا في هذا الفرس وأختها. فسأل أصحابُ النشيدِ النَّظْرَةَ حتى يقولوا. فقلت له: هل لك في رجل يَنْقُذُكَ إذا آسْتَنْسُوكَ ^(١)؟ قال: هات. فقلت من ساعتِي:

أشاعَ للغرَّاءَ فينا ذِكْرَها قَوائمُ عوجٍ أَطْعَنَ أَمْرَها
وما نسينا بالطريقِ مُهْرَها حينَ نَقِيسُ قَدْرَها وقَدْرَها
وصبرَها إذا عدا وصبرَها والماءُ يعلو نحرَها ونحرَها
مَلُومَة شَدَّ المَلِكُ أَسْرَها أسْقَلْها وبَطْنُها وظَهْرَها ^(٢)
قد كاد هادِها يَكُونُ شَطْرَها لا تَأْخُذُ الحَلْبَةَ إِلَّا سُوْرَها ^(٣)

قال أبو النجم: فأمر لي بجائزة وانصرفت.

بين الرشيد والأصمعي في فرس سابق:

أبو القاسم جعفر بن أحمد بن محمد، وأبو الحسن علي بن جعفر البصري، قالَا: حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي: أن هارون الرشيد ركب في سنة خمس وثمانين ومائة إلى الميدان لشهود الحلبَة. قال الأصمعي: فدخلت الميدان لشهودها فيمن شهد من خواص أمير المؤمنين؛ والحلبَة يومئذ أفراسٌ للرشيد ولولديه الأمين والمأمون، ولسليمان بن أبي جعفر المنصور ولعيسى بن أبي جعفر فجاء فرس أدهم يقال له الربيذ لهرون الرشيد سابقاً؛ فابتهج لذلك ابتهاجا علم ذلك في وجهه، وقال عليّ بالأصمعي. فنوديتُ له من كل جانب، فأقبلت سريعاً حتى مثلت بين يديه، فقال: يا أصمعي، خذ بناصية الربيذ ثم صفه من قوْنَسِه إلى سُبْكِه؛ فإنه يقال إن فيه عشرين اسماً من أسماء الطير. قلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ وأنشدك شعراً جامعاً لها من قول أبي حَزْرة. قال: فأنشدنا لله أبوك. قال: فأنشدته:

وأقْبَ كالسَّرْحانِ مَِّ له ما بين هامَتِه إلى النَّسْرِ

الأقْب: اللاحق المَخْطَف البطن، وذلك يكون من خِلْقَةٍ وربما حدث من هُزال أو

(١) استنسوك: أبعادوك وأخروك.

(٢) ملومة: مجتمعة الخلق، والأسر: شدة الخلق.

(٣) الهادي: العنق، يريد وصفه بالطول وسورها بفضل قوتها.

بُعْدِ قَوْدٍ؛ والأُنْثَى قَبَاءٌ، والجمع قُبٌّ، والمصدر القَبْب. والسَّرْحَان: الذئب، شبهه في ضُمُورِهِ وَعُدُوهُ بِهِ، وجمعه سَرَاحِين: وقد قالوا: سِرَاح. والهامَة: أعلى الرأس، وهي أم الدماغ، وهي من أسماء الطير. والنسر: هو ما ارتفع من بطن الخافر من أعلاه كأنه النَّوَى والخصى، وهو من أسماء الطير، وجمعه نُسُور.

رَحَبَتْ نَعَامَتُهُ وَوُقِّرَ فَرَخُهُ وَتَمَكَّنَ الصَّرْدَانُ فِي النَحْرِ

رَحَبَتْ: اتسعت. ونعامته: جلدة رأسه التي تغطي الدماغ، وهي من أسماء الطير. وقوله «ووقِّر فرخه» الفرخ: هو الدماغ، وهو من أسماء الطيور. ووقِّر أي تَمَّ؛ يقال: وقَّرت الشيء ووقَّرتَه، بالتخفيف، مؤفَّور. والصَّرْدَان: عرقان في أصل اللسان، ويقال إنها عرقان أخضران مكتنفان باطن اللسان، منهما الرِّيقُ ونَفْسُ الرِّثَّة؛ وهما من أسماء الطير. وفي الظهر صَرْدٌ أيضاً، وهو بياض يكون في موضع السرج من أثر الدَّبَر؛ يقال: فرس صَرْدٌ إذا كان ذلك به. والنحر: موضع القلادة من الصدر، وهو البرك.

وَأَنَافَ بِالْعُصْفُورِ مِنْ سَعَفٍ هَامٍ أَشَمٍّ مَوْثِقُ الْجِذْرِ

أناف: أشرف. والعصفور: أصل منبت الناصية. والعصفور أيضاً: عظم ناقيء في كل جبين. والعصفور: من الغرر أيضاً، وهي التي سالت ودقت ولم تجاوز إلى العينين ولم تستدر كالقُرْحَة؛ وهو من أسماء الطير. والسَّعَف، يقال: فرس بَيْنَ السَّعَف، وهو الذي سالت ناصيته. وهامٍ: أي سائل منتشر. وأشَمٍّ: مرتفع؛ والشَّمَم في الأنف: ارتفاع قصبته. ويروى: هَادٍ أَشَم. يريد عُتْقاً مرتفعاً، وجمعه هَوَادٍ. وقوله: مَوْثِق، أي شديد قوي. والجِذْر: الأصل من كل شيء. قال الأصمعي وغيره: هو بالفتح. وقال أبو عمرو بن العلاء: هو بالكسر.

وَأَزْدَانَ بِالذِّكْيَيْنِ صَلَصلَهُ وَتَبَّتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ

ازدان: افتعل، من قولك زان يزين، وكان الأصل: ازتان، فقلبت التاء دالا لقرب مخرجها من مخرج الزاي، وكذلك ازداد، من زاد يزيد. والديكان: واحدهما ديك، وهو العظم الناقية خلف الأذن، وهو الذي يقال له الخُشْشَاء والخُشَاء. والصلصل: بياض في طرف الناصية: ويقال: هو أصل الناصية: والدجاجة: اللحم

الذي على زَوْره بين يديه ؛ والديك والصلصل والدجاجة : من أسماء الطير .
والناهضانِ أَمِرَّ جَلَزُهُمَا فَكَأَنَّمَا عُثِيَا عَلَى كَسْرٍ

الناهضان: واحدهما ناهض، وهو لحم المنكبين؛ ويقال: هو اللحم الذي يلي
العُضْدَيْنِ من أعلاهما؛ والجمع نواهض؛ ويقال في الجمع: أَنَهَضَ، على غير قياس.
والناهض: فرخ القطا، وهو من أسماء الطير. وقوله: أَمِرَّ جَلَزُهُمَا: أي فُتِلَ وَأَحْكِمَ؛
يقال أَمَرْتُ الحبلُ فهو مُمَرٌّ، أي فتلته؛ والجَلَزُ: الشد. وقوله:

فكَأَنَّمَا عُثِيَا عَلَى كَسْرٍ

أي كأنهما كُسِرَا ثم جُبرَا؛ يقال: عُثِمَتْ يَدُهُ. والعُثْمُ: الجبر على عُقْدَةٍ وَعِوَجٍ؛
وعُثْنَان: فُعْلَان منه.

مُسَحْنَفَرُ الْجَنْبَيْنِ مُلْتَثِمٌ مَا بَيْنَ شِمَتَيْهِ إِلَى الْغُرِّ

مسحنفر الجنبين: أي منتفخهما. مُلْتَثِمٌ: أي معتدل. وشيمته: فخره والشيمة أيضا:
من قولك: فرس أَشِيمٌ: بَيْنَ الشِّيمَةِ، وهي بياض فيه؛ ويقال: أن تكون شامة أو شام
في جسده. والغُرُّ في الطير الذي يسمى الرخة، وهي عضلة الساق.

وَصَفَتْ سَمَانَاهُ وَحَافِرُهُ وَأَدِيمُهُ وَمَنَابِتُ الشَّعْرِ

السَّمَانِي: طائر، وهو موضع من الفرس لا أحفظه، إلا أن يكون أراد السَّمَامة،
وهي دائرة تكون في سالفة الفرس، وهو عنقه. والسَّمَامة من الطير أيضا. والأديم:
الجلد.

وَسَمَا الْغُرَابُ لِمَوْقِعِهِ مَعَا فَأَبَيْنَ بَيْنَهُمَا عَلَى قَدَرٍ

سما الغراب: أي ارتفع. والغراب: رأس الورك. ويقال للصَّلَوَيْنِ: الغرابان،
وهما مكتنفا عَجَبِ الذنب. ويقال: هما أعالي الوركين. والموقعان منه: في أعالي
الخاصرتين. فَأَبَيْنَ: أي فُرِّقَ بينهما. على قدر، أي على استواء واعتدال.

وَكَتَنَ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَّافُهُ وَنَاتَ سَمَامَتُهُ عَنِ الصَّقْرِ

اكتن، أي استتر. والقبيح: ملتقى الساقين، ويقال إنه مُرَكَّبُ الذراعين في
العُضْدَيْنِ. والخُطَّافُ: من أسماء الطير، وهو حيث أدركت عَقِبَ الفارس إذا حرك

رجليه، ويقال لهذين الموضعين من الفرس: المَرَكْلان. ونأت. أي بعدت، والسَّهامة: دائرة تكون في عُنُق الفرس، وقد ذكرناها، وهي من أسماء الطير. والصقر: أحسبها دائرة في الرأس، وما وقفت عليها، وهي من أسماء الطير.

وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ فَنَأَتْ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الْحُرِّ

القطاة: مقعد الرِّدْف، وهي من أسماء الطير؛ والْحُرّ: من الطير، يقال: إنه ذكر الحمام. وهي من الفرس: سواد يكون في ظاهر أذنيه.

وَسَمَّا عَلَى نَقْوَيْهِ دُونَ حِدَاتِهِ خَرَبَانٍ بَيْنَهُمَا مَدَى الشَّيْرِ

النَّقْوَان: واحدهما نقو، والجمع أنقاء. وهو عظم ذو مُخ، وإنما عَنَى ها هنا عظامَ الْوَرَكَيْن؛ لأنَّ الْخَرْبَ هو الذي تراه مثل المدهن في وَرَك الفرس. وهو من الطير: ذَكَرُ الْخَبَارِي. والحِدَاة: من الطير: وأصله الهمز ولكنه خُفِف، وهي سالفة الفرس، وجمعها حِداء، على وزن فِعَال، كما تقول: عَظَاءة وَعَظَاءة؛ ويقال: عَظَايَة. وإذا فتحت الفاء قلت حِدَاة، وهو الفأس ذات الرأسين، وجمعها حِدَا، مثل نَوَاة ونَوَى، وقَطَاة وقَطَا.

يَدْعُ الرِّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا بَتَوَائِمٍ كَمَوَاسِمٍ سُمُرٍ

الرِّضِيم: الحجارة. والفلق: المكسورة فَلَقَا. بتوأم: جمع تَوَام، وقد قالوا: تَوَام، على وزن فُعَال، جمع تَوَام؛ وهي على غير قياس. يقول: هي مَثْنَى مَثْنَى، يعني حوافره. والمواسم: جمع مَيْسَم الحديد، أي إنها كمواسم الحديد في صلابتها. وقوله سمر: أي لون الحافر، وهو أصلب الحوافر.

رُكِبْنَ فِي مَحْضِ الشَّوَى سَبَطٍ كَفَتِ الْوُثُوبُ مُشَدَّدَ الْأَسْرِ

الشوى ها هنا: القوائم، والواحدة شَوَاة؛ ويقال: فرس محض الشوى، إذا كانت قوائمه معصوبة. سَبَط: سهل. كَفَتِ الْوُثُوبُ. أي مجتمع، من قولك: كَفَتُ الشَّيْءَ، إذا جمعته وتممته. مشدّد الأسر: أي الخلق.

قال الأصمعي: فأمر لي بألف درهم.

لأبي العتاهية في المسمر فرس الرشيد:

وسبق يوما فرس للرشيد، يسمى المسمّر. وكان أجراه مع أفراس للفضل
وجعفر ابني يحيى بن خالد البرمكي. فقال أبو العتاهية:

جاء المسمّر والأفراس يقدّمها هَوْنًا على سرعة منها وما انتهر^(١)
وخلف الريح حسرى وهي تتبعه ومرّ يختطف الأبصار والنظرا

لأبي النجم في الحلبة:

وقال أبو النجم في شعر يصف الفرس، وهو أجود شعر يصف الحلبة:

قَيْدَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ جَحْفَلُهُ	تَمَّ سَمْعُنَا بِرَهَانٍ نَأْمُلُهُ
وَاعْدُ لَعْنًا فِي الرَّهَانِ نُرْسِلُهُ ^(٢)	فَقُلْتُ لِلْسَّائِسِ قُدَّهُ أَعْجَلُهُ
إِذَا عَلَا الْأَخْشَبَ صَاحَ جَنْدَلُهُ ^(٣)	نَعْلُو بِهِ الْحَزْنَ وَلَا نُسَهِّلُهُ
كَأَنَّ فِي الصَّوْتِ الَّذِي يُفَصِّلُهُ ^(٤)	تَرْتَمِ النَّوْجَ يُبْكِي مُثْكَلُهُ
حَتَّى وَزَدْنَا الْمِصْرَ يُطْوَى قَنْبَلُهُ	زُمَارَ دُفٍّ يَتَغَنَّى جُلْجُلُهُ
وَقَدْ رَأَيْنَا فِعْلَهُمْ فَنَفَعَلُهُ ^(٥)	طَيَّ التَّجَارَ الْعَصَبَ إِذْ تَنَخَّلُهُ
نُضْمَرُ الشَّحْمَ وَلَسْنَا نَهْزَلُهُ	نَطْوِيهِ وَالطَّيَّ الرِّقِيقُ يَجْدَلُهُ
وَاتَّبَعَ الْأَيْدِي مِنْهُ أَرْجُلُهُ ^(٦)	حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَوَلَّى أَثْجَلُهُ
نَمْدُ حَبْلًا فَوْقَ خَطِّ نَعْدِلُهُ ^(٧)	قَمْنَا عَلَى هَوْلٍ شَدِيدٍ وَجَلُّهُ
وَقَامَ مَشْقُوقَ الْقَمِيصِ يُعْجَلُهُ	نَقُولُ قَدَمٌ ذَا وَهَذَا أَدْخَلُهُ
أَدْرَكَ عَقْلًا وَالرَّهَانَ عَمَلُهُ ^(٨)	فَوْقَ الْخُمَاسِيِّ قَلِيلًا يَفْضُلُهُ

(١) الهون: السكينة والهدوء. وانتهر: أي زجر من أجل السرعة.

(٢) الرّهان: تضمير الخيل. (٣) الحزن: الأرض الوعرة المسالك، والجندل: الحجارة

(٤) القنبل: الطائفة من الخيل. (٥) العصب: ضرب من البرود، وتنخله: تختاره.

(٦) الأثجل: القطعة الضخمة من الليل. (٧) الوجل: الخوف.

(٨) الخماسي: يقال غلام خماسي إذا كان طوله خمسة أشبار.

حتى إذا أدركَ خَيْلاً مُرْسِلَهُ تَنَفَّسُ مِنْهُ الْخَيْلُ مَا لَا تَغْزِلُهُ
 مَرَّ الْقَطَا أَنْصَبَ عَلَيْهِ أَجْدَلُهُ قَدَّمَهِ مِثْلًا لِمَنْ يَمِثْلُهُ
 تَسْبَحُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُو أَوْلَهُ يَعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَيْسَ يَسْأَلُهُ
 فِي كُرْسُفِ النَّدَافِ لَوْلَا بَلَلُهُ ثُمَّ تَنَاولْنَا الْغَلَامَ تُنْزِلُهُ
 مُنْتَفِجِ الْجَوْفِ عَرِيضٌ كُلُّكُلُهُ وَالْجَنُّ عُكَافُ بِهِ تُقْبَلُهُ

وقال آخر في فرس أبي الأعور السلمي:

مَرَّ كَلِمَعِ الْبَرْقِ سَامٍ نَاطِرُهُ تَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
 فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ
 قول هذا أشبه من قول أبي النجم: لأنه يقول:

تَسْبَحُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُو أَوْلَهُ

وقال الأصمعي: إذا كان الفرس كما قال أبو النجم فحمار الكساح^(٧) أسرع منه .
 لأن اضطراب مؤخره قبيح .

وقال الأصمعي: كان أبو النجم وصافاً للخيل إلا أنه غلط في هذا البيت، وقد
 غلط رؤية أيضاً في الفرس فقال يصف قوائمه:

يَهْوِينَ شَتَى وَيَقَعْنَ وَفَقًا^(٨)

(٢) الأجدل: الصقر، والوهل: الخوف .

(٤) الكرشف: القطن .

(٥) مفرع الكتفين: عاليهما، والعطل: العنق، وقيل: الضمور .

(٨) وفقاً: أي على نمط واحد .

(١) العجاج والقسطل: الغبار .

(٣) الساجي: الساكن، ويركله: ينهره .

(٦) منتفج: أي منتفخ .

(٧) الكساح: الكناس .

ولما أنشدته مُسلم بن قتيبة ، قال له : أخطأت في هذا يا أبا الجحّاف ، جعلته مقيداً .
قال : قربني من ذنب البعير .

وأنشد الأصمعي :

قد أطرق الحيّ على سابعٍ لما أتيتُ الحيّ في متنّه
أقبلَ يختالُ على شأوه كأنّه سكرانُ أو عابسٌ
أسطعَ مثلَ الصّدعِ الأجرَدِ كأنّ عرجونا بمتنى يدي^(١)
يضربُ في الأقربِ والأبعدِ أو أين ربّ حدّث المولدِ

وقال غيره :

أما إذا استقبلته فكأنه وإذا اعترضت له استوت أقطاره
جدّعَ سماءَ فوق النّخيلِ مُشدّبُ وكأنّه ، مُستدبراً ، متصوّبُ

وقال ابن المعتز :

وقد يحضرُ الهيجاءُ في شنجِ النّسا له عنقٌ يغتالُ طولَ عنانه
تكمّلَ في أسنانه فهو قارحٌ^(٢) إذا مال عن أعطافه قلت شاربٌ
وصدّرَ إذا أعطيته الجريّ سابعُ إذا مال عن أعطافه قلت شاربٌ

وقال أيضاً :

ولقد وطئتُ الغيثَ يحمّلني يمشي ويعرضُ في العنان كما
طرفَ كلّون الصّبحِ حين وقد طارت به رجلٌ مُرصّعةٌ
صدفَ المعشّق بالدلالِ وصدّ^(٣) فكأنه موجٌ يسيلُ إذا
رجامةٌ لحصى الطريقِ ويدّ^(٤) أطلّقتَه وإذا حبّست جمدُ

(١) العرجون : أصل العذق ، وهو عنقود النخل .

(٢) شنج النسا : أي تقبض عرق النسا ويكون من الورك إلى الكعب . والقارح : الفرس في الخامسة من عمره .

(٣) صدف : امتنع وكذلك الصّد .

(٤) رجامة : من الرّجّة . أي مثيرة لها .

الحلبة والرهان

والحلبة: جمع الخيل، ويقال: مجتمع الخيل، ويقال: مجتمع الناس للرهان؛ وهو من قولك: حلب بنو فلان على بني فلان وأحلبوا: إذا اجتمعوا. ويقال منه: حَلَبَ الحالبُ اللبنَ في القدح: أي جمعه فيه. والمِقْوَس: الحبل الذي يُمدُّ في صدور الخيل عند الإرسال للسياق. والمتنصة: الخيل حين تُنصب للإرسال.

وأصل الرهان من الرهن، لأن الرجل يراهن صاحبه في المسابقة، يضع هذا رهنا وهذا رهنا، فأيهما سبق فرسه أخذ رهته ورهن صاحبه. والرهان، مصدر راهنته مراهنه ورهانا، كما تقول: قاتلته مقاتلة وقتالا. وهذا كان من أمر الجاهلية، وهو القمار المنهي عنه. فإن كان الرهن من أحدهما بشيء مسمًى على أنه إن سبق لم يكن له شيء، وإن سبقه صاحبه أخذ الرهن، فهذا حلال؛ لأن الرهن إنما هو من أحدهما دون الآخر؛ وكذلك إن جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محلاً، وهو فرس ثالث يكون مع الأولين، ويسمى أيضاً الدخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شيء، ثم يرسلون الأفراس الثلاثة، فإن سبق أحد الأولين أخذ رهته ورهن صاحبه فكان له طيباً، وإن سبق الدخيل أخذ الرهنتين جميعاً، وإن سبق هو لم يكن عليه شيء. ولا يكون الدخيل إلا رائعا جواداً، لا يأمنان أن يسبقهما؛ وإلا فهذا قمار، لأنها كأنها لم يدخلا بينهما محلاً.

قال الأصمعي: السابق من الخيل: الأول، والمصلّي: الثاني الذي يتلوه. قال: وإنما قيل له مُصَلٍّ، لأنه يكون عند صلوَي السابق، وهما جانباً ذنبه عن يمينه وشماله؛ ثم الثالث والرابع لا أسم لواحد منهما إلى العاشر، فإنه يسمّى سَكَيْتاً.

قال أبو عبيدة: لم نسمع في سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه أسماً لشيء منها إلا الثاني والعاشر؛ فإن الثاني أسمه المصلّي، والعاشر السَكَيْت؛ وما سوى ذينك يقال له الثالث والرابع، وكذلك إلى التاسع، ثم السَكَيْت ويقال السَكَيْت، بالتشديد والتخفيف، فما جاء بعد ذلك لم يعتد به. والفِسْكِل - بالكسر - الذي يجيء آخر

الخيـل ، والعامة تسميه الفُسـكـل - بالضم .

وقال أبو عبيدة: القاشور، الذي يجيء في الحلقة آخر الخيل ، وهو الفُسـكـل ، وإنما قيل للسُّكيت؛ سَكَيْتَ لأنه آخر العدد الذي يقف العاـدُّ عليه . والسَّكْتُ: الوقوف ، هكذا كانوا يقولون ، فأما اليوم فقد غَيَّرُوا .

وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق . قال جرير:
إذا شِئْتُمْ أن تَمسحوا وجه سابقٍ جَوادٍ، فمُدُّوا في الرِّهَانِ عِنايَا
ومن قولنا في هذا المعنى:

وإذا جِئَـدَ الخيـلَ ما طَلَّها المـدَى وتقطَّعتْ في شأوها المبهُور^(١)
خَلُّوا عِنايَا في الرِّهَانِ ومسَّحوا مِنِّي بَغْرَةً أبلقٍ مشهور^(٢)

وصف السلاح

درع عليّ:

كانت درعُ عليّ صدرًا لا ظهر لها ، فقليل له في ذلك ؛ فقال: إذا استمكن عدوي من ظهري فلا يُبْقِ .

وروي الجراح بن عبد الله قد ظاهر بين درعين ، فقليل له في ذلك ؛ فقال: لست أقي بدني وإنما أقي صبري^(٣) .

وأشترى زيد بن حاتم أدرعا وقال: إني لست أشترى أدرعا وإنما أشترى أعمارا .

وقال حبيب بن المَهَلَّب لبنيه: لا يقعدنَّ أحدكم في السوق ، فإن كنتم لا بدَّ فاعلين ، فإلى زراد ، أو سَرَّاج ، أو وَرَّاق .

(١) الشاؤ: المدى والسبق .

(٢) الأبلق: الذي في لونه سوادٌ وبياض .

(٣) في الأصول « صدري » وما أثبت هنا من عيون الأخبار لابن قتيبة .

بين عمر بن الخطاب وعمرو بن معد يكرب في الصمصامة:

العتبي قال: بعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن معد يكرب أن يبعث إليه بسيفه المعروف بالصمصامة، فبعث به إليه، فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه، فكتب إليه في ذلك، فرد عليه: إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف، ولم أبعث بالساعد الذي يضرب به.

وسأله عمر بن الخطاب يوماً عن السلاح، فقال: يسأل أمير المؤمنين عما بدا له. قال: ما تقول في الترس؟ قال: هو المجنّ الدائر، وعليه تدور الدوائر. قال: فما تقول في الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك فانقصف. قال: فالتنبل؟ قال: منايا تخطي وتصيب. قال: فما تقول في الدرع؟ قال: مثقلة للراجل، متعبة للفرس، وإنها لحصن حصين. قال: فما تقول في السيف؟ قال: هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين، فضربه عمر بالدرة وقال: بل لا أم لك. قال: الحمى أضرعتني لك^(١).

لابن يامين في الصمصامة:

الهيثم بن عدي قال: وُصِف سيف عمرو بن معد يكرب الذي يقال له الصمصامة لموسى الهادي، فدعا به فوضع بين يديه مجرداً، ثم قال لحاجبه: إيدن للشعراء. فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه، فبدرهم ابن يامين^(٢) فقال:

حازَ صَمَصَامَةَ الزَّيْدِي عَمْرُو من جميع الأنام موسى الأمين
سَيْفَ عَمْرٍو وكان فيما سمعنا خير ما أغمدت عليه الجفون
أخضر المتن بين حَدَّيْهِ نُورٌ من فرند تمتد فيه العيون
أوقدت فوقه الصواعق ناراً ثم ساطت به الدّعاف القيون^(٣)
فإذا ما سللته بهر الشمس ضياءً فلم تكذ تستبين

(١) أراد أن الإسلام قتيده، ولو كنت في الجاهلية لم تكلمني بهذا الكلام، وهو مثل تضربه العرب إذا اضطرت للخضوع.

(٢) اضطرب هذا الاسم في الأصول: فمرة «ابن قسي» ومرة «ابن أقيس» وما أثبتناه هنا من رواية نهاية الأرب وابن خلكان (٤٠٣/٢) ومروج الذهب (٢٨٦/٤) وديوان المعاني (٥٢/٢).

(٣) شابت: مزجت، والدّعاف: والقيون: جمع تين وهو الحداد.

فكَأَنَّ الْفَرْنَـدَ وَالرَّوْنُقَ الْجَا رِي فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ
وَكَأَنَّ الْمَنُونُ نِيْطَتْ إِلَيْهِ فَهُوَ مِنْ كُلِّ جَانِبِهِ مَنُونٌ^(١)
نِعَمَ مِخْرَاقِ ذِي الْحَفِیْظَةِ فِي الْهِجَاءِ يَسْطُو بِهِ وَنِعَمَ الْقَرِينِ
مَا يُبَالِي مَنْ أَنْتَضَاهُ لِحَرْبٍ أَشْمَالٌ سَطَّتْ بِهِ أَمْ يَمِينُ
فَأَمَرَ لَهُ بِبَدْرَةٍ وَخَرَجُوا .

الزبير بن العوام وسيف:

وَضَرَبَ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عِثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَطَّعَهُ إِلَى
الْقَرْبُوسِ؛ فَقَالُوا: مَا أَجُودَ سَيْفُكَ! فغضب - يريد أن العمل ليده لا لسيفه - وقال:
مَتَى تَلْقَانِي يَعْدُو بِيَزْيٍ مَقْلَصٌ كُمَيْتٌ بِهِمْ أَوْ أَغَرٌّ مُحَجَّلٌ^(٢)
تُلَاقِ أَمْرٌ إِنْ تَلَقَّاهُ فَبَسِيفِهِ تُعَلِّمُكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ
وقال أبو الشَّيْصِ:

خَتَلَتْهُ الْمَنُونُ بَعْدَ اخْتِيَالٍ بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ قَنَاءٍ وَنِصَالٍ^(٣)
فِي رِدَاءٍ مِنَ الصَّفِيحِ صَقِيلٍ وَقَمِيصٍ مِنَ الْحَدِيدِ مُذَالٍ^(٤)

لأبي الأغر يوصي ابنه:

وَبَلَغَ أَبَا الْأَغْرِ التَّمِيمِيَّ أَنَّ أَصْحَابَهُ بِالْبَادِيَةِ قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَبْنَهُ
الْأَغَرَ وَقَالَ: يَا بَنِيَّ، كُنْ يَدًا لِأَصْحَابِكَ عَلَى مَنْ قَاتَلَهُمْ، وَإِيَّاكَ وَالسَّيْفَ فَإِنَّهُ ظِلُّ
الْمَوْتِ، وَآتَقِ الرُّمَحَ فَإِنَّهُ رِشَاءُ الْمَنِيَّةِ^(٥)، وَلَا تَقْرُبِ السَّهَامَ فَإِنَّهَا رُسُلٌ لَا تُؤَامَرُ
مُرْسِلَهَا. قَالَ: فَهَذَا أَقَاتِلُ؟ قَالَ: بَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

جَلَامِيدٌ يَمْلَأَنَّ الْأَكْفَ كَأَنَّهَا رُءُوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

(١) نيطت: أسندت وخصت به.

(٢) البز: السلاح، والمقلص من الأفراس: المشمر المشرق الطويل القوائم، والبهيم: ما لاشية فيه. والأغر: الذي
في جبهته بياض، والمحجل: الذي في قوائمه بياض.

(٣) ختلته: غدرته.

(٤) المذال: الذي له ذيل، أي أن الدرع كانت فضفاضة. (٥) رشاء المنيّة: حبلىها.

وذكر أعرابي قوماً تحاربوا فقال: أقبلت الفحول، تمشي مشي الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف، فغرت^(١) المنايا أفواهها .

وقال آخر يذكر قوماً أسروا: استنزلوهم عن الجياد بليئة الخُرصان^(٢) ، ونزعوهم نزع الدلاء بالأشطان^(٣) .

وقال أعرابي في آخرين ابتغوا قوماً أغاروا عليهم، فقال: احتثوا كل جُماليّة عيرانة^(٤)، كما يخصفون أخفاف المطيّ بجوافر الخيل، حتى أدركوهم بعد ثالثة، فجعلوا المران أرشيّة المنايا فاستقّوا بها أرواحهم .

ومن أحسن ما قيل في السيف قول حبيب:

وتنبهن مثل السيف لو لم تسله يدان لسلته ظباه من الغمد

وقال في صفة الرماح:

مُثَقَّفات سلبن الروم زُرْقَتها والعُرب ألوانها والعاشق القصف^(٥)

ومن الإفراط القبيح قول النابغة في وصف السيف:

يَقْدُ السَّلُوقي المضاغف نسجه ويوقد في الصّفّاح نارَ الحباحب^(٦)

فذكر أنه يقْدُ الدرع المضاغف نسجه، والفارس، والفرس، ويقع بها في الأرض فيقدح النار من الحجارة .

وأقبح منه في الإفراط قول الآخر:

تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والقيدين والهادي^(٧)

(١) فغرت: فتحت .

(٢) الخرصان: القنا، الواحدة: خُرص بضم الخاء وتكسر .

(٣) الأشطان: الحبال .

(٤) الجماليّة: الناقة الوثيقة كالجمال، والعيرانة: الناجية في نشاط .

(٥) القصف: النخافة .

(٦) الحباحب: هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من اصطكاك الحجارة بعضها ببعض .

(٧) الهادي: العنق .

وقد جمع العلوي وصف الخيل والسلاح كله فأحسن وجود حيث يقول:

بَحْسِي مِنْ مَالِي مِنَ الْخَيْلِ أَعْيَطُ سَلِيمُ الشَّطَى عَارِي النَّوَاهِقِ أَمْعَطُ^(١)
وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنْدٌ وَأَسْمَرُ عَسَالُ الْكُعُوبِ عَنَطُنُطُ^(٢)
وَبِيضَاءُ كَالضَّحْضَاحِ زَغْفٌ مُفَاضَةٌ يُكَفِّتُهَا عَنِّي نَجَادٌ مُخَطَّطُ^(٣)
وَمَعْطُوفَةٌ الْأَطْرَافِ كِبْدَاءٌ سَمْحَةٌ مُنْفَجَّةُ الْأَعْضَادِ صَفْرَاءُ شَوْحَطُ^(٤)
فِيَا لَيْتَ مَالِي غَيْرَ مَا قَدْ جَعَلْتَهُ عَلَى لُجَّةٍ تَيَّارُهَا يَتَغَطَّطُ^(٥)
وَيَا لَيْتَنِي أُمْسِي عَلَى الدَّهْرِ لَيْلَةٌ وَلَيْسَ عَلَى نَفْسِي أَمِيرٌ مُسَلَّطُ

لابن عبد ربه:

ومن قولنا في وصف الرمح والسيف:

بِكَلِّ رَدَيْنِي كَأَنَّ سِنَانَهُ شِهَابٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاطِعُ
تَقَاصَرَتْ الْآجَالُ فِي طَوْلِ مَتْنِهِ وَعَادَتْ بِهِ الْأَمَالُ وَهِيَ فَجَائِعُ
وَسَاءَتْ ظُنُونُ الْحَرْبِ فِي حُسْنِ ظَنِّهِ فَهَنْ ظُبَاتٌ لِلْقُلُوبِ قَوَارِعُ^(٦)
وَذِي شُطْبٍ تَقْضِي الْمَنَايَا بِحُكْمِهِ وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي الْمَنِيَّةُ دَافِعُ
فِرْنَدٌ إِذَا مَا اعْتَنَّ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ وَبَرَقَ إِذَا مَا أَهْتَزَّ بِالْكَفِّ لَامِعُ
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ الْكِمَاةِ أَنْسِلَالَهُ وَيَرْتَاعُ مِنْهُ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ رَائِعُ
إِذَا مَا التَّقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعَةٍ هَنَالِكَ ظَنَّ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَاقِعُ

ومن قولنا في وصف السيِّف:

-
- (١) الأعيط: الطويل العنق، والشنطي: عظم لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوطيف. والنواحق: يريد بها الناهقين: وهما عظمان شاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع. والأمعط: الذي لا شعر على جسده.
- (٢) العسال: الرمح الشديد الاهتزاز والعنطنط: الطويل.
- (٣) البيضاء: يريد بها الدرع، والضحضاح: الماء اليسير ويكفِّتها عني: يريد أن زوائد هذه الدرع تلتصق بنجاد سيفه فلا تعوق حركته.
- (٤) الكبداء: القوس بملا الكف مقبضها، والسمحة: الواتية والشوخط: شجر تتخذ منه القسي.
- (٥) يتغطط: أي يضطرب.
- (٦) الظبا: الحد في السيِّف وغيره.

بِكَلِّ مَأْثُورٍ عَلَى مَتْنِهِ مِثْلُ مَدَبِ التَّمَلِّ بِالْقَاعِ
يَرْتَدُّ طَرْفُ الْعَيْنِ مِنْ حَدِّهِ عَنْ كَوَكَبِ اللَّمُوتِ لِمَاعِ

وقال إسحاق بن خلف البهراني في صفة السيف:

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضِي مِنَ الْأَجَلِ الْمَتَاحِ
وَكَأَنَّمَا ذَرَّ الْهَيْبَا عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ^(١)

ومن جيد صفات السيف قول الغنوي:

حُسَامٌ غَدَاةُ الرَّوْعِ مَاضٍ كَأَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فِي قَبْضِ النُّفُوسِ رَسُولُ
كَأَنَّ عَلَى إِفْرَنْدِهِ مَوْجَ لُجَّةٍ تَقَاصَرُ فِي ضَحْضَاحِهِ وَتَطُولُ
كَأَنَّ جُيُوشَ الذَّرِّ كَسَّرْنَ فَوْقَهُ قُرُونُ جَرَادٍ بَيْنَهُنَّ دُحُولُ^(٢)

النزع بالقوس

إبراهيم الشيباني قال: كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من أهل لسلطان أنه يعرض له ضيعة بواسط في مغرم لزمه للخليفة؛ فحمل وكيلا له على بغل وأترع^(٣) له خُرْجاً بدنانير، وقال له: اذهب إلى واسط فاشتر لي هذه الضيعة المعروضة، فإن كفاك ما في هذا الخرج وإلا فاكتب إلى أمِّدك بالمال. فخرج، فلما أصحَرَ عن البيوت، لحق به أعرابي راكب على حمار معه قوس وكنانة؛ فقال له: إلى أين تتوجه؟ فقال: إلى واسط. قال: فهل لك في الصَّحْبَةِ؟ قال: نعم. فسارا حتى قَوَّزَا، فعنت لهما طباء، فقال له الأعرابي: أيُّ هذه الطباء أحبُّ إليك: المتقدم منها أم المتأخِّرُ فأزكَّيه^(٤) لك؟ قال له: المتقدم. فرماه فخرمه بالسهم، فاشتَوَّيا وأكلا، فاغْتَبَطَ الرجل بصحبة الأعرابي، ثم عنَّ له زُقَّةٌ قطا، فقال: أيها تريد فأصرعها لك؟

(١) الهباء: الشيء المنبث الذي تراه في الكوى من ضوء الشمس شبيهاً بالغيبار.

(٢) الذحول: جمع دحل: وهو الثَّأر.

(٣) أترع: ملأ.

(٤) فأزكَّيه: أي أرميه بالسهم فأجعله مزكّى يحلُّ أكله.

فأشار إلى واحدة منها فرماها فأقصدَها، ثم اشتويا وأكلا، فلما انقضى طعامها فوق له الأعرابي سهماً ثم قال له: أين تريد أن أصيبك؟ فقال له: اتق الله وأحفظ زمام الصحبة. قال: لا بد منه! قال له: اتق الله ربك واستيقني، ودونك البغل والخرج فإنه مُترعٌ مالا. قال: فاخلع ثيابك. فأنسلخ من ثيابه ثوباً ثوباً حتى بقي مجرداً. قال له: اخلع أمواقك^(١). وكان لابساً خُفَّين طائفيين، فقال له: اتق الله فيّ ودع لي الخفين أتبلغ بهما من الحرّ، فإن الرّمضاء تحرق قدمي. قال: لا بدّ منه. قال فدونك الخُف فآخلعه. فلما تناول الخُفّ، ذكر الرجل خنجراً كان معه في الخُفّ، فأستخرجه ثم ضرب به صدره فشقه إلى عانته، وقال له: الاستقصاء فرقة. فذهبت مثلاً. وكان هذا الأعرابي من رُماة الحدق^(٢).

بين لص ورام:

وحدّث العتيبي عن بعض أشياخه قال: كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة، فأُتي بأعرابي كان معروفاً بالسَّرَق فقال له: أخبرني عن بعض عجائبك. قال: عجائبي كثيرة، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبق، وكانت لي خيل لا تُلحق، فكنت أخرج فلا أرجع خائباً، فخرجت يوماً فاحترشتُ^(٣) ضباً، فعلقته على قَتبي، ثم مررت بجباء ليس فيه إلا عجوز ليس معها غيرها، فقلت: يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وإبل. فلما أمسيتُ إذا بإبل مائة، وإذا شيخ عظيم البطن، شُنّ الكفين^(٤)، ومعه عبد أسود، فلما رأيَ رحب بي، ثم قام إلى ناقة فأحتلبها، وناولني العلبة. فشربت ما يشرب الرجل، فتناول الباقي فضرب به جبهته، ثم احتلب تسع أينق فشرب ألبانهن، ثم نحر حواراً^(٥) فطبخه، فأكلت شيئاً، وأكل الجميع حتى ألقى عظامه بيضا، وجثا على كومة من البطحاء وتوسدها ثم غَطَّ غطيط البكر. فقلت:

(١) الأمواق: جمع موق، وهو خفّ غليظ يلبس فوق الخُفّ.

(٢) رماة الحدق: أي المهرة الحاذقين في الرمي.

(٣) احترشت: اصطدت. (٤) شُنّ الكفين: غليظهما.

(٥) الحوار: ولد الناقة، من وقت ولادته إلى وقت فطامه.

هذه والله الغنيمة، ثم قمت إلى فحل إبلة فخطمته^(١)؛ ثم قرنته ببعيري وصحت به، فاتبعني الفحل واتبعته الأبل إرباباً به في قطار^(٢)، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود؛ فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمُسرع، ولم أزل أضرب بعيري، مرة بيدي، ومرة برجلي، حتى طلع الفجر؛ فأبصرت الثنية، وإذا عليها سواد، فلما دَنَوْتُ منه إذا الشيخ قاعد وقوسه في حجره! فقال: أضيفنا؟ قلت: نعم! قال: أتسخر نفسك عن هذه الإبل؟ قلت: لا. فأخرج سهماً كأنه لسان كلب، ثم قال: انظره بين أذني الضبِّ المعلق في القتب. ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه، فقال لي: ما تقول؟ قلت: أنا على رأيي الأول. قال: انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى، ثم رمى به فكأنما قدّره بيده ثم وضعه بأصبعه، ثم قال: رأيك؟ فقلت: إني أحب أن أستثبت. قال: انظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه، والرابع والله في بطنك. ثم رماه فلم يخطيء العكوة؛ قلت: أنزل آمناً؟ قال: نعم. فدفعت إليه خطام فحله وقلت: هذه إبلك لم تذهب منها وبرة. وأنا أنظر متى يرميني بسهم يُقصد به قلبي؛ فلما تباعدت قال: أقبل! فأقبلت والله قرّقا من شره لا طمعاً في خيره. فقال: ما أحسبك تجشمت الليلة ما تجشمت إلا من حاجة! قلت: نعم. قال: فاقْرُنْ من هذه الإبل ببعيرين وامض لِطَيْتِكَ. قال: قلت: أما والله لا أمضي حتى أخبرك عن نفسك؛ فلا والله ما رأيت أعرابيا قط أشدَّ ضرساً، ولا أعدى رجلاً، ولا أرمى يداً، ولا أكرم عَفْواً، ولا أسخى نفساً، منك. فصرف وجهه عني حياءً وقال: خذ الإبل برمتها مباركا لك فيها.

للنبي ﷺ في الرمي:

وقال النبي ﷺ: «اركبوا وآرموا؛ وأنْ ترموا أحبُّ إليَّ من أنْ تركبوا».

وقال: «كل لَهْوِ المؤمن باطلٌ إلا في ثلاث: تأديبه فرسه ورميه عن كبد قوسه، وملاعَبته امرأته؛ فإنه حق. إن الله ليدْخُلُ الجنةَ بالسهم الواحد عامله المحتسب،

(١) خطمته: علّقه.

(٢) القطار: القافلة، والإرباب: الملازمة.

والقويّ به في سبيل الله ، أي والرامي به في سبيل الله .

وروي عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو قائم على المنبر : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) . ألا إنّ القوة الرمي . ألا إنّ القوة الرمي .

وكان أرمى أصحاب رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص ؛ لأن رسول الله ﷺ دعا له فقال : اللهم سدّد رميته ، وأجِبْ دَعْوَتَهُ . فكان لا يُردّ له دعاء ، ولا يخيب له سهم .

النبي ﷺ ورماة من أسلم :

وذكر أسامة بن زيد : أنّ شيوخا من أسلم حدّثوه ، أنّ رسول الله ﷺ جاءهم وهم يرمون ببطحان ، فقال رسول الله ﷺ : ارمُوا يا بني إسماعيل ، فقد كان أبوك راميا ، وأنا مع ابن الأدرع . فتعدّى القوم فقالوا : يا رسول الله ، من كنت معه فقد نَضَلْ^(٢) . قال رسول الله ﷺ : ارموا وأنا معكم كلكم . فانتضلوا ذلك اليوم ثم رجعوا بالسواء ؛ ليس لأحد على أحد منهم فضل .

لعمر بن الخطاب :

وقال عمر : اتّزروا وآرّدوا ، وانتعلوا وآحتفوا ، وآرموا الأغراض ، وآلقوا الرُّكْبَ ، وأنزوا على الخيل نَزْوَاً^(٣) ، وعليكم بالمعدية - أو قال : بالعربية - ودعوا التّنعّم وزيّ العجم .

وقال أيضا : لن تخور قواكم ما نَزَوْتُمْ ونَزَعْتُمْ . يعني نزوتم على ظهور الخيل ونزعتم بالقسي .

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٢) نضل : غلب في المناضلة ، وهي المراماة .

(٣) انزوا : اقفروا وثبوا .

لرجل من البادية يذمر قومه :

وجنى قوم من أهل اليمامة ^(١) جناية ، فأرسل السلطان إليهم جُنْدًا من محاربة بن زياد . فقام رجل من أهل البادية يُذمر أصحابه فقال : يا معشر العرب ، ويا بني المحصنات ، قاتلوا عن أحسابكم وأنسابكم ؛ فوالله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وضعوها بالأرض ، ولأعتراكم من نِشَاب معهم في جعاب كأنها أياور الفيلة ينزعون في قِسي كأنها الغُبط ^(٢) ، تَظُ ^(٣) إحداهن أطيظ الزرنوق ^(٤) ، يَمْعَط ^(٥) أحدهم فيها حتى يتفرق شعر إبطيه ، ثم يرسل نِشابة كأنها رِشاء منقطع ، فما بين أحدكم وبين أن تنفضخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة . فخلع قلوبهم فطاروا رُعبا .

مشاروة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنف ، فحملتهم الدالة وما تقدّم لهم من المكاينة على أن نكثوا ببيعتهم ، ونقضوا موثقتهم ، وطرّدوا العُمال ، والتوّأ بما عليهم من الخراج . وحل المهدي ما يُحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم ^(٦) ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دالّتهم ؛ تطوّلًا بالفضل ، وآتساعًا بالعفو ، وأخذًا بالحُجة ، ورفقًا بالسياسة ؛ ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة ، وقلّده أمور

(١) كذا في بعض الأصول وعيون الأخبار ، والذي في سائر الأصول : « المدينة » .

(٢) الغبط : جمع غبيط ، وهو الرجل الذي قنّبه وأحناؤه واحدة .

(٣) تظُ : تصوت .

(٤) الزرنوق : واحد الزرنوقين ، وهما منارتان تبينان على رأس البئر من جانبيها فتوضع خشبة تعرض عليها ثم تعلّق فيها بكره فيستقى بها .

(٥) يمعط : معط الرامي في قوسه : أغرق في مدها .

(٦) أقال عثرتهم : أصلحها واغترفها .

الرعية، رفيقاً بمدار سلطانه، بصيراً بأهل زمانه، باسطاً للمعدلة في رعيته؛ تسكُن إلى كنفه، وتأنس بعفوه، وتثق بحلمه؛ فإذا وقعت الأقضية اللازمة، والحقوق الواجبة، فليس عنده هواة ولا إغضاء ولا مُداهنة^(١)؛ أثرةً للحق، وقياماً بالعدل، وأخذاً بالحزم. فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه، والثقة بعفوه، أن كسروا الخراج، وطرّدوا العمال، وسألوا ما ليس لهم من الحق؛ ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار، وخصومةً بإقرار، وتنصلاً باعتلال. فلما انتهى ذلك إلى المهدي، خرج إلى مجلس خلّائه، وبعث إلى نفر من لُحَمَتِهِ ووزرائه، فأعلمهم الحال، واستنصَحهم للرعية؛ ثم أمر الموالي بالابتداء؛ وقال للعباس بن محمد: أيّ عَمٍّ، تَعَقَّبَ قولنا، وكُنْ حكماً بيننا. وارسل إلى ولديه موسى وهارون فأحضرهما الأمر، وشاركهما في الرأي. وأمر محمد ابن الليث بحفظ مُراجَعَتِهِمْ وإثبات مَقالَتِهِمْ في كتاب.

فقال سلام صاحب دار المظالم: أيها المهدي، إن في كل أمر غاية، ولكل قوم صناعة، استفرغت رأيهم، واستغرقت أشغالهم، واستنفدت أعمارهم، وذهبوا بها وذهبت بهم، وعُرفوا بها وعُرفت بهم؛ ولهذا الأمور التي جعلتنا فيها غايةً وطلبت معونتنا عليها: أقوامٌ من أبناء الحرب، وساسة الأمور، وقادة الجنود، وفُرسان الهزاهز^(٢)، وإخوان التجارب، وأبطال الوقائع، الذين رَشَحْتَهُمْ سِجَالُهَا، وقيّأتهم ظلالُهَا، وعَضَّتْهُمْ شِدائِدُهَا، وقرمتهم نواجذها^(٣)؛ فلو عَجَمْتَ ما قَبْلَهُمْ، وكشفت ما عندهم، لوجدتَ نظائرَ تَوَيْدِ أمرك، وتجارب توافق نظرك، وأحاديث تقوّي قلبك. فأما نحن معاشرَ عَمالِكَ، وأصحاب دواوينك، فَحَسَنَ بنا وكثيرٌ منا أن نقوم بِثِقَلِ ما حَمَلْتَنَا مِنْ عَمَلِكَ، واستودعْتَنَا مِنْ أمانتك، وشغلْتَنَا به من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك، وإظهار حقك.

فأجابه المهدي: إن في كل قوم حكمة، ولكل زمان سياسة، وفي كل حال تدبير يُبطل الآخرَ الأوّل؛ ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا.

(١) المداهنة: المحاباة والتزلف.

(٢) الهزاهز: الفتن والحروب.

(٣) النواجذ: أواخر الأضراس في الفم.

قال: نعم أيها المهدي، أنت متسع الرأي، وثيق العقدة قوي المنة^(١)، بليغ الفطنة، معصوم النية، محصور الروية، مؤيد البديهة، موقق العزيمة، مُعان بالظفر، مَهْدِيٌّ إلى الخير؛ إن هممت ففي عزمك مواقع الظنّ، وإن أجمعت صدع فعلك ملتبس الشك، فاعزم يهد الله إلى الصواب قلبك، وقُلْ يُنطِق الله بالحق لسانك، فإن جنودك جمة، وخزائنك عامرة، ونفسك سخية، وأمرك نافذ.

فأجابه المهدي: إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يهلك عليهما رأي، ولا يتفيل^(٢) معهما حزم؛ فأشيروا برأيكم، وقولوا بما يحضركم؛ فإني من ورائكم، وتوفيق الله من وراء ذلك.

قال الربيع: أيها المهدي، إن تصارييف وجوه الرأي كثيرة، وإن الإشارة ببعض معاريض القول^(٣) يسيرة؛ ولكنّ خراسان أرض بعيدة المسافة، متراخية الشقة، متفاوتة السبل، فإذا ارتأيت من محكم التدبير، ومُبرّم التقدير، ولباب الصواب. رأيا قد أحكمه نظرك، وقلّبه تدبيرك، فليس وراءه مذهب لحجة طاعن، ولا دونه متعلق لخصومة عائب، ثم خبّت^(٤) البردُ به، وانطوت الرسلُ عليه. كان بالحرى ألا يصل إليهم محكمه إلا وقد حدث منهم ما ينقضه؛ فما أيسر أن ترجع إليك الرسل وترد عليك الكتب بمحقائق أخبارهم، وشوارد آثارهم، ومصادر أمورهم؛ فتحدث رأياً غيره، وتبتدع تدبيراً سواه، وقد انفرجت الخلق^(٥)، وتحلّلت العقد، وآسرخى الحقاب^(٦)، وامتد الزمان. ثم لعلنا مَوْقِع الآخرة كمصدر الأولى. ولكن الرأي لك أيها المهدي وقّك الله، أن تصرف إجابة النظر، وتقلب الفكر فيما جمعنا له واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل في أمرهم، إلى الطلب لرجل ذي دين

(١) المنة: القوة.

(٢) لا يتفيل: لا يضعف.

(٣) معاريض القول: ما عرض به ولم يصرح، وهي التورية عن الشيء بالشيء.

(٤) خبّت البرد: أسرع، والبرد: جمع بريد، وهو الرسول.

(٥) الخلق: جمع حلقة.

(٦) الحقاب: شيء تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطها.

فاضل، وعقل كامل، وورع واسع، ليس موصوفاً بهوى في سواك، ولا متهماً في أثره عليك، ولا ظنينا على دُخلة مكروهة، ولا منسوباً إلى بدعة محذورة، فيقدح في ملكك، ويربّض الأمور لغريك، ثم تُسند إليه أمورهم، وتفوض إليه حربهم، وتأمره في عهدك ووصيتك إياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي، عند استحالة الأمور واستدارة الأحوال التي يُنقصُ أمر الغائب عنها، ويثبت رأي الشاهد لها، فإنه إذا فعل ذلك فوائب أمرهم من قريب، وسقط عنه ما يأتي من بعيد، تمت الحيلة، وقويت المكيدة، ونفذ العمل، وأحد النظر إن شاء الله.

قال الفضل بن العباس: أيها المهدي، إن وليّ الأمور، وسائس الحروب، ربما نحى جنوده، وفرّق أمواله، في غير ما ضيق أمر حربه. ولا ضغطة حال اضطرتّه، فيقعد عند الحاجة إليها ويعد التفرقة لها عديماً منها، فاقداً لها، لا يثق بقوة، ولا يصلو بعدة، ولا يفرغ إلى ثقة. فالرأي لك أيها المهدي وفقك الله، أن تعفي خزائنك من الإنفاق للأموال، وجنودك من مكابدة الأسفار، ومقارعة الأخطار وتغريب القتال. ولا تسرع للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون، والإعطاء لما يسألون، فيفسد عليك أدهم، وتجرّيء من رعيّتك غيرهم؛ ولكن اغزهم بالحيلة، وقاتلهم بالمكيدة، وصارعهم باللين، وخالطهم بالرفق^(١)، وأبرق لهم بالقول، وأرعِد نحوهم بالفعل، وابعث البُعوث، وجند الجنود وكتب الكتائب، وأعقد الأولوية، وأنصب الرايات، وأظهر أنك موجّه إليهم الجيوش مع أحنق^(٢) قوادك عليهم، وأسوئهم أثراً فيهم، ثم ادسّس الرسل، واثبت الكتب، وضع بعضهم على طمع من وعدك، وبعضاً على خوف من وعيدك، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم، وأغرس أشجار التنافس بينهم، حتى تملأ القلوب من الوحشة، وتنطوي الصدور على البغضة، ويدخل كلاً من كلّ الحذر والهيبه؛ فإن مرّام الظفر بالغيلة، والقتال بالحيلة، والمناسبة بالكتب، والمكيدة بالرسل، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب، القوي الموقع من النفوس، المعقود بالحُجج، الموصول بالحيل، المبني على اللين، الذي

(٢) أحنق: أي أشدهم حنقاً وغضباً.

(١) خالطهم: خادعهم.

يستميل القلوب، وَيَسْتَرْقُّ العقول، ويسبي الآراء، ويستميل الأهواء، ويستدعي المواتاة^(١) - أَنْفَذُ مِنَ الْقِتَالِ بِطُبَاتِ السُّيُوفِ وَأَسْنَةِ الرِّمَاحِ: كما أَنَّ الْوَالِي الَّذِي يَسْتَنْزِلُ طَاعَةَ رَعِيَّتِهِ بِالْحِيلِ، وَيُفَرِّقُ كَلِمَةَ عَدُوِّهِ بِالْمَكَايِدَةِ، أَحْكَمُ عَمَلًا وَأَلْطَفُ نَظَرًا وَأَحْسَنُ سِيَاسَةً مِنَ الَّذِي لَا يَنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقِتَالِ، وَالْإِتْلَافِ لِلْأَمْوَالِ، وَالتَّغْرِيرِ وَالْخِطَارِ.

وليعلم المهدي - وفقه الله - أنه إن وجه لقتالهم رجلاً، لم يَسِرْ لقتالهم إلا بمجنود كثيفة تخرج على حال شديدة، وتُقدِّم على أسفار ضيقة، وأهوال متفرقة، وقواد غَشَّة^(٢)، إن ائتمنهم استنفدوا ماله، وإن استنصحهم كانوا عليه لا له.

قال المهدي: هذا رأي قد أسفر نوره، وبرق ضوؤه، وتمثل صوابه للعيون، وتجسد حقه في القلوب، ولكن فوق كل ذي علم عليم.

ثم نظر إلى ابنه عليّ فقال: ما تقول؟

قال علي: أيها المهدي، إن أهل خراسان لم يخلعوا من طاعتك يداً، ولم ينصبوا من دونك أحداً يكدح في تغيير ملكك، ويربّض^(٣) الأمور لفساد دولتك؛ ولو فعلوا لكان الخطب أيسر، والشأن أصغر، والحال أدل؛ لأن الله مع حقه الذي لا يخذله، وعند مواعده الذي لا يُخْلِفُهُ: ولكنهم قوم من رعيّتك، وطائفة من شيعتك، الذين جعلك الله عليهم والياً، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً، طلبوا حقاً، وسألوا إنصافاً؛ فإن أجبتَ إلى دعوتهم، ونفست عنهم قبل أن تتلاخَمَ منهم حال، أو يحدث من عندهم فتق، أطعتَ أمر الرب، وأطفأت نائرة الحرب^(٤)، ووقرت خزائن المال، وطرحت تغرير^(٥) القتال؛ وحَمَلَ الناسُ مَحْمَلَ ذَلِكَ على طبيعة جُودِكَ وَسَجِيَّةِ حِلْمِكَ، وإسجاح خليقتك^(٦)، ومعدلة نظرك؛ فأمنت أن تُنسبَ إلى ضعفة، وأن يكون ذلك لهم فيما بقي دُرْبَةٍ. وإن مَنَعْتَهُمْ ما طلبوا، ولم تُجِبْهُمْ إلى ما سألوا،

(٢) قواد غشّة: أي لا أمانة لهم.

(١) المواتاة: الموافقة.

(٣) يربّض: يثبت.

(٤) نائره الحرب: أي المتقد منها.

(٦) إسجاح خليقتك: حسنها وعفوها.

(٥) تغرير القتال: هلاكه.

اعتدلت بك وبهم الحال، وساويتهم في ميدان الخطاب . فما أَرَبُ المهدي أن يَعتمد إلى طائفة من رعيته: مُقَرِّين بملكته، مُذْعِنين لطاعته، لا يُخرجون أنفسهم عن قُدْرته، ولا يُبرئونها من عبوديته، فيَمْلِكهم أنفسهم، ويخلع نفسه عنهم، ويقف على الجدل معهم، ثم يجازيهم السوء في جد المقارعة، ومضمار المخاطرة؟ أيريد المهدي - وفقه الله - الأموال؟ فلعمري لا ينالها ولا يَقْطَرُ بها إلا بإِنْفَاق أَكْثَر مما يطلب منهم، وأضعاف ما يَدَّعي قِبَلهم؛ ولو نالها فحَمِلَتْ إليه، أو وُضِعَتْ بخرائطها بين يديه، ثم تجافى لهم عنها، وطال عليهم بها، لكان مما إليه يُنسَب وبه يُعرَف، من الجود الذي طَبَّعه الله عليه، وجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنه ونَهْمَةً نفسه فيه . فإن قال المهدي: هذا رأي مستقيم سديد في أهل الخِراج الذين شكوا ظلمَ عَمَّالنا وتحامُلَ ولاتنا، فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود، وأنطقوا لسان الإرجاف^(١)، وفتحوا بابَ المعصية، وكسروا قيدَ الفتنة؛ فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالاَ لغيرهم؛ وعِظَةً لسواهم . فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين في الحديد، مُقَرَّنين في الأصفاد، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوهُ، وإقالة عثرتهم صفْحهُ، واستبقاهم لما هُم فيه من حَرِّه، أو لمن يَازِئهم من عدوِّه، لما كان بدْعاً من رأيه، ولا مستنكراً من نظره . لقد علَّمت العربُ أنه أعظمُ الخلفاء والملوك عفواً، وأشدُّها وقعاً، وأصدقها صولةً، وأنه لا يتعاضمه عفو، ولا يتكأدُهُ^(٢) صفح، وإن عَظُمَ الذنبُ وجلَّ الخطب . فالرأي للمهدي - وفقه الله تعالى - أن يَحُلَّ عقدةَ الغِيْظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعةَ عيالاتهم، برّاً بهم، وتوسّعاً لهم، فإنهم إخوان دولته، وأركانُ دعوته، وأساسُ حقِّه، الذين بعِزَّتْهم يَصُول، وبمحجَّتْهم يقول . وإِذَا مَثَلُهم فيما دخلوا فيه من مَسَاخِطِهِ، ونَعَرَّضُوا له من معاصيه، وانطَوَّأوا فيه عن إجابته؛ ومَثَلُهُ في قلة ما غَيَّرَ ذلك من رأيه فيهم، أو نَقَلَ من حاله لهم، أو تَغَيَّرَ من نعمته بهم - كمثل رجلين أَخَوَيْنِ متناصِرَيْنِ متوازرَيْنِ، أصاب أحدهما خَبَلٌ عارض^(٣)، وهو حادث، فنهض

(١) الإرجاف: الخوض في أخبار الفتن لإيقاع الاضطراب في الناس . (٢) يتكأده: يشق عليه .

(٣) الخبل العارض: الفساد في الرأي والعقل .

إلى أخيه بالأذى، وتحامل عليه بالمكره؛ فلم يزدد أخوه إلا رقة له، ولطفاً به،
وأحتيالاً لمداواة مرضه، ومراجعة حاله، عطفاً عليه، وبراً به، ومَرَحَةً له.

فقال المهدي: أما عليّ فقد نوى اللّيان، وفضّ القلوب عن أهل خراسان، ولكل
نباٍ مستقر وسوف تعلمون. ثم قال: ما ترى يا أبا محمد؟ يعني موسى أبنه.

فقال موسى: أيها المهدي، لا تسكن إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم،
وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم. والحال من القوم تنادي بمُضمرة شرّ، وخَفِيّة
حقّد، قد جعلوا المعاذير عليها سترًا، واتخذوا العلل من دونها حجاباً، رجاء أن
يدافعوا الأيام بالتأخير، والأمور بالتطويل، فيكسروا حيل المهدي فيهم، ويثنوا
جنوده عنهم، حتى يتلاحم أمرهم، وتتلاحق مادّتهم، وتستفحل حربهم، وتستمرّ
الأمور بهم؛ والمهديّ من قوتهم في حال غِرّة^(١)! ولباس أمانة، قد فتر^(٢) لها، وأنس
بها، وسكن إليها. ولولا ما اجتمعت له قلوبهم، وبردت عليه جلودهم، من المناصب
بالقتال، والإضرار للقراع، عن داعية ضلال أو شيطان فساد، لرهبوا عواقب أحوال
الولاية، وغبّ سكون الأمور. فليشدّ المهدي - وفقه الله - أزره لهم، ويكتب كتابه
نحوهم، وليضع الأمر على أشدّ ما يحضره فيهم، وليوقن أنه لا يُعطيهمْ خطة يريد بها
صلاحهم إلا كانت دُربة لفسادهم، وقوة على معصيتهم، وداعية إلى عودتهم، وسبباً
لفساد من بحضرته من الجنود، ومن ببابه من الوفود الذين إن أقرهم على تلك العادة،
وأجراهم على ذلك الأدب لم يبرح في فتقٍ حادث، وخلاف حاضر، لا يصلح عليه
دين، ولا تسنيم به دنيا. وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة، واستمرار الدّربة، لم
يصل إلى ذلك بالعقوبة المفرطة، والمثونة الشديدة. والرأي للمهدي - وفقه الله - ألاّ
يقلل عثرتهم، ولا يقبل معذرتهم، حتى تطأهم الجيوش، وتأخذهم السيوف.
ويستحرّ^(٣) بهم القتل، ويحدّق بهم الموت، ويحيط بهم البلاء، ويطبّق عليهم الذل.

(١) الغرة: الغفلة. (٢) فتر: ضعف.

(٣) يستحرّ: يشتدّ ويكثر.

فإن فعل المهديّ بهم ذلك كان مقطعةً لكل عادةٍ سوءٍ فيهم، وهزيمةً لكل بادرةٍ شرٍّ منهم. واحتمال المهدي مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه غزواتٍ كثيرة، ونفقاتٍ عظيمة.

قال المهدي: قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل.

فقال العباس بن محمد: أيها المهدي، أما الموالي فأخذوا بفروع الرأي، وسلكوا جنبات الصواب، وتعدّوا أموراً قصّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجارتهم عليها.

وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تُنفق، والجنود ألا تُفرّق، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا، ولا يُبدل لهم ما سألوا، وجاء بأمر بين ذلك، استصغاراً لأمرهم وأستهانةً بحرهم، وإنما يهيجُ جسياتِ الأمورِ صغارها.

وأما عليٌّ فأشار باللين وإفراط الرفق. وإذا جرّد الوالي لمن غمط^(١) أمره وسفّه حقه، اللين بحثاً، والخير محضاً، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينه، ولا بشرٍ يحيشهم^(٢) إلى خيره؛ فقد ملّكهم الخلع لعذرهم^(٣) ووسّع لهم الفرجة لثني أعناقهم، فإن أجابوا دعوته، وقبلوا لينه من غير ما خوف اضطهرهم، ولا شدة حالٍ أخرجتهم، لم يزل ذلك يهيج عزة في نفوسهم، ونزوة في رؤوسهم، يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم؛ ويصرفون بها رأي المهدي فيهم. وإن لم يقبلوا دعوته، ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصّراح، فذلك ما عليه الظنُّ بهم، والرأي فيهم، وما قد يُشبه أن يكون من مثلهم؛ لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والملك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر، ولا تدركه الفِكر، ولا تعلمه نفس؛ ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها؛ فلولا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة، لما أجابوا ولا قبلوا.

وأما موسى فأشار بأن يُعصّبوا بشدةٍ لا لينَ فيها، وأن يُرمَوْا بشرٍّ لا خيرَ معه.

(١) غمط: جحد وأنكر. (٢) يحيشهم: يجعلهم يفزعون.

(٣) العذر: بضمتين جمع عذار، وهو من اللجام ما سال على خدّ الفرس.

وإذا أضمر الوالي لمن فارق طاعته وخالف جماعته، الخوف مفرداً والشرّ مجرداً، ليس معها طمع يكسرهم، ولا لين يثنيهم، امتدت الأمور بهم، وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين: إما أن تدخلهم الحميّة من الشدة، والأنفة من الذلّة، والامتعاظ^(١) من القهر، فيدعوهم ذلك إلى التمادي في الخلاف، والاستبسال في القتال، والاستسلام للموت؛ وإما أن ينقادوا بالكُرّه، ويذعنوا بالقهر، على بغضة لازمة، وعداوة باقية، تورث النفاق، وتُعقب الشقاق، فإذا أمكنتهم فرصة، أو ثابت لهم قدرة، أو قوت لهم حال، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشدّ مما كان.

وقال: في قول الفضل أيها المهدي، أكفّ دليل، وأوضح برهان، وأبين خبر بان. قد اجتمع رأيه، وحزّم نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم، وتوجيه البعث نحوهم، مع إعطائهم ما سألوا من الحق، وإجابتهم إلى ما سألوه من العدل.

قال المهدي: ذلك رأي.

قال هارون: خلطت الشدة أيها المهدي باللين، فصارت الشدة أمر فطام لما تكره، وعاد اللين أهدى قائدي إلى ما تُحب؛ ولكن أرى غير ذلك.

قال المهدي: لقد قلت قولاً بديعاً، وخالفت به أهل بيتك جميعاً، والمرء متهم بما قال، وظنين بما ادّعى، حتى يأتي بيينة عادلة، وحجة ظاهرة، فاخرج عما قلت.

قال هارون: أيها المهدي، إن الحرب خدعة، والأعاجم قوم مكرّة، وربما اعتدلت الحال بهم، واتفقت الأهواء منهم، فكان باطن ما يسيرون على ظاهر ما يعلنون؛ وربما افترقت الحالان، وخالف القلب اللسان، فانطوى القلب على محجوبة تُبطن، واستسرّ بمدخولة لا تُعلن؛ والطبيب الرفيق بطبّه، البصير بأمره، العالم بمقدّم يده، وموضع ميسمه^(٢)، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء؛ فالرأي للمهدي - وفقه الله - أن يقرّ^(٣) باطن أمرهم قرّ المسنة، ويمخض ظاهر حالهم

(١) الامتعاظ: الشعور بالكراهة والألم.

(٢) الميسم: المكواة. (٣) يقرّ: يختبر.

مَحْضَ السَّقاء، بمتابعة الكتب، ومظاهرة الرسل، وموالاة العيون، حتى تهتك حُجُبُ غُيُوبهم، وتُكشَفَ أَغْطِيَةُ أُمُورهم؛ فإن آنفِرجت الحال له وأفضت الأمور به إلى تغيير حال أو داعية ضلال، آشتملت الأهواء عليه، وانقاد الرجال إليه، وامتدت الأعناق نحوه، بدين يعتقدونه. وإثم يستحلونه، عَصَبَتَهُمْ بِشَدَّةً^(١). لا لينَ فيها، ورماهم بعقوبة لا عفوَ معها، وإن انفرجت الغيوب، واهتُصرت السُّتُور، ورُفعت الحجب، والحالُ فيهم مَرِيعة^(٢)، والأُمُور بهم معتدلة، عن أرزاق يطلبونها، وأعمال يُنكرونها، وظُلُمات يَدْعونها، وحقوق يسألونها، بماتَّةٍ سابقتهم، ودالَّةٍ مناصحتهم. فالرأي للمهدي - وفقه الله - أن يتسع لهم بما طلبوا، ويتجافى لهم عما كرهوا، وَيَشْعَبُ^(٣) من أمرهم ما صدَعوا، ويرتق من فتنهم ما فتقوا؛ ويولِّي عليهم من أَحَبَّوا، ويُدَاوي بذلك مَرَضَ قُلُوبهم، وفسادَ أُمُورهم؛ فإنما المهدي وأمتَه وسوادَ أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق، والوالد الشفيق، والراعي الحذب، الذي يحتال لمرايض غنمه، وضوال رعيته، حتى يرى المريضة من داء علتها، ويرد الضالَّة إلى أنس جماعتها. ثم إن خراسان بخاصَّةٍ لهم ذالَّةٌ محمولة، وماتَّةٌ مقبولة، ووسيلةٌ معروفة، وحقوقٌ واجبة؛ لأنهم أيدي دولته، وسيوفُ دعوته، وأنصارُ حقه، وأعوان عدله. فليس من شأن المهدي الاضطغانُ عليهم، ولا المؤاخذة لهم، ولا التوغُّرُ بهم^(٤)، ولا المكافأة بإساءتهم؛ لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفةٌ قبل أن تقوى، ومحاولة قطع الأصول ضئيلةٌ قبل أن تغلظ، أحزَمُ في الرأي وأصحُّ في التدبير، من التأخير لها والتهاون بها، حتى يلتئم قليلُها بكثيرها، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها.

قال المهدي: ما زال هارون يقع وَقَعُ الحيا، حتى خرج خروج القِدْح مما قال، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى، فدعوا ما قد سَبَقَ موسى فيه أنه هو الرأي، وثنَّى بعده هارون، ولكن مَنْ لأَعِنَّةِ الخيل، وسياسةِ الحرب، وقيادة الناس، إن أمعن بهم اللجاج، وأفطرت بهم الدالَّةُ؟^(٥)

(١) عصبهم بشدة: أخذهم بالحزم.

(٢) مريعة: أي موفورة الرزق والخيرات.

(٣) يشعب: يصلح ويسوي. (٤) التوغُّر: التشدد. (٥) الدالَّة: الجرأة.

قال صالح: لسا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِراسة رأيك، وبعضَ لحظات نظرك؛ وليس ينفُضْ عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم، ذو دين فاضل ورأي كامل، وتدبير قويّ، تُقلِّده حريك، وتستودعه جندك، ممن يحتمل الأمانة العظيمة، ويضطلع بالأعباء الثقيلة. وأنت بمحمد الله ميمون النقية، سبارك العزيمة، مخبور التجارب، محمود العواقب، معصوم العزم؛ فليس يقع اختيارُك ولا يقف نظرك على أحد تولّيه أمرُك وتُسند إليه ثغرُك إلا أراك الله ما تُحب، وجمع لك منه ما تريد.

قال المهدي: إني لأرجو ذلك. لتقديم عادة الله فيه، وحسن معونته عليه. ولكن أحب الموافقة على الرأي، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم.

قال محمد بن الليث: أهلُ خراسان - أيها المهدي - قوم ذوو عزة ومَنعة، وشياطينُ خَدَعَة زُرع الحمية فيهم نابتة، وملابسُ الأنفة عليهم ظاهرة، فالرَوِيَّة عنهم عازبة^(١)، والعجلة فيهم حاضرة، تسبق سيولهم مطرهم، وسيوفهم عَدْلهم، لأنهم بين سِفلة لا يعدو مبلغُ عقولهم منظرَ عيونهم، وبين رؤساء لا يُلجمون إلا بشدة ولا يُفطمون إلا بالقهر؛ وإن ولى المهدي عليهم وضيعا لم تنقُد له العظما، وإن ولى أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء. وإن آخرَ المهدي أمرهم ودافعَ حربهم حتى يُصيب لنفسه من حشمة ومواليه، أو بني عمه أو بني أبيه، ناصحاً يتفق عليه أمرهم، وثقة تجتمع له أملاؤهم^(٢)، بلا أنفة تلزمهم، ولا حمية تدخلهم، ولا عصبية تُنفّرهم، تنفست الأيام بهم، وتراخت الحالُ بأمرهم، فدخل بذلك من الفساد الكبر والضياع العظيم ما لا يتلافاه صاحبُ هذه الصفة وإن جدّ ولا يَسْتَصْلِحُه وإن جَهَد، إلا بعد دهر طويل، وشر كبير. وليس المهدي - وفقه الله - فاطماً عاداتهم ولا قارعاً صفاتهم^(٣) بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما، ولا عدلٌ في ذلك بها: أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك،

(١) عازبة: مبتعدة ومفارقة وغائبة.

(٢) أملاؤهم: جماعاتهم، الواحد ملأ.

(٣) صفاتهم: صخورهم، والصفة: الصخرة الملساء.

ويَدٌ مِمثلة لعينك، وصخرة لا تُزَعزَع، وبُهْمَةٌ لا يَنْثني، وبازِلٌ لا يُفَزِعُه صوتُ الجُلجل^(٢)، نقيّ العِرض، نزيه النفس، جليل الخطر، قد اتضعت الدنيا عن قدره، وسما نحو الآخرة بهِمته، فجعل الغرضَ الأقصى لعينه نُصباً، والغرض الأدنى لقدمه موطناً، فليس يُغفل عملاً، ولا يتعدى أملاً وهو رأس مواليك، وأنصحُ بني أبيك رجلٌ قد غُدِّي بلطيف كرامتك، ونَبَت في ظل دولتك ونشأ على قوم أدبك؛ فإن قلدته أمرهم، وحمَلته ثِقَلهم، وأسندت إليه ثغرهم: كان قُفلاً فَتَحَه أَمْرُك، وباباً أَغْلَقَهُ نَهْيُك، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً، والإنصافَ بينه وبينهم حاكماً. وإذا حَكَمَ النصفة وسلَّك المعدلة فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم، غرس لك في الذي بين صدورهم، وأسكن لك في السُّوداء داخل قلوبهم طاعةً راسخةً العروق، باسقة الفروع، مُتمثلة في حواشي عوامهم، متمكنة من قلوب خواصهم، فلا يبقى فيهم ريب إلا نَفَوْه، ولا يلزمهم حق إلا أَدَوْه، وهذا أحدهما.

والآخر عُود من غَيَضَتك، ونَبْعَةٌ^(٣) من أرومتك، فتي السنّ، كهل الحلم، راجع العقل، محمود الصرامة، مأمون الخلاف، يُجَرِّد فيهم سيفه، ويبسط عليهم خيرَه بقدر ما يستحقون، وعلى حسب ما يستوجبون، وهو فلان أيها المهدي، فسَلَطَه - أعزك الله - عليهم، ووجهه بالجيوش إليهم، ولا تمنعك ضراعة سنّه^(٤) وحادثة مولده؛ فإن الحلم والثقة مع الحداثة خيرٌ من الشك والجهل مع الكُهوْلَة؛ وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طَبَعكم الله عليه واختصكم به من مكارم الأخلاق، ومحامد الفِعال، ومحاسن الأمور، وصواب التدبير، وصرامة الأنفس، كفراخ عِتاقِ الطير^(٥) المُحَكِّمَة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب؛ فالحلم والعلم والعزم والحزم

(١) البُهْمَة: الصخرة الصلبة.

(٢) البازل: الجمل في السنة التاسعة ويطلق على الرجل الكامل في تجربته. والجلجل: واحدة الجلاجل تعلق على الدابة.

(٣) نبعة من أرومتك: أصل من أصولك.

(٤) ضراعة سنّه: حداثته وشبابه. (٥) عتاق الطير: كرامها.

والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم، مَزروع في قلوبكم، مستحكم لكم، متكامل عنكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابتة.

قال معاوية بن عبد الله: أفتاء^(١) أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر، وأهل خراسان في حال عز على ما وصف. ولكن إن ولي المهدي عليهم رجلاً ليس بقديم الذكر في الجنود، ولا بنبية الصوت في الحروب، ولا بطويل التجربة للأمر، ولا بمعروف السياسة للجيش والهيبة في الأعداء، دخل من ذلك أمران عظيمان، وخطران مهولان: أحدهما أن الأعداء يغتمزونها منه، ويحتقرونها فيه، ويحترون بها عليه في التهوض به والمقارعة له والخلاف عليه، قبل الاختبار لأمره، والتكشّف لحاله، والعلم بطباعه. والأمر الآخر أن الجنود التي يقول، والجيش التي يسوس، إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة، ولم يعرفوه بالصوت والهيبة، انكسرت شجاعتهم، وماتت نجاتهم، واستأخرت طاعتهم إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم. وربما وقع البوار قبل الاختبار. وبياب المهدي - وفقه الله - رجل مهيب نبية حيك صيت^(٢)، له نسب زاك وصوت عال، قد قاد الجيوش، وساس الحروب، وتآلف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمة^(٣)، ووثقوا به كل الثقة، فلو ولّاه المهدي أمرهم لكفاه الله شرهم.

قال المهدي: جانب قصد الرميّة، وأبيت إلا عصبية، إذ رأي الحداث من أهل بيتنا كراي عشرة حلماء من غيرنا، ولكن أين تركتم ولي العهد؟

قالوا: لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جدّه، ونسيج وحده، ومن الدين وأهله بحيث يقصّر القول عن أدنى فضله، ولكن وجدنا الله عز وجل قد حجب عن خلقه، وسرّ من دون عبادّه، علّم ما تختلف به الأيام، ومعرفة ما تجري به المقادير، من حوادث الأمور وريب المنون، المخترمة لخوالي القرون ومواضي الملوك؛ فكرهنا

(١) أفتاء: جمع فتى. (٢) صيت: معروف ومشهور.

(٣) المقة: المحبة.

شُسُوعه^(١) عن محلة الملك، ودار السلطان، ومقر الإمامة والولاية، وموضع المدائن والخرائن، ومُستقرّ الجنود، وموضع الوجوه، ومجمع الأموال التي جعلها الله قطباً لمدار الملك، ومُصَيِّدةً لقلوب الناس، ومثابة لإخوان الطمع، وتُوار الفتن، ودواعي البدع، وفرسان الضلال، وأبناء المروق؛ وقلنا: إن وجه المهدي وليّ عهدِه فحدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله، لم يستطع المهدي أن يُعقبه بغيره، إلا أن ينهض إليهم بنفسه؛ وهذا خطر عظيم، وهول شديد؛ وإن تنفست الأيام بمقامه، واستدامت الحال بأيامه، حتى يقع عَرَض لا يستغني فيه، أو يحدث أمر لا بد فيه منه، صار ما بعده مما هو أعظمُ هولاً وأجل خطراً. له تبعاً ربه مُتصلاً.

قال المهدي: الخطبُ أيسرُ مما تذهبون إليه؛ وعلى غير ما تصفون الأمر عليه، نحن أهل البيت. نجري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابقٍ من العلم، ومحتوم من الأمر، قد أنبأت به الكتب، وتتابع على الرسل، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا، وتكامل بحذافيره^(٢) عندنا، فيه نُدبِر، وعلى الله نتوكل: إنه لا بدّ لوليّ عهدي - ووليّ عهدي عقبي بعدي - أن يقود إلى خراسان البعوث، ويتوجه نحوها بالجنود.

أما الأول فإنه يُقدِّم إليهم رُسُلَه، ويُعْمِل فيهم حِيلَه، ثم يخرج نَشِطاً إليهم، حَنِقاً عليهم، يريد ألا يدع أحداً من إخوان الفتن، ودواعي البدع، وفرسان الضلال، إلا توطأه بحرّ القتل، وألبسه قناع القهر، وطوّقه طوق الدّل. ولا أحداً من الذين عملوا في قَصّ جناح الفتنة، وإخماد نار البدعة، ونصرة ولادة الحق، إلا أجرى عليهم دِيَمَ فضله، وجداولَ بدّله، فإذا خرج مُزْمَعاً به مُجمِعاً عليه؛ لم يَسِر إلا قليلاً حتى يأتيه أن قد عَمِلَتْ حِيلَه؛ وكدحت كتبه؛ ونفذت مكايده؛ فهدأت نافرة القلوب، ووقعت طائرة الأهواء^(٣)، واجتمع عليه المختلفون بالرضا؛ فيميل نظراً لهم وبراً بهم وتعطفاً عليهم، إلى عدوّ قد أخاف سبيلهم، وقطع طريقهم، ومنع حُجَّاجَهُم بيت الله

(١) شُسُوعُه: بعده. (٢) حذافيره: نواحيه وجوانبه.

(٣) وقعت طائرة الأهواء: خد غضبها وسكنت نائرتها.

الحرام، وسلب تجارهم رزق الله الحلال.

وأما الآخر فإنه يوجه إليهم من يعتقد له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون، وبذل ما يسألون، فإذا سمحت الفرق بقرانها له، وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه، فأصغت إليه الأفئدة، واجتمعت له الكلمة، وقدمت عليه الوفود، قصد لأول ناحية بجعت^(١) بطاعتها، وألقت بأزمته، فألبسها جناح نعمته، وأنزلها ظل كرامته، وخصتها بعظيم حياته، ثم عم الجماعة بالمعدلة؛ وتعطف عليهم بالرحمة، فلا تبقى فيهم ناحية دانية، ولا فرقة قاصية، إلا دخلت عليها بركته، ووصلت إليها منفعته، فأغنى فقيرها، وجبر كسيرها، ورفع وضعها، وزاد رفيعها، ما خلا ناحيتين: ناحية يغلب عليهم الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخف بدعوته، وتبطيء عن إجابته، وتتناقل عن حقه، فتكون آخر من يبعث، وأبطأ من يوجه، فيضطمر عليها موجدته^(٢)، ويبتغي لها علة، لا يلبث أن يجدها بحق يلزمهم؛ وأمر يجب عليهم، فتستلحمهم الجيوش، وتأكلهم السيوف، ويستحرقهم القتل، ويحيط بهم الأسر، ويفنيهم التتبع، حتى يخرب البلاد، ويؤتم الأولاد. وناحية لا يبسط لهم أماناً، ولا يقبل لهم عهداً، ولا يجعل لهم ذمة؛ لأنهم أول من فتح باب الفرقة، وتدرع جلاب الفتنه، ورض^(٣) في شق العصا. ولكنه يقتل أعلامهم، ويأسر قوادهم، ويطلب هربهم في لجج البحار، وقلل الجبال، وخمر الأودية، وبطن الأرض، تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً؛ حتى يدع الديار خراباً، والنساء أياماً. وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتاً، ولا نصح منه غير ما قلنا تفسيراً.

وأما موسى ولي عهدي، فهذا أوان توجهه إلى خراسان، وحلوله بمرجان؛ وما قضى الله له من الشخوص^(٤) إليها والمقام فيها، خير للمسلمين مغبّة، وله بإذن الله عاقبة، من المقام بحيث يُعمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا،

(١) بجعت: أقرت. (٢) الموجدة: الغضب.

(٣) رض: أقام على المعصية واصر.

(٤) الشخوص: التوجه والذهاب بنفسه.

فَيَتَصَاغَرُ عَظِيمُ فَضْلِهِ ، وَيَتَذَابُ^(١) مَشْرِقُ نُورِهِ ، وَيَتَقَلَّلُ كَثِيرُ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْهُ فَمَنْ يَصْحَبُهُ مِنَ الزُّرَّاءِ وَمَنْ يُخْتَارُ لَهُ مِنَ النَّاسِ ؟

قال محمد بن الليث: أيها المهدي، إن وليّ عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علماً قد تثت نحوه أعناقها، ومُدت سَمَتَه أبصارها، وقد كان لقرب داره منك، ومحلّ جواره لك، عطل الحال، غفل الأمر، واسع العذر، فأما إذا انفرد بنفسه، وخلا بنظره، وصار إلى تدبيره، فإن من شأن العامة وأمراء الأمة أن تتفقد مخارج رأيه، وتستنصت لمواقع آثاره، وتسأل عن حوادث أحواله، في برّه ومَرَحَمَتِهِ، وإقساطه ومعدّلاته، وتدبيره وسياسته، ووزرائه وأصحابه، ثم يكون ما سيق إليهم أغلب الأشياء عليهم، وأملك الأمور بهم، وألزمها لقلوبهم، وأشدّها استمالة لرأيهم، وعطفاً لأهوائهم. فلا يفتأ المهدي - وفقه الله - ناظراً له فيما يَقْوِي عَمَدَ مَمْلَكَتِهِ، ويسدّد أركان ولايته، ويستجمع رضا أمته، بأمر هو أزين لحاله، وأظهر لجباله، وأفضل مَعَبَّةً لأمره، وأجلّ موقعاً في قلوب رعيته، وأحدُ حالاً في نفوس أهل ملّته. ولا أوقع مع ذلك باستجماع الأهواء له؛ وأبلغ في استعطاف القلوب عليه، من مَرَحَمَةٍ تَظْهَرُ من فعله، ومعدّلة تنتشر عن أثره، ومحبة للخير وأهله، وأن يختار المهديّ - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة، وفقهاء أهل كلّ مصر. أقواماً تسكن العامة إليهم إذا ذكروا، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا، ثم تُسهّل لهم عمارة سبيل الإحسان؛ وفتح باب المعروف كما قد كان فتح له وسهل عليه.

قال المهدي: صدقت ونصحت. ثم بعث في ابنه موسى؛ فقال: أي بُنيّ، إنك قد أصبحت لِسَمَتِ عِيُونِ الْعَامَةِ نُصْباً^(٢)، وَلَمَثْنَى أَعْطَافِ الرِّعِيَةِ غَايَةً، فَحَسَنُكَ شَامِلَةٌ، وَإِسَاءَتُكَ نَامِيَةٌ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ. فعليك بتقوى الله وطاعته، فاحتمل سخط الناس فيها، ولا تطلب رضاهم بخلافها؛ فإن الله عزّ وجلّ كافيك من أسخطه عليك إيثارك رضاه؛ وليس بكافيك من يسخطه عليك إيثارك رضا من سواه.

ثم أعلم أن الله تعالى في كل زمان عترة من رسله، وبقايا من صفوة خلقه، وخبايا

(١) يتذاب: يضطرب.

(٢) السم: الطريق، والنصب: الإمام والقدوة وجعله نصب عينيه: أي أمام عينيه مقتدياً به.

لنُصرة حقه، يَجِدُّ حبل الإسلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بُنُصرتهم، ويتخذهم لأولياء دينه أنصاراً، وعلى إقامة عدله أعواناً، يَسُدُّون الخلل، وَيُقِيمُونَ الميل، ويدفعون عن الأرض الفساد؛ وإنَّ أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا، وسيوفَ دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم، ونصرف نزول العظام بِمُناصحتهم، وندافع ريبَ الزمان بعزائمهم، ونُزاحم ركنَ الدهر ببصائرهم. فهم عمادُ الأرض إذا أُرْجفت كُنُفُها^(١)، وَحُتُوفُ الأعداء إذا أُبْرزت صَفَحَتها، وَحِصُونُ الرعية إذا تضايقت الحال بها؛ قد مضت لهم وقائع صادقات؛ ومواطن صالحات، أخذت نيرانَ الفتن، وقصمت دواعي البدع، وأذلت رقاب الجبارين، ولم ينفكوا كذلك ما جَرَوْا مع ريح دولتنا، وأقاموا في ظلِّ دعوتنا، واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعزَّ الله بها ذلتهم، ورفع بها ضَعَتهم، وجعلهم بها أرباباً في أقطار الأرضين، ومُلُوكاً على رقاب العالمين، بعد لباس الذلِّ، وقِناع الخوف وإطباق البلاء، ومُحالفة الأسي، وجهد البأس والضر. فظاهرُ عليهم لباسَ كرامتك، وأنزلهم في حدائق نعمتك. ثم أعرف لهم حقَّ طاعتهم، ووسيلة دالَّتهم، وماتة^(٢) سابقتهم، وحرمة مُناصحتهم، بالإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، والإثابة لمحسنهم، والإقالة لمسيئهم.

أي بُنيي؛ ثم عليك العامة. فاستدع رضاها بالعدل عليها. وأستجلب مودَّتها بالإنصاف لها، وتحسنْ بذلك لربك، وتزَيِّنْ به في عين رعيتك، واجعل عمال القدر، وولاة الحُجج، مقدِّمةً بين يدي عملك، ونَصَفَةً منك لرعيتك؛ وذلك أن تأمر قاضي كل بلد، وخيار أهل كل مصر، أن يختاروا لأنفسهم رجلاً تُؤَلِّيه أمرهم، وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم، فإن أحسن حُمدت، وإن أساء عُذرت. هؤلاء عمال القدر؛ وولاة الحُجج. فلا يضيعنَّ عليك ما في ذلك - إذا انتشر في الآفاق وسبق إلى الأسباع - من انعقاد السنة المرجفين، وكَبَّتْ قلوب الحاسدين، إطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكنَّ في ظل كرامتك نازلاً، وبُعْراً^(٣) حبلِك متعلقاً،

(١) الكنف: الجنبات. (٢) الماتة: الصلة والسبب.

(٣) العرا: الأواصر والصلات.

رجلان: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح. والآخر له دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء الأدب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آداباً نافعة، وآثاراً باقية، من تجميل محاسنك، وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك. فتستشير في حربك، وتدخله في أمرك. فرجل أصبته كذلك فهو يأوى إلى محلتى، ويرعى في خضرة جناني؛ ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار. أقواماً يكونون جيرانك وسمارك، وأهل مشاورتك فيما تُورد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدِر. فسر على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يهدي إلى الصواب قلبك، وهادياً ينطق بالخير لسانك.

وكتب في شهر ربيع الآخرة سنة سبعين ومائة ببغداد^(١).

باب في مداراة العدو

في كتاب للهند: أن العدو الشديد الذي لا تقوى له لا ترد بأسه عنك بمثل الخشوع والخضوع له، كما أن الحشيش إنما يسلم من الريح العاصفة بليته وأنثائه معها. وقالوا: أرفن^(٢) للقرد في دولته. أخذ الشاعر فقال:

لا تعبدن صنماً في فاقة نزلت وأرفن بلا حرج للقرد في زمنه
وقال أحمد بن يوسف الكاتب: إذا لم تقدر أن تعص يد عدوك فقبلها.

(١) كذا في الأصل، والذي يذكره المؤرخون أن خروج موسى الهادي إلى جرجان كان في سنة ١٦٦ هـ وكانت وفاة المهدي في شهر محرم سنة ١٦٩ بعد الهجرة.

(٢) أرفن: ارقص.

وقال سابق البَلَوِيّ:

وداهنُ إذا ما خِفْتَ يوماً مُسَلَّطاً عليك، وَلَنْ يَحْتَالَ مَنْ لَا يُدَاهِنُ^(١)

وقالت الحكماء: رأسُ العقل مغافصة^(٢) الفُرصة عند إمكانها . والانصرافُ عما لا

سبيل إليه .

وقال الشاعر:

بلاءٌ ليس يشبهُهُ بلاءٌ عداوةٌ غيرِ ذي حَسَبٍ ودينِ
يُيْحِكُ منه عِرْضاً لم يَصْنُهُ وَيَرْتَعُ منك في عِرْضٍ مَصُونِ

التحفظ من العدو وإن أبدى لك المودة

قالت الحكماء: احذر الموتور ولا تطمئن إليه، وكُنْ أشدَّ ما تكون حذراً منه
ألطفَ ما يكون مدَاخلةً لك؛ فإنما السلامة من العدو بتباعدك منه، وانقباضك عنه .
وعند الأنس إليه والثقة [به] تُمكنه من مقاتلتك .

قالوا: لا تطمئن إلى العدو وإن أبدى لك المقاربة، وإن بسط لك وجهه
وخَفَضَ^(٣) لك جناحه؛ فإنه يترَبَّص بك الدوائر، ويُضمر لك الغوائل ولا يَرْتجى
صلاحاً إلا في فسادك، ولا رفعةً إلا بسقوط جاهك .

للاخل يمحذر بني أمية:

كما قال الأخطل:

بني أمية إني ناصحٌ لكمُ فلا يَبَيِّنَنَّ فيكم آمناً زُفراً^(٤)
وأخذوه عَدُوّاً إن شاهده وما تَعَيَّبَ من أخلاقِهِ دَعراً^(٥)

(١) داهن: صانع .

(٢) المغافصة: المفاجأة والأخذ على حين غرة .

(٣) خفض جناحه: تودد وأظهر الدعة والتواضع .

(٤) هو زفر بن الحارث بن كلاب الكلبي، أخو بني نفيل بن عمرو بن كلاب . (٥) الوعر: الفساد .

إِنَّ الضَّعِيفَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدُمْتَ كَالْعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ^(١)

وفي كتاب الهند: الحازم يحذر عدوه على كل حال: يحذر الموائبة إن قُرب والمعادة إن بُعد، والكمين إن انكشف، والاستطراد إن ولّى، والكرّة إن فرّ.

وأوصى بعضُ الحكماء ملكاً فقال: لا يكونَنَّ العدوُّ الذي كشف لك عن عداوته بأخوفَ عندك من الظنّين الذي يستترّ لك بمخاتلته، فإنه ربما تخوّف الرجلُ السّمَّ الذي هو أقتل الأشياء، رَقَتله الماءُ الذي هو محي الأشياء؛ وربما تخوّف أن تقتله الملوك التي تملكه، ثم تقتله العبيد التي يملكها.

ولم يقل أحد في العدو المندمل^(٢) على العداوة مثل قول الأخطل:

إِنَّ الضَّعِيفَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدُمْتَ كَالْعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ

وقد أشار الحسنُ بن هانيء إلى هذا المعنى فأجاده حيث يقول:

وَابْنُ عَمٍّ لَا يُكَاشِفُنَا قَدْ لَبَسْنَاهُ عَلَى غَمْرَةٍ^(٣)
كَمَنْ الشَّنَّانُ فِيهِ لَنَا كَكُمُونَ النَّارِ فِي حَجَرِهِ^(٤)

وشبهوا العدوَّ إذا كان هذا فعله بالحية المطرقة. قال ابنُ أخت تأبط شرّاً: (٥)
مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ مَوْتاً كَمَا أَطَرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صَلَّ

بين معاوية وابن الزبير:

وقال عبد الله بن الزبير لمعاوية - ويقال معاوية قالها لعبد الله بن الزبير - : مالي أراك تطرق إطراق الأفعوان في أصول الشجر.

وفي كتاب الهند: إذا أحدث لك العدوُّ صداقة لعله أُلجأته إليك، فمع ذهاب

(١) العرّ: الجرب.

(٢) المندمل: المستتر، أو الذي يجعل العداوة في اعماقه محتبئة. (٣) الغمر: الحقد.

(٤) الشَّنَّان: البغض، وفي حجره: يريد حجر القادح.

(٥) الرشح: العرق، والنفث: كالقذف. والصل: من صفة الأفعى، وكل خبيث يقال له: صلّ أصلاً.

العلّة رجوعُ العداوة، كالماء تُسخّنه فإذا أمسكت عنه عاد إلى أصله بارداً والشجرةُ
المرّة لو طليتها بالعسل لم تُثمر إلا مرّاً.

وقال دريد :

وما تخفى الضغينة حيثُ كانتُ ولا النَّظرُ المريض من الصحيح

وقال زهير :

وما يكُ في صديقٍ أو عدوٍّ تُخبركَ العيونُ عن القلوبِ

وقيل لزياد: ما السرور؟ قال: من طال عمره حتى يرى في عدوه ما يسره.

باب من أخبار الأزارقة

كان أول من خرج من الخوارج بعد قتل علي رضي الله عنه، حوثة الأقطع؛
فإنه خرج إلى النخيلة واجتمع إليه جماعة من الخوارج، ومعاوية بالكوفة، وقد بايعه
الحسن والحسين وقيس بن سعد بن عبادة؛ ثم خرج الحسن يريد المدينة؛ فوجه إليه
معاوية وقد تجاوز في طريقه، يسأله أن يكون المتولّي لمحاربتهم. فقال الحسن عليه
السلام: والله لقد كفتُ عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذلك يسعني؛ فكيف
أن أقاتل قوماً أنت أولى بالقتال منهم؟ فلما رجع الجواب إليه وجه إليهم جيشاً
أكثره من أهل الكوفة، ثم قال لأبي حوثة. تقدّم فاكفني أمر أبنيك. فسار إليه
أبوه؛ فدعاه إلى الرجوع، فأبى، فداوره فصمّ. فقال له: أي بني، أجيئك بابنيك
لعلك تراه فتحنّ إليه! فقال له: يا أبت، أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على
كعوب الرمح أشوقُ مني إلى أبني. فرجع إلى معاوية فأخبره، فقال: يا أبا حوثة،
جارّ هذا جداً. فلما نظر حوثة إلى أهل الكوفة قال: يا أعداء الله! أنتم بالأمس
تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه. واليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه؟ ثم جعل يشدّ
عليهم ويقول:

احملْ على هذي الجموعِ حوثةَ فَعَن قَرِيبٍ سَتَنالُ المغيرةَ

فحمل عليه رجل من طيء فقتله، فرأى أثر السجود قد لوح جبهته، فندم على قتله :

مرداس ومقتله :

وكان مرداس أبو بلال قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنكر التحكيم، وشهد النهروان ونجا فيمن نجا. فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى شدة الطلب للشراة^(١)، عزم على الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين، تجري علينا أحكامهم، مجانين للعدل مفارقين للفضل. والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لشديد؛ ولكننا ننتبذ^(٢) عنهم ولا نجرد سيفنا ولا نقاتل إلا من قاتلنا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً، منهم: حرث بن حجل وكهمس بن طلق الصرمي، فأرادوا أن يولّوا أمرهم حرثاً فأبى، فولوا أمرهم مرداساً، فلما مضى بأصحابه لقيهم عبد الله بن رباح الأنصاري، وكان له صديقاً؛ فقال له: يا بن أخي، أين تريد؟ فقال: أريد أهرّب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة. قال له: أعلم أحدّ بكم؟ قال: لا. قال: فارجع. قال: أو تخاف عليّ مكروهاً؟ قال: نعم، وأن يؤتّى بك. قال: فلا تخف. فإني لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحداً ولا أقاتل إلا من قاتلني.

ثم مضى حتى نزل آسك؛ فمرّ به مال يُحمل إلى ابن زياد وقد بلغ أصحابه الأربعين، فحطّ ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه وترك ما بقي، وقال: قولوا لصاحبكم إنما أخذنا أعطياتنا. فقال له أصحابه: لماذا تترك الباقي؟ قال: إنهم يقسمون هذا الفيء كما يُقيمون الصلاة، فلا تُقاتلوهم ما داموا على الصلاة.

فوجّه إليهم ابن زياد أسلم بن زُرعة الكِلابي في ألفين، فلما وصل إليهم، قال له مرداس: اتق الله يا أسلم، فإننا لا نريد قتالاً ولا نروّع أحداً؛ وإنما هربنا من الظلم،

(١) الشراة: الذين اشتروا الآخر بحياتهم.

(٢) ننتبذ: نتبعد ونعتزل.

ولا نأخذ من الفياء إلا أعطياتنا ، ولا نُقاتل إلا مَنْ قاتلنا . قال : لا بد من ردكم إلى
آبن زياد . قال : وإن أراد قَتَلنا ؟ قال : وإن أراد قتلكم . قال : فَتَشْرِكُ في دماننا ؟
قال : نعم . فشدوا عليه شدة رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابه .

ثم وجه إليهم ابن زياد عبّاداً ، فقاتلهم يوم الجمعة حتى كان وقت الصلاة ، فناداهم
أبو بلال : يا قوم ، هذا وقت الصلاة فوادِعُونَا حتى نصلي [وتُصلُوا^(١)] .
فوادِعُوهم ؛ فلما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوهم ، وهم بين راعع وساجد
وقائم في الصلاة وقاعد . فقال عمران بن حِطّان يرثي أبا بلال :

يا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَصْرَعِهِ	يا رَبِّ مِرْدَاسٍ أَجْعَلْنِي كَمِرْدَاسٍ
أَبْقَيْتَنِي هَائِماً أَبْكِي لِمِرْزَتِي	في مَنْزِلٍ مُوحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْناسٍ ^(٢)
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَا قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ	ما النَّاسُ بَعْدَكَ يا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا شَرِبْتَ بِكَاسٍ دَارَ أَوْلَها	على الْقُرُونِ فذاقُوا جَرْعَةَ الْكَاسِ
فَكُلٌّ مِنْ لَمْ يَذُقْها شاربٌ عَجَلًا	منها بِأَنْفاسٍ وَرِدٍ بَعْدَ أَنْفاسٍ

وليس في الفرق كلها وأهل البدع أشد بصائر من الخوارج ، ولا أكثر اجتهداً ،
ولا أوطن^(٣) أنفساً على الموت ؛ منهم الذي طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى إلى قاتله
ويقول : عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لَتَرْضَى .

ولما مالت الخوارج إلى أصبهان حاصرت بها عتّاب بن ورقاء سبعة أشهر يقاتلهم
في كل يوم وكان مع عتّاب بن ورقاء رجل يقال له : شريح . ويكنى أبا هريرة ،
فكان يخرج إليهم في يوم فيناديهم :

يا بَنَ أَبِي الماحوز والأشرارِ كيف ترونَ يا كِلابَ النارِ^(٤)
شَدَّ أَبِي هَرِيرَةَ الهَرارِ يَعْرُوكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وهو مِنَ الرَّحْمَنِ في جِوارِ

(١) زيادة من الكامل للمبرد .

(٢) المرثية : المصيبة . (٣) أوطن : أكثر تصميماً .

(٤) الماحوز : يريد الزبير بن علي بن الماحوز وكان على الخوارج .

فتعاضمهم ذلك. فكمن له عبيدة بن هلال فضربه، واحتمله أصحابه، فظننت الخوارج أنه قد قُتل، فكانوا إذا تواقفوا ينادونهم: ما فعل الهرار؟ فيقولون: ما به من بأس. حتى أبْلَ^(١) من عِلَّته، فخرج إليهم فقال: يا أعداء الله! أتروُن بي بأساً؟ فصاحوا: قد كنا نرى أنك لحقت بأَمك الهاوية في النار الحامية.

فلما طال الحصار على عتاب، قال لأصحابه: ما تنتظرون؟ إنكم والله ما تُؤْتُونَ من قَلَّةٍ؛ وإنكم فُرسان عِشائركم؛ ولقد حاربتموهم مراراً فانْتصفتُم منهم؛ وما بقي من هذا الحصار إلا أن تَفْنَى ذِخائِرُهُم فيموتَ أَحَدُكُمْ فيدْفَنه صاحِبُه، ثم يموت هو فلا يجد مَنْ يدفنه! فقاتِلوا القومَ وبكم قُوَّة، من قبل أن يضعف أَحَدُكُمْ عن أن يمشي إلى قِرْنِه.

فلما أصبح صلى بهم الصبح، ثم خرج إلى الخوارج وهم غارُّون، وقد نصب لواءً لجارية يقال لها ياسمين، فقال: من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين! ومن أراد الجهاد فليَلْحَقْ بلوائي. قال: فخرج في ألفين وسبعمئة فارس، فلم تشعُر بهم الخوارج حتى غَشَوْهم. فقاتلوهم بجدٍ لم ترَ الخوارج مثله، فقتلوا أميرهم الزبير بن علي، وأنزمت الخوارج، فلم يتبعهم عتاب بن ورقاء.

وخرج قُرْبَبُ بنُ مرة الأزدي وزخَّاف الطائي، وكانا مُجتهدين بالبصرة في أيام زياد فاعترضوا الناس، فلحقا شيخاً ناسكاً من بني ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه، وتنادى الناس، فخرج رجل من بني قُطَيْعة من الأزْد بالسيف، فناداه الناس من بعض البيوت: الحُرورية الحُرورية! انجُ بنفسك. فنادوه: لسنا حُروريةً نحن الشُّرط. فوقف فقتلوه.

وبلغ أبا بلال خبرهما، وكان على دين الخوارج إلا أنه كان لا يرى اعتراضَ الناس، فقال: قُرَيْبٌ، لا قَرِبه الله من الخير، وزخَّافٌ، لاعفا الله عنه، فلقد ركبَاها عشواءَ مُظْلَمَةٍ^(٢).

(١) أبْلَ: شفي.

(٢) يريد اعتراضها الناس، والعشواء: المظلمة: الناقة العمياء التي تتخبَّط في سيرها.

ثم جعل لا يَمْران بقييلة إلا قتلا مَنْ وجدا فيها ، حتى مرّا ببني عليّ بن سُود ، من الأزد ، وكانوا رُمّة ، وكان فيهم مائة يُجيدون الرمي ، فرموهم رمياً شديداً ، فصاحوا : يا بني عليّ ، البُقيا ، لارمء بيننا . فقال رجل منهم :

لا شيء للقوم سوى السهام مشحودة في غلس الظلام

فهربت عنهم الخوارج ؛ فاشتقوا مقبرة بني يشكو حتى خرجوا إلى مَزينة ، واستقبلهم الناس فقتلوا عن آخرهم .

زياد والخوارج :

ثم عاد الناس إلى زياد ، فقال : ألا ينهى كل قوم سفهاءهم ؟ فكانت القبائل إذا أحست بخارجي فيهم أوثقوه وأتوا به زياداً ، فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله .

ولزيادٍ أخرى في الخوارج : أنه أتى بامرأة منهم ، فقتلها ثم عراها ، فلم تخرج النساء إلا بعد زياد ، وكنّ إذا أرغمن على الخروج قلن : لولا التعرية لسارعنا .

ومن مشاهير فرسان الخوارج : عمرو القنا ، من بني سعد بن زيد مناة ؛ وعبيدة بن هلال ، من بني يشكر بن بكر بن وائل ، وهو الذي طعن صاحب المهلب في فخذ ؛ فشكّها مع السرج ؛ وهما اللذان يقول فيهما ابن المنجب السدوسي من فرسان المهلب ، وكان قال له موله خِلاج : وددت أنا قَضضنا عسكرهم حتى أصير إلى مستقرهم فأستلب منه جاريتين ، إحداهما لك والأخرى لي :

أخلاجُ إنك لن تُعانقَ طفلةً شرقاً بها الجادي كالتّمثال^(١)

حتى تُعانقَ في الكتّبة معلماً عمرو القنا وعبيدة بن هلال^(٢)

وترى المقعطر في الكتّبة مُقدماً في عصبة قسطوا مع الضلال^(٣)

(١) الطفلة : الناعمة ، والجادي : الزعفران نسبة إلى جادية ، قرية من عمل البلقاء من أرض الشام .

(٢) المعلم : المعروف المشهور .

(٣) المقعطر : من عبد القس ، وقسطوا : جاروا .

والمَقْعَطَر: من مشاهير فرسانهم، وقَطْرِيّ، أنجدهم قاطبة؛ وصالح بن مِخْرَاق، من بُهْمهم، وكذلك سعد الطلائع.

للمهلب في نفر من الخوارج:

ولما اختلف أمرُ الخوارج وانحاز قَطْرِيّ فيمن معه وبقي عبدُ ربّه، قال المهلب لأصحابه: إن الله تعالى قد أراحكم من أقرانٍ أربعة: قطريّ بن الفُجاءة، وصالح بن مِخْرَاق، وعبيدة بن هلال، وسعد الطلائع؛ وإنما بين أيديكم عبدُ ربّه في خُشَار^(١) من خُشَار الشيطان.

تعطش الخوارج إلى القتال:

وكانت الخوارج تُقاتل على السوط يؤخذ منها والعلق الخسيس^(٢) أشدّ قتال، وسقط في بعض أيامهم رُمح لرجل من مرّاد من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراحُ والقتل، وذلك مع المغرب، والمرادي يرتجز:

الَّيْلُ لَيْلٌ فِيهِ وَيْلٌ وَيْلٌ وَسَالٌ بِالْقَوْمِ الشُّرَاةِ السَّيْلُ
إِنْ جَاَزَ لِلْأَعْدَاءِ فِينَا قَوْلُ

وتفرقت مقالة الخوارج على أربعة أضرب: فقال نافع بن الأزرق: بأستعراض الناس والبراءة من عثمان وعليّ وطلحة والزبير، واستحلال الأمانة وقتل الأطفال.

وقال أبو بَيَّهَس هَيْصَم بن جابر الضَّبْعِيّ: إن أعداءنا كأعداء الرسول ﷺ: يَحِلُّ لَنَا الْمَقَامُ فِيهِمْ كَمَا أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ. وأقول: إن مناكحتهم ومواريتهم تجوز، لأنهم منافقون يظهرون الإسلام وإن حكمهم عند الله حكم المشركين.

وقال عبد الله بن إباح: لا نقول فيمن خالفنا إنه مُشْرِك، لأن معهم التوحيدَ

(١) خُشَار: يريد سفلة الناس وأرداهم.

(٢) العلق الخسيس: الجراب أو السيف أو الترس.

والإقرار بالكتاب والرسول، وإنما هم كُفَّارٌ لِلنَّعَمِ، وموارِيثُهُمْ ومناكِحُهُمْ والإقامة معهم: حِلٌّ، ودعوةُ الإسلامِ تجمعهم.

وقالت الصُّفْرِيَّةُ بقول عبد الله بن إباح، ورأت القعودَ، حتى صار عامتهم قَعَدًا، وإنما سُمُوا صُفْرِيَّةً لَأَصْفَرارِ وجوههم، وقيل: لأنهم أصحاب ابن الصَّفَّارِ.

كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد

فرش كتاب الزبرجدة

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، تغمده الله برحمته: قد مضى قولنا في الحروب وما يدخلها من النقص والكمال، وتقدّم الرجال، على منازلهم من الصبر والجلد، والعُدّة والعدّد.

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأجواد والأصفاد، إذ كان أشرف ملابس الدنيا وأزین حللها وأجلبها حمد، وأدفعها لذم، وأسترها لعيب: كرم طبيعة يتحلى بها السمح السري، والجواد السخي. ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى، تسمّى بها، فهو الكريم عز وجل. ومن كان كريماً من خلقه، فقد تسمّى باسمه، واحتذى على صفته.

وقال النبي ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

وفي الحديث المأثور: «الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله».

وقال الحسن والحسين عليهما السلام لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال. قال: بأبي وأمي أنتما، إن الله قد عودني أن يتفضل عليّ، وعودته أن أتفضل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني.

وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي: أنت متلاف^(١)! قال: منع الجود سوء ظنّ

(١) المتلاف: الكثير الإنفاق، المبذر.

بالمعبود. يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١).

وقال النبي ﷺ: «أَنْفِقْ بِلَالًا وَلَا تَحْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا».

مدح الكرم وذم البخل

قال النبي ﷺ: «أَصْطَنَاعُ الْمَعْرُوفِ يَبْقَى مَصَارِعُ السُّوءِ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجُودَ وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا»^(٢).

وقال النبي ﷺ لقوم من العرب: «مَنْ سَيِّدُكُمْ؟» قالوا الجدُّ بن قيس على بُخْلٍ فيه. فقال ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَّ مِنَ الْبَخْلِ».

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وقال أكرم بن صيفي حكيم العرب: ذَلَّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ، وَقَوَّدُوهَا إِلَى الْمُحَامِدِ، وَعَلِّمُوهَا الْمَكَارِمَ، وَلَا تُقِيمُوا عَلَى خُلُقٍ تَذْمُونُهُ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَصِلُوا مِنْ رَغَبِ إِلَيْكُمْ، وَتَحَلَّوْا بِالْجُودِ يَكْسِبْكُمْ الْمَحَبَّةُ، وَلَا تَعْتَقِدُوا الْبَخْلَ فَتَتَعَجَّلُوا الْفَقْرَ.

أخذه الشاعر فقال:

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ وَأَخَّرْتَ إِنْفَاقَ مَا تَجَمَّعُ
فَصِرتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

سخى وبخيل:

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويخوفه الفقر. فردَّ عليه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً

(١) سورة سبأ الآية ٣٩.

(٢) سفسافها: المنحط منها والحقير الرديء. (٣) سورة الحشر الآية ٩.

مِنْهُ وَقَضَاءً^(١) وإني أكره أن أترك أمراً قد وقع، لأمرٍ لعله لا يقع.

من خطبة لخالد القسري:

وكان خالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر: أيها الناس، عليكم بالمعروف؛ فإن الله لا يُعَدُّمُ فاعلةَ جَوَازِيهِ؛ وما ضعفت الناسُ عن أدائه قَوِيَّ الله على جزائه.

أخذه من قول الخطيئة:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٢)

وأخذه الخطيئة من بعض الكتب القديمة: يقول الله تعالى فيما أنزله على داود عليه السلام: من يفعل الخير يجده عندي، لا يذهب العرف بيني وبين عبدي.

من خطبة لسعيد بن العاص:

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر: مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيَنْتَفِعْ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا، حتى يكون أسعدَ الناس به؛ فإنما يَتَرَكُ ما يترك لأحد رجلين: إمّا لمُصْلِحٍ فلا يَقِلُّ عليه شيء، وإمّا لمُفْسِدٍ فلا يَبْقَى له شيء.

أخذخ الشاعر فقال:

أَسْعِدْ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا يَبْقَى خِلَافُكَ مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ
فَإِذَا جَمَعْتَ لِمُفْسِدٍ لَمْ يُغْنِهِ وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَزَيَّدُ

قال أبو ذر: إن لك في مالك شريكين: الحدثان^(٣) والوارث: فإن استطعت ألا تكون أبغسَ الشركاء حظاً فافعل.

وقال بُزْجَمُهر الفارسي: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها، فإنها لا تَفْنَى؛ وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تَبْقَى.

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٨

(٢) جوازيه: أي الجزاء عليه.

(٣) الحدثان: الليل والنهار.

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال:
لا تَبْخَلَنَّ بَدُنِيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ فليس يَنْقُصُهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرْفُ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأُخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا فالحمدُ منها إذا ما أَدْبَرَتْ خَلْفَ

لكسرى في الأسخياء:

وكان كسرى يقول: عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى، ولو أنّ أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ومدمة الناس لهم وإطباق^(١) القلوب على بغضهم، إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف، لكان عظيمًا وأخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال:

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مُبْتَدِئًا وَالبُخْلُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ الْمَرْءِ بِاللَّهِ

بين موسى والهادي وابن يزيد:

محمد بن يزيد بن عمرة بن عبد العزيز قال: خرجت مع موسى الهادي أمير المؤمنين من جرجان، فقال لي: إمّا أَنْ تَحْمِلَنِي وإمّا أَنْ أَحْمَلَكَ. ففهمت ما أراد، فأنشدته أبيات ابن صرمة الأنصاري.

أَوْصِيكُمْ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ وَأَحْسَابِكُمْ، وَالبِرِّ بِاللَّهِ أَوَّلَ
وَإِنْ قَوْمُكُمْ سَادُوا فَلَا تَحْسُدُوهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلَ السِّيَادَةِ فاعْدِلُوا
وَإِنْ أَنْتُمْ أَعْوَزْتُمْ فَتَعَفَّفُوا وَإِنْ كَانَ فَضْلُ الْمَالِ فِيكُمْ فَأَفْضَلُوا

فأمر لي بعشرين ألفا.

وقال عبد الله بن عباس: سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء. قال أبو مسلم الخولاني: ما شيء أحسن من المعروف إلا ثوابه، وما كل من قدر على المعروف كانت له نية، فإذا آجتمعت القدرة والنية تمت السعادة. وأنشد:

(١) إطباق القلوب: إجماعها واتفاقها.

إِنَّ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا حَسَنٌ وَالْبَذْلُ أَحْسَنُ ذَلِكَ الْحَسَنِ
 كَمْ عَارِفٍ بِي لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَمُخْبِرٍ عَنِّي وَلَمْ يَرِنِي
 يَأْتِيهِمْ خَبْرِي وَإِنْ بَعُدَتْ دَارِي وَبُوعِدَ عَنْهُمْ وَطَنِي
 إِنِّي لِحُرِّ الْمَالِ مُمْتَهَنٌ وَلِحُرِّ عِرْضِي غَيْرُ مُمْتَهَنٍ^(١)

وقال خالد بن عبد الله القسري: من أصابه غبار مَرَكَبِي فقد وجب عليّ شكره.

وقال عمرو بن العاص: والله لَرَجُلٌ ذكرني، ينام على شقة ثمرة وعلى شقة أخرى، يراني موضعاً لحاجته، لأوجب عليّ حقاً إذا سألتها مني إذا قضيتها له.

وقال عبد العزيز بن مروان: إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفه عنده، فَيَدُّهُ عِنْدِي أَعْظَمُ من يدي عنده. وأنشد لأبن عباس رضي الله تعالى عنهما:
 إِذَا طَارِقَاتُ الْهَمِّ ضَاجَعَتِ الْفَتَى وَأَعْمَلُ فِكْرَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ عَاكِرٌ^(٢)
 وَبَاكَرَتْنِي فِي حَاجَةٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا سِوَايَ وَلَا مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ نَاصِرُ
 فَرَجْتُ بِمَالِي هَمَّهُ عَنْ خِنَاقِهِ وَزَاوَلَهُ الْهَمُّ الطَّرُوقُ الْمَسَاوِرُ
 وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَيَّ بِظَنِّهِ بِي الْخَيْرَ إِنِّي لِلَّذِي ظَنَّ شَاكِرُ

لأبي عقيل في مروان:

وقيل لأبي عقيل البليغ العراقي: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة.

وقال زياد: كفى بالبخل عاراً أن أسمه لم يقع في حمد قط، وكفى بالجلود مجداً أن أسمه لم يقع في ذم قط.

وقال آخر:

(١) ممتهن: مستعبد.

(٢) طارقات الهم: نازلاته أثناء ضجوعه والطارق: الزائر ليلاً.

أَلَا تَرَانِي وَقَدْ قَطَّعْتَنِي عَذْلًا ماذا من الفضلِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَاخَ بِهِ لِلْخَابِطِينَ فَإِنِّي لَتَيْنُ الْعُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالًا وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ

قوله «إلا يكن ورق» يريد المال، وضربه مثلا. ويقال: أتى فلان فلانا يختبط ما عنده. والاختباط: ضرب الشجر ليسقط الورق لتأكله السائبة، فجعل طالب الرزق مثل الخابط.

قال أساء بن خارجة: ما أحب أن أرّد أحدًا في حاجة طلبها، لأنه لا يخلو أن يكون كريماً فأصون له عرضه، أو لثيماً فأصون عرضي منه.

وقال أرسطا طاليس: من أنتجك^(١) من بلاده فقد آبتأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك.

الترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف

قال النبي ﷺ: «إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربّه فأنظروا ما يتبعه من حسن الثناء».

من عمر إلى أبي موسى:

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، وأعلم أنّ مالك عند الله مثل ما للناس عندك.

وقيل لبعض الحكماء: ما أفادك الدهر؟ قال: العِلْمُ به. قيل: فما أحدُ الأشياء؟ قال: أن تبقي للإنسان أحوثةً حسنةً.

وقال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى ﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٢) إنه أراد حسن الثناء من بعده.

(١) انتجك: قصدك للاقامة والطلب. (٢) سورة الشعراء الآية ٨٤.

وقال أكنم بن صيفي: إنما أنتم أخبار فطيّبوا أخباركم.

أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فقال:

وما ابنُ آدمَ إلّا ذِكرُ صالِحَةٍ أو ذِكرُ سيئةٍ يَسرى بها الكَلِمُ
أما سَمِعْتَ بدَهْرٍ بادَ، أمَّتُه جاءت بأخبارِها من بَعْدِها أمَمٌ^(١)

وقال أبو بكر محمد بن دريد:

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وقالوا: الأيام مزارع، فما زرعتَ فيها حصدته.

لابن عبد ربه:

ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق:

يا مَنْ تَجَلَّدَ لِلزَّما نَ أَمَّا زَمَانُكَ مِنْكَ أَجَلَدُ
سَلَطَ نُهْاكَ على هَوا كَ وَعَدَّ يَوْمَكَ ليس مِن غَدُ
إن الحِياةَ مَزارِعُ فازرِعْ بها ما شئتَ تَحْصُدُ
والناسُ لا يَبْقَى سِوَى آثارِهِم والعِینُ تُفَقِّدُ
أو ما سَمِعْتَ بَمَنْ مَضَى هَذا يُذَمُّ وذاك يُحْمَدُ
المالُ إن أَصْلَحَ تَحْتَهُ يَصْلُحُ وإن أَفْسَدَ يَفْسُدُ

وقال الأحنف بن قيس: ما ادَّخَرْتَ الآباءَ للأبناء، ولا أبقتَ الموتى للأحياء،

شيئاً أفضلَ من أصطناع المعروف عند ذوي الأحساب.

(٢)

وقالوا: تريب المعروف أولى من أصطناعه؛ لأنَّ اصطناعه نافلة، وتريبه

فريضة.

وقالوا: أحْيِ معروفَكَ بِإماتةِ ذِكره، وعظِّمه بالتَّصْغِيرِ له.

(١) باد: هلك.

(٢) النافلة: الصلاة التي ليست فريضة بل هي للتقرب من الله.

وقالت الحكماء: من تَمَام كَرَمِ المنعمِ التغافلُ عن حُجته، والاقرارُ بالفضيلةِ لشاكرِ نعمته .

وقالوا: للمعروف خصالٌ ثلاث: تَعجيله وتيسيره وستره، فمن أخلَّ بواحدة منها فقد بَخَسَ^(١) المعروف حقه وسقط عنه الشكر .

وقيل لمعاوية: أي الناس أحب إليك؟ قال: من كانت له عندي يدٌ صالحة . قيل: فإن لم تكن له؟ قال: فمن كانت لي عنده يد صالحة .

وقال النبي ﷺ: «من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه، فإن لم يقم بتلك المؤونة عَرَّضَ النعمة للزوال» .

عروة بن أدية في صلبه:

أبو اليقظان قال: أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أدية أخا أبي بلال، وقطع يده ورجله، وصلبه على باب داره؛ فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم، فإنهم أضيافكم .

ابن المبارك عن حميد عن الحسن قال: لأن أقضي حاجة لأخ لي، أحب إلي من عبادة سنة .

بين السندي وكوفي ذي مروءة:

وقال إبراهيم بن السندي: قلت لرجل من أهل الكوفة، من وجوه أهلها، كان لا يجف لبده^(٢)، ولا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مفوَّهاً؛ فقلت له: أخبرني عن الحالة التي خَفَّتْ عنك النَّصَب^(٣) وهَوَّت عليك التعب في القيام بحوائج الناس، ما هي؟ قال قد والله

(١) بَخَسَ: أنقص وغبن .

(٢) لبده: أي لبد فرسه .

(٣) النَّصَب: التعب .

سمعتُ تغريد الطير بالأسحار، في فروع الأشجار، وسمعتُ خَفَقَ أوتار العידان، وترجيعَ أصوات القيان، فما طربتُ من صوت قط، طَرَبْتُ من ثناء حَسَنٍ بلسانٍ حَسَنٍ على رجلٍ قد أحسن، ومن شكر حُرٍّ لمنعم حرٍّ، ومن شفاعَةٍ محتسبٍ لطالبٍ شاكر. قال إبراهيم: فقلتُ له: لله أبوك! لقد حُشيتَ كَرَمًا.

لجعفر بن محمد:

إسماعيل بن مسرور عن جعفر بن محمد^(١) قال: إن الله خلق خلقاً من رحمته برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون الحوائج للناس، فمن آستطاع منكم أن يكون منهم فليكن.

الجود مع الإقلال

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الأنصار: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ نَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)

وقال النبي ﷺ: «أفضل العطية ما كان من مُعْسِرٍ إلى مُعْسِرٍ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «أفضل العطية جُهدُ المِقْلِ».

وقالت الحكماء: القليل من القليل أحمدُ من الكثير إلى الكثير.

أخذ هذا المعنى حبيب فنظمه في أبيات كتب بها إلى الحسن بن وهب الكاتب وأهدى إليه قلماً:

قد بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ بـيٍّ فـكُنْ لَهُ ذَا قَبُولٍ
لا تَقِسْهُ إِلَى نَدَى كَفِّكَ الْغَمِّ رَ وَلَا تَنِيلِكَ الْكَثِيرِ الْجَزِيلِ^(٣)
وَاسْتَجِزْ قَلَّةَ الْهَدِيَّةِ مِنِّي إِنَّ جُهدَ الْمِقْلِ غَيْرُ قَلِيلٍ

(١) أي جعفر الصادق عليه السلام.

(٢) سورة الحشر الآية ٩. (٣) الندى: الكرم، والغمر: الوفير.

وقالوا: جُهد المقلَّ أفضلُ من غني المكثرِ .

وقال صريع الغواني:

ليس السَّاحُ لِمُكْثِرٍ في قومِه لكن لِمُقْتِرٍ قَوْمِه المتَّحَمِدِ

لأبي هريرة في جعفر بن أبي طالب:

وقال أبو هريرة: ما وددت أن أحداً ولدني أمه إلا أم جعفر بن أبي طالب؛ تبعته ذات يوم وأنا جائع، فلما بلغ الباب التفت فرآني، فقال لي: ادخل، فدخلت؛ ففكر حيناً فما وجد في بيته شيئاً إلا نَحِيّاً^(١) كان فيه سمن مَرَّةً، فأنزله من رَف لهم، فشقه بين أيدينا، فجعلنا نلحق ما كان فيه من السمن والزيت، وهو يقول:

ما كَلَّفَ اللهُ نفساً فوقَ طاقتها ولا تجودُ يدٌ إلا بما تَجِدُ

وقيل لبعض الحكماء: مَنْ أجودُ الناس؟ قال: من جاد من قلة، وصان وجه السائل عن المذلة.

وقال حماد عجرد:

أورق بخير تؤمِّل للجزيل فما ترجى الثَّار إذا لم يُورِقِ العودُ
إنَّ الكريم ليخفي عنك عسرتَه حتى تراه غنياً وهو مجهود
بُثَّ النَّوَال ولا تَمْنَعَكَ قَلَّتُهُ فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو مَحْمُودُ^(٢)
وللبخيلِ على أمواله عِلَلٌ زُرُقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سودُ

وقال جاتم:

أضاحكُ ضيفي قبل إنزال رَحْله ويخصبُ عندي والمحلُّ جَدِيدُ
وما الخصبُ للأضياف أن يكثرَ القَرى ولكنَّا وجهُ الكرمِ خصيبُ

(١) النحي: الزق، أو وعاء السمن.

(٢) بث النوال: انشره، وأكثر من العطاء.

وقال عبد الملك بن مروان: ما كنت أحب أن أحداً ولدني من العرب إلا عروة

بن الورد لقوله:

أتهزأ مني أن سمّنت وأن تَرى بجسمي مسّ الجوع والجوع جاهد
لأنّي أمرؤ عافى إنائي شِرْكةً وأنتَ أمرؤ عافى إنائك واحد
أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأخسو قراح الماء والماء بارد^(١)

ومن أحسن ما قيل في الجود مع الإقلال قول صريع:

فلو لم يكن في كفه غير روجه لجاد بها فليتنق الله سائله

ومن أفرط ما قيل في الجود قول بكر بن النطّاح:

أقول لمُرتاد الندي عند مالِك تمسك بجدوى مالِك وصلاته^(٢)
فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه فأسدّى بها المعروف قبل عدايته^(٣)
فلو خذلت أمواله جود كفه لقاسم من يرجوه شطر حياته
وإن لم يجز في العمر قسم لِمالك وجاز له أعطاه من حسناته
وجاد بها من غير كفر بربه وأشركه في صومه وصلاته

وقال آخر في هذا المعنى وأحسن:

ملأت يدي من الدنيا مرارا وما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت عليّ زكاة مال وهل تحب الزكاة على الجواد

العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاص: قَبَّحَ الله المعروف إن لم يكن ابتداءً من غير مسألة، فالمعروف عوض من مسألة الرجل إذا بذل وجهه، فقلبه خائف، وفرائضه تُرْعَد، وجبينه يرشح؛ لا يدري أيرجع بنجح الطلب، أم بسوء المنقلب، قد انتقع^(٤) لونه،

(١) قراح الماء: الخالص الصافي. (٢) الجدوى: العطاء والكرم.

(٣) أسدى المعروف: قدّمه. (٤) انتقع: امتنع وتغير.

وذهب دُم وجهه . اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظٌ فلا تجعل لي حظاً في الآخرة .

وقال أکثم بن صيفي : كل سؤالٍ وإن قلَّ أكثرُ من كل نَوَالٍ وإن جلَّ .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : مَنْ كانت له إليّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .

حبيب قال :

عطاؤك لا يفنى ويستغرق المنى وتبقى وجوه الراغبين بمائها ^(١)

وقال حبيب أيضاً :

ذلّ السؤال شجاً في الخلق معترضٌ من دونه شَرَقٌ من خلفه جَرَضٌ ^(٢)
ما ماء كَفْكَ إن جادت وإن بَخِلَتْ من ماء وجهي إذا أفنيتُه عَوْضُ
إنّي بأيسرٍ ما أدنيت مُنْبَسِطٌ كما بأكثر ما أقصيت مُنْقَبِضُ

وقالوا : من بذل إليك وجهه فقد وفّاك عن نعمتك .

وقالوا : أكمل الخصال ثلاث : وقار بلا مهابة ، وسماح بلا طلبٍ مكافأة ، وحلم

بغير ذلّ .

وقالوا : السخي من كان مَسْروراً ببذله ، متبرعاً ببعثائه ، لا يلتبس عرض دنيا

فيحبط عمله ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ، ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصائد

الذي يلقي الحب للطائر : لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه .

بين ابن أبي سبرة وأبي الأسود :

نظر المنذر بن أبي سبرة إلى أبي الأسود الدؤلي وعليه قميصٌ مرقوع ، فقال له : ما

أصبرك على هذا القميص ؟ فقال له : رَبٌّ مملوكٍ لا يُستطاع فراقه . فبعث إليه

(١) يستغرق المنى : أي يكون قدرها وماء الوجه : كرامتها وحياتها .

(٢) الشجاء : ما يعترض في الخلق من لجة وغيرها . والجرض : الغصص .

بَتَخْتَ مِنْ ثِيَابٍ . فَقَالَ أَبُو الْأَسَدِ :

كَسَانِي وَلَمْ أَسْتَكْسِهْ فَحَمِدْتُهُ أَخْ لَكَ يُعْطِيكَ الْجَزِيلَ وَنَاصِرُ
وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ شَاكِرًا بِشُكْرِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْعَرَضُ وَافِرُ

بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَابْنِ صُوحَانَ فِي الْجُودِ :

وَسَأَلَ مَعَاوِيَةَ صَعْصَعَةَ بِنَ صُوحَانَ : مَا الْجُودُ ؟ فَقَالَ : التَّبَرُّعُ بِالْمَالِ ، وَالْعَطِيَّةُ قَبْلَ
السُّؤَالِ .

لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ :

وَمِنْ قَوْلِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

كَرِمٌ عَلَى الْعِلَاتِ جَزْلٌ عَطَاؤُهُ يُنِيلُ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدْ لِنَوَالِ^(١)
وَمَا الْجُودُ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا سَأَلْتُهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُعْطِي بِغَيْرِ سُؤَالِ

وَقَالَ بَشَّارُ الْعُقَيْلِيِّ :

مَالِكِي يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهِ الْجَدُّ بٌ كَمَا أَنْشَقَتِ الدُّجَى عَنْ ضِيَاءِ
فُتُجُوجِ السَّمَاءِ فَيَضُ يَدَيْهِ لِقَرِيبٍ وَنَازِحِ الدَّارِ نَاءِ^(٢)
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْ فِ وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ
لَا وَلَا أَنْ يُقَالَ شِيَمَتُهُ الْجَوْ دٌ وَلَكِنْ طَبَائِعُ الْآبَاءِ

وَقَالَ آخَرُ :

إِنْ بَيْنَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ خُطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ

وَقَالَ حَبِيبُ :

لَنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعَمٍ إِنِّي لَفِي اللَّؤْمِ أَمْضَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ

(١) العلات: كلّ التواحي . (٢) الثجوج: الأمطار الغزيرة .

أَنْسَى ابْتِسَامَكَ وَالْأَلْوَانَ كَاسِفَةً تَبَسَّمَ الصُّبْحُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ ^(١)
 رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصَّقَالِ بِهَاءَ الصَّارِمِ الْخَذِمِ ^(٢)
 وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِهِ أَمْ حَقَنْتَ دَمِي!

استنجاح الحوائج

عادتهم في ذلك:

كانوا يستفتحون حوائجهم بركعتين يقولون فيها: اللهم بك أستنجح، وبأسمك أستفتح، وبمحمد نبيك إليك أتوجه، اللهم ذلّل لي صعوبته، وسهّل لي حزونه، وآرزقني من الخير أكثر مما أرجو، وآصرف عني من الشر أكثر مما أخاف.

وقال النبي ﷺ: «أستعينوا على حوائجكم بالكتمان لها، فإنّ كل ذي نعمة محسود».

وقال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوها من غير أهلها، فإنّ الحوائج تطلب بالرجاء، وتُدرك بالقضاء.
 وقال: مفتاح نُجَحِ الحاجة الصبرُ على طول المدة. ومغلاقُها اعتراض الكسل دونها.

قال الشاعر:

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجَرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْأَثَرِ
 وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ
 وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي هَذَا: مَنْ أَدْمَنَ قَرْعَ الْبَابِ يَوْشَكَ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ.
 أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:

إِنْ الْأُمُورَ إِذَا آنَسَدَتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا ^(٣)

(١) الكاسفة: المتغيرة. (٢) الخدم: القاطع.

(٣) ارتج: أي أقبل.

لا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا تَضَاقَقَ أَمْرٌ أَنْ تَرَى قَرَجَا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا^(١)

وقال خالد بن صفوان: قَوَّتُ الحاجةَ خَيْرَ مَنْ طَلَبَهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا، وَأَشَدُّ مِنَ الْمُصِيبَةِ سُوءُ الْخَلْفِ مِنْهَا.

وقالوا: صَاحِبُ الْحَاجَةِ مَبْهُوتٌ، وَطَلِبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَعْزِيرٌ^(٢).

وقالت الحكماء: لَا تَطْلُبْ حَاجَتَكَ مِنْ كَذَّابٍ؛ فَإِنَّهُ يَقْرَأُ بِهَا بِالْقَوْلِ وَيُبْعِدُهَا بِالْفِعْلِ؛ وَلَا مِنْ أَحَقٍّ، يَرِيدُ نَفْعَكَ فَيُضِرُّكَ؛ وَلَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ أَكْلَةٌ مِنْ جِهَةِ رَجُلٍ، فَإِنَّهُ لَا يُوَثِّرُ حَاجَتَكَ عَلَى أَكْلَتِهِ.

وقال دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ:

جِئْتُكَ مُسْتَرْفِداً بِلا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِجُرْمَةِ الْأَدَبِ^(٣)
فَاقْضِ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

وقال شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ: إِنِّي لِأَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَاقَى بِهِ اثْنَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ بَيْنَهُمَا. قِيلَ لَهُ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: الْعَقْلُ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْأَلُ مَا لَا يُمْكِنُ، وَلَا يَرُدُّ عَمَّا يُمْكِنُ.

وقال الشاعر:

أَتَيْتُكَ لَا أَذِلُّ بِقُرْبَى وَلَا يَدٍ إِلَيْكَ سِوَى أَنِّي بِجُودِكَ وَائِقٌ
فَإِنْ تُؤَلِّنِي عُرْفاً أَكُنْ لَكَ شَاكِراً وَإِنْ قُلْتَ لِي عُذْراً أَقُلْ أَنْتَ صَادِقٌ^(٤)

وقال الحسن بن هانئ:

فَإِنْ تُؤَلِّنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَانِزٌ وَشَكُورٌ

(١) أخلق: أي جديرٌ وحرِيٌّ وبلج: يدخل

(٢) التعزير: التشديد. (٣) مسترفداً: طالباً العطاء.

(٤) أولاه العرف: أي وصله بكرمه.

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا أَخْلَقْتُ وَجْهًا بَدَلْتُهِ إِلَيْكَ وَلَا عَرَضْتُهِ لِلْمَعَايِرِ
فَتَى وَقَرَّتْ أَيْدِي الْمَكَارِمِ عِرْضَهُ عَلَيْهِ وَخَلَّتْ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرِ

بين ابن واسع وأمير:

ودخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال: أتيتك في حاجة فإن شئت قضيتها وكنا كريمين، وإن شئت لم تقضها وكنا لئيمين. أراد: إن قضيتها كنت أنت كريماً بقضائها وكنت أنا كريماً بسؤالك إياها؛ لأنني وضعت الطلبة في موضعها؛ فإن لم تقضها كنت أنت لئيماً بمنعك وكنت أنا لئيماً بسوء اختياري لك.

وسرق حبيب هذا المعنى فقال:

عِيَّاشُ إِنَّكَ لِللَّيْمِ وَإِنِّي مُذْ صِرْتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلَّيْمِ

عبد الله بن طاهر وسوار القاضي:

ودخل سوار القاضي على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فقال: أصلح الله الأمير:

لَنَا حَاجَةٌ وَالْعُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ خَفِيفٌ مُعْنَاهَا مُضَاعَفَةُ الْأَجْرِ^(١)
فَإِنْ تَقْضَاهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَإِنْ عَاقَ مَقْدُورٌ فَنِي أَوْسَعُ الْعُذْرِ^(٢)

قال له: ما حاجتك أبا عبد الله؟ قال: كتاب لي: إن رأى الأمير أكرمه الله - أن يُنفذه في خاصته، كتب إلى موسى بن عبد الملك في تعجيل أرزاقه. قال: أو غير ذلك أبا عبد الله؟ نجعلها لك من مالك، وإذا وددت كنت مخيراً بين أن تأخذ أو ترّد. فأنشد سوار يقول:

فَبَابُكَ أَيَّمَنَ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةَ عَامِرَةٍ
وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى الْمُجْتَدِيدَ مِنْ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ

(١) معناها: أي عناؤها. (٢) عاق مقدور: أي منع تنفيذها أمر مقدّر.

وَكَلْبُكَ آتَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةِ^(١)

أبو حازم الأعرج وسلطان في حاجة:

ودخل أبو حازم الأعرج على بعض أهل السلطان فقال: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن يأذن الله في قضائها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن في قضائها لم تقضها وعذرناك.

وفي بعض الحديث: «أطلبوا الحوائج عند حسان الوجه».

أخذه الطائي فنظمه في شعره فقال:

قد تأولتُ فيكَ قولَ رسولِ الله إذ قالَ مُفْصِحاً إِفْصَاحاً
إن طلبتم حوائجاً عند قومٍ فتَنَقَّوْا لها الوجوه الصِّباحا
فلعمري لقد تنقيتُ وجهاً ما به خاب من أراد النِّجاحا

بين المنصور وطالب حاجة:

قال المنصور لرجل دخل عليه: سل حاجتك فإنك لست تقدر على هذا المقام في كل حين. قال: يبيك الله يا أمير المؤمنين، ما أستقصر عمرك ولا أخاف بخلك، وإن عطاءك لشرف، وإن سؤالك لزين، وما بأمريء بذل إليك وجهه نقص ولا شين^(٢). فوصله وأحسن إليه.

استنجاز المواعد

كلمات في معنى هذا العنوان:

من أمثالهم في هذا: أَنْجَزَ حُرّاً ما وعد .
وقالوا: وعدُّ الكرمِ نقد، ووعدُّ اللّثمِ تسويف .
وقال الزُّهري: حقيق على من أوردق بوعدٍ أن يُثمر بفعل .

(٢) الشين: العيب .

(١) المعتفين: السائلين النوال .

وقال المغيرة: من آخر حاجة فقد ضَمِنَهَا .

وقال الموبذان الفارسي: الوعد السحابة، والإنجاز المطر.

وقال غيره: المواعيد رءوس الحوائج والإنجاز أبدانها .

وقال عبد الله بن عمر: خُلِفَ الوعدُ ثُلُثُ النفاق، وصِدَقَ الوعدُ ثُلُثُ الإيمان، وما ظَنُّكَ بشيء جعله الله مِدْحَةً في كتابه، وفخراً لأنبيائه، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾^(١).

لجبار في عامر ابن الطفيل:

وذكر جبار بن سلمى عامر بن الطفيل فقال: كان والله إذا وعد الخير وفى، وإذا وعد الشر أخلف. وهو القائل:

ولا يَرْهَبُ ابْنَ الْعَمِّ مَا عَشْتُ صَوْلَتِي ويَأْمَنُ مِنِّي سَطْوَةُ الْمُتَهَدِّدِ^(٢)
وإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لِيَكْذِبُ إِيْعَادِي وَيَصْدُقُ مَوْعِدِي

وقال ابن أبي حازم:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ» فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
وإِلَّا فَقُلْ «لَا» تَسْتَرْحُ وَتُرْحَ بِهَا لثَلَا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ

ولو لم يكن في خُلِفَ الوعد إلا قولُ الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣) لكفى .

وقال عمر بن الحارث: كانوا يفعلون ولا يقولون، ثم صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون، فزعم أنهم ضنّوا بالكذب فضلاً عن الصدق .

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) الصولة: القوة والبطش والسطوة؛ كذلك .

(٣) سورة الصف الآية ٦١ .

وفي هذا المعنى يقول الحسن بن هانئ:

قَالَ لِي تَرْضَى بِوَعْدِ كَاذِبٍ؟ قُلْتُ إِنَّ لِمَيْكَ شَحْمَ فَنَفْسٍ^(١)

ومثله قول عباس بن الأحنف، ويقال إنها لمسلم بن الوليد صريع الغواني:

مَا ضَرَّ مَنْ شَغَلَ الْفَوَادَ بِبُخْلِهِ لَوْ كَانَ عَلَّانِي بِوَعْدِ كَاذِبٍ^(٢)
صَبْرًا عَلَيْكَ فَمَا أُرَى لِي حِيلَةً إِلَّا التَّمَسُّكَ بِالرَّجَاءِ الْخَائِبِ
سَامُوتٌ مِنْ كَمَدٍ وَتَبَقَى حَاجَتِي فَمَا لَدَيْكَ وَمَالُهَا مِنْ طَالِبِ

بين عبد الملك وابن أم الحكم:

قال عبد الرحمن بن أم الحكم لعبد الملك بن مروان في مواعيد وعدها إياه فمطله^(٣) بها: نحن إلى الفعل أحوج منا إلى القول، وأنت بالإنجاز أولى منك من المطل، وأعلم أنك لا تستحق الشكر إلا بإنجازك الوعد وأستمالك المعروف.

بين عيسى بن موسى وابن معن:

القاسم بن معن المسعودي قال: قلت لعيسى بن موسى: أيها الأمير، ما انتفعت بك منذ عرفتكَ، ولا أوصلت لي خيراً منذ صحبتك. قال: ألم أكلّم لك أمير المؤمنين في كذا وأسأله لك كذا؟ قال: قلت: بلى، فهل استنجزت ما وعدت، وأستمتت ما بدأت؟ قال: حال من دون ذلك أمور قاطعة، وأحوال عاذرة. قلت: أيها الأمير، فما زدت على أن نبّهت العجز من رقدته، وأثّرت الحزن من رُبُضته، إنّ الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحقّقه، كان كلفظ لا معنى له، وجسم لا روح فيه.

وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي لخالد بن ديسم عامل الرّي:

أَخَالِدُ إِنْ الرِّيّ قَدْ أَجَحَفَتْ بِنَا وَضَاقَ عَلَيْنَا رَحْبُهَا وَمَعَاشُهَا
وَقَدْ أَطْمَعَتْنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةً أَضَاءَتْ لَنَا بَرَقًا وَأَبْطَأَ رَشَاشُهَا

(١) النفس: الصوف. (٢) علّني: شغلني وجعلني أتأمل.

(٣) مطله: من المطل وهو التسويف وعدم الوفاء بالوعد.

فلا غِمْهَا يَصْحُو فَيُنْسَ طامِعاً ولا ماؤها يأتي فتروى عطاشها .

بين بشار وسلم :

وقال سعيد بن سَلَمَ : وعد أبي بشارا العُقيلي حين مدحه بالقصيدة التي يقول فيها :
صَدَّتْ بَجْدَ وَجَلَّتْ عَنْ خَدٍّ ثُمَّ أَثْنَتْ كَالنَّفْسِ الْمُرْتَدِّ^(١)
فكتب إليه بشارٌ بالغد :

ما زالَ ما مَنَيْتَنِي مِنْ هَمِّي الوَعْدُ فَأَرِخْ مِنْ غَمِّي
إن لم تُرِدْ مَدْحِي فَرَأَيْتُ دَمِي

فقال له أبي : يا أبا معاذ، هلا استنجزت الحاجة بدون الوعيد ! فإذا لم تفعل
فترَبَّصْ ثلاثاً وثلاثاً ؛ فإني والله ما رَضِيتُ بالوعد حتى سمعتُ الأبرش الكلبي يقول
لهشام : يا أمير المؤمنين ؛ لا تَصْنَعْ إِلَيَّ معروفاً حتى تَعِدَنِي ؛ فإنه لم يَأْتِنِي منك سَبَبٌ^(٢)
على غير وعد إلا هان عليَّ قدره وقلَّ مني شكره . فقال له هشام : لئن قلت ذلك لقد
قاله سيدُ أهلك أبو مسلم الخولاني : « إن أوقع المعروف في القلوب ، وأبرده على
الأكباد معروف منتظر ، بوعد لا يكدره المَطْل » .

يجي بن خالد وقضاء الخوائج :

وكان يجي بن خالد بن برمك لا يقضي حاجة إلا بوعد ، ويقول : من لم يَبْتَ على
سرور الوعد لم يجد للصنعة طعماً .

وقالوا : الخلف أُلَم من البخل لأنه من لم يفعل المعروف لزمه ذمُّ اللؤم وحده ،
ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مَذَمَّات : ذمُّ اللؤم ، وذمُّ الخلف ، وذمُّ الكذب .

وقال زياد الأعجم :

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ قَتَايَ لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ

(١) صدَّت : أَعْرَضَتْ ، وَجَلَّتْ : أَظْهَرَتْ وَأَسْفَرَتْ .

(٢) السبب : العطاء .

لا خَيْرَ في كَذِبِ الجَوَا دِ وَحَبَّذَا صِدْقُ البَخِيلِ

استبطأ حبيب الطائي الحسن بن وهب في عِدَّةٍ وعدما إياه، فكتب إليه أبياتاً يستعجله بها، فبعث إليه بألف درهم وكتب إليه:

أَعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا قَلًّا وَلَوْ أَخَّرْتَهُ لَمْ يَقْلِلِ
فَخَذِ القَلِيلَ وَكُنْ كَمَنْ لَمْ يَسْأَلِ وَنَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّنَا لَمْ نَفْعَلِ

ابن دأب عند المهدي:

وقال عبد الملك بن مالك الخزاعي: دخلت على أمير المؤمنين المهدي وعنده ابن دأب وهو ينشد قول الشماخ:

وَأَشَعْتُ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَمِيصَهُ يَجْرُ شَوَاءٌ بِالْعَصَا غَيْرَ مَنْضَجٍ^(١)
دَعَوْتُ إِلَى مَا نَابَنِي فَأَجَابَنِي كَرِمٌ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرُ مُزْلَجٍ^(٢)
فَتَى يُمَرِّي الشَّيْزَى وَيُرْوِي سِنَانَهُ وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَمِيِّ الْمَدَجَجِ^(٣)
فَتَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ وَلَا فِي بُيُوتِ الْحَيِّ بِالْمَتَوَلِّجِ

فرغ المهدي رأسه إليّ وقال: هذه صفتك أبا العباس. فقلت: بك نلتها يا أمير المؤمنين. قال: فأنشدني. فأنشدته قول السموءل:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رَدَاوٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَأِنْ هُوَ لَمْ يَحْمَلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ^(٤)
إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمَرْوَةُ يَافِعًا فمَطْلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ ثَقِيلُ^(٥)
تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عِدَادُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ^(٦)

(١) الأشعت: صاحب الشعر الكثير الغبار الذي لم يرجل من مده والسفار: أي السفر.

(٢) المزلاج: البخيل والناقص المروءة.

(٣) الشيزى: خشب أسود تتخذ منه القصاع.

(٤) الضيم: الظلم. (٥) يافعا: شاباً. (٦) السبة: العار.

يَقْتَرِبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّرَهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وما ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ^(١)
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ نَفْسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السَّيْفِ تَسِيلُ
وَنُنْكِرُ إِنْ شَتْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
فَنَحْنُ كَمَا الْمَزْنُ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٍ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلٍ^(٢)
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولٌ^(٣)

فقال: أحسنت، اجلس، بهذا بلغتم، سل حاجتك. قلت: يا أمير المؤمنين، تكتب لي العطاء ثلاثين رجلاً من أهلي. قال: نعم، عليّ إذا وعدت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك متمكّن من القدرة وليس دونك حاجز عن الفعل؛ فما معنى العدة؟ فنظر إلى ابن دأب يريد منه كلاماً في فضل الموعد، فقال ابن دأب:

حلاوة الفعلِ بوَعْدٍ يُنْجِزُ لا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَتَبَ يُنْهَزُ^(٤)

فضحك المهدي وقال:

الفعل أحسن ما يكو ن إذا تقدّمه ضمّان

للمهلب يوصي بنيه:

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: يا بنيّ، إذا غدا عليكم الرجل وراح مُسَلِّماً فكفى بذلك تقاضياً.

وقال الشاعر:

أَرْوَحُ بِتَسْلِيمِي عَلَيْكَ وَأُعْتَدِي وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

وقال آخر:

(١) حَتَفَ أَنْفَهُ: أي على الفراش وطلّ: ذهب دمه هدرًا.

(٢) الكهام: الكليل الحدة.

(٣) الفلول: الآثار والدوب.

(٤) ينهز: أي يتحين الإنسان فرصة مواتية لانتهابه.

كفأك مُخْبِرًا وَجْهِي بِشَانِي وَحَسْبُكَ أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي
وَمَا ظَنَّنِي بِمَنْ يَعْنِيهِ أَمْرِي وَيَعْلَمُ حَاجَتِي وَيَرَى مَكَانِي

وكتب العتابي إلى بعض أهل السلطان: أما بعد؛ فإن سحاب وعدك قد أبرقت،
فليكن وبلها سالماً من علل المَطل. والسلام.

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده: أما بعد؛ فإن شجرة وعدك قد أورقت فليكن
ثمرها سالماً من جوائح المَطل^(١). والسلام.

عبد الله بن طاهر ودعبل:

وَعَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ دِعْبَلًا بِغَلَامٍ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ تَصَدَّيْ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ رَكِبَ
إِلَى بَابِ الْخَاصَّةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: أَسَأْتُ الْاِقْتِضَاءَ، وَجَهَلْتُ الْمَأْخُذَ، وَلَمْ تُحَسِّنِ النَّظَرَ،
وَنَحْنُ أَوْلَى بِالْفَضْلِ؛ فَلَكَ الْغَلَامُ وَالِدَابَةُ مَتَى نَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَأَخَذَ بَعْنَانَهُ
دَعْبِلَ وَأَنْشَدَهُ:

يَا جَوَادَ اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ فَعَلٍ لَيْتَ فِي رَاحَتِكَ جُودَ اللِّسَانِ
عَيْنَ مِهْرَانَ قَدْ لَطَمْتَ مِرَارًا فَاتَّقِ ذَا الْجَلَالِ فِي مِهْرَانَ
عُرْتُ عَيْنًا فَدَعُ لِمِهْرَانَ عَيْنًا لَا تَدْعُهُ يَطُوفُ فِي الْعِمْيَانِ

قال: فنزل له عن دابته، وأمر له بالغلام.

أبان وخلف ابن خليفة:

وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد جارية، فوعده بها وأبطأت عليه، فكتب

إليه:

أَرَى حَاجَتِي عِنْدَ الْأَمِيرِ كَأَنَّهَا تَهْمُ زَمَانًا عِنْدَهُ بِمَقَامِ
وَأَحْصَرُ مَنْ إِذْ كَارِهِ إِنْ لَقِيْتَهُ وَصَدَقَ الْحَيَاءُ مُلْجِمٌ بِلِجَامِ
أَرَاهَا إِذَا كَانَ النَّهَارُ نَسِيئَةً وَبِاللَّيْلِ تُقْضَى عِنْدَ كُلِّ مَنَامِ^(٢)

(٢) النساء: تأخير الثمن.

(١) المطل: عدم الوفاء بالوعد.

فِيَارَبْ أَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ مُخْرِجٌ مِنْ الْمَيِّتِ حَيًّا مُفْصِحًا بِكَلَامِ
فَتَعْلَمَ مَا شُكْرِي إِذَا مَا قَضَيْتَهَا وَكَيْفَ صَلَاتِي عَنْدَهَا وَصِيَامِي

وكتب أبو العتاهية إلى رجل وعده بَعْدَةً ومَظْلَةً بها .

لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدًا
مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ أَسْرُّهَا إِلَّا تَشَاوَلْتُ ثُمَّ قُلْتُ غَدًا

وكتب دَعْبِلَ إلى رجل وعده وعدًا وأخلفه :

أَحْسَبْتُ أَرْضَ اللَّهِ ضَيْقَةً عَنِّي فَأَرْضُ اللَّهِ لَمْ تَضِيقْ
وَجَعَلْتَنِي فَقْعًا بِقَرْقَرَةٍ فَوَطِئْتَنِي وَطْئًا عَلَى حَنْقٍ ^(١)
فَإِذَا سَأَلْتُكَ حَاجَةً أَبَدًا فَاضْرِبْ بِهَا قُفْلًا عَلَى غَلَقِ
وَأَعِدِّي لِي غُلًّا وَجَامِعَةً فَاجْمَعْ يَدَيَّ بِهَا إِلَى عُنُقِي ^(٢)
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَوْسَعَهَا وَأَدْلَنِي بِمَسَالِكِ الطُّرُقِ

لابن عبد ربه :

ومن قولنا في رجل كتب إلى بَعْدَةٍ في صحيفة ومطلني بها :

صَحِيفَةً طَابَعَهَا اللَّوْمُ عَنْوَانُهَا بِالْجَهْلِ مَخْتُومٌ
يُهْدِي لَهَا وَالْخُلْفُ فِي طَيْهَا وَالْمَطْلُ وَالتَّسْوِيفُ وَاللَّوْمُ
مَنْ وَجْهَهُ نَحْسٌ وَمَنْ قُرْبُهُ رِجْسٌ وَمَنْ عِرْفَانُهُ شُومٌ
لَا تَهْتَضِمُ إِنْ بَتَّ ضَيْفًا لَهُ فَخُبْرُهُ فِي الْجَوْفِ هَاضُومٌ ^(٣)
تَكْلِمُهُ الْأَحَاطُ مِنْ رَقَّةٍ فَهُوَ بِلِحْظِ الْعَيْنِ مَكْلُومٌ ^(٤)
لَا تَأْتِدِمُ شَيْئًا عَلَى أَكْلِهِ فَإِنَّهُ بِالْجَوْعِ مَادُومٌ ^(٥)

(١) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة والقرقرة: الأرض المطمئنة اللينة، ويقال للدليل: هو أدل من فقع بقرقرة، لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

(٢) الجامعة: الغلّ والقيد، لأنها تجمع اليدين إلى العنف.

(٣) الهاضوم: الكثير الهضم . (٤) تكلمه: تبحرجه . (٥) تأتدم: تأكل.

وقلت فيه :

صحيفةٌ كُتِبَتْ لَيْتَ بها وعسى
وعُدَّ له هاجِسٌ في القلبِ قد بَرِمَتْ
بَرَاةٌ غَرَّنِي منها ومِضُّ سَنِي
فصَادَقَتْ حَجَرًا لو كنتَ تَضْرِبُهُ
كأنما صَيِّغَ من بُخْلِ وَمِنْ كَذِبِ
عُنْوَانُهَا رَا حَةُ الرَّاجِي إِذَا يَشَا
أَحْشَاءُ صَدْرِي بِهِ مِنْ طَوْلِ مَا هَجَسَا^(١)
حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَبِسَا^(٢)
مِنْ لُؤْمِهِ بَعْضَا مُوسَى لَمَّا انْبَجَسَا^(٣)
فَكَانَ ذَاكَ لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسَا

وقلت فيه :

رجاءٌ دُونَ أَقْرَبِهِ السَّحَابُ
وَتَسْوِيفٌ يَكِلُ الصَّبْرُ عَنْهُ
وَأَيَّامٌ خَلَّتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ
وَدُنْيَا قَدْ تَوَزَّعَهَا الْكِلَابُ
وَوَعْدٌ مِثْلَ مَا لَمَعَ السَّرَابُ
وَمَطْلٌ مَا يَقُومُ لَهُ حِسَابٌ^(٤)

لطيف الاستمناح

قالت الحكماء : لطيف الاستمناح سبب النجاح ، والأنفس ربما انطلقت وانشرحتْ بلطيف السؤال ، وانقبضت وامتنعت بجفاء^(٥) السائل ؛ كما قال الشاعر :

وجفوتني فقطعتُ عنك فوائدي كالدَّرِّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الْحَالِبِ

وقال العتابي : إن طلبت حاجة إلى ذي سلطان فأجل في الطلب إليه ، وإياك والإلحاح عليه ؛ فإنَّ إلحاحك يَكْلِمُ^(٦) عِرْضَكَ وَيُرِيْقُ ماءَ وجهك ، فلا تأخذ منه عَوْضًا لما يأخذ منك ؛ ولعلَّ الإلحاح يجمع عليك إخلاق ماء الوجه ، وحرمانَ النجاح ؛ فإنه ربما ملَّ المطلوبُ إليه حتى يستخف بالطالب .

(١) برمت : ملت ، وهجس : تحدث به سرًّا .

(٢) مقتبسًا : أي طالبًا قيسًا من وميضها وضوئها .

(٣) انبجس : تفجّر .

(٤) التسويق : المثل ، ويكلّ : يتعب .

(٥) الجفاء : من المجافاة ، وهي المفارقة والبعد . (٦) يكلم : يبرح .

وقال الحسن بن هانيء:

تَأَنَّ مَوَاعِيدَ الْكِرَامِ فَرُّمَا حَلَّتْ مِنَ الْإِلْحَاحِ سَمْحًا عَلَى بَخْلٍ

وقال آخر:

إِنْ كُنْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ فَتَجَمَّلِ فِيهَا بِأَحْسَنِ مَا طَلَبْتَ وَأَجْمَلِ
إِنَّ الْكَرِيمَ أَخَا الْمَرْوَةِ وَالنَّهْيَ مَنْ لَيْسَ فِي حَاجَاتِهِ بِمُثْقَلٍ

بين مروان ابن أبي حفصة وابن يزيد:

وقال مروان بن أبي حفصة: لقيت يزيد بن يزيد وهو خارج من عند المهدي فأخذت بعنان دابته وقلت له: إني قلت فيك ثلاثة أبيات أريد بكل بيت منها مائة ألف. قال: هاتِ لله أبوك، فأنشأت أقول:

يا أكرم الناس من عجم ومن عرب بعد الخليفة يا ضرغامة العرب^(١)
أفنييت مالك تعطيه وتنبهه يا آفة الفضة البيضاء والذهب
إِنَّ السَّيْفَ وَحَدَّ السَّيْفِ لَوْ نَطَقَا لِأَخْبَرَا عَنْكَ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْعَجَبِ

عبد الملك ونفر من بني أمية:

المدائني قال: قَدِمَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ مِنْ تَعْرِفٍ، وَحَقُّنَا مَا لَا يُنْكَرُ، وَجِئْنَاكَ مِنْ بَعِيدٍ، وَنَمْتُ^(٢) بِقَرِيبٍ، وَمَهْمَا تَعَطَّنَا فَتَحْنِ أَهْلَهُ.

الرشيد وعبد الملك بن صالح:

دحل عبدُ الملك بن صالح على الرشيد فقال: أسألك بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامّة؟ قال: بل بالقرابة والخاصة. قال: يداك يا أمير المؤمنين أطلّق من لساني بالمسألة، فأعطاه وأجزل له.

(١) الضرغامة: الأسد. (٢) نمت: نصل.

ودخل أبو الرِّيان على عبد الملك بن مروان، وكان عنده أثيراً، فرآه خائراً^(١)، فقال: يا أبا الريان، مالك خائراً؟ قال: أشكو إليك الشرف يا أمير المؤمنين! قال: كيف ذلك؟ قال: نُسأل ما لا نقدر عليه ونَعْتَذر فلا نُعْذَر. قال عبد الملك: ما أحسنَ ما اسْتَمَنَحْتَ واعتَرَرْتَ^(٢) يا أبا الرِّيان. أعطوه كذا وكذا.

الحجاج والشعبي:

العتابي قال: كتب الشعبي إلى الحجاج يسأله حاجة، فاعتلَّ عليه^(٣)، فكتب إليه الشعبي: والله لا عَذْرُتْكَ وأنت والي العراقين وابنُ عظيم القريتين. ففَضَى حاجته. وكان جدَّ الحجاج لأمه عروة بن مسعود الثقفي.

معاوية وابن زرة:

العتبي قال: قدم عبد العزيز بنُ زرة الكلابي على أمير المؤمنين معاوية فقال: إني لم أزل أهرَّ ذوائب الرِّحال إليك، فلم أجد مُعَوَّلاً إلا عليك، أمتطي الليل بعد النهار، وأسمُّ^(٤) المجاهلَ بالآثار، يقودني إليك أملٌ، وتسوقني بلوى، والمجتهد يُعْذر، وإذا بلغتكَ فَقَطْنِي^(٥). فقال: احطط عن راحلتك.

يزيد بن المهلب وكريز:

ودخل كُريز بن زُفر بن الحارث على يزيد بن المهلب فقال: أصلح الله الأمير، أنت أعظم من أن يُستعان بك ويُستعان عليك، ولست تفعل من الخير شيئاً إلا وهو يصغرُ عنك وأنت أكبرُ منه، ولا العجب أن تفعل، ولكن العجب ألا تفعل. قال: سل حاجتك. قال: حملت عن عشيرتي عَشْرَ ديات. قال: قد أمرتُ لك بها وشفعتها بمثلها.

(١) خائراً: ضعيفاً. (٢) اعتَرَرْتُ: أناه طالباً معروفة.

(٣) اعتلَّ عليه: أي أوجد لنفسه عللاً لعدم تلبية ما سأله

(٤) أسمُّ: أعلم، والواسم: العلامة والأثر. (٥) فَقَطْنِي: مقيمة وقاطنة.

حاتم الطائي وسائل حاجة:

العتبي عن أبيه قال: أتى رجل إلى حاتم الطائي فقال: إنها وقعت بيني وبين قوم ديات، فاحتملتها في مالي وأملي، فعدمتُ مالي وكنتُ أملي، فإن تحملها عني فربَّ هم قد فرجته، وغمَّ كفيته، ودين قضيته، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمَّ يومك، ولم أياسُ من غدك. فحملها عنه.

خالد القسري وسائل:

المدائني قال: سأل رجل خالداً القسري حاجة، فاعتل عليه، فقال له: لقد سألتُ الأمير من غير حاجة. قال: وما دعاك إلى ذلك؟ قال: رأيتك تُحب من لك عنده حُسْنُ بلاء؛ فأردتُ أن أتعلق منك بجبل مودة. فوصله وحباه وأدنى مكانه.

المنصور والهجري:

الأصمعي قال: دخل أبو بكر الهجري على المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين نَغَضَ فمي^(١)، وأنتم أهل البيت بركة، فلو أذنتَ لي فقبَلْتُ رأسك لعل الله يُشدد لي منه! قال: اختر منها أو من الجائزة. فقال: يا أمير المؤمنين. أهونُ عليّ من ذهاب درهم من الجائزة ألا تبقى حاكّة في فمي. فضحك المنصور وأمر له بجائزة.

أبو دلف وجار له:

وذكروا أن جاراً لأبي دلف ببغداد لزمه كبير دين فادح، حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموه بها، فسألهم ألفي دينار؛ فقالوا له: إن دارك تساوي خمسمائة. قال: وجواري من أبي دلف بألف وخمسمائة! فبلغ أبا دلف؛ فأمر بقضاء دينه وقال له: لا تبع دارك ولا تنتقل من جوارنا.

(١) نفص فمي: أي تحركت أسنانه وقلقت.

قيس بن سعد وامرأة:

ووقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان.
قال: ما أحسن هذه الكناية! املاؤا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً.

المنصور وأزهر السمان:

إبراهيم بن أحمد عن الشيباني قال: كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل مستتراً، فكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث، فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه أزهر، فرحب به وقربه، وقال له: ما حاجتك يا أزهر؟ قال: داري متهدمة، وعليّ أربعة آلاف درهم، وأريد لو أن ابني محمداً بنى بعياله^(١). فوصله باثني عشر ألفاً، وقال: قد قضينا حاجتك يا أزهر؛ فلا تأتنا طالباً. فأخذها وارتحل. فلما كان بعد سنة أتاه، فلما رآه أبو جعفر قال: ما جاء بك يا أزهر؟ قال: جئتكم مسلماً. قال: إنه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالباً. قال: ما جئت إلا مسلماً. قال: قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، واذهب فلا تأتنا طالباً ولا مسلماً. فأخذها ومضى؛ فلما كان بعد سنة أتاه، فقال: ما جاء بك يا أزهر؟ قال: أتيت عائداً، قال: إنه يقع في خلدي أنك جئت طالباً. قال: ما جئت إلا عائداً. قال: قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، واذهب فلا تأتنا طالباً ولا مسلماً ولا عائداً. فأخذها وانصرف؛ فلما مضت السنة أقبل، فقال له: ما جاء بك يا أزهر؟ قال: دعاء كنت أسمعك تدعو به يا أمير المؤمنين، جئت لأكتبه. فضحك أبو جعفر وقال: إنه دعاء غير مستجاب، وذلك أني قد دعوت الله به ألا أراك فلم يستجب لي، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً وتعال متى شئت، فقد أعيتني فيك الحيلة.

ابن المهلب وأعرابي:

أقبل أعرابي إلى داود بن المهلب فقال له: إني مدحتك فاستمع. قال: على رسلك^(٢)! ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج، فقال: قل، فإن أحسنت حكمتك، وإن

(١) بنى بعياله: أي دخل على زوجته وتزوج بها. (٢) على رسلك: على مهلك لا تتعجل.

أَسَات قَتْلَنَّاكَ ! فَأَنْشَأُ يَقُول :

أَمِنْتُ بِدَاوِدَ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنْ الْحَدَثِ الْمَخْشِيِّ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوِدَ نَبْوَةً مِنَ الْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي ^(١)
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانَ وَصُورَةُ يَوْسُفَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقُ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفَرَّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ^(٢)

فقال : قد حكمناك ؛ فإن شئت على قدرك ، وإن شئت على قدري . قال : بل على قدري . فأعطاه خمسين ألفاً ، فقال له جلساؤه : هلا احتكمت على قدر الأمير ؟ قال : لم يك في ماله ما يفي بقدره ! قال له داود : أنت في هذه أشعر منك في شعرك . وأمر له بمثل ما أعطاه .

الرشيْد وإسحاق الموصلي :

الأصمعي قال : كنت عند الرشيْد إذ دخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأنشده :

وَأَمْرَةٍ بِالْبُخْلِ قَلْتُ لَهَا اقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَى مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
فِعَالِي فَعَالُ الْمُكْثِرِينَ تَجَمُّلاً وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغِنَى وَرَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جِيْلُ

فقال له الرشيْد : لله دَرُّ أبيات تأتينا بها ! ما أحسن أصولها وأبين فصولها ، وأقل فضولها ! يا غلام أعطه عشرين ألفاً . قال : والله لا أخذت منها درهما واحداً ! قال : ولم ؟ قال : لأن كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعري ! قال : أعطوه أربعين ألفاً . قال الأصمعي : فعلمت والله أنه أصيْدُ لدراهم الملوك مني .

(١) النبوة : المصيبة والجفوة .

(٢) تفرق : تخاف ، من الفرق .

معاوية وزيد ابن منية:

العتبي عن أبيه قال: قدم زيد بن منية من البصرة على معاوية، وهو أخو يعلي بن منية صاحب الجمل، جل عائشة رضي الله عنها، ومتولي تلك الحروب، ورأس أهل البصرة؛ وكانت ابنة يعلي عند عتبة بن أبي سفيان؛ فلما دخل على معاوية شكّا دَيْنَه، فقال: يا كعب، أعطه ثلاثين ألفاً. فلما ولى قال: وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى، ثم قال له: الْحَقُّ بصهرك - يعني عتبة - فقدم عليه مصر. فقال: إني سرت إليك شهرين، أخوض فيهما المتالف^(١)، ألبس أردية الليل مرّة، وأخوض في لجج السراب أخرى، مَوْقَرًا^(٢) من حُسْن الظن بك، وهارباً من دهرٍ قَطِيمٍ^(٣)، ومن دين لَزِمَ، بعد غِنًى جَدَعْنَا به أنوفَ الحاسدين. فقال عتبة: إن الدهر أعاركم غنى، وخلطكم بنا ثم استردّ ما أمكنه أخذه، وقد أبقى لكم ممّا لا ضيعةَ معه، وأنا رافع يدي ويدك بيد الله، فأعطاه ستين ألفاً كما أعطاه معاوية.

ابن سويد وأبو ساسان:

إبراهيم الشيباني قال: قال عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف: أعدَمَ أبي إعدامَةً بالبصرة وأنْفَضَ^(٤)، فخرج إلى خراسان فلم يصب بها طائلاً. فبينما هو يشكو تعزُّرَ الأشياء عليه، إذ عدا غلامُه على كسوته وبغلته فذهب بها، فأتى أبا ساسان حُضِين ابن المنذر الرقاشي فشكا إليه حاله، فقال له: والله يا بن أخي، ما عمُّك ممن يحمل محاملك، ولعلّي أن أحتال لك. فدعا بكسوة حسنة فألبسني إياها، ثم قال: امض بنا. فأتى باب والى خراسان، فدخل وتركني بالباب، فلم ألبث أن خرج الحاجب فقال: أي عليّ بن سويد؟ فدخلت إلى الوالي، فإذا حُضِين على فراش إلى جانبه، فسلمت على الوالي فردّ عليّ، ثم أقبل عليه حُضِين فقال: أصلح الله الأمير، هذا علي

(١) المتالف: أي ما فيه تلف للنفس وهلاك.

(٢) مَوْقَرًا: مزوداً محملاً. (٣) دهرٌ قَطِيمٌ: دهرٌ صَوَّل.

(٤) وأنْفَضَ: أي لم يبق لديه شيء من مالٍ وغيره.

ابن سُويد بن مَنجوف سيد فتيان بكر بن وائل وابن سيد كهولها، وأكثر الناس مالا حاضراً بالبصرة وفي كل موضعٍ ملكتُ به بكرُ بن وائل مالا، وقد تجملَ بي إلى الأمير في حاجة. قال: هي مقضية. قال: فإنه يسألك أن تُمدَّ يدك في ماله ومراكبه وسلاحه إلى ما أحببت. قال: لا والله لا أفعل ذلك به، نحن أولى بزيادته. قال: فقد أعفيناك من هذه إذ كرهتها، فهو يسألك أن تحمله حوائجك بالبصرة. قال: إن كانت حاجة فهو فيها ثقة، ولكن أسألك أن تكلمه في قبول معونة منا؛ فإننا نحب أي يرى على مثله من أثرنا. فأقبل عليّ فقال: يا أبا الحسن، عزمتُ عليك ألا تردّ على عمك شيئاً أكرمك به. فسكت. قال: فدعا لي بمال ودوابٍ وكِساً ورقيق، فلما خرجت قلت: أبا ساسان، لقد أوقفني على خطة ما وقفتُ على مثلها قط. قال: اذهب إليك يا بن أخي، فعمك أعلم بالناس منك؛ إن الناس إن علموا لك غرارة^(١) من مال حثوا^(٢) لك أخرى وإن يعلموك فقيراً تعدّوا عليك مع فقرك.

المهدي وأبو دلامة:

إبراهيم الشيباني قال: ولد لأبي دلامة ابنة ليلا، فأوقد السراج وجعل يخطط خريطة من شُقق، فلما أصبح طواها بين أصابعه وغدا بها إلى المهدي فاستأذن عليه، وكان لا يحجب عليه، فأنشده:

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ قومٌ لِقيلٍ اقعدوا يا آلَ عَبَّاسٍ
ثم ارتقوا من شُعاعِ الشمسِ في دَرَجٍ إلى السماءِ فأنتم أكرمُ الناسِ

قال له المهدي: أحسنت والله أبا دلامة، فما الذي غدا بك إلينا؟ قال: ولدت لي جارية يا أمير المؤمنين. قال: فهل قلت فيها شعرا؟ قال: نعم قلت:

فما وَلَدَتْكِ مَرْمٌ أمَّ عيسى ولم يَكْفُلْكِ لِقمانُ الحكيمِ
ولكنْ قد تَضُمُّكِ أمُّ سَوءٍ إلى لَبَّاتِهَا وأبْ لَئيمِ^(٣)

(١) الغرارة: الكيس الكبير.

(٢) حثوا: أعطوا وجمعوا وحثا التراب: أهاله.

(٣) اللبّات: جمع لبّة، وهي الصدر أو موضع القلادة منه.

قال فضحك المهدي وقال: فما تريد أن أعينك به في تربيتها أبا دلامة؟ قال: تملأ هذه يا أمير المؤمنين. وأشار إليه بالخريطة بن إصبعيه. فقال المهدي: وما عسى أن تحمل هذه؟ قال: من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير. فأمر أن تملأ مالا، فلما نُشرت أخذت عليهم صحن الدار، فدخل فيها أربعة آلاف درهم.

وكان المهدي قد كسا أبا دلامة ساجاً^(١)، فأخذ به وهو سكران، فأُتي به إلى المهدي؛ فأمر بتمزيق الساج عليه وأن يحبس في بيت الدجاج؛ فلما كان في بعض الليل وصحا أبو دلامة من سُكره ورأى نفسه بين الدجاج، صاح: يا صاحب البيت! فاستجاب له السجان، قال: مالك يا عدو الله؟ قال: ويْلَكَ! من أدخلني مع الدجاج؟ قال: أعمالك الخبيثة! أتي بك أمير المؤمنين وأنت سكران، فأمر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج. قال له: ويلك! أو تقدر على أن تُوقد لي سراجاً وتجيئني بدواة وورق ولك سَلْبِي^(٢). هذا. فأتاه بدواة وورق؛ فكتب أبو دلامة إلى المهدي:

أَمِنْ صُهْبَاءٍ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ	كَأَنَّ شِعَاعَهَا لَهْبُ السَّرَاجِ
تَهَشُّ لَهَا النُّفُوسُ وَتَشْتَهِيهَا	إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّرُقُ فِي الرَّجَاجِ
وَقَدْ طَبَخْتَ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى	لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّطْفِ النَّضَاجِ ^(٣)
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي	عَلَامَ حَبْسَتِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أَقَادُ إِلَى السَّجُونِ بَغِيرِ ذَنْبٍ	كَأَنِّي بَعْضُ عَمَّالِ الْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَهَا وَجَدِي	وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
دَجَاجَاتٍ يُطِيفُ بِهِنَّ دِيكَ	يُنَادِي بِالصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي	بَأْتِي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أُنْيٍ وَإِنْ لَا قِيَسْتُ شَرًّا	لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ الشَّرِّ رَاجِي

ثم قال أوصلها إلى أمير المؤمنين. فأوصلها إليه السجان، فلما قرأها أمر بإطلاقه

(١) الساج: الطيلسان الأسود أو الأخضر.

(٢) السلب: الغنيمة. (٣) النطفة: الماء الصافي قلّ أو كثر.

وأدخله عليه ، فقال له : أين بت الليلة أبا دُلّامة ؟ قال : مع الدجاج يا أمير المؤمنين .
قال : فما كنتَ تصنع ؟ قال : كنت أفاقي معهن حتى أصبحت . فضحك المهدي وأمر
له بصلة جزيلة ، وخلع عليه كسوة شريفة .

بين أبي دلامة وعيسى بن موسى :

وكتب أبو دلامة إلى عيسى بن موسى وهو والي الكوفة رُقعة فيها هذه الأبيات :
إذا جئْتَ الأميرَ فقلّ سلامٌ عليك ورحمةُ الله الرَّحيمِ
فأما بعدَ ذاكِ فلي غريمٌ من الأنصارِ قُبَحَ مَنْ غريمِ
لَزومٌ ما عِلِمْتُ لِبابِ داري لَزومَ الكلبِ أصحابِ الرِّقيمِ^(١)
له مئةٌ عليّ ونِصفُ أُخْرَى ونِصفُ النِّصفِ في صلِّ قديمِ
دراهمٌ ما انتفعتُ بها ولكن وصلّتُ بها شيوخَ بني تميمِ
أتوني بالعشيرة يسألوني ولم أكُ في العشيرة بـالـلثيمِ
قال : فبعث إليه بمائة ألف درهم .

أبو دلف وأبو دلامة :

ولقي أبو دلامة أبا دلف في مصادٍ له وهو والي العراق ، فأخذ بعنان فرسه
وأنشده :

إني حَلَفْتُ لئنَ رأيتُكَ سالماً بقرى العراقِ وأنتَ ذو وَفرِ
لُصَلَيْنَ عليّ النبيّ مُحَمَّدٍ ولتَمْلَأَنَّ دراهاً حِجْرِي^(٢)

فقال : أمّا الصلاة على النبيّ فنعم ، وأمّا الدراهم ، فلمّا نرجع إن شاء الله
تعالى . قال له : جعلتُ فِداكَ . لا تفرّق بينهما . فاستألفها له وصبّت في حجره حتى
أثقلته .

(١) أصحاب الرقيم : أصحاب الكهف ، وفي معنى الرقيم أقوال مختلفة ، فقليل : هو الكتاب ، وقيل : هو
كتب في أسماؤهم ، أو هو الدواة ، أو هو القرية أو هو الوادي .

(٢) حجري : حضني .

أبو دلّامة والمهدي:

ودخل أبو دلّامة على المهدي ، فأنشده أبياتاً أعجب بها ، فقال له : سألني أبا دلّامة وأحتكم وأفرط ما شئت . فقال : كَلْبٌ يا أمير المؤمنين أصطاد به . قال : قد أمرنا لك بكَلْبٍ ، وهاهنا بلغت همّتك ، وإلى هاهنا انتهت أمنيّتك ؟ قال : لا تعجّل عليّ يا أمير المؤمنين ، فإنه بقي عليّ . قال : وما بقي عليك ؟ قال : غلامٌ يقود الكلب . قال : وغلام يقود الكلب . قال : وخادم يطبخ الصّيد . قال : وخادم يطبخ الصيد . قال : ودار نسكنها . قال : ودار تسكنها . قال : وجارية ناوي إليها . قال : وجارية تأوي إليها . قال : قد بقي الآن المعاش . قال : قد أقطعناك ألفي جريب^(١) عامرة وألفي جريب غامرة . قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟ قال : التي لا تعمّر . قال : أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفاً من فيافي بني أسد . قال : قد جعلتها كلّها لك عامرة . قال : فيأذن لي أمير المؤمنين في تقبيل يده ؟ قال : أما هذه فدعها . قال : ما منعني شيئاً أيسر على أم ولدي فقدأ منه .

أبو دلّامة والمنصور:

ودخل أبو دلّامة على أبي جعفر المنصور يوماً وعليه قلنسوة طويلة ، وكان قد أخذ أصحابه بلباسها وأخذهم بلّيس دراريع ، عليها مكتوب بين كتفي الرجل : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢) وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم . فدخل عليه أبو دلّامة في ذلك الزّبيّ ، فقال له : كيف أصبحت أبا دلّامة ؟ قال : بشراً حال يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ ويلك . قال : وما ظنّك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه ، وسيفه على استه ، وقد نبذ كتاب الله وراء ظهره ؟ قال : فضحك أبو جعفر وأمر بتغيير ذلك ، وأمر لأبي دلّامة بصلة .

(١) الجريب: ثلاثة آلاف وستائة ذراع ، وقيل عشرة آلاف ذراع .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٧ .

هو والمنصور أيضاً :

وأوصل أبو دلامة إلى العباس بن منصور رقعةً فيها هذه الأبيات :

قِفْ بالديار وأَيَّ الدهرِ لم تَقِفِ
وما وَقُوفُكَ في أَطْلالِ مَنْزِلَةٍ
إِنْ كُنْتَ أَصْبَحْتَ مَشْغُوفاً بِجَارِيَةٍ
ولا يَزِيدُكَ إِلَّا الْعَلَّ مِنْ أَسْفِ
هذي مقالُهُ شَيْخٍ مِنْ بني أُسْدٍ
تَخْطُهَا مِنْ جِوَارِي المَصْرِ كاتِبَةٌ
وطالما اخْتَلَفْتَ صَيْفاً وشَايَةً
حتى إِذا ما اسْتَوَى الثَّدْيَانِ وأَمْتَلَتْ
صَيَنْتُ ثَلَاثَ سِنِينَ ما تَرَى أَحَدًا
بَيْنَا الفَتَى يَتَمَشَّى نَحْوَ مَسْجِدِهِ
حَانَتْ لَهُ نَظْرَةٌ مِنْهَا فابْصَرَهَا
فَحَرَّ في التُّرْبِ ما يَدْرِي غَدَاتِيذِ
وجاءَهُ القَوْمُ أَفْواجاً بِمَائِهِمْ
فَوَسَّوْهُ بِقُرَانٍ في مَسَامِعِهِ
... شَيْئاً، وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ
قالوا لَكَ الخَيْرُ ما أَبْصَرْتَ قَلْتَ لَهُمْ
أَبْصَرْتُ جَارِيَةً مَحْجُوبَةً لَهُمْ
فقلتُ: أَيُّكُمْ وَاللَّهِ يَأْجُرُهُ
فقامَ شَيْخٌ بَهِيٌّ مِنْ تِجَارِهِمْ

على منازلَ بَيْنَ السَّهْلِ والنَّجْفِ
لولا الَّذي اسْتَحْدَثْتُ في قَلْبِكَ الكَلْفَ^(١)
فلا وَرَبِّكَ لا يَشْفِيكَ مِنْ شَغَفِ
فهل لِقَلْبِكَ مِنْ صَبْرٍ على الأَسْفِ^(٢)
يُهْدِي السَّلَامَ إلى العَبَّاسِ في الصُّحُفِ
قد طالما ضُرِبْتَ في اللامِ والألفِ
إلى مُعَلِّمِها بِاللُّوحِ والكَتِفِ
مِنْهَا وَخِيفْتُ على الإِسْرافِ والقَرْفِ^(٣)
كما تُصَانُ بِبَحْرِ دُرَّةِ الصَّدْفِ
مُبَادِراً لِصَلَاةِ الصُّبْحِ بالسُّدْفِ^(٤)
مُطَلَّةً بَيْنَ سَجْفَيْهَا مِنَ العُرْفِ
أَخَرَّ مُنْكَشِفاً أو غَيْرَ مُنْكَشِفِ
لِيَنْضَحُوا الرَّجُلَ المَغْشَى بِالنُّطْفِ^(٥)
خَوْفاً مِنَ الجَنِّ والإنسانِ لَمْ يَخَفِ ...
أَمْسَى وأَصْبَحَ مِنْ مَوْتٍ على شَرَفِ
جَنِيَّةٍ أَقْصَدْتَنِي مِنْ بني خَلْفِ
تَطَلَّعْتُ مِنْ أَعالي القَصْرِ ذِي الشُّرْفِ
يُعِيرُ قُوَّتَهُ مِنِّي إلى ضَعْفِي
قد طالما خَدَعَ الأَقْوامَ بِالْحَلِيفِ

(١) الكلف: العاشق.

(٢) العَلَّ: المرض والعلّة. (٣) القرف: التهمة.

(٤) السُدْف: جمع سدفة وهي الظلمة.

(٥) النُطف: جمع نطفة، وهو الماء الصافي قلّ أو كثر.

فابتاعها لي بألفيٍّ أَحْمَرَ فَعَدَا
فَبِتَّ أَلَيْمَهَا طَوْرًا وتَلَبَّيْني
بِتَنَا كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ صَاحِبُهَا
وَذَاكَ حَقٌّ عَلَيَّ « زَنْدٍ » وَكَفَى بِهِ
وَبَيْنَ ذَاكَ شَهْوَءٌ لَمْ أَبَالِ بِهِمْ
فَإِنْ تَصِلْنِي قَضَيْتُ الْقَوْمَ حَقَّهُمْ
بِهَا إِلَيَّ فَأَلْقَاهَا عَلَى كَتِفِي
طَوْرًا وَنَفَعُ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي اللَّحْفِ
يَبْغِي الدَّنَانِيرَ بِالمِيزَانِ ذِي الكِفْفِ^(١)
وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالْعَيْنُ فِي طَرَفٍ^(٢)
أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرَ مُعْتَرِفٍ
وَإِنْ تَقُلْ لَا فَحَقُّ الْقَوْمِ فِي تَلَفٍ

فلما قرأ العباس الأبيات أعجب بها وآستظرفها وقضى عنه ثمن الجارية . واسم أبي
دلامة زَند .

جعفر بن يحيى وعبد الملك بن صالح :

إبراهيم بن المهدي قال : قال لي جعفر بن يحيى يوماً : إني آستأذنت أمير المؤمنين في
الحِجَامَةِ وأردتُ أَنْ أَخْلَوْ وَأَفِرَّ مِنْ أَشْغَالِ النَّاسِ وَأَتَرَوَّحَ ، فهل أنت مساعدي قلت :
جعلني الله فداك ، أنا أسعد الناس بمساعدتك وآتسُ بِمُخَالَاتِكَ^(٣) . قال : بَكَرُ إِلَيَّ
بُكُورُ الْغُرَابِ . قال فَأَتَيْتُ عِنْدَ الْفَجْرِ الثَّانِي ، فوجدت الشمعة بين يديه ، وهو قاعد
ينتظرني للميعاد . قال فصيلنا ثم أفضنا في الحديث حتى جاء وقت الحِجَامَةِ فَأَتَى
بِحِجَامٍ فَحَجَّمْنَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ قُدِّمَ إِلَيْنَا طَعَامٌ فَطَعِمْنَا ، فلما غسلنا أيدينا خُلِعَ
علينا ثياب المُنَادِمَةِ ، وَضُمَّتْخَنَا بِالْخُلُوقِ^(٤) ، وَظَلَّلْنَا بِأَسْرٍ يَوْمَ مَرَّ بَنَا ، ثم إنه ذكر
حاجة فدعا الحاجب ، فقال : إذا جاء عبد الملك القَهْرْمَانِي فَأَذِنْ لَهُ . فنسي الحاجب .
وجاء عبدُ الملك بن صالح الهاشمي على جلالته وسنَّه وَقَدْرُهُ وَأَدْبُهُ ، فَأَذِنَ لَهُ الْحَاجِبُ .
فما راعنا إِلَّا طَلْعَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ . فتغيرُ لذلك جعفرُ بن يحيى وتنغصص عليه ما كان فيه .
فلما نظر عبد الملك إليه على تلك الحالة ، دعا غلامه فدفع إليه سيفه وسواده وعمامته ،

(١) ذِي الكِفْفِ : أي الذي له كَفْتَانِ .

(٢) الْعَيْنُ الذَّهَبُ .

(٣) مُخَالَاتِكَ : أي الخلوة وإِيَّاكَ .

(٤) الْخُلُوقُ : الطَّيِّبُ .

ثم جاء ووقف على باب المجلس، وقال: أصنعوا بي ما صنعتم بأنفسكم. قال: فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنادمة، ودعا بالطعام فطعمهم. ثم جاء بالشراب فشرب ثلاثاً، ثم قال: ليُخَفَّفَ عني فإنه شيء ما شربته قط. فتهلل وجه جعفر وفرح. وكان الرشيد قد عتب على عبد الملك بن صالح ووجد^(١) عليه. فقال له جعفر بن يحيى: جعلني الله فداك، قد تفضّلت وتطوّلت وأسعدت، فهل من حاجة تبلغها مقدرتي، أو تحيط بها نِعمتي، فأقضيها لك مكافأة لما صنعت؟ قال: بلى، إن قلب أمير المؤمنين عاتب عليّ فسلكه الرضا عني. قال: قد رضي عنك أمير المؤمنين. ثم قال: عليّ أربعة آلاف دينار. قال: حاضرة، ولكن من مال أمير المؤمنين أحبّ إليك. قال: وابني إبراهيم أحب أن أشدّ ظهره بصهر من أولاد أمير المؤمنين. قال: قد زوجه أمير المؤمنين عائشة. قال: وأحب أن تخفق الألوية على رأسه. قال: قد ولّاه أمير المؤمنين مصر. قال: وانصرف عبد الملك ونحن نعجب من إقدامه على قضاء الخوائج من غير استئذان أمير المؤمنين. فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر، فلم نلبث أن دُعي بأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وإبراهيم بن عبد الملك، فعقد النكاح وحملت البدر إلى منزل عبد الملك؛ وكتب سجلّ إبراهيم على مصر. وخرج جعفر فأشار إلينا، فلما صار إلى منزله ونحن خلفه، نزل ونزلنا بنزوله؛ فالتفت إلينا، فقال: تعلقت قلوبكم بأول أمير عبد الملك فأحببتم معرفة آخره، وإني لما دخلت على أمير المؤمنين مثّلت بين يديه وابتدأت القصة من أولها؛ فجعل يقول: أحسن والله، فما صنعت؟ فأخبرته بما سأل وبما أجبت به، فجعل يقول في ذلك: أحسنت: أحسنت! وخرج إبراهيم والياً على مصر.

ذو حاجة على باب ملك من الأكاسرة:

وقدم رجل على ملك من ملوك الأكاسرة، فمكث ببابه حيناً لا يصل إليه، فتلطف في رقعة أوصلها إليه، وفيها أربعة أسطر:

(١) وجد: من الموجودة، وهي الغضب.

في السطر الأول: الضّر والأمل أقدماني عليك .

والسطر الثاني: الفقر لا يكون معه صبر على المطالبة .

والسطر الثالث: الانصراف بلا فائدة فتنة وشماتة للعدو .

والسطر الرابع: فإما نعم ثمرة، وإما لا مريحة .

فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها بألف مثقال وأمر له بها .

يحيى بن خالد وشاعره:

وقد دخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن يرمك فأنشده:

سَأَلْتُ النَّدَى هَلْ أَنْتَ حُرٌّ؟ فَقَالَ لَا وَلَكِنِّي عَبْدٌ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
فَقُلْتُ شِرَاءٌ قَالَ لَا بَلْ وَرِاثَةٌ تَوَارَثَنِي عَنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدٍ

فأمر له بعشرة آلاف .

خالد القسري وأعرابي:

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري فأنشده:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُكْ لِحَلَّةٍ سِوَى أَنِّي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ^(١)
أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

العباس القائد وابن عبد ربه:

ومن قولنا في هذا المعنى - ودخلت على أبي العباس القائد فأنشدته:

اللَّهُ جَرَّدَ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبْضَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَاسِ

(١) الحلة: الصداقة وعاف: معدم وفقير .

وَجْهُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثم سألتُه حاجة فيها بعضُ الغِلظ، فتلكأ عليّ. فأخذتُ سَحَايَةً^(١) من بين يديه
فوقعتُ فيها على البديهة:

مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا ضَرَّهَا عُذْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
انْظُرْ إِلَى عَرَضِ الْبِلَادِ وَطَوْلِهَا أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
حَاشَى لَجُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثَقِي بِجُودِكَ سَهَّلْتُ لِي وَعَرَهَا
لَا يَجْتَنِي حُلُوَ الْمُحَامِدِ مَا جِدَّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا.

المتوكل وعبد الله ابن يحيى:

وأبطأ عبد الله بن يحيى عن الديوان، فأرسل إليه المتوكل يتعرّف خبره، فكتب
إليه:

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانَيْنِ مِنْ الْإِفْلَاسِ وَالذَّيْنِ
فَفِي هَذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسْبِي شُغْلُ هَذَيْنِ
فبعث إليه بألف دينار.

الفضل بن يحيى ومستمنح:

عبد الله بن منصور قال: كنت يرمأ في مجلس الفضل بن يحيى، فأتاه الحاجب
فقال: إن بالبواب رجلاً قد أكثر في طلب الإذن وزعم أن له يداً يمتُّ بها فقال:
أَدْخِلْهُ. فدخل رجل جميل الوجه رثَّ الهيئة، فسلم فأحسن. فأوماً إليه بالجلوس
فجلس؛ فلما علم أنه قد انطلق وأمكنه الكلام، قال له: ما حاجتك؟ قال له: قد

(١) السحاية: القرطاس.

أعربتُ بها رثائهُ هَيْئَتِي، وضعفُ طاقتي! قال: أجل، فما الذي تَمتُّ به؟ قال: ولادةٌ تقرب من ولادتك، وجوار يدنو من جوارِك، واسم مشتق من اسمك. قال: أمّا الجوار فقد يمكن أن يكون كما قلت، وقد يُوافق الاسمُ الاسم، ولكن ما علّمك بالولادة؟ قال: أعلمتني أُمِّي أنها لما وضعتني قيل إنه وُلد الليلة ليحيى بن خالد غلام وسُمِّي الفضل؛ فسَمّيتني فَضَيْلاً، إعظاماً لاسمك أن تُلحِقني بك. فتبسم الفضل وقال: كم أتى عليك من السنين؟ قال: خمسٌ وثلاثون. قال: صدقت، هذا المَدار الذي أتيت عليه، فما فعلت أمّك؟ قال: توفيت رحها الله، قال: فما منعك عن اللّٰهُوق بنا فيما مضى؟ قال: لم أرض نفسي للقائك، لأنها كانت في عاميّة وحدائهُ تُعَديني عن لقاء الملوك. قال: يا غلام أعطه لكل عام مضى من سِنِيهِ ألفاً، وأعطه من كُسوتنا ومراكبنا ما يصلح له. فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به إخوانه وخاصة أهله.

من حبيب إلى ابن أبي دُواد:

وكتب حبيب بن أوس الطائي إلى أحد بن أبي دُواد:

واعلم وأنت المرءَ غيرَ مُعلِّم	وافهم جعلتُ فِداك غيرَ مُفَهِّم
أنَّ اصطناع العُرفِ ما لم تُولِه	مُسْتَكْمِلاً كالثوبِ ما لم يُعَلِّم ^(١)
والشُّكرُ ما لم يُسْتَشَرْ بصنِيعَةٍ	كالخطِّ تَقْرؤُهُ وليس بمُعْجَم ^(٢)
وتفنّيت في القولِ إكثاراً وقد	أُسْرَجَتْ في كَرَمِ الفِعالِ فَالْجَمِ

وقال دَعْبِل بن علي الخزاعي في طاهر بن الحسين صاحب خراسان:

أيا ذا اليمِينِ والدَّعْوَتَيْنِ	ومن عنده العُرفُ والنَّائلُ
أترضى لمثلِي أُنِّي مُقِمِّ	بِبابِكَ مُطْرَحُ خَامِلُ
رَضِيتُ من الوُدِّ والعائِداتِ	ومن كلِّ ما اَمَلَّ الآمِلُ
بِتَسْلِيمَةٍ بَيْنَ خَمْسٍ وَسِتِّ	إذا ضَمَّكَ المَجْلِسُ الحافِلُ
وما كنتُ أَرْضى بذا مِن سِوَاكَ	أَبْرَضِي بذا رَجُلٌ عاقلُ

(١) يعلم: يطرز ويوشى. (٢) يستثر: يثار ويصحب الخط المعجم: المنقوط.

وإن نابَ شغلٌ ففي دون ما تُدبِّره شُغلٌ شاغلٌ
عليك السلامُ فإني امرؤٌ إذا ضاقَ بي بلدٌ راحِلٌ
بين زياد وضيبي:

الأصمعي قال: نظر زياد إلى رجل من ضَبَّة يأكل أكلاً قبيحاً، وهو أقبح الناس وجهاً، فقال: يا أبا ضَبَّة، كم عيالك؟ قال: سبع بنات أنا أجملُ منهن وجهاً، وهنَّ آكلُ مني. فضحك زياد وقال: لله درك! ما ألطفَ سؤالك! افرضوا له ولكل واحدة منهن مائة وخادماً، وعجلوا له ولهن بأرزاقهن. فخرج الضبي وهو يقول:

إذا كنتَ مُرتَادَ السَّاحَةِ والنَّدَى فنَادِ زِيَاداً أَوْ أَخَا لَزِيَادِ
يُجِبْكَ امْرُؤٌ يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ إِذَا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلَّ جَوَادِ
وَمَا لِي لَا أَتْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّمَا طَرِيفِي مِنْ مَعْرُوفِكُمْ وَتِلَادِي^(١)
ووقف دعبِل ببعض أمراء الرقة، فلما مثل بين يديه قال: أصلح الله الأمير، إني لا أقول كما قال صاحب مَعْن:

بِأَيِّ الْخَلَّتَيْنِ عَلَيْكَ أَتْنِي فَإِنِّي عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَسْئُولُ
أَبِالْحَسَنِ وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءٌ عَلَيَّ فَمَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
أَمْ الْآخَرَى وَلَسْتُ لَهَا بِأَهْلٍ وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ فَعُولُ

ولكني أقول:

مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صِفْراً يَدَايَ مِنَ الْجَوَادِ الْمُجْزِلِ
إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ
وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ، فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ
قال له: قاتلك الله! وأمر له بعشرة آلاف درهم.

بشر بن مروان وابن عبدل:

العُتْبِي قال: دخل أبْنُ عَبْدِ عَلِيٍّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَبْشَرِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا وَلى الكوفة،

(١) الطريف والتالد: المال المكتسب والموروث.

فقعد بين السماطين^(١) ثم قال: أيها الأمير، إني رأيت رؤيا فأذن لي في قصصها . فقال: قل . فقال:

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بِوَلِيدَةٍ مَقْلُوجَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامُهَا^(٢)
وَبِيدَرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ وَبَغْلَةٍ شَهَاءَ نَاجِيَةٍ يَصِرُّ لِحَامُهَا^(٣)
قال له عبد الملك بن بشر بن مروان: كل شيء رأيت فهو عندي إلا البغلة، فإنها دهاء فارهة^(٤) . قال: آمرأتي طالق ثلاثا إن كنتُ رأيْتُها إلا دهاء، إلا أني غلِطت .

علي الأرميني والبطين:

الشيباني عن البطّين الشاعر قال: قدمت على علي بن يحيى الأرميني فكتبتُ إليه:
رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِي دَنَانِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حَذَقٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتُ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسَّرَ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجْدُ تَعْبِيرَ ذَاكَ وَفِي الْفَالِ التَّبَاشِيرُ
فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرَحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَيْسِيرُ
قال: فوقع لي في أسفل كتابي: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ
بِعَالَمِينَ﴾^(٥) ثم أمر لي بكل شيء ذكرته في أبياتي ورأيتُه في منامي .

وقال بشار العقيلي:

حَتَّى مَتَى لَيْتَ شِعْرِي يَا بَنَ يَقْطِينِ أَتُنِي عَلَيْكَ بِمَا لَا مِنْكَ تُؤَلِّينِي
أَمَّا عَلِمْتَ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً عَنِي وَزَادَكَ خَيْرًا يَا بَنَ يَقْطِينِ
أَنِّي أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ

(١) السماطين: الصّفّين .

(٢) مقلوجة: من الفلج، وهو تباعد الأسنان بعضها عن بعض بحيث تكون سهلة التخلّل، وهي صفة تحبّها العرب .

(٣) البدرة: الصّرة من الدراهم والفاجية .

(٤) الفارهة: نشطية وشديدة الأكل . (٥) سورة يوسف الآية ٤٤ .

وقال آخر في مثل هذا المعنى :

يا بنَ العلاءِ ويا بنَ القَرَمِ مِرْداسُ إني لأَُطْرِبُكَ في أهلي وجُلَّاسِي^(١)
أُثْنِي عَلَيْكَ ولي حالٌ تُكْذِبُنِي فيما أقولُ فأستحي من الناسِ
حتى إذا قيلَ : ما أعطاك من صَفَدٍ طأطأتُ من سوءِ حالي عندها راسِي^(٢)

الأخذ من الأمراء

لعثمان في جائزة السلطان :

حدثنا جعفر بن محمد ، عن يزيد بن سَمْعَانَ ، عن عبد الله بن ثَوْرٍ ، عن عبد الحميد ابن وهب ، عن أبي الخلال ، قال : سألت عثمان بن عفان عن جائزة السلطان ، فقال : لحم طريّ ذكي .

عكرمة والجائزة :

جعفر بن محمد ، عن يحيى بن محمد العامريّ ، عن المعتمر ، عن عمران بن حدير ، قال : انطلقت أنا ورجل إلى عكرمة ، فرأى الرجل عليه عمامة متخرقة ، فقال الرجل : عندنا عمام ، ألا نبعث إليك بعمامة منها ؟ قال عكرمة : إنا لا نقبل من الناس شيئاً ، إنما نقبل من الأمراء .

الحسن البصري وخيسته :

وقال هشام بن حسان : رأيتُ على الحسن البصري خَمِيصَةً^(٣) لها أعلام يصلي فيها ، أهداها إليه مسلمة بن عبد الملك .

وكان النبي ﷺ يلبس خُفَيْنِ أسودين أهداهما إليه النجاشي صاحب الحبشة .

وقال نافع : كان عبد الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفِتْنَةِ ، مثل المختار وغيره .

ودخل مالك بن أنس على هارون الرشيد فشكا إليه دَيْنًا لزمه فأمر له بألف دينار

(١) القرم: السيّد .

(٢) الصفد: العطاء .

(٣) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

عَيْن. فلما وضع يديه للقيام، قال: يا أمير المؤمنين، وزوجتُ ابني محمداً فصار عليّ فيه ألف دينار. قال: ولابنه محمد ألف دينار.

قال: فلقد مات مالك وتركها لوارثه في مزود.

وقال الأصمعي: حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: كان الربيع بن خثيم في ألف ومائة من العطاء فكلم فيه أبي معاوية فألحقه بألفين؛ فلما حضر العطاء نودي الربيع بن خثيم، فقبل له: في ألفين. فقعد، فنظروا فوجدوا على اسمه مكتوباً: كَلَّمَ فيه يحيى بن طلحة أمير المؤمنين فألحقه بألفين.

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، كنتُ أريد أن تقبل مني هذه الجبة كسوة. قال: إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن كنت فقيراً لم أقبلها منك. قال: فإني غني. قال: وكم مالك؟ قال: ألفا دينار. قال: فأنت تودُّ أنها أربعة آلاف؟ قال: نعم. قال: فأنت فقير، لا أقبلها منك.

وأمر إبراهيم بن الأغلب المعروف بزيادة الله، بمال يقسم على الفقهاء، فكان منهم من قبل ومنهم من لم يقبل، فكان أسد بن الفرات فيمن قبل، فجعل زيادة الله يَغْمِصُ^(١) على كل من قبل منهم، فبلغ ذلك أسد بن الفرات، فقال: لا عليه، إنما أخذنا بعض حقوقنا والله سائله عما بقى!

وقد فخرت العربُ بأخذ جوائز الملوك وكان من أشرف ما يتمولونه، فقال ذو الرمة:

وما كان مالي من تراثٍ ورثته ولا ديةٍ كانت ولا كَسْب مَأْثَمٍ
ولكن عطاء الله من كلِّ رحلة إلى كلِّ مَحْجُوبِ السُّرَادِقِ خِضْرَمٍ^(٢)

وقال آخر يهجو مروان بن أبي حفصة ويعيبه بأخذه من العامة ويفخر بأنه لا يأخذ إلا من الملوك، فقال:

(٢) الخضرم: الكريم.

(١) يغمص: يعيب.

عَطَايَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ تَكُنْ مُقَصِّمَةً مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَوْلِيكَ
وَمَا نِلْتَ حَتَّى شَبَتَ إِلَّا عَطِيَّةً تَقُومُ بِهَا مَصْرُورَةٌ فِي رِدَائِكَ

تفضيل بعض الناس على بعض في العطاء

ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْفُقَرَاءَ فَقَالَ: إِنْ سَعِيدُ بْنُ خَذِيمٍ مِنْهُمْ .
فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أُعْطِيَْتَ فَأَعْزِ» .

وَقَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَدَّ مِنَ الْعَرَبِ فَأَعْطَاهُمْ وَفَضَلَ رَجُلًا مِنْهُمْ؛ فَقِيلَ لَهُ
فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: كُلُّ الْقَوْمِ عِيَالٌ عَلَيْهِ .

الرَّسُولِ ﷺ وَالْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ:

وَأُعْطِيَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ حَنْزِ الْوَلَفَةِ قُلُوبَهُمْ، فَأُعْطِيَ الْأَقْرَعَ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِي .
وَعَيْنَةُ بْنُ حَصْنِ الْفَزَارِيِّ، مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأُعْطِيَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ
خَمْسِينَ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ أُبَيَّاتًا . فَأَتَاهَا بِهَا وَأَنشَدَهَا بِهَا وَهِيَ:

أَيْذْهَبُ نَهْيِي وَنَهْبُ الْعَبِي - دِ بَيْنَ عَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ
وَلَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مَرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ غَيْرَ امْرِئٍ مِنْهُمْ وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَمْ يُرْفَعْ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبَلَالٍ: أَقْطَعْ عَنِّي لِسَانَ الْعَبَّاسِ . فَأَعْطَاهُ حَتَّى أَرْضَاهُ .

الرَّسُولِ ﷺ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ:

وَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ: لَقَدْ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَبْغَضَ
إِلَيَّ مِنْهُ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ . وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ
مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبَهُمْ .

شكر النعمة

سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقُدْرٍ قُدْرَتِهِ، وَكَلَّفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ.

وَقَالُوا: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ: أَشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَأَنْعَمْ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ.

وَقَالُوا: كَفَرَ النِّعْمَةُ يُوجِبُ زَوَالَهَا، وَشُكْرُهَا يُوجِبُ الْمَزِيدَ فِيهَا.

وَقَالُوا: مَنْ حَمَدَكَ فَقَدْ وَفَّكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ نَشَرَ مَعْرُوفًا فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ سَتَرَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ أَنَّ فِرْعَوْنَ مَصَّرَ أَسَدِي إِلَى يَدَا صَالِحَةٍ لَشَكَرَتْهُ

عَلَيْهَا.

وَقَالُوا: إِذَا قَصَرَتْ يَدَاكَ عَنِ الْمَكَافَأَةِ فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ.

وَقَالُوا: مَا نَحُلُ اللَّهَ تَعَالَى عِبَادَهُ شَيْئًا أَقَلَّ مِنَ الشُّكْرِ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

الواقدي ويحيى البرمكي في قوم جاءوا يشكرونه:

مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَا

هُنَا قَوْمًا جَاءُوا يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا،

فَكَيْفَ لَنَا بِشُكْرِ شُكْرِهِمْ.

لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ وَكُفْرِهَا:

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً فَرَأَى عَلَيْهِ أَثَرَهَا إِلَّا كَتَبَ: حَبِيبَ

اللَّهِ شَارِكًا لِأَنْعَمِهِ. وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً فَلَمْ يَرِ أَثَرَهَا عَلَيْهِ إِلَّا كَتَبَ: بَغِيضَ

اللَّهِ كَافِرًا لِأَنْعَمِهِ.

(١) سورة سبأ الآية ١٣.

بين عدي بن أرطاة وعمر بن عبد العزيز:

وكتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: إني بأرض كثرت فيها النعم، وقد خفت على من قبلي من المسلمين قلة الشكر والضعف عنه فكتب إليه عمر رضي الله عنه: إن الله تعالى لم ينعم على قوم نعمة فحمدوه عليها إلا كان ما أعطوه أكثر مما أخذوا. واعتبر ذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(١). فأني نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان.

بين النبي ﷺ وعائشة في أبيات لابن جناب:

وسمع النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها تنشد أبيات زهير بن جناب:
ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَجْزُ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ عَوَاقِبُ مَا جَنَى^(٢)
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: صدق يا عائشة، لا شكر الله من لا يشكر الناس.

الحُشني قال: أنشدني الرياشي:

إِذَا أَنَا لَمْ أَشْكُرْ عَلَى الْخَيْرِ أَهْلَهُ وَلَمْ أَذْمُرِ الْجَبْسَ اللَّثِيمَ الْمَذْمَمَا^(٣)
فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا

وأنشدني في الشكر:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيِّي أَيَْادِي لَمْ تُمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَيَّ غَيْرَ مُحْجُوبِ الْغَيْبِ عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ^(٤)

(١) سورة النمل الآية ١٥ . (٢) لا يجر: لا يرجع.

(٣) الجبس: الجبان البخيل.

(٤) القذى: ما يسقط في العين من أذى.

قلة الكرام في كثرة اللثام

قال النبي ﷺ : الناس كإبلٍ مائةٍ لا تكاد تجد فيها راحلة .

وقالت الحكماء : الكرام في اللثام كالغرة في الفرس .

وقال الشاعر :

تُفاخِرُنِي بِكَثْرَتِهَا قَرِيطُ وَقُلَّ وَالِدَ الْحَجَلِ الصَّقُورُ
فَإِنْ أَكْ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ^(١)

وقال السموأل :

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَّتْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

وقال حبيب :

وَلَقَدْ نَكُونُ وَلَا كَرِيمَ نَسْأَلُهُ حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْهِ أَلْفَ لَثِيمِ

وقال ابن أبي حازم :

وَقَالُوا : لَوْ مَدَحْتَ فَتَى كَرِيمًا فَقُلْتُ وَكَيْفَ لِي بِفَتَى كَرِيمِ
بَلَوْتُ وَمَرَّ بِي خَمْسُونَ حَوْلًا وَحَسْبُكَ بِالْمَجْرَبِ مِنْ عَلِيمِ
فَلَا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمٍ خَيْرٍ وَلَا أَحَدٌ يَعُودُ عَلَى عَدِيمِ^(٢)

وقال دِعْبَل :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلْ مَا أَقَلَّهُمْ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدًا^(٣)
إِنِّي لِأَغْلِقُ عَيْنِي ثُمَّ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ مَا أَرَى أَحَدًا

(١) بغاث الطير : ضعافها ، والمقليات : التي تلد واحداً ثم لا تلد بعد ذلك ، ونزور : قليلة الولادة .

(٢) يعود : يتكرّم ، والعديم : الفقير .

(٣) الفند : الكذب والفساد .

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول حبيب الطائي :

إِنَّ الْجِيَادَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُّوا ، كَمَا غَيْرُهُمْ قَلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا
لَا يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَجَبٌ فَإِنَّ جُلَّهُمُ أَوْ كُلُّهُمْ بَقَرٌ
وَكَلَّمَا أَضْحَتِ الْأَخْطَارُ بَيْنَهُمْ هَلَكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَضْحَى لَهُ خَطَرٌ
لَوْ لَمْ تُصَادَفْ شَيَاتِ الْبَهْمِ أَكْثَرَ مَا فِي الْخَيْلِ لَمْ تُحْمَدِ الْأَوْضَاحُ وَالْغُرُ^(١)

لكسرى في الشح :

الأصمعي قال : قال كسرى . أي شيء أضر ؟ فأجمعوا على الفقر . فقال كسرى :
الشح أضر منه ، لأن الفقير يجد الفرجة فيتسع .

من جاد أولاً وضمناً آخرأ

نزل أعرابي برجل من أهل البصرة ، فأكرمه وأحسن إليه ثم أمسك ، فقال
الأعرابي :

تَسَرَّيْ فَلَمَّا جَاذَبَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ رَأَى أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ السَّرُ^(٢)

وكان يزيد بن منصور يُجري لبشار العقيلي وظيفة في كل شهر ، ثم قطعها عنه ؛
فقال :

أَبَا خَالِدٍ مَا زِلْتَ سَابِحَ غَمْرَةٍ صَغِيرًا فَلَمَّا شَبْتَ خَيَّمْتَ بِالشَّاطِي^(٣)
جَرَيْتَ زَمَانًا سَابِقًا ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَأْخُرُ حَتَّى جِئْتَ تَقْطُو مَعَ الْقَاطِي^(٤)
كَسَنُورٍ عَبْدِ اللَّهِ بَيْعَ بَدْرِهِمْ صَغِيرًا ، فَلَمَّا شَبَّ بَيْعَ بِقِرَاطٍ

(١) الشيات : جمع شية ، وهي سواد في بياض أو بياض في سواد ، والأوضح : جمع وضح ، وهي التحجيل في القوائم ، والغرد : جمع غرة ، وهو بياض في الجبهة .

(٢) السرو : المروءة والشرف .

(٣) خيَّم : أقمت .

(٤) القاطي : الثقل المشي ، أو الذي يقارب في مشيه .

وقال مُسلم بن الوليد صريع الغواني لمحمد بن منصور بن زياد:
أبا حَسَنِ قد كُنْتَ قَدَّمْتَ نِعْمَةً وألْحَقْتَ شُكْرًا ثم أَمْسَكَتَ وَايَا^(١)
فلا ضَيَّرَ لَمْ تَلْحَقْكَ مِنِّي مَلَامَةٌ أَسَاتَ بِنَا عَوْدًا وَأَحْسَنْتَ بِأَدِيَا
فَأَقْسِمُ لَا أَجْزِيكَ بِالسُّوءِ مِثْلُهُ كَفَى بِالذِّي جَازَيْتَنِي لَكَ جَازِيَا

وقال سليمان الأعمى، وهو أخو صريع الغواني، في سليمان بن علي:
يا سَوْءَةً يُكَبِّرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرْتَ مِنْهَا الْعَجَائِبُ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانَا
لَا تَعْجِبَنَّ بِخَيْرِ زَلٍّ عَنْ يَدِهِ فَالْكُوكَبُ النَّحْسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أَحْيَانَا

من ضمن أولاً ثم جاد آخرًا

قديم الحارث بن خالد المخزومي على عبد الملك فلم يصله، فرجع وقال فيه:
صَحْبُكَ إِذْ عَيَّنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتَ نَفْسِي أَلُومَهَا
حَبَسْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْهَا بِكَفِّكَ يَجْرِي بُؤْسُهَا وَنَعِيمُهَا
فبلغ قوله عبد الملك، فأرسل إليه فردّه وقال: أَرَأَيْتَ عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ^(٢) مِنْ
مُقَامِكَ بِيَابِي؟ قال: لا، ولكنني أَشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَوَطَنِي، وَوَجَدْتُ فَضْلًا مِنَ الْقَوْلِ
فَقُلْتُ، وَعَلَيَّ دَيْنٌ لَزْمَنِي. قال: وَمَنْ دَيْنُكَ؟ قال ثلاثون ألفًا. قال: فَقَضَاءُ دِينِكَ
أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وَلَايَةُ مَكَّةَ؟ قال: بل ولاية مكة. فولاه إياها.

وقدم الحطيئة المدينة فوقف إلى عُتَيْبَةَ بْنِ النَّهَاسِ الْعَجَلِيِّ، فقال: أَعْطِنِي. فقال:
مَالِكَ عِنْدِي حَقٌّ فَأَعْطِيكَه، وَمَا فِي مَالِي فَضْلٌ عَنْ عِيَالِي فَأَعُوذُ بِهِ عَلَيْكَ. فخرج عنه
مُغَضَّبًا، وَعَرَفَهُ بِهِ جَلِيسَاؤُهُ، فَأَمَرَ بِرَدِّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا هَذَا، إِنَّكَ وَقَفْتَ إِلَيْنَا فَلَمْ
تَسْتَأْنَسْ وَلَمْ تُسَلِّمْ، وَكُتِمَتْنَا نَفْسُكَ، كَأَنَّكَ الْحُطَيْئَةُ؟ قال: هُوَ ذَلِكَ. قال: اجلس
فَلَكَ عِنْدَنَا كُلُّ مَا تَحِبُّ، فَجَلَسَ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَشْعُرُ النَّاسِ؟ قال الذي يقول:

(١) الوناة: التعب والفتور والانكسار.

(٢) غضاضة: بأس ونقص وعيب.

ومن يجعل المعروف من دون عريضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم^(١)

يعني زهيراً . قال : ثم من ؟ قال : الذي يقول :

من يسأل الناس يحرموه وسأئل الله لا يغيب

يعني عبيداً . قال : ثم من ؟ قال : أنا ...

فقال لوكيله : خذ بيد هذا فامض به إلى السوق ، فلا يُشيرن إلى شيء إلا اشتريته له . فمضى معه إلى السوق ، فعرض عليه الخبز والقز ، فلم يلتفت إلى شيء منه . وأشار إلى الأكسية والكرابيس الغلاظ والأقبية ، فاشترى له منها حاجته ؛ ثم قال : أمسك . قال : فإنه قد أمرني أن أبسط يدي بالنفقة . قال : لا حاجة لي أن يكون له على قومي يد أعظم من هذه . ثم أنشأ يقول :

سُئِلْتُ فلم تبخل ولم تُعط طائلاً فسيان لا دَمَ عليك ولا حَمْدُ
وأنت امرؤ لا الجود منك سجيّة فتعطي وقد يُعدي على النائل الوجْدُ^(٢)

من مدح أميراً فخبه

قال سعيد بن سلم : مدحني أعرابي فأبلغ ، فقال :

ألا قلّ لِساري اللَّيْلِ لا تخش ضِلَّةً سعيدُ بنُ سلمٍ نورُ كلِّ بلادٍ
لنا سيّدُ أرَبى على كلِّ سيّدٍ جوادٌ حشا في وجهِ كلِّ جوادٍ

قال : فتأخّرت عنه قليلاً ، فهجاني فأبلغ ، فقال :

لِكُلِّ أخِي مَدَحٍ ثوابٌ عِلْمُهُ^(٣) وليس لمدح الباهلي ثوابُ
مَدَحْتُ سعيداً والمديح مهزّة فكان كصفوانٍ عليه تُرابُ

ومدح الحسن بن رجاء أبا دلف فلم يُعطه شيئاً ؛ فقال :

(١) يفره : يوقره .

(٢) السجيّة : الطبع ، ويعدي : يعين والوجْد : اليسار والسّعة .

(٣) مهزّة : أي باعت وحات الإنسان على العطاء وصفوان : الحجر الصلد الأملس الذي لا ينبت شيئاً .

أَبَا دُلْفٍ مَا أَكْذَبُ النَّاسِ كُلَّهُمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

وقال آخر في مثل هذا المعنى :

إِنِّي مَدَحْتُكَ كَاذِباً فَأُثْبِتَنِي لَمَّا مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

وقال آخر في مثل هذا المعنى :

لئنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي

لقد أَحْلَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

ومدح حبيب الطائي عيَّاش بن لهيعة، وقدم عليه مصرَ واستسلفه مائتي مثقال، فشاور فيها زوجته، فقالت له: هو شاعر، يمدحك اليوم ويهجوك غداً؛ فاعتلَّ عليه وأعتذر إليه ولم يقض حاجته، فقال فيه:

عَيَّاشُ، إِنَّكَ لِلَّيْمِ وَإِنِّي مُذْ صِرْتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلَّيْمِ

ثم هجاه حتى مات، وهجاه بعد موته فقال فيه:

لَا سُقَيْتُ أَطْلَالَكَ الدَّائِرَةَ وَلَا انْقَضَتْ عَشْرَتُكَ الْعَائِرَةَ

يَا أَسَدَ الْمَوْتِ تَخَلَّصْتُه مِنْ بَيْنِ فَكَّيْ أَسَدِ الْقَاصِرَةِ^(١)

لابن عبد ربه:

ومن قولنا في هذا المعنى - وسألت بعض موالي السلطان إطلاق محبوس فتلكأ

فيه، فقلت:

حَاشَا لِمِثْلِكَ أَنْ يَفُكَّ أَسِيرَا أَوْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الزَّمَانِ مُجِيرَا

لَيْسَتْ قَوَافِي الشَّعْرِ فِيكَ مَدَارِعَا سُوداً وَضَلَّتْ أَوْجُهًا وَصُدُورَا

هَلَّا عَطَفْتَ بِرَحْمَةٍ لَمَّا دَعَتْ وَيَلَا عَلَيْكَ مَدَائِحِي وَتُبُورَا^(٢)

لَوْ أَنَّ لَوْمَكَ عَادَ جُوداً عَشْرُهُ مَا كَانَ عِنْدَكَ حَاتِمٌ مَذْكُورَا

(١) القاصرة: مكان في الطريق إلى مصر، يروون أنَّ أسداً فيه أكل عتبة بن أبي لهب.

(٢) الويل: وادٍ في جهنم، والقبور: الهلاك.

ربيعة الرقي وي زيد بن حاتم:

قال: ومدح ربيعة الرقي يزيد بن حاتم الأزدي، وهو والي مصر، فاستبطأه ربيعة، فشخص عنه من مصر وقال:

أراني ولا كُفْرانَ لله راجعاً بخُفْيَ حُنينٍ من نَوالِ ابنِ حاتمٍ^(١)

فبلغ قوله يزيد بن حاتم، فأرسل في طلبه فردَّ إليه. فلما دخل عليه قال له: أنت القائل:

أراني ولا كُفْرانَ لله راجعاً

قال: نعم. قال: فهل قلت غير هذا؟ قال: لا والله. قال: لترجعن بخُفْيَ حنين مملوءة مالا فأمر بخلع نعليه ومُلئت له مالاً؛ فقال فيه لما عزل عن مصر وولي يزيد بن أسيد السلمي مكانه:

بكي أهلُ مِصرٍ بالدموعِ السَّواجمِ غداةَ غداً منها الأغرُّ ابنُ حاتمٍ^(٢)

وفيه يقول:

لشَّتَانِ ما بَيْنَ الزَّيْدَيْنِ في النَّدَى يَزِيدُ سَلِيمٍ والأغرُّ ابنُ حاتمٍ
فَهَمُّ الفَتَى الأزديِّ إنفاقُ مالِهِ وَهَمُّ الفَتَى القيسيِّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فلا يَحْسَبِ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ المِكارِمِ^(٣)

أجواد أهل الجاهلية

الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهريم بن سنان المرِّي، وكعب بن مامة الإيادي.

(١) خفي حنين: مثل يضرب لمن عاد إلى أهله فاشلاً خاسراً.

(٢) السواجم: الذارقة للدمع بكثرة والأغرُّ: الأبيض الكريم.

(٣) التمتام: كثير التمتمة الذي يعجل في كلامه ولا يبينه.

شيء عن حاتم:

ولكن المضروب به المثل حاتم وحده، وهو القاتل لغلّامه يسار، وكان إذا اشتدّ البرد وكلّب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً في يقاع من الأرض لينظر إليها من أضلّ الطريق ليلاً فيصمّد نحوه، فقال في ذلك:

أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ والريحُ يا موقد رِيحٍ صِرٌّ^(١)
عَلَّ يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنَّ جَلَبْتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وقالوا: لم يكن حاتم مُمسكاً شيئاً ما عدا فرسه وسلاحه، فإنه كان لا يجود بها. ومَرَّ حاتم في سفره على عَنَزَةٍ وفيهم أسير، فاستغاث بحاتم ولم يحضره فكاكه، فاشتراه من العززيين وأطلقه وأقام مكانه في القيد حتى أدّى فداءه.

وقالت نوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرضُ واغبرّ أفقُ السماء، وراحت الإبلُ حُدْباً حَدَابِيرَ^(٢)، وضنت المراضعُ على أولادها فما تبضّ^(٣) بقطرة، وحلّقت^(٤) السنةُ المالَ وأيقنّا بالهلاك. فوالله إنا لفي ليلة صَنَبَرٍ^(٥) بعيدة ما بين الطرفين، إذ تضاغى صَبِيَّتُنَا جوعاً: عبدُ الله وعديّ وسَقَانَةُ: فقام حاتم إلى الصَّبِيِّينَ وقمتُ أنا إلى الصَّبِيَّةِ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هَدَاةٍ من الليل، وأقبل يعللني بالحديث. فعرفت ما يريد فتناومت، فلما تهوّرت النجوم إذا شيء قد رفع كِسْرَ البيت ثم عاد، فقال: من هذا؟ قالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند صَبِيَّةٍ يتعاوون عَوَاءَ الذئاب، فما وجدتُ مَعَوَّلاً إلا عليك يا أبا عديّ، فقال: أعجلّهم فقد أشبعك الله وإياهم: فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة؛ كأنها نعمة حولها رِثَالُهَا؛ فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمُدْيَةٍ فخرّ، ثم كشطه عن جلده، ودفع المديّة إلى المرأة فقال لها: شَأْنُكَ؟ فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، ثم جعل يمشي في الحى

(١) رِيحٌ صِرٌّ: أي رِيحٌ عاصفة باردة.

(٢) الحدابير: جمع حدبار وحدبير، وهي الناقة الضامر.

(٣) تبضّ: تجود.

(٤) حلقت المال: أهلكته وأفنته.

(٥) صَنَبَرٍ: شديدة البرد.

يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول: هُبُّوا أيها القوم، عليكم بالنار. فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا، فلا والله إن ذاق منه مُرَّة وإنه لأخَوِّجُ إليه منّا؛ فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلاَّ عظم وحافر. فأنشأ حاتم يقول:

مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِي اللَّوْمَ وَالْعَذْلَا وَلَا تَقُولِي لَشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِيَ الْأَنْسَ وَالْخَبْلَا^(١)
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبْلًا
وَرُئِيَ حَاتِمٌ يَوْمًا يَضْرِبُ وَلَدَهُ لَمَّا رَأَاهُ يَضْرِبُ كَلْبَةً كَانَتْ تَدَلُّ عَلَيْهِ أَضْيَافَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

أَقُولُ لِابْنِي وَقَدْ سَطَّتْ يَدِيهِ بِكَلْبَةٍ لَا يَزَالُ يَجْلِدُهَا^(٢)
أَوْصِيكَ خَيْرًا بِهَا فَإِنْ هَا عِنْدِي يَدًا لَا أَزَالُ أَحْدُهَا
تَدَلُّ ضَيْفِي عَلَيَّ فِي غَلَسِ اللَّيْلِ - لَ إِذَا النَّارُ نَامَ مُوقِدُهَا
ذَكَرْتُ طِيءَ عِنْدَ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ رَجُلًا يَعْرِفُ بِأَبِي الْخَيْرِيِّ مَرْبَقَرِ حَاتِمٍ
فَنَزَلَ بِهِ وَجَعَلَ يَنَادِي: أَبَا عَدِي: أَقْرِ أَضْيَافَكَ. قَالَ: فَيَقَالُ لَهُ: مَهْلًا مَا تُكَلِّمُ
مِنْ رَمَّةٍ بِأَلِيَّةٍ؟ فَقَالَ: إِنَّ طَيْئًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا قَرَاهُ، كَالْمُسْتَهْزِيءِ
فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ وَثَبَ أَبُو خَيْرِي يَصِيحُ: وَارَاحِلَتَاهُ: فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا شَأْنُكَ؟
قَالَ: خَرَجَ وَاللَّهِ حَاتِمٌ بِالسَّيْفِ حَتَّى عَقَرَ نَاقَتِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا. فَتَأَمَّلُوا رَاحِلَتَهُ فَإِذَا
هِيَ لَا تَنْبُعْثُ. فَقَالُوا: قَدْ وَاللَّهِ أَقْرَاكَ. فَنَحَرُوهَا وَظَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِهَا، ثُمَّ
أَرْدَفُوهُ وَانْطَلَقُوا. فَبَيْنَمَا هُمْ فِي مَسِيرِهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ عَدِيُّ ابْنِ حَاتِمٍ وَمَعَهُ جَلْ قَدْ
قَرْنَهُ بِبَعِيرِهِ، فَقَالَ إِنَّ حَاتِمًا جَاءَ فِي النَّوْمِ فَذَكَرَ لِي قَوْلَكَ وَأَنَّهُ أَقْرَاكَ وَأَصْحَابُكَ
رَاحِلَتَكَ، وَقَالَ أَيْبَاتًا رَدَّدَهَا عَلَيَّ حَتَّى حَفَظْتُهَا، وَهِيَ:

أَبَا الْخَيْرِيِّ وَأَنْتَ أَمْرٌ حَسُودَ الْعَشِيرَةِ شَتَامُهَا
فَهَذَا أَرَدْتُ إِلَى رَمَّةٍ بِدَاوِيَةٍ صَخْبٍ هَامُهَا^(٣)

(١) الخيل: الجن. (٢) سطت: منعت وأمسكت.

(٣) الرمة: العظام البالية، والدأوية: الفلاة والهام: جمع هامة، وهي طائر تزعم العرب أنه كان يخرج من رأس القليل ويصبح اسقوني، حتى يؤخذ بثأره.

أتبغي أذاها وإعسارها وحولك غوثاً وأنعامها
وإنّا لنطعم أضيافنا من الكُوم بالسيف نعتامها^(١)

وأمرني بدفع راحلة عوض راحلتك، فخذها؛ فأخذها.

ولحاتم بن عبد الله أيضاً:

أماويّ قد طال التجنّبُ والهجرُ وقد عذّرنا في طلابِكُم العُدُرُ
أماويّ إنّ المالَ غايِدٌ ورائحُ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ
أماويّ إمّا مانعٌ فمبيّنُ وإما عطاءٌ لا يُنهيه الزجرُ
أماويّ إني لا أقولُ لِسائلٍ إذا جاء يوماً حلٌّ في ماليّ التّزُرُ^(٢)
أماويّ ما يُغني الثّراءُ عن الفتيّ إذا حشّرت يوماً وضاق بها الصّدُرُ
أماويّ إنّ يَصْبِحُ صدايَ بَقْفرةٍ من الأرضِ لا ماءٌ لَدَيّ ولا خمرُ
تَريّ أنّ ما أنفقتُ لم يكُ ضَرّني وأنّ يَدَيّ مما بَخِلْتُ به صِفْرُ
إذا أنا دَلّاني الذين يَلُوني بِمُظْلِمَةٍ زلجٍ جَوانبُها غِبْرُ^(٣)
وراحوا سراعاً يَنْفُضون أَكْفَهُمُ يقولون قد أَدَمَى أَصافِرُنا الحَفْرُ
أماويّ إنّ المالَ مالٌ بَدَلْتُهُ فأولُهُ شُكْرٌ وآخِرُهُ ذُكْرُ
وقد يَعْلَمُ الأَقْوامُ لو أنّ حاتِياً أرادَ ثِراءَ المالِ كان له وَفْرُ
فإِنّي وَجَدِي رَبٌّ واحدٍ أُمّه أَجَرْتُ فلا قَتْلَ عليه ولا أَسْرُ
ولا أَظلم ابنَ العمِّ إنّ كان إِخْوتي شُهوداً وقد أودى بِإِخْوته الدَّهْرُ
غَنيّنا زَماناً بالتَّصَعُّلِ والغَنيّ وكلاً سَقاناه بِكَاسِيهما الدَّهْرُ
فما زادنا بَأْواً على ذي قِرابَةٍ غَنانا، ولا أَزْرَى بِأَحْلامِنا الفَقْرُ^(٤)

وأما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه:

مَتى تُلاقِ على عِلاتِهِ هَرِمًا تَلقَ السَّماحَةَ في خَلْقٍ وفي خُلُقِ

(١) الكوم: جمع كوما، وهي الناقة العظيمة السنّام ونعتامها: نختارها.

(٢) التزُر: القلّة. (٣) الزلج: الصخور الملساء.

(٤) البأو: الفخر والاستعلاء وأزرى: أعاب.

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان، وماتت أمه وهي حامل به، وقالت: إذا أنا مت فشقوا بطني فإن سيد غطفان فيه. فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منها سنانا. وفي بني سنان يقول زهير:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا
محسدون على ما كان من نعم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
قوم بأولهم أو مجدهم، قعدوا
مرزءون بهاليل إذا قصدوا^(١)
لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وقال زهير في هرم بن سنان:
وأبيض فياض يداؤه غمامة
تراه إذا ما جتته متهللاً
أخو ثقة لا تليف الخمر ماله
على معتفيه ما تغب نوائله^(٢)
كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولكنه قد يلف المال نائله

أخذ الحسن بن هانيء هذا المعنى فقال:
فتى لا تقول الخمر شحمة ماله
ولكن أياي عود وبوادي

وقال زهير في هرم بن سنان وأهل بيته:
إليك أعملتها فتلاً مرافقها
حتى دفعن إلى خلوشائله
من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم
المطعمون إذا ما أزمة أزمتم
كأن آخرهم في الجود أولهم
إن قامروا قمرُوا أو فاخروا فخروا
شهرين يجهض من أرحامها العلق^(٣)
كالغيث ينبث في آثاره الورق
يبنى لهم في جنان الخلد مرتفق
والطيبون ثياباً كلما عرقوا
إن الشائسل والأخلاق تنفق
أو ناضلوا نضلوا أو سابقوا سبقوا^(٤)

(١) بهاليل: سادة كرام شجعان.

(٢) المعتفين: السائلين، وتغب: تنقطع.

(٣) أعملتها: نظمتها وأحسن مراجعتها والعلق: الدم الجامد.

(٤) قمرُوا: غلبوا وفازوا، وناضلوا: رموا.

تَنَافَسَ الْأَرْضُ مَوْتَاهُمْ إِذَا دُفِنُوا كَمَا تَنُوفِسُ عِنْدَ الْبَاعَةِ الْوَرِقُ^(١)
وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ وَأُنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفَعْلُ
عَلَى مُكَثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَعْتَفِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقَلِّينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارِثُهُ أَبَاءُ أَبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَّيَّ إِلَّا وَشِجُّهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٢)

وَأَمَّا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِيّ فَلَمْ يَأْتِ عَنْهُ إِلَّا مَا ذُكِرَ مِنْ إِثَارِهِ رَفِيقَهُ النَّمْرِيّ بِالْمَاءِ
حَتَّى مَاتَ عَطْشًا وَنَجَا النَّمْرِيّ، وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ مَا أَتْنِي لغيره . وله يقول حبيب:
يُجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْبَخِيلُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
وله ولحاتم الطائي يقول:

كَعْبٌ وَحَاتِمٌ اللَّذَانِ تَقَسَّمَا خِطَطَ الْعُلَا مِنْ طَارِفٍ وَتَلِيدِ
هَذَا الَّذِي خَلَفَ السَّحَابَ وَمَاتَ ذَا فِي الْجَدِّ مَيْتَةً خِضْرِمٍ صِنْدِيدِ^(٣)
إِلَّا يَكُنْ فِيهَا الشَّهِيدَ فَقَوْمُهُ لَا يَسْمَحُونَ بِهِ بِأَلْفِ شَهِيدِ

أَجْوَادُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

وَأَمَّا أَجْوَادُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَأَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ، لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ وَلَا
بَعْدَهُمْ مِثْلَهُمْ .

فَأَجْوَادُ الْحِجَازِ ثَلَاثَةٌ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ،
وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ .

وَأَجْوَادُ الْبَصْرَةِ خَمْسَةٌ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ وَهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنِ كَرِيزٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ

(١) الْوَرِقُ: الذَّهَبُ .

(٢) الْخَطَّيَّ: شَجَرٌ تَنْسَبُ إِلَيْهِ الرِّمَاحُ وَالْوَشِيجُ: أَغْصَانُهُ .

(٣) الْخِضْرِمُ: الْكَرْمُ، وَالصِّنْدِيدُ: الشَّجَاعُ .

ابن أبي بكرة مولى رسول الله ﷺ ، ومُسلم بن زياد، وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي . وطلحة الطلحات، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وله يقول الشاعر يرثيه، ومات بسجستان وهو والٍ عليها .

نَضَرَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ
وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد، وهم: عتاب بن ورقاء الرياحي وأسماء ابن خازجة الفزاري . وعكرمة بن ربعي الفيّاض .

فمن جود عبيد الله بن عباس

أنه أول من فطر جيرانه . وأول من وضع الموائد على الطرق، وأول من حيا على طعامه، وأول من أنهبه، وفيه يقول شاعر المدينة:

وفي السنة الشهباء أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَخُلُوتَ وَلَحْمًا تَامِكًا وَمَمَزَعًا^(١)
وَأَنْتَ رَبِيعٌ لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةٌ إِذَا الْمَحْلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ تَطَلَّعَا
أَبُوكَ أَبُو الْفَضْلِ الَّذِي كَانَ رَحْمَةً وَغَوْثًا وَنُورًا لِلْخَلَائِقِ أَجْمَعَا

ومن جوده أنه أتاها رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال: يا ابن عباس إن لي عندك يداً وقد احتجت إليها . فصعد فيه بصره وصوبه^(٢)، فلم يعرفه، ثم قال له: ما يدُكَ عندنا؟ قال: رأيتك واقفاً بزَمْزَمَ وغلّامك يمتج^(٣) لك من مائها والشمس قد صهرتك، فظللّتك بطرف كسائي حتى شربت . قال: إني لأذكر ذلك وإنه يتردد بين خاطري وفكري . ثم قال لقيّمه: ما عندك؟ قال: مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال: ادفعها إليه وما أراها تفي بحق يده عندنا . فقال له الرجل: والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه، فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ، ثم شفع بك وبأبيك .

(١) السنة الشهباء: التي لا خضرة فيها ولا مطر وتامكاً: مكتنزاً، وممزعاً: مقطّعاً .

(٢) صوبه: وجهه نحوه . (٣) يمتج: يستقي .

ومن جوده أيضاً: أَنَّ معاوية حبس عن الحسين بن عليّ صِلَاتِهِ حتى ضاقت عليه حاله، فقيل [له]: لو وَجَّهْتَ إلى ابن عمك عبيد الله، فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف درهم. فقال الحسين: وأين تقع ألف ألف من عبيد الله؟ فوالله لهُوَ أَجْوَدُ من الريح إذا عصفت، وأسخى من البحر إذا زخر. ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حَبْسَ معاوية عنه صِلَاتِهِ وضيقَ حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم. فلما قرأ عبيد الله كتابه، وكان من أرقّ الناس قلباً وألينهم عطفاً. انهملت عيناه ثم قال: ويلك يا معاوية مما اجترحتَ يداك^(١) من الإثم حين أصبحتَ لئن المهادر رفيع العمداء، والحسينُ يشكو ضيقَ الحال وكثرة العيال. ثم قال لقهرمانه: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة، وأخبره أنني شاطرته مالي، فإن أقتعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر. فقال له القيم: فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها؟ قال: إذا بلغنا ذلك دللتك على أمر يُقيم حالك! فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال: إنا لله! حَمَلْتُ^(٢) والله على ابن عمي وما حسبتُهُ يتسع لنا بهذا كله. فأخذ الشطر من ماله. وهو أول من فعل ذلك في الإسلام.

ومن جوده أن معاوية بن أبي سفيان أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا التبروز حللاً كثيرة ومِسْكَ وآنية من ذهب وفضة، ووجَّهها مع حاجبه، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها، فقال: هل في نفسك منها شيء؟ قال: نعم والله، إنَّ في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام. فضحك عبيد الله وقال: فشأنك بها فهي لك. قال: جعلتُ فداك، أخاف أن يبلغ ذلك معاويةً فيجدَ عليّ. قال: فاختمها بخاتمك وادفعها إلى الخازن، فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلاً. فقال الحاجب: والله لهذه الحيلة في الكرم أكثرُ من الكرم، ولوددت أني لا أموت حتى أراك مكانه - يعني معاوية - فظنَّ عبيد الله أنها مكيدة منه، قال: دع عنك هذا الكلام، فإننا قوم نفي بما وعدنا ولا ننقص ما أكدنا.

(١) اجترحت يداك: اقترفت واكتسبت من إثم.

(٢) حملت: ضيقت وكلفت الكثير.

ومن جوده أيضاً أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له: تَصَدَّقْ، فإني نُبْتُ أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه! فقال له: وأين أنا من عبيد الله؟ قال أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال؟ قال: فيها. قال: أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله، وإذا شئت فعلت، وإذا فعلت كنت حسيباً. فأعطاه ألفي درهم واعتذر له من ضيق الحال: فقال له السائل: إن لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه، وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس. فأعطاه ألفاً أخرى. فقال السائل: هذه هِزَّة كرم حسيب، والله لقد نقرت^(١) حبة قلبي فأفرغتها في قلبك، فما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحي.

ومن جوده أيضاً: أنه جاءه رجل من الأنصار فقال: يا بن عم رسول الله، إنه وُلِدَ لي في هذه الليلة مولود، وإني سمّيته باسمك تبرُّكاً مني به، وإن أمه ماتت. فقال عبيد الله: بارك الله لك في الهبة، وأجزل لك الأجر على المصيبة. ثم دعا بوكيله فقال: أنطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وآدفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته. ثم قال للأنصاري: عُدْ إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا وفي العيش يُيس وفي المال قِلَّة. قال الأنصاري: لو سبقت حاتمًا بيوم واحد ما ذكرته العرب أبداً، ولكنه سبقك فصرت له تالياً، وأنا أشهد أنّ عفوك أكثر من مجهوده، وطلّ كرمك أكثر من وابله.

جود عبد الله بن جعفر

ومن جود عبد الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عمّار دخل على نخّاس يعرض قياناً له؛ فعلق واحدةً منهن، فشهر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطاووس ومُجاهد يعذّلونه، فكان جوابه أن قال:

يَلُومُنِي فِيكَ أَقْوَامٌ أَجَالِسُهُمْ فَمَا أَبَالِي أَطَارَ اللَّوْمُ أَمْ وَقَعَا

(١) حبة القلب: مهجته.

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر، فلم يكن له همّ غيره، فحج فبعث إلى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم، وأمر قيّمة جواريه أن تزينها وتحليها ففعلت؛ وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه، فقال: مالي لا أرى ابن أبي عمار زارنا؟ فأخبر الشيخ، فأثاه مسلماً. فلما أراد أن ينهض استجلسه، ثم قال: ما فعل حُبّ فلانة؟ قال: في اللحم والدم والمخ والعصب. قال: أتعرفها لو رأيته؟ قال: لو أدخلت الجنة لم أنكرها. فأمر بها عبدُ الله أن تخرج إليه، وقال له: إنما اشتريتها لك، ووالله ما دنوتُ منها، فشأنك بها مباركاً لك فيها. فلما ولى قال: يا غلام، احمل معه مائة ألف درهم ينعم بها معها. قال: فبكى عبد الرحمن فرحاً وقال: يا أهل البيت، لقد خصّكم الله بشرف ما خصَّ به أحداً قبلكم من صُلب آدم، فتهنئكم هذه النعمة، وبورك لكم فيها.

ومن جوده أيضاً أنه أعطى امرأة سألته مالا عظيماً، فقيل له: إنها لا تعرفك وكان يُرضيها اليسير. قال: إن كان يرضيها اليسير فإني لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

جود سعيد بن العاص

ومن جود سعيد بن العاص أنه مرض وهو بالشام، فعاده معاوية ومعه شُرحبيل بن السَّمْط، ومُسلم بن عُقبة المُرِّي، ويزيد بن شجرة الرّهاوي. فلما نظر سعيد معاوية وثب عن صدر مجلسه إعظاماً لمعاوية، فقال له معاوية: أقسمتُ عليك أبا عثمان ألا تتحرّك، فقد ضَعُفَت بالعلة. فسقط؛ فتبادر معاوية نحوه حتى حنا عليه، وأخذ بيده فأقعده على فراشه وقعد معه، وجعل يُسائله عن علته ومَنّامه وغذائه، ويصف له ما ينبغي أن يتوقّاه، وأطال القُعود معه؛ فلما خرج التفت إلى شُرحبيل بن السَّمْط، ويزيد ابن شجرة، فقال: هل رأيتمَا خللاً في مال أبي عثمان؟ فقالا: ما رأينا شيئاً ننكره. فقال لمُسلم بن عُقبة: ما تقول؟ قال: رأيت. قال: وما ذاك؟ قال: رأيت على حَشمه ومواليه ثياباً وِسِخةً، ورأيتُ صحن داره غير مكنوس، ورأيت التجار يُخاصمون

قَهْرمانه . قال : صدقت ، كل ذلك قد رأيته . فوجه إليه مع مُسلم بثلاثمائة ألف ، فسبق رسولٌ يَبشّره بها ويُخبره بما كان . فغضب سعيد وقال للرسول : إن صاحبك ظن أنه أحسن فأساء ، وتأوّل فأخطأ ؛ فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته أتسخ ثوبه ، وأما كُنس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مِرآته وتَرَتَّنَه لُبْسَه ، ومعروفه عِطره ، ثم لا يبالي بمن مات هُزْلاً من ذي لُحمة أو حُرمة . وأما مُنازعة التجار قهرماني فمن كثرة حوائجه وبيعته وشرائه ؛ لم يجد بُدّاً من أن يكون ظالماً أو مظلوماً . وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فوصلته كل ذي رحم قاطعة وهنأته كرامته المنعم بها عليه ، وقد قَبَلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف ، ولشُرْحِيل بن السَّمْط بمثلها ، وليزيد بن شجرة بمثلها ، وفي سعة الله وبَسَطَ يد أمير المؤمنين ما عليه مُعَوَّلنا .

فركب مُسلم بن عُقبة إلى معاوية فأعلمه ، فقال : صدق ابن عمي فيما قال ، وأخطأت فيما انتهيت إليه ، فاجعل نصيبك من المال لروح بن زِنْباع عقوبةً لك ، فإنه من جنى جناية عوقب بمثلها ، كما أنه من فعل خيرا كوفيء عليه .

ومن جوده أيضا أن معاوية كان يُداول بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة ، فكان مروان يُقارضه^(١) ، فلما دخل على معاوية قال له : كيف تركت أبا عبد الملك ؟ يعني مروان . قال : تركته منفذاً لأمرك ، مُصلحاً لعملك . قال معاوية : إنه كصاحب الخُبْزة : كُفي إنضاجها فأكلها ! قال : كلا يا أمير المؤمنين ؛ إنه من قوم لا يأكلون إلا ما حصدوا ، ولا يحصدون إلا ما زرعوا . قال : فما الذي باعد بينك وبينه ؟ قال خِفْتُهُ على شرفي وخافني على مثله . قال : فأني شيء كان له عندك ؟ قال : أسوؤُهُ حاضراً وأسرُّهُ غائباً . قال : يا أبا عثمان ، تركتُنا في هذه الحروب . قال : حملتَ الثقل وكُفيتَ الحزم . قال : فما أبطأ بك ؟ قال غناؤك عني أبطأني عنك ، وكنتُ قريباً لو دعوت لأجنبناك ، ولو أمرت لأطعنك . قال : ذلك ظنُّنا بك . فأقبل معاوية على أهل الشام فقال يأهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم . ثم قال : أخبرني عن مالك ،

(١) يقارضه : أي ينظر كلّ واحدٍ إلى صاحبه شزراً .

فقد بُنيت أنك تَتَحَرَّى فيه . قال : يا أمير المؤمنين ، لنا مالٌ يَخْرُجُ لنا منه فَضْلٌ ، فإذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قِلَّتِهِ ، وإن كان كثيرا فكذلك ، غير أنا لا ندخر منه شيئا عن مُعْسِرٍ ولا طالب ولا مستحمل ، ولا نستأثر منه بفِلْذة لحم ولا مُزْعَةٍ^(١) شحم . قال : فكيف يدوم لك هذا ؟ قال من السَّنَةِ نَصَفْهَا . قال : فما تصنع في باقيها ؟ قال : نجد من يُسَلِّفنا ويُسَارِعُ إلى معاملتنا . قال : ما أحدٌ أَحْوَجُ إلى أن يصلح من شأنك . قال : إن شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ، ولو زدت في مالي مثله ما كنتُ إلا بمثل هذه الحال . فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم ، وقال : اشتر بها ضيعة تُعِينُكَ على مروأتك . فقال سعيد : بل أشتري بها حمداً وذكرًا باقيا . أطعم بها الجائع ، وأزوج بها الأيتام ، وأفكّ بها العاني^(٢) ، وأواسي بها الصديق ، وأصلح بها حال الجار فلم تأت عليه ثلاثة أشهرٍ وعنده منها درهم . فقال معاوية : ما فضيلةٌ بعد الإيمان بالله هي أرفعُ في الذكر ولا أنبه في الشرف من الجود ، وحَسْبُكَ أن الله تبارك وتعالى جعل الجود أحد صفاته .

ومن جوده أيضا ما حكاه الأصمعي ، قال : كان سعيد بن العاص يسمُرُ معه سماره إلى أن ينقضي حينٌ من الليل ، فانصرف عنه القوم ليلةً ورجلٌ قاعد لم يقم ، فأمر سعيد بإطفاء الشمعة وقال : حاجتك يافتي ؟ فذكر أنّ عليه ديناً أربعة آلاف درهم . فأمر له بها ، وكان إطفاءؤه للشمعة أكثرَ من عطائه .

جود عبيد الله بن أبي بكرة

ومن جود عبيد الله بن أبي بكرة أنه أدلى إليه رجل بجرمة ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فقال : أصلحك الله ، ما وصلني أحدٌ بمثلها قط ، ولقد قطعت لساني عن شكر غيرك ، وما رأيت الدنيا في يد أحد أحسنَ منها في يدك ، ولولا أنت لم تبق لها بهجةٌ إلا أظلمتْ ، ولا نورٌ إلا انطمس .

(١) المَزْعَةُ : القطعة . (٢) العاني : الأسير .

جود عبيد الله بن معمر القرشي التيمي

ومن جود عبيد الله بن معمر القرشي، أن رجلاً أتاه من أهل البصرة كانت له جارية نفيسة قد أدبها بأنواع الأدب حتى برعت وفاقت في جميع ذلك، ثم إن الدهر قعد بسيدها ومال عليه. وقدم عبيد الله بن معمر البصرة من بعض وجوهه، فقالت لسيدها: إني أريد أن أذكر لك شيئاً أستحي منه، إذ فيه جفاء مني، غير أنه يسهل ذلك عليّ ما أرى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك، وما أخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال، وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة، وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه، فلو أذنت لي فأصلحت من شأني ثم تقدمت بي إليه وعرضتني عليه هدية، رجوت أن يأتيك من مكافأته ما يُقيلك الله به ويُنهضك إن شاء الله. قال: فبكى وجداً عليها وجزعا لفراقها منه، ثم قال لها: لولا أنك نطقت بهذا ما ابتدأتك به أبداً. ثم نهض بها حتى أوقفها بين يدي عبيد الله فقال: أعزك الله، هذه جارية ربيتها ورضيتُ بها لك، فأقبلها مني هدية. فقال: مثلي لا يستهدي من مثلك؛ فهل لك في بيعها فأجزل لك الثمن عليها حتى ترضى؟ قال: الذي تراه. قال: يُقْنِعُكَ مني عَشْرُ بَدَرٍ في كل بدرة عشرة آلاف درهم؟ قال: والله يا سيدي ما امتد أُملي إلى عَشْرِ ما ذكرت، ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور. فأمر عبيد الله بإخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه، وقال للجارية: ادخلي الحجاب. فقال سيدها: أعزك الله! لو أذنت لي في وداعها! قال: نعم. فوقفت وقام، وقال لها وعيناه تدمعان:

أَبُوحَ بَحْرُنٍ مِنْ فِرَاقِكَ مُوجِعٍ أَقَاسِي بِهِ لَيْلًا يُطِيلُ تَفَكُّرِي
وَلَوْلَا قُعُودُ الدَّهْرِ بِي عَنْكَ لَمْ يَكُنْ يُقَرِّقُنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ فَاعْذُرِي
عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ

قال عبيد الله بن معمر: قد شئتُ ذلك، فخذ جاريته وبارك الله لك في المال. فذهب بجاريته وماله فعاد غنياً.

فهؤلاء أجواد الإسلام المشهورون في الجود المنسوبون إليه، وهم أحد عشر رجلاً كما ذكرنا وسَمَّينا، وبعدهم طبقة أخرى من الأجواد، قد شُهِروا بالجود وعُرفوا بالكرم، وحُمدت أفعالهم، وسنذكر ما أمكننا ذكره منها إن شاء الله تعالى.

الطبقة الثانية من الأجواد

فمنهم الحكم بن حَنْطَب

قيل لنصيب بن رباح: خَرِفَ شِعْرُكَ أبا محجن! قال لا، ولكن خَرِفَ الكرم؛ لقد رأيتني ومدحتُ الحكم بن حنطب، فأعطاني ألف دينار ومائة ناقة وأربعمئة شاة.

وسأل أعرابي الحكم بن حنطب، فأعطاه خمسمئة دينار، فبكى الأعرابي، فقال: ما يُبكيك يا أعرابي؟ لعلك استقلت ما أعطيناك! قال: لا والله، ولكني أبكي لما تأكلُ الأرضُ منك، ثم أنشأ يقول:

وكانَ آدَمَ حينَ حانَ وفائُهُ أوْصاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ^(١)
بَيْنِهِ أَنْ تَرْعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ فَكَفَيْتَ آدَمَ عَيْلَةَ الْأَبْنَاءِ^(٢)

العتبي قال: أخبرني رجل من أهل منبج، قال: قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مُمْلِقٌ^(٣) فأغنانا! قال له: كيف أغناكم وهو مُمْلِق؟ قال: علَّمتنا المكارمَ، فعاد غنيُّنا على فقيرنا.

ومنهم معن بن زائدة

وكان يقال فيه: حدَّث عن البحر ولا حَرَجَ، وحدَّث عن معن ولا حَرَجَ.

وأناه رجل يسأله أن يحمله، فقال: يا غلام، أعطه فرسا وبرذوناً وبغلاً وغيراً وبَعيراً وجارية. وقال: لو عرفتُ مركوباً غير هؤلاء لأعطيتك.

(١) الحوباء: النفس.

(٢) عيلة الأبناء: أي معيشتهم.

(٣) الإملاق: الفقر.

العتبي قال: لما قدم معن بن زائدة البصرة واجتمع إليه الناس، أتاه مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي^(١) الباب، فأنشده شعره الذي قاله فيه:

فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً عَلَيْكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
لَهُ رَاحَتَانِ الْحَتَفُ وَالْجُودُ فِيهَا أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

ومنهم يزيد بن المهلب

وكان هشام بن حسان إذا ذكره قال: والله إن كانت السفن لتَجْرِي في جوده.

وقيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبني دارا؟ قال: منزلي دار الإمارة أو الحبس.

ولما أتى يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب، نال منه بعض جلسائه فقال له: مَهْ^(٢)! إن يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما.

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فأنشده:

صَحَّ فِي قَيْدِكَ السَّاحَةُ وَالْمَجْدُ دُ وَفَكَ الْعُنَاةُ وَالْإِفْضَالُ

قال: أتمدحني وأنا في هذه الحال؟ قال: أصبتك رخيصاً فاشتريتك. فأمر له بعشرة آلاف.

وقال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير: آغَرَمَ^(٣) ديتك خمسين مرة. قال: ليس عندي ما آغَرَم. قال: والله لتَغْرَمَنَ ديتك مائة مرة. قال يزيد بن المهلب: أنا آغرمتها عنه يا أمير المؤمنين. قال: آغَرَم. فغرمتها عنه مائة ألف.

العتبي قال: أخبرني عوانة قال: استعمل الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المري على المدينة وأمره بالغلظة على أهل الظنة؛ فلما استخلف سليمان أخذه بألفي ألف درهم؛ فاجتمعت القيسية في ذلك فتحملوا شطرها وضاقوا ذرعا بالشرط الثاني.

(١) عضادتي الباب: خشبتان من جانبيه.

(٢) مه: إسم فعل مبني على السكون بمعنى كفى.

(٣) آغرم: ضاعف.

ووافق ذلك استعمالُ سليمانَ يزيد بن المهلب على العراق . فقال عمر بن هبيرة : عليكم بيزيد بن المهلب ، فما لها أحدٌ غيره ! فتحملوا إلى يزيد وفيهم عمر بن هبيرة ، والقَعَقَاع بن حبيب ، والهذيل بن زُفر بن الحارث ، وانتهوا إلى رُواق يزيد . قال يحيى ابن أَقْتَل - وكان حاجباً ليزيد بن المهلب وكان رجلاً من الأزد - فاستأذنت لهم فخرج يزيد إلى الرواق فقرب ورحب ، ثم دعا بالغداء ، فأتوا بطعامٍ ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا ، فلما تغدَّوا تكلم عثمان بن حيان وكان لسنّاً مفوّهاً ، وقال : زادك الله في توفيقك أيها الأمير ، إن الوليد بن عبد الملك وجّهني إلى المدينة عاملاً عليها ، وأمرني بالغلظة على أهل الظنة والأخذ عليهم ؛ وإن سليمان أغرمني غُرمًا ، والله ما يَسَعُهُ مالي ولا تحمله طاقتي ؛ فأتيناك لتحمل من هذا المال ما خفّ عليك ، وما بقي والله ثقیلٌ عليّ . ثم تكلم كل منهم بما حضره ، وقد اختصرنا كلامهم .

فقال يزيد بن المهلب : مرحباً بكم وأهلاً ، إن خير المال ما قُضي فيه الحقوق وحُمِلت به المغارم ، وإنما لي من المال ما فَضَّلَ عن إخواني ، وآيمُ الله لو علمتُ أن أحداً أَمْلاً بما جتكم مني لهديتكم إليه فاحتكموا وأكثرُوا . فقال عثمان بن حيان : النصف أصلح الله الأمير . قال : نعم وكرامة ، اغدُوا علي مالكم فخذوه .

فشكروا له وقاموا فخرجوا . فلما صاروا على باب السراقد قال عمر بن هبيرة : قَبِّحَ الله رأيكم ، والله ما يبالي يزيد أنصِفها تَحَمَّلَ أم كَلَّها . فمن لكم بالنصف الباقي ؟ قال القوم : هذا والله الرأي ! وسمع يزيدُ مُنَاجاتهم ، فقال لحاجبه : انظر يا يحيى إن كان بقي على القوم شيء فليرجعوا ، فرجعوا إليه وقالوا : أَقْلُنَا^(١) قال : قد فعلت . قالوا : فإن رأيت أن تحملها كَلَّها فأنت أهلها ، وإن أبَيْتَ فما لها أحدٌ غيرك ، قال : قد فعلت .

وغداً يزيدُ بن المهلب إلى سليمان فقال : يا أمير المؤمنين ، أتاني عثمان بن حيان وأصحابه . قال : أُمْسِكُ في المال ؟ قال : نعم . قال سليمان : والله لاأخذنه منهم . قال

(١) أَقْلُنَا : أعنّا واعفنا .

يزيد: إني قد حملته. قال: فأدّه: قال يزيد والله ما حملته إلا لأؤدّيه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه الحمالة وإن عظم خطبها، فحمدّها والله أعظم منها، ويدي مبسوطة بيدك، فابسطها لسؤالها. ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه إليهم فدخلوا على سليمان فأخبروه بقبض المال، فقال: وقت يمّن سليمان احمّلوا إلى أبي خالد ماله.

فقال عدي بن الرقاع العاملي:

وَلله عَيْنَا مَنْ رَأَى كَحَمَالَةٍ تَحْمَلُهَا كِبْشُ الْعِرَاقِ يَزِيدُ

الأصمعي قال: قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاة من بني ضبة، فقال رجل منهم:

وَالله مَا نَدْرِي إِذَا مَا فَاتَنَا طَلَبَ إِلَيْكَ مَنْ الَّذِي نَتَطَلَّبُ؟
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يُنْسَبُ
فَاصْبِرْ لِعَادَتِنَا الَّتِي عَوَّدَتْنَا أَوْ لَا فَأَرْشِدُنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟

فأمر له بألف دينار؛ فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال:

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً وَكَأَنَّ بَابَكَ مَجْمَعُ الْأَسْوَاقِ
أَرْجَوْكَ أَمْ خَافُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى بِيَدَيْكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ عَاشِقًا وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةُ الْعُشَاقِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

ومر يزيد بن المهلب في طريق البصرة بأعرابية، فأهدت إليه عنزا، فقبلها وقال

لابنه معاوية: ما عندك من نفقة؟ قال: ثمانمائة درهم. قال: أدفعها إليها! قال إنها لا تعرفك ويرضيها اليسير قال: إن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي، وإن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير.

ومنهم يزيد بن حاتم

وكتب إليه رجل من العلماء يستوصله، فبعث إليه ثلاثين ألف درهم، وكتب إليه: «أما بعد، فقد بعثت إليك بثلاثين ألفاً، لا أكثرها أمتناناً، ولا أقلها تجبراً، ولا أستثيبك عليها ثناء، ولا أقطع لك بها رجاء، والسلام».

وكان ربيعة الرقي قد قدم مصر فأتى يزيد بن حاتم الوردي فلم يعطه شيئاً، فشغل عنه ببعض الأمر، فخرج وهو يقول:

أراني ولا كفران لله راجعاً بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فسأل عنه يزيد، فأخبر أنه قد خرج وقال كذا، وأنشد البيت؛ فأرسل في طلبه فأتى به، فقال: كيف قلت؟ فأنشده البيت: فقال شغلنا عنك! ثم أمر بخفي حاتم فخلعنا من رجله وملئنا مالا، وقال: ارجع بها بدلا من خفي حاتم! فقال فيه لما عزل عن مصر وولي مكانه يزيد بن حاتم:

بكى أهل مصر بالدموع السواجم غداة غداً منها الأغر ابن حاتم

وفيها يقول:

لشأن ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم

وخرج إليه رجل من الشعراء يمدحه، فلما بلغ مصر وجده قد مات؛ فقال فيه:
لئن مصر فأتني بما كنت أرتجي وأخلفني منها الذي كنت أمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قلائل

ومنهم أبو دلف

واسمه القاسم بن إسماعيل، وفيه يقول علي بن جبلة:

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين مبداهُ ومُحتَضِرِهِ^(١)
فإذا ولي أبو دلفٍ ولَّتِ الدنيا على أثرِهِ

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها على العباد، على كفي أبي دلفٍ
بَارَى الرياح فأعطى وهي جاريةٌ حتى إذا وقفت أعطى ولم يقفِ^(٢)
ما خطَّ «لا» كتاباه في صحيفته يوماً كما خطَّ «لا» في سائر الصحف
فأعطاه ثلاثين ألفاً.

ومدحه آخر فقال فيه:

يُشَبِّهُ الرِّعْدُ إذا الرِّعْدُ رَجَفَ كأنه البرقُ إذا البرقُ خَطَفَ
كأنه الموتُ إذا الموتُ أَزَفَ تحمِلُهُ إلى الوغَى الخيلُ القُطْفُ^(٣)
إن سارَ سارَ المجدُ أو حلَّ وقَفَ انظر بعينيك إلى أسنى الشَّرَفِ
هل ناله بقدرة أو بكلفٍ خلقَ من الناسِ سوى أبي دلفٍ
فأعطاه خمسين ألفاً.

ومن أخبار معن بن زائدة

شيء عنه:

قال شراحيل بن معن بن زائدة: حج هارون الرشيد وزميله أبو يوسف القاضي، وكنت كثيراً ما أسايره، إذ عرض له أعرابي من بني أسد فأنشده شعراً مدحه فيه

(١) مبداه ومختصره: يريد حلوله البادية وحلوله الحضر.

(٢) بارى الرياح: نافسها. (٣) القطف: جمع قطوف: وهي الفرس تقارب الخطو في سرعة.

وأفرط، فقال له هارون: ألم أنهك عن مثل هذا في مدحك يا أخا بني أسد؟ إذا قلت فينا فقل كقول القائل في أب هذا:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ	أَسْوَدُ لَهَا فِي غَيْلٍ خِفَانٍ أَشْبَلُ ^(١)
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانُوا	لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّكَاكِينِ مَنَزِلُ ^(٢)
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ	كَأَوَّلُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ	وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا
هَمُّ الْقَوْمِ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعَا	أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

ومنهم خالد بن عبد الله القسري

وهو الذي يقول فيه الشاعر:

... إلى خالدٍ حتى أَنَحْنُ بِخَالِدٍ فَنِعْمَ الْفَتَى يُرْجَى وَنِعْمَ الْمُؤَمِّلُ

بيننا خالد بن عبد الله القسري جالس في مظلة له، إذ نظر إلى أعرايي يخب^(٣) به بعيره مُقبلاً نحوه؛ فقال لحاجبه. إذا قدم فلا تحجبه. فلما قدم أدخله عليه، فسلم وقال:

أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَلَّ مَا بِيَدِي فَمَا أُطِيقُ الْعِيَالَ إِذْ كَثُرُوا
أَنَاخَ دَهْرٌ أَلْقَى بِكُلِّكَلِهِ فَأَرْسَلُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا^(٤)

فقال خالد: أرسلوك وانتظروا؟ والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يسرهم. وأمر له بمجازة عظيمة وكسوة شريفة.

ومنهم عدي بن حاتم

دخل عليه ابن دارة فقال: إني مدحتك. قال: أَمْسِكْ حَتَّى آتِيكَ بِمَا لِي ثُمَّ اْمْدَحْنِي عَلَى حَسَبِهِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَلَّا أُعْطِيكَ ثَمَنَ مَا تَقُولُ، لِي أَلْفُ شَاةٍ، وَأَلْفُ دِرْهَمٍ، وَثَلَاثَةُ

(١) غيل خفان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة وهو مأسدة. (٢) السكاكين: نجمين في السماء.

(٣) يخب: من الخب وهو ضرب من العدو.

(٤) كلعله: صدره، أي أثقل الدهر عليه.

أعبد، وثلاث إماء، وفرسي هذا حُبس في سبيل الله، فامدحني على حسب ما أخبرتك. فقال:

تَجُنُّ قَلُوصِي فِي مَعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَلَاقِي الرَّيِّعَ فِي دِيَارِ بَنِي ثُعَلٍ
وَأَبْقَى اللَّيَالِي مِنْ عَدِيٍّ بَنِ حَاتِمٍ حُسَاماً كَنَصْلِ السَّيْفِ سُلٍّ مِنَ الْخِلَلِ^(١)
أَبُوكَ جَوَادٌ لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتَ تُعْذَرُ بِالْعِلَلِ
فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا فَمِثْلُكُمْ أَتَقِي وَإِنْ خَيْرًا فَمِثْلُكُمْ فَعَلْ

قال له عدي: أمسك؛ لا يبلغ مالي أكثر من هذا.

أصفاد الملوك على المدح

سعيد بن مُسلم الباهلي قال: قدم على الرشيد أعرابي من باهلة وعليه جبة حبرة، ورداء يمان قد شدّه على وسطه ثم ثناه على عاتقه، وعمامة قد عصبها على قُوديه وأرخی لها عَذْبَةً^(٢) من خَلْفِهِ، فمَثَلَ بين يدي الرشيد، فقال سعيد: يا أعرابي، خذ في شَرَفِ أمير المؤمنين. فاندفع في شعره. فقال الرشيد: يا أعرابي، أسمعك مستحسناً وأنكركَ مَتَهَمًا؛ فقل لنا بيتين في هذين - يعني محمداً الأمين وعبد الله المأمون ابنيه، وهما عن حفافيه، فقال: يا أمير المؤمنين، حملتني على الوعرِ القَرْدَدِ^(٣) ورجعتني عن السَّهْلِ الجَدَدِ^(٤)، روعةُ الخلافة، وبُهِرُ الدرجة، ونفورُ القوافي على البديهة؛ فأروِدني^(٥) تتألف لي نوافِرٌ ويسكن روعي. قال: قد فعلتُ، وجعلتُ اعتذاركَ بدلاً من امتحانك. قال: يا أمير المؤمنين، نفست الخناق، وسهلت ميدان السباق؛ فأنشأ يقول:

(١) الخلل: جمع خلة، وهي جفن السيف المغشى بالأدم.

(٢) عذبة لسان وطرف.

(٣) القردد: ما ارتفع وغلظ من الأرض.

(٤) الجدد: الأرض الغليظة المستوية.

(٥) فأرودني: أمهلني.

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرّاً قُبَّةِ الْإِسْلَامِ فَاخْضَرَّ عَوْدُهَا
هَمَّا طُنْبَاهَا، بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا^(١)

فقال الرشيد: وأنت يا أعرابي، بارك الله فيك! فَسَلَّ وَلَا تَكُنْ مَسْأَلْتُكَ دُونَ
إِحْسَانِكَ. قال الهنيدة^(٢) يا أمير المؤمنين. فأمر له بمائة ناقة وسبع خِلاَعٍ.

المهدي ومروان ابن أبي حفصة:

وقال مروان بن أبي حفصة: دخلت على المهديّ فاستنشدني، فأنشدته الشعر الذي
أقول فيه:

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خَيَالُهَا بَيَاضٌ تَنْشُرُ بِالْخَبَاءِ دَلَالُهَا
قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلُهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا

حتى انتهيت إلى قولي:

شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ^(٣) بِتُرَاثِهِمْ فَرَجُوتُمْ إِبْطَالُهَا
هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَهَا بِأَكْفَكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا
أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةً عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

قال: وأنشدته أيضاً شعري الذي أقول فيه:

يَا بْنَ الَّذِي وَرِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا دُونَ الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ
الْوَحْيُ بَيْنَ بَنِي الْبَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ قُطِعَ الْخِصَامُ فَلَاتَ حِينَ خِصَامِ
مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فَرِيضَةٌ نَزَلَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ
أَنْتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لَبِنِي الْبَنَاتِ وَرِاثَةُ الْأَعْمَامِ

(١) الطنب: الخبل، أو الوجد.

(٢) الهنيدة: اسم للمائة من الابل، أو لما فوقها ودونها، أو للمائتين.

(٣) يريد قوله تعالى «والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم

أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم».

أَلغَى سِهَامَهُمُ الْكِتَابُ فَحَاوَلُوا أَنْ يَشْرَعُوا فِيهَا بِغَيْرِ سِهَامٍ
ظَفِرَتْ بَنُو سَاقِي الْحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغَرِرْتُمْ بِتَوَهُّمِ الْأَحْلَامِ

قال مروان بن أبي حفصة: فلما أنشدت المهديّ الشعرين قال: وجب حقك على هؤلاء - وعنده جماعة من أهل بيته - قد أمرت لك بثلاثين ألفاً، وفرضت على موسى خمسة آلاف، وعلى هارون مثلها، وعلى عليّ أربعة آلاف، وعلى العباس كذا، وعلى فلان كذا فحسبت سبعين ألفاً. قال: فأمر بالثلاثين ألفاً فأتى بها، ثم قال: اغد على هؤلاء وخذ ما فرضت لك. فأتيت موسى فأمر لي بخمسة آلاف، وأتيت هارون فأمر لي بمثلها، وأتيت عليا، قال: قصر بي دون إخوتي فلن أقصر بنفسي. فأمر لي بخمسة آلاف فأخذت من الباقيين سبعين ألفاً.

عبد الملك وأعشى ربعة:

ودخل أعشى ربعة على عبد الملك بن مروان، وعن يمينه الوليد وعن يساره سليمان؛ فقال له عبد الملك: ماذا بقي يا أبا المغيرة؟ قال: مضى ما مضى وبقي ما بقي. وأنشأ يقول:

وما أنا في حَقِّي ولا في خُصومي	بمُهْتَضَمِ حَقِّي ولا قَارِعِ سِنِي ^(١)
ولا مُسْلِمِ مَوْلَايِ مِنْ سَوْءٍ مَا جَنَى	ولا خَائِفِ مَوْلَايِ مِنْ سَوْءٍ مَا أَجْنَى
وفضلي في الأَقْوَامِ والشَّعْرِ أَنِّي	أَقُولُ الَّذِي أُعْنِي وَأَعْرِفُ مَا أُعْنِي
وَأَنْ فَوَادِي بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالَمٌ	بِمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتُ أُذُنِي
وَإِنِّي وَإِنْ فَضَلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ	عَلَى النَّاسِ، قَدْ فَضَلْتُ خَيْرَ أَبِ وَابْنِ

فضحك عبد الملك وقال للوليد وسليمان: أتلوماني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف.

(١) قارِع سَنِي: كناية عن الندم.

عبد الرحمن بن الحكم والفرزدق:

العتبي قال: دخل الفرزدق على عبد الرحمن الثقيفي بن أم الحكم، فقال له عبد الرحمن: أبا فراس، دعني من شعرك الذي لا يأتي آخره حتى يُنسى أوله، وقل في بيتين يعلقان^(١) أفواه الرواة، وأعطيكها عطية لم يُعطيها أحد قبلي فغدا عليه وهو يقول:

وأنت ابن بطحايي قرئشٍ فإن تشأ فكن من ثقيف سئل ذي حدبٍ غمر^(٢)
وأنت ابن فرعٍ ماجدٍ لعقيلة تلقى له الشمس المضيئة بالبدر
قال: أحسنت، وأمر له بعشرة آلاف.

الفضل بن يحيى وفقى من التجار:

أبو سويد قال: أخبرني الكوفي قال: أعترض الفضل بن يحيى بن خالد في وقت خروجه إلى خراسان فتى من التجار كان شَخَص إلى الكوفة ففُطِع به وأُخِذَ جميع ما كان معه، فأخذ بعنان دابة الفضل وقال:
سأُرْسِلُ بيتاً ليس في الشَّعرِ مثله يَقطَّعُ أعناقَ البيوتِ الشَّواردِ
أقامَ الندى والبأسُ في كلِّ منزلٍ أقامَ به الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدِ
قال فأمر له بمائة ألف درهم.

زبيدة وابن أبي حفصة في أبيات مدح بها الأمين:

العتبي: قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة أبياتاً ورفعها إلى زبيدة ابنة جعفر
يمتدح ابنها محمداً، وفيها يقول:
للهِ دَرَكٌ يا عَقيلة جعفرٍ ماذا وَلَدَتْ من العُلا والسُّودِ^(٣)

(١) يعلقان: أي يترددان على أفواههما.

(٢) الحدب: الحدور في صلب.

(٣) العقيلة: السيدة الكريمة والسودد: المجد والرفعة.

إِنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نَوْرُهَا لِلنَّاضِرِينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُمْلَأَ فَمُّهُ دُرًّا .

الحسن بن سهل وعلي بن جبلة :

وقال الحسن بن رجاء الكاتب : قَدِمَ علينا علي بن جبلة إلى عسكر الحسن بن سهل ، والمأمون هناك بانيًا على خديجة بنت الحسن بن سهل ، المعروفة ببوران ، ونحن إذ ذاك نُجْرِي على نَيْفٍ وسبعين ألف فلاح . وكان الحسن بن سهل مع المأمون يَتَصَبَّحُ ؛ فكان الحسن يجلس للناس إلى وقت انتباهه ، فلما قدم علي بن جبلة نزل بي ، فقلتُ له : قد قوي شُغْلُ الأمير . قال : إذا لا أضِيعُ معك ! قلت : أجل . فدخلت على الحسن بن سهل في وقت ظُهوره فأعلمته مكانه ؛ فقال : ألا ترى ما نحن فيه ؟ قلت : لست بمشغولٍ عن الأمر له . فقال : يُعْطَى عشرة آلاف إلى أن نتفرَّغ له . فأعلمتُ علي بن جبلة ؛ فقال في كلمة له :

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَقِّ مُبْتَدِئًا عَطِيَّةً كَافَأَتْ حَمْدِي وَلَمْ تَرْنِي
مَا شِمْتُ بَرَقَكَ حَتَّى نِلْتُ رِيقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تُبَادِرُنِي^(١)

ابن طوق ورجل عرض له :

عرض رجل لابن طَوُوقٍ وقد خرج متنزهًا في الرحبة فناوله رقعة فيها جميع حاجته ؛ فأخذها فإذا فيها :

جَعَلْتُكَ دُنْيَايَ فَإِنَّ أَنْتَ جَدْتَ لِي بَخَيْرٍ وَإِلَّا فَالْسَّلَامُ عَلَى الدُّنْيَا

فقال : والله لأَصْدَقَنَّ ظَنِّكَ . فاعطاه حتى أغناه .

عبد الله بن طاهر ودعبل بن علي :

عرض دعبل بن علي الشاعر لعبد الله بن طاهر الخراساني وهو راكب في حراقة له في دجلة ، فأشار إليه برقعة ، فأمر بأخذها ، فإذا فيها :

(١) شمت : نظرت وتطلعت ، وريقه : مطره وصوبه ، كناية عن العطاء والجودى : العطاء .

عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ بْنِ الْحَسِّ - كَيْفَ تَسِيرُ وَلَا تَغْرَقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُهَا إِذَا مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وجارية وفرس .

وخرج عبد الله بن طاهر فتلقيه دعبل برقعة فيها :

طَلَعَتْ قَنَاتُكَ بِالسَّعَادَةِ فَوْقَهَا مَعْقُودَةٌ بِلَوَاءِ مُلْكٍ مُقْبِلٍ ^(١)
تَهْتَزُّ فَوْقَ طَرِيدَتَيْنِ كَأَنَّمَا تَهْفُو يُقَصُّ لَهَا جَنَاحًا أَجْدَلُ ^(٢)
رِيحَ الْبَخِيلِ عَلَى احْتِيَالٍ عَرَضَهُ بِنَدَى يَدَيْكَ وَوَجْهَكَ الْمُتَهَلِّلِ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ نَيْلَكَ عَاجِلٌ مَا فَاضَ مِنْهُ جَدُولٌ فِي جَدُولِ

فأمر له بخمسة آلاف .

ووقف رجل من الشعراء إلى عبد الله بن طاهر فأنشده :

إِذَا قِيلَ: أَيُّ فَتَى تَعْلَمُونَ أَهْشَ إِلَى الْبَاسِ وَالنَّائِلِ
وَأَضْرَبَ لِلْهَامِ يَوْمَ الْوَعَى وَأَطْعَمَ فِي الزَّمَنِ الْمَاجِلِ؟
أَشَارَ إِلَيْكَ جَمِيعُ الْأَنَامِ إِشَارَةً غَرَقَى إِلَى سَاحِلِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

أحمد بن مطير قال: أنشدت عبد الله بن طاهر أبياتاً كنت مدحت بها بعض

الوُلاة، وهي :

لَهُ يَوْمٌ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمُ
فَيَقْطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى وَيَقْطُرُ يَوْمَ الْبُؤْسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمَ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبُؤْسِ لَمْ يَثْنِ كَفَّهُ عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرِمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ فَرَّغَ كَفَّهُ لَبَذَلَ النَّدَى مَا كَانَ بِالْأَرْضِ مُعْدِمُ

(١) يريد بالقناة: القناة التي يعقد فوقها لواء الإمارة .

(٢) الأجْدَل: الصقر .

فقال لي عبد الله : كم أعطاك ؟ قلت : خمسة آلاف . قال : فقبلتها ؟ قلت : نعم . قال لي : أخطأت ؛ ما ثمن هذه إلا مائة ألف .

أبو جعفر وحامد عجرد :

ودخل حماد عجرد على أبي جعفر بعد موت أبي العباس أخيه فأنشده :
أبوكَ بعدَ أبي العباسِ إذ بانا يا أكرمَ الناسِ أغراقاً وعيداناً
لو مَجَّ عودٌ على قومٍ عَصارتُهُ لَمَجَّ عودُكَ فينا المِسكُ والباناً^(١)
فأمر له بخمسة آلاف درهم .

سعيد بن خالد وموسى شهوات :

القحذمي قال : جاء موسى شهوات إلى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، فقال :
إن هنا جارية تعشقُّها ، وأبوا أن ينقصوني عن مائتي دينار . فقال : بورك فيه فذهب
إلى سعيد بن خالد بن أسيد ، وأمّه عائشة بنت طلحة الطلحات فدعا بمطرف^(٢) خزفبسطه وعقد
في كل ركن من أركانه مائة دينار ، وقال لموسى . خذ المطرف بما فيه . فأخذه ، ثم غدا
عليه فأنشده :

أبا خالدٍ أعني سعيدَ بنَ خالدٍ	أخا العُرفِ ، لا أعني ابنَ بنتِ سعيدٍ
ولكنني أعني ابنَ عائشة الذي	أبو أبويه خالدُ بنُ أسيدٍ
عميدُ الندى ما عاشَ يرضى به الندى	فإن ماتَ لم يَرْضَ الندى بعميدٍ
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم	وما هو عن أحسابكم برقودٍ

للزبيري في آل مروان :

العتبي قال : سمعت عمي ينشد لأبي العباس الزبيري :
وكلُّ خليفةٍ ووليٍّ عهدٍ لكم يا آلَ مروانَ الفداءُ
إمارتكم شفاءٌ حيثُ كانت وبعضُ أمارَةِ الأقوامِ ذاءُ

(١) المسك والبان ؛ من الطيب . (٢) المطرف : الوشاح .

فَأَنْتُمْ تُحْسِنُونَ إِذَا مَلَكَتُمْ وَبَعْضُ الْقَوْمِ إِنْ مَلَكَوا أَسَاءُوا
أَجْعَلُكُمْ وَغَيْرَكُمْ سَوَاءً وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ
هُمْ أَرْضٌ لَأَرْجُلَكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَاءُ
فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ أُعْطِيَ عَلَيْهَا؟ قَالَ: عَشْرِينَ أَلْفًا.

أَبُو مُسْلِمٍ وَرُؤْيَا:

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي رُؤْيَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ، فَلَمَّا
أَبْصَرَنِي نَادَى: يَا رُؤْيَا. فَأَجَبْتُهُ:

لَبَّيْكَ إِذْ دَعَوْتَنِي لَبَّيْكَ أَحْمَدُ رَبَّنَا سَاقِي إِلَيْكَ
الْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ فِي يَدَيْكَ

قَالَ: بَلْ فِي يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. قُلْتُ لَهُ: وَأَنْتَ إِذَا أَنْعَمْتَ أَجَدْتَ. ثُمَّ قُلْتُ: يَأْذَنُ
لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِنْشَادِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ فَأَنْشَدْتُهُ:

مَا زَالَ يَأْتِي الْمَلِكَ فِي أَقْطَارِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ
مُشْمَرًا لَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ حَتَّى أَقْرَّ الْمَلِكُ فِي قَرَارِهِ

فَقَالَ: يَا رُؤْيَا، إِنَّكَ أَتَيْتَنَا وَقَدْ شَفَّ الْمَالُ وَاسْتَنْفَدَ الْإِنْفَاقُ، وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ
بِجَائِزَةٍ، وَهِيَ تَافِهَةٌ يَسِيرَةٌ، وَمِنْكَ الْعُودُ وَعَلَيْنَا الْمَعُولُ، وَالْدَّهْرُ أَطْرَقَ مُسْتَتَبٌ^(١)، فَلَا
تَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْأَسَدَةَ^(٢). قَالَ رُؤْيَا: فَقُلْتُ: الَّذِي أَفَادَنِي الْأَمِيرُ مِنْ كَلَامِهِ أَكْثَرُ
مِنْ الَّذِي أَفَادَنِي مِنْ مَالِهِ.

وَدَخَلَ نَصِيبُ بْنُ رَبَاحٍ عَلَى هِشَامٍ فَأَنْشَدَهُ:

إِذَا اسْتَبَقَ النَّاسُ الْعُلَا سَبَقَتْهُمْ يَمِينُكَ عَفْوًا ثُمَّ صَلَّتْ شِإْلَا

فَقَالَ هِشَامُ: بَلَغَتْ غَايَةَ الْمَدْحِ فَسَلَّنِي. فَقَالَ: يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، يَدَاكَ بِالْعَطِيَّةِ أَطْلُقْ

(١) الْأَطْرَافُ وَالْمُسْتَتَبُ: مِنْ أَوْصَافِ الْبَعِيرِ، وَهُوَ الْخَزِيلُ الذَّلِيلُ.

(٢) الْأَسَدَةُ: الْحَوَاجِزُ.

من لساني بالمسألة. قال: لا بُدَّ أن تفعل. قال: لي ابنة نفَضْتُ عليها من سوادي فكسَّدها، فلو أنفَقها أميرُ المؤمنين بشيء يجعله لها. قال: فأقطعها أرضاً، وأمر لها بحلي وكسوة. فنفقت السوداء.

عبد الله بن جعفر ونصيب:

الرياشي عن الأصمعي قال: مدح نصيب بن رباح عبد الله بن جعفر فأمر له بمال كثير وكُسوة شريفة ورواحل موقرة^(١) بُرّاً وتمرّاً؛ فقليل له: أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ قال: أما لئن كان عبداً إن شعره فيّ لحرّاً؛ ولئن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإنما أخذ مالا يَفنى وثياباً تبلى ورواحل تنضى^(٢)، وأعطى مديحاً يروى وثناء يَبقى.

هشام وأبو النجم:

وذكروا عن أبي النجم العجلي أنه أنشد هشاماً شعره الذي يقول فيه:

الحمد لله الوهوب المجزل

وهو من أجود شعره، حتى أنتهى إلى قوله:

والشمس في الجوِّ كعين الأحول

وكان هشام أحول، فأغضبه ذلك، فأمر به فطرد. فأمل أبو النجم رجعته، فكان يأوي إلى المسجد، فأرق هشام ذات ليلة فقال لحاجبه: أبغني رجلاً عربياً فصيحاً يحدثني وينشدني. فطلب له ما سأل، فوجد أبا النجم، فأتى به، فلما دخل عليه قال: أين تكون منذ أقصيناك؟ قال: حيث ألفاني رسولك. قال: فمن كان أبا النجم مثواك؟ قال: رجلين، أتعدّى عند أحدهما وأتعضّى عند الآخر. قال: فما لك من الولد؟ قال: ابنتان، قال أزوّجتهما؟ قال: زوّجتُ إحداها. قال: فبم أوصيتها ليلة أهديتها؟ قال: قلت لها:

(١) موقرة: عملة. (٢) تنضى: تغنى وتبلى.

سَبَّيَ الحِمَاةَ وَابْتَهَى عَلَيْهَا وَأَنْ أَبْتَ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا^(١)
ثُمَّ أَقْرَعِي بِالْعُودِ مِرْفَقَيْهَا وَجَدَدِي الْخُلْفَ بِهِ عَلَيْهَا
لَا تُخْبِرِي الدَّهْرَ بِذَاكَ ابْنَيْهَا

فقال: فهل أوصيتها بعد هذا؟ قال: نعم.

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا بَرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحِمَاةَ شَرًّا
لَا تَسَامِي خَنْقًا لَهَا وَجَرًّا وَالْحَيَّ عُمَيْهْمُ بَشَرًّا طَرًّا
وَإِنْ كَسَوُكِ ذَهَبًا وَدُرًّا حَتَّى يَرَوْا حُلُوَ الْحَيَاةِ مُرًّا

قال هشام: ما هكذا أوصى يعقوبُ ولده. قال أبو النجم: ولا أنا كييعقوب، ولا ولدي كولده. قال: فما حال الأخرى؟ قال هي ظلامة التي أقول فيها:

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أُخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانَ
الرَّأْسُ قَمْلٌ كُلُّهُ وَصِيبَانُ وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
فَهِيَ الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

قال هشام لحاجبه: ما فعلتَ بالدنانير التي أمرتك بقبضها؟ قال: هي عندي، وهي خمسمائة دينار. قال له: ادفعها لأبي النجم ليجعلها في رجلَي ظلامة مكان الخيطين.

مروان بن محمد وطريح وذو الرمة:

أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ يَهْتَنُونَهُ بِالْخِلَافَةِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ، خَالَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ بِكَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِمَامًا، وَجَعَلَكَ لِأَحْكَامِ دِينِهِ قَوَامًا، وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى جَنَّةً^(٢) وَنِظَامًا. ثُمَّ أَنْشَدَهُ شِعْرَهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

تُسَوُّ عِدَاكَ فِي سَدَادٍ وَنَعْمَةٍ خِلَافَتُنَا تَسْعِينَ عَامًا وَأَشْهُرًا

(١) ابتهى عليها: افترى عليها واكذبى فازدلفني: فتقرّبي.

(٢) الجنة: الدرع والستر.

فقال مروان: كم الأشهر؟ قال: وفاء المائة يا أمير المؤمنين، تبلغ فيها أعلى درجة وأسعد عاقبة في النصر والتمكين. فأمر له بمائة ألف درهم.

ثم تقدم إليه ذو الرمة متحانياً كبراً، قد انحلت عمامته منحدره عن وجهه، فوقف يسويها، فقيل له: تقدم. قال: إني أجلّ أمير المؤمنين أن أخطب بشرفه مادحاً بلوثة عمامتي. فقال مروان: ما أملت أنه أبقت لنا منك مَيّ ولا صَيْدَح^(١) في كلامك إمتاعاً. قال: بلى والله يا أمير المؤمنين؛ أردُ منه قراحاً، والأحسن امتداحاً، ثم تقدم فأنشد شعراً يقول فيه:

فقلتُ لها سيري، أَمَامَكَ سَيِّدٌ تَفَرَّعَ مِنْ مَرَّوَانٍ أَوْ مِنْ مُحَمَّدٍ

فقال له: ما فعلت مَيّ؟ فقال:

طَوَيْتُ غَدَائِرَهَا بِبُرْدٍ بَلَى وَمَا التُّرَابُ مَحَاسِنَ الْخَدِّ

فالتفت مروان إلى العباس بن الوليد، فقال: أما ترى القوافي تنثال انثيالاً؟ يُعْطَى بكل مَنْ سَمِيَ من آبائي ألف دينار. قال ذو الرمة: لو علمتُ لبلغتُ به عبدَ شمس.

المنصور وابن هرمة:

الربيع حاجب المنصور قال: قلت يوماً للمنصور: إن الشعراء ببابك وهم كثيرون، طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم. فقال: اخرج إليهم فاقراً عليهم السلام، وقل لهم من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد، فإنما هو كلب من الكلاب؛ ولا بالحيّة، فإنما هي دويّة مُتَنَتَة تأكل التراب؛ ولا بالجبل، فإنما هو حجر أصم؛ ولا بالبحر، فإنما هو غُطَامَط لَجِب^(٢)؛ ومن ليس في شعره هذا فليدخل؛ ومن كان في شعره فلينصرف. فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة، فإنه قال له: أنا له يا ربيع، فأدخلني. فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال المنصور: يا ربيع، قد علمتُ أنه لا

(١) مَيّ: صاحبه، وصيدح: ناقته.

(٢) غطامط لجب: عظيم الأمواج.

يُجيبك أحدٌ غيره؛ هات يا بن هرمة . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

له لحظاتٌ عن حفاقي سَريـره إذا كَرَّها فيها عذابٌ ونائلُ
 لهم طينةٌ بيضاء من آل هاشم إذا اسودَّ من كُوم التراب القبائلُ
 إذا ما أبى شيئاً مضى كالذي أبى وإن قال إني فاعلٌ فهو فاعِلُ

فقال: حسبك! ها هنا بلغت، هذا عين الشعر، قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم. فقمْتُ إليه وقبلتُ رأسه وأطرافه ثم خرجت، فلما كدت أن أخفى على عينيه سمعته يقول: يا إبراهيم! فأقبلتُ إليه فزعاً، فقلت: لبيك فداك أبي وأمي. قال: احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها! فقلت: بأبي وأمي أنت، أحفظها حتى أوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ^(١).

جعفر وابن الجهم:

علي بن الحسين قال؛ أنشد علي بن الجهم جعفرأ المتوكل شعره الذي أوله:

هي النفسُ ما حَمَلَتْها تتَحَمَّلُ

وكان في يد المتوكل جوهرتان، فأعطاه التي في يمينه؛ فأطرق متفكراً في شيء يقوله ليأخذ التي في يساره، فقال: مالك مفكراً؟ إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرى! خذها لا بُورك لك فيها! فأنشأ يقول:

بُسْرَ مَنْ رَأَى إِمَامَ عَدْلٍ تَعْرِفُ مِنْ بَحْرِهِ الْبَحَارُ
 يُرْجَى وَيُخْشَى لِكُلِّ أَمْرٍ كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
 يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ عَلَيْهِ كِلْتَاهُمَا تَغَارُ
 لَمْ تَأْتِ مِنْهُ الْيَمِينُ شَيْئاً إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ

وقال آخر في الهول:

(١) الجهبذ: الخبر بالأمور المميز بين جيدها وورديتها.

إذا سألت الندى عن كلِّ مكرمةٍ لم تُلفِ نِسْبَتَهَا إلَّا إلى الهول
لو زاحمَ الشمسَ ألقى الشمسَ مُظْلِمَةً لو زاحم الصَّمَّ أَلْجَاهَا إلى المِيلِ (١)
أَمْضَى مِنَ الدَّهْرِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ

ودخل شاعر من أهل الري. يقال له أبو يزيد، على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان، فأنشده:

أَشْرَبُ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا مِنْ شَادِمَهَرٍ وَدَعَّ غُمْدَانُ لِلْيَمَنِ (٢)
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ الْمَلِكِ تَلْبَسُهُ مِنْ هَوْدَءِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ ذِي يَزَنِ
فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ.

ودخلت ليلى الأَخِيلِيَّةُ عَلَى الْحَجَّاجِ فَأَنْشَدَتْهُ:

إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبَعُ أَقْصَى دَائِمًا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ سَقَاهَا (٣)

فقال لها: لا تقولي غلام، ولكن قولي: همام. ثم قال: أي النساء أحبُّ إليك أنزلِك عندها؟ قالت: ومن نساؤك أيها الأمير؟ قال: أم الجلّاس بنت سعيد بن العاص الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية. قالت: القيسية أحبُّ إليّ. فلما كان من الغد دخلت عليه. قال: يا غلام، أعطها خمسمائة. قالت: أيها الأمير، أحسبها أدمًا (٤). قال قائل: إنما أمر لك بشاء. قالت: الأمير أكرم من ذلك. فجعلها إبلاً على أستحياء، وإنما كان أمر لها بشاء أوّلاً.

(١) الصَّم: الجبال

(٢) مرتفقاً: ثابتاً دائماً، وشادمهر: موضع بنيسابور.

(٣) الداء العضال: المرض المستعصي والقناة: الرمح.

(٤) الأدم: البيض من الإبل، وهي أكرمها.

كِتَابُ الْجَمَانَةِ فِي الْوُفُودِ

فرش كتاب الوفود

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه:

قد مضى قولنا في الأجواد والأصفاد^(١) على مراتبهم ومنازلهم، وما جروا عليه، وما ندبوا إليه من الأخلاق الجميلة، والأفعال الجزيلة. ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الوفود الذين وفدوا على النبي ﷺ، وعلى الخلفاء والملوك؛ فإنها مقامات فضل، ومشاهد حفل؛ يُتَخَيَّرُ لها الكلام، وتُسْتَهْذَبُ الألفاظ، وتُسْتَجْزَلُ المعاني. ولا بد للوفاد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوته ينزعون^(٢)، وعن رأيه يُصدرون؛ فهو واحد يعدل قبيلة، ولسان يُعرب عن السنة، وما ظنك بوفاد قوم يتكلم بين يدي النبي ﷺ أو خليفته، أو بين يدي ملك جبار في رغبة أو رهبة، فهو يوطد لقومه مرةً ويتحقق من أمامه أخرى. أترأه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة، أو مُستبقياً غريبة من غرائب الفطنة؛ أم تظن القوم قدّموه لفضل هذه الخطة إلا وهو عندهم في غاية الخدقة^(٣) واللسن، ومجمع الشعر والخطابة. ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقري لما وفد على النبي ﷺ بسط له رداءه وقال: هذا سيد الوبر. ولما توفي قيس بن عاصم قال فيه الشاعر^(٤):

عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحمها

(١) الأصفاد: الكرام وأصحاب العطاء. (٢) ينزعون: يذهبون.

(٣) الخدقة: الظرف والخذق. (٤) هو عبدة بن الطبيب.

تَحِيَّةٌ مِنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَامًا^(١)
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكًَا وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُيَانٌ قَوْمٍ تَهْدَمًا

وفود العرب على كسرى

ابن الفطامي عن الكلبي قال: قَدَّم النعمانُ بن المُنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم. فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم، لا يستثنى فارس ولا غيرها، فقال كسرى وأخذته عزة الملك: يا نعمان، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم، ونظرتُ في حال من يقدِّم عليّ من وفود الأمم، فوجدت الروم لها حظًّا في آجتماع ألفتها، وعِظَم سلطانها، وكثرة مدائنها، ووثيق بُنيانها: وأنَّ لها دينًا يبيِّن حلالها وحرامها ويردّ سفيهاها ويقيم جاهلها. ورأيت الهند نخوًّا من ذلك في حكمتها وطبِّها، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعاتها، وطيب أشجارها، ودقيق حسابها، وكثرة عددها. وكذلك الصين في آجتماعها. وكثرة صناعات أيديها في آلة الحرب وصناعة الحديد، وفروسيّتها وهمتها، وأنَّ لها مُلكًا يجمعها. والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش، وقلة الريف والشار والحصون، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس، لهم ملوك تضمّ قواصيمهم وتُدبّر أمرهم. ولم أر للعرب شيئًا من خِصال الخير في أمر دينٍ ولا دُنيا، ولا حزم ولا قوّة، مع أن مما يدل على مهانتها ودُلَّها وصِغَرِ همتها، محلّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة، والطير الحائرة، يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها، ومشاربها وهوها ولذاتها، فأفضلُ طعام ظفِرَ به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها، وإن قرى أحدهم ضيفًا عدّها مكرّمة، وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة؛ تنطق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم، ما خلا هذه التّلوخيّة التي

(١) شحط: بعد.

أسس جدِّي اجتماعها، وشدّ مملكتها، ومنعها من عدوها؛ فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا، وإنّ لها مع ذلك آثاراً ولَبُوساً، وقُرى وحُصونا، وأموراً تُشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلّة والقلّة والفاقة والبؤس، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس.

قال النعمان: أصلى الله الملك، حقّ لأمةٍ الملك منها أن يسمو فضلها، ويعظم خطبها، وتعلو درجتها. إلا أنّ عندي جواباً في كل ما نطق به الملك، في غير ردّ عليه، ولا تكذيب له، فإنّ أمتني من غضبه نطقْتُ به.

قال كسرى: قل فأنت آمن.

قال النعمان: أمّا أمتك أيها الملك فليست تُنارَع في الفضل، لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها، وبسطة محلّها، وبُحْبُوحَةِ عِزّها، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. وأمّا الأمم التي ذكرت، فأَيّ أمة تُقرِّنها بالعرب إلا فَضَّلَتْها.

قال كسرى: بماذا؟

قال النعمان: بعِزّها ومنعِتها وحسن وجوها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفعتها ووفائها:

فأما عِزّها ومنعُتها؛ فإنها لم تنزل مجاورة لآبائك الذين دَوّخوا البلاد، ووطّدوا الملك، وقادوا الجند، لم يطمع فيهم طامع، ولم ينلهم نائل، حصونهم ظهورُ خيلهم، ومهادهم الأرض، وسُقُوفهم السماء، وجَنَّتْهم^(١) السيوف، وعدَّتْهم الصبر. إذْ غيَرُها من الأمم إنّما عِزّها الحجارة والطين وجزائر البحور.

وأما حُسْنُ وجوها وألوانها فقد يُعرَف فضلُهم في ذلك على غيرهم من الهند، والصين المنحفة، والترك المشوّهة، والروم المقشّرة.

(١) جنتهم: دروعهم.

وأما أنسابها وأحسابها، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها، حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنياً فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أباً فأباً، حاطوا بذلك أحسابهم، وحفظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه: ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدعى إلى غير أبيه.

وأما سخاؤها، فإن أدنانهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغُه^(١) في حموله وشيعه وريّه، فيطرقة الطارق^(٢) الذي يكتفي بالفِلْذَة^(٣) ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حُسنُ الأحدثة وطيب الذكر.

وأما حكمة ألسنتهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم وروث كلامهم وحُسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفتهم بالأشياء، وضربهم للأمثال، وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعف النساء، ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة، وحجارة جبالهم الجزع^(٤)، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سَفَر، ولا يُقطع بمثلها بلد قفر.

وأما دينها وشريعتها، فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً، وبندا محرماً، وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم، ويدبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه، فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى.

وأما وفاؤها، فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويوميء بالإيماء فهي ولث^(٥) وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم ليرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا

(١) الناب: الناقة المستة وبلاغه: معوله وكفايته.

(٢) الطارق: الزائر ليلاً. (٣) الفِلْذَة: القطعة.

(٤) الجزع: خرز يمانى فيه سواد وبياض. (٥) الولث: العهد.

يَعْلَقُ رَهْنُهُ وَلَا تُخْفَرُ ذِمَّتُهُ، وَإِنْ أَحَدُهُمْ لِيَبْلُغَهُ أَنْ رَجُلًا اسْتَجَارَ بِهِ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ نَائِيًا عَنْ دَارِهِ، فَيَصَابُ، فَلَا يَرْضَى حَتَّى يُفْنِيَ تِلْكَ الْقَبِيلَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُ أَوْ تَفْنِيَ قَبِيلَتَهُ لَهَا خُفْرٌ مِنْ جَوَارِهِ؛ وَإِنَّهُ لِيلْجَأُ إِلَيْهِمُ الْمَجْرُمُ الْمُحْدَثُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا قَرَابَةٍ، فَتَكُونُ أَنْفُسُهُمْ دُونَ نَفْسِهِ، وَأَمْوَالُهُمْ دُونَ مَالِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ: يَثْدُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ بِالْإِنَاثِ أَنْفَةً مِنَ الْعَارِ وَغَيْرَةٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ.

أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ أَفْضَلَ طَعَامِهِمْ لَحْمُ الْإِبِلِ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنْهَا، فَمَا تَرَكُوا مَا دُونَهَا إِلَّا احْتِقَارًا لَهُ، فَعَمِدُوا إِلَى أَجْلَئِهَا وَأَفْضَلِهَا، فَكَانَتْ مَرَكَبَتُهُمْ وَطَعَامُهُمْ مَعَ أَنَّهَا أَكْثَرُ الْبِهَائِمِ شَحُومًا، وَأَطْيَبُهَا لَحُومًا، وَأَرْقَاهَا أَلْبَانًا، وَأَقْلَهَا غَائِلَةً، وَأَحْلَاهَا مَضْغَةً، وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ اللَّحْمَانِ يَعَالِجُ مَا يَعَالِجُ بِهِ لَحْمُهَا إِلَّا آسْتَبَانُ فَضْلُهَا عَلَيْهِ.

وَأَمَّا تَحَارِبُهُمْ وَأَكْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَتَرْكُهُمُ الْإِنْقِيَادَ لِرَجُلٍ يَسُوسُهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ؛ فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنَ الْأُمَمِ إِذَا أُنِسَتْ مِنْ نَفْسِهَا ضَعْفًا وَتَخَوَّفَتْ نُهُوضَ عَدُوِّهَا إِلَيْهَا بِالزَّحْفِ، وَإِنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيمَةِ أَهْلُ بَيْتٍ وَاحِدٍ يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ، فَيَلْقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ، وَيَنْقَادُونَ لَهُمْ بِأَرْزَمَتِهِمْ؛ وَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِيهِمْ، حَتَّى لَقَدْ حَاولُوا أَنْ يَكُونُوا مُلُوكًا أَجْمَعِينَ، مَعَ أَنْفَتِهِمْ مِنْ أَدَاءِ الْخَرَاجِ وَالْوُطْفِ^(١) بِالْعُسْفِ.

وَأَمَّا الْيَمَنُ الَّتِي وَصَفَهَا الْمَلِكُ فَإِنَّمَا أَتَى جَدَّ الْمَلِكِ وَلِيِّهَا الَّذِي أَتَاهُ عِنْدَ غَلْبَةِ الْحَبَشِ لَهُ عَلَى مَلِكٍ مَتَسَّقٍ؛ وَأَمِيرٍ مُجْتَمِعٍ؛ فَأَتَاهُ مَسْلُوبًا طَرِيدًا مُسْتَصْرِخًا، وَقَدْ تَقَاصَرَ عَنْ إِيوَانِهِ، وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ مَا شَدَّ مِنْ بَنَائِهِ. وَلَوْلَا مَا وَتَرَ^(٢) بِهِ مِنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ لِمَالٍ إِلَى مَجَالٍ، وَلَوْ جَدَّ مِنْ يُجِيدُ الطَّعَانَ وَيَغْضِبُ لِلْأَحْرَارِ مِنْ غَلْبَةِ الْعَبِيدِ الْأَشْرَارِ.

قَالَ: فَعَجِبَ كَسْرَى لِمَا أَجَابَهُ النِّعْمَانُ بِهِ؛ وَقَالَ: إِنَّكَ لِأَهْلٍ لِمَوْضِعِكَ مِنَ الرِّيَاسَةِ

(١) الوطف: طردك الطريدة ثم تكون في إثرها. (٢) وتر به: تعلق به.

في أهل إقليمك ولما هو أفضل . ثم كساه من كسوته ، وسرّحه إلى موضعه من الحيرة .

فلَمَّا قدم النعمانُ الحيرةَ وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم ، بعث إلى أكتُم بن صَيْفِيّ وحاجبِ بن زُرارة التميميين ، وإلى الحارث ابن عباد وقيس بن مسعود البكرتين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعَلقمة بن معد يكرّب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المرّي ؛ فلما قدموا عليه في الخَوَزَنَق ، قال لهم : قد عَرَفْتُم هذه الأعاجِمَ وقُرْبَ جوارِ العرب منها ، وقد سمعتُ من كسرى مقالاتٍ تَخَوَّفْتُ أن يكونَ لها غور ، وأن يكونَ إنما أظهرها لأمرٍ أراد أن يتخذ به العرب خَوَلاً^(١) كبعض طَهَاطمته^(٢) في تأديتهم الخراج إليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله .

فاقتصَّ عليهم مقالاتِ كسرى وما ردّ عليه ؛ فقالوا : أيها الملك ، وقّقك الله ، ما أحسنَ ما رَدَدْتُ ، وأبلغَ ما حَجَجْتَهُ به ؛ فَمَرْنَا بأمرِك ، وادْعُنَا إلى ما شئت .

قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعَزَزْتُ بمكانكم وما يَتَخَوَّف من ناحيتكم . وليس شيء أحبَّ إليّ مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّمكم ؛ والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتَنطَلِقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدّثته نفسه ؛ ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثيرُ الأعوان مُتَرَفٌ مُعْجَبٌ بنفسه ، ولا تنخلزوا^(٣) له اغزال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثاقَةُ حُلومكم ، وفضلُ منزلتكم ، وعظمة أخطاركم ؛ وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكتُم بن صيفي ، لِسَنِيّ حاله ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ؛ فإنما دعاني إلى التّقدّمة بينكم علمي بميل كل رجل منكم على التّقدم قبل صاحبه ؛ فلا يكوننّ ذلك منكم فيجدَ في آدابكم مَطْعَنًا ؛ فإنه ملك مُتَرَفٌ ، وقادرٌ مسلّط .

(١) الخول : العبيد .

(٢) الطهامة : من في لسانهم عجمة ، يريد رعيته من الأعاجم .

(٣) تنخلزوا : تنذّلوا وتستضعفوا نفوسكم .

ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائق حُلِّ الملوك، كل رجل منهم حُلَّة، وعمَّته،
عمامة، وختمه بياقوتة؛ وأمر لكل رجل منهم بنجبية مَهْرِيَّة وفرس نجبية، وكتب
معهم كتاباً:

أما بعد، فإن الملك ألقى إليّ من أمر العرب ما قد علِم، وأجبته بما قد فهِم بما
أحببتُ أن يكون منه على علِم، ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت
دونه بمملكته، وحمّت ما يليها بفضل قوّتها، تبلّغها في شيء من الأمور التي يتعرّز
بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة. وقد أوفدتُ أيها الملك رهطاً من العرب؛ لهم
فضلٌ في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم؛ فليسمع الملك، وليغمض عن جفاء
إن ظهر من منطقهم، وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم، وقد نسبتهُم في أسفل
كتابي هذا إلى عشائريهم.

فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب
النعمان، فقرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم. فلما أن كان بعد
ذلك بأيام، أمر مرزبته^(٢) ووجوه أهل مملكته، فحضرُوا وجلسوا على كراسيٍّ عن
يمينه وشماله؛ ثم دعا بهم على الولاء والراتب التي وضعهم النعمانُ بها في كتابه؛ وأقام
الترجمان ليؤدّي إليه كلامهم، ثم أذن لهم في الكلام.

فقام أكتُم بن صيفي فقال: إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها،
وأفضل الملوك أعمُّها نفعا، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها.
الصدق منجاة، والكذب مهوأة، والشرُّ لُجاجة^(١)، والحزم مركَّب صعب، والعجز
مركَّب وطيء. آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر. حُسن
الظن ورطة، وسوء الظن عصمة. إصلاح فساد الرعية خيرٌ من إصلاح فساد الراعي.
من فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء. شر البلاد بلاد لا أمير بها. شر الملوك من

(١) المرازبة: الرؤساء.

(٢) اللجاجة: تماحك الخصمين وتماديها، أي إن أصل الشر اللجاجة.

خافه البريء . المرء يعجز لا المحالة . أفضل الأولاد البررة . وخير الأعوان من لم يُراء^(١) بالنصيحة . أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته . يكفيك من الزاد ما بلغك المحل . حسبك من شر سماعه . الصمت حكمٌ وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز . من شدد نفر، ومن تراخى تألف .

فتعجب كسرى من أكم، ثم قال: ويحك يا أكم! ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعتُ كلامك في غير موضعه .

قال أكم: الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد .

قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .

قال أكم: ربّ قولٍ أنفذ من صول .

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي، فقال ورى زندك، وعلت يدك، وهيب سلطانك . إن العرب أمة قد غلظت أكبادها، وأستحصدت ميرتها^(٢)، ومنعت درتها^(٣)؛ وهي لك وامقة^(٤) ما تألفتها، مُسترسلة ما لايتها، سامعة ما سامحتها، وهي العنقم مرارة، والصاب غضاضة، والعسل حلاوة، والماء الزلال سلاسة . نحن وفودها إليك، وألسنتها لديك؛ ذمتنا محفوظة، وأحسابنا ممنوعة، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة؛ إن نوب لك حامدين خيراً فلك بذلك عموم محمدتنا، وإن نذم لم نخص بالذم دونها .

قال كسرى: يا حاجب، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها .

قال حاجب: بل زئير الأسد بصولتها .

قال كسرى: وذلك .

(١) المراءاة: الملق والرياء .

(٢) المرة: طاقة الحبل، واستحصدت: استحكمت وهذا كناية عن قوتهم .

(٣) درتها: لبنها . (٤) وامقة: محبة .

ثم قام الحارث بن عُبَادَ الْبَكْرِي فقال: دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظّها، وعلوّ ثنائها. من طال رِشاؤه كَثُرَ مَتَّحُهُ^(١)، ومن ذهب ماله قلَّ مَنَحُهُ. تناقُلُ الأَقاويلِ يَعْرِفُ اللَّبَّ؛ وهذا مقامُ سَيُوجِف^(٢) بما يُنطقُ فيه الرَّكَبُ، وتَعْرِفُ به كُنَّةَ حالنا العَجْمُ والعربُ؛ ونحن جيرانك الأَدَنُونُ، وأَعوانك المُعِينون، خيولنا جَمَّةٌ، وجُيُوشنا فَحْمَةٌ، إن استنجدتْنا فغَيْرُ رُبُضٍ^(٣)، وإن استطرقتنا فغَيْرُ جُهْضٍ^(٤)، وإن طَلَبْتنا فغَيْرُ غُمُضٍ، لا نَنْتَنِي لِدُعْرٍ، ولا نَتَنَكَّرُ لِدَهرٍ، رِماحنا طِوال، وأَعمارنا قِصار.

قال كسرى: أنفَسَ عَزِيْزَةٌ، وأمة واللهِ ضَعِيفَةٌ.

قال الحارث: أيها الملك، وأنى يكون لضعيفٍ عِزَّةٌ، أو لصغيرٍ مِرَّةٌ؟

قال كسرى: لو قَصَرُ عُمُرُكَ لم تستولِ على لسانِكَ نَفْسُكَ.

قال الحارث: أيها الملك، إن الفارس إذا حَمَلَ نَفْسَهُ على الكَتِيبةِ مَغْرَرًا بِنَفْسِهِ على الموتِ، فهي مَنِيَّةٌ اسْتَقْبَلُها، وحياةٌ اسْتَدْبَرُها؛ والعرب تعلم أني أبعثُ الحربَ قُدُما، وأحبسُها وهي تصرّفُ بهم، حتى إذا جاشت نارها، وسعرتْ لظاها، وكشفت عن ساقها، جعلتْ مَقادَها رُحىً، وبرّقها سيفي، ورَعَدَها زُئيرِي، ولم أَقْصِرْ عن خوضِ خُضّاخِضِها^(٥)، حتى أنغمس في غَمراتِ لَججِها، وأكونَ فُلُكا لِفُرساني إلى بُحْبُوحَةِ كَبَشِها، فأستمطرها دما، وأترك حَماتِها جَزَرَ السِباعِ وكلَّ نَسْرٍ قَشْعَمٍ^(٦).

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب: أكذلك هو؟

(١) الرشاء: الحبل، والمتح: إخراج الماء من البئر.

(٢) الايجاف: سرعة السير.

(٣) ربض: جمع ربوض، من ربضت الشاة إذا أقامت مكانها ولزمته.

(٤) وإن استطرقتنا فغير جُهْضٍ: أي إذا استغنت بنا لم تحب استعانتك، والأصل في الاستطراق: طلبك الفحل يضرب في إبلك وجُهْضٍ: جمع جهيض، وهو سقط الناقة، أي أن مغلنا إذا ضرب النياق لم تأت بجهيض بل تنتج.

(٥) الخضاخض: المكان الكثير الماء. (٦) القشعم: المسن.

قالوا: فعاله أنطق من لسانه .

قال كسرى: ما رأيتُ كالِيوم وفداً أَحْشَدَ، ولا شهوداً أَوْفَدَ .

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال: أيها الملك نِعَمْ بِأَلْكَ، ودام في السرور حالك؛ إِنَّ عاقبة الكلام متدبّرة، وأشكال الأمور مُعتبّرة، وفي كثير ثِقَلَة، وفي قليل بُلْغَة، وفي الملوك سورة العِزِّ^(١)، وهذا منطق له ما بعده، شَرَفَ فيه مَنْ شَرَفَ، وَخَمَلَ فيه مَنْ خَمَلَ، لم نأتْ لَضِيْمِكَ، ولم نَفِدْ لِسُخْطِكَ، ولم نتعرّض لرفدِكَ . إِنَّ في أموالنا مُرتقداً، وعلى عزنا مُعتمداً؛ إِنَّ أوريثنا ناراً أثقبتنا، وإِنَّ أود^(٢) دهرنا بنا اعتدلنا، إلا أَنَا مع هذا لِجِوارِكَ حافظون، ولمن رامك مكافحون، حتى يُحمد الصّدْر، ويُستطاب الخبر .

قال كسرى: ما يقوم قصدُ مَنْطقك بإفراطك، ولا مدْحُكَ بذمِّكَ .

قال عمرو: كفى بقليلِ قَصْدِي هادياً، وبأيسرِ إفراطي مُخبِراً، ولم يَلَمْ من عَزَفَتْ^(٣) نفسه عما يعلم، ورضي من القصد بما بلغ .

قال كسرى: ما كل ما يَعرف المرءُ ينطق به . اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكِلَابيّ فقال: أحضرَ اللهُ الملكَ إسعاداً، وأرشده إرشاداً؛ إِنَّ لكل منطقَ فُرْصة، ولكل حاجة غُصّة . وعيَّ المنطق أشدَّ من عيِّ السكوت، وعِثار القول أنكى من عِثار الوَعْثِ^(٤)، وما فُرْصة المنطق عندنا إلا بما نهوى، وغُصّة المنطق بما لا نهوى غير مُستساغية، وتركى ما أعلم من نفسي ويعلم مَنْ سَمِعَني أَنّي له مُطيق أَحَبُّ إِلَيَّ من تَكَلُّفي ما أَتخَوّف ويتخَوّف مِنّي . وقد أوفدنا إليك مَلِكنا النعمان، وهو لك من خير الأعوان، ونِعَمَ حاملُ المعروف والإحسان . أنفُسنا بالطاعة لك باخعة^(٥)، ورقابنا بالنصيحة خاضعة، وأيدينا لك بالوفاء رهينة .

(١) سورة العز: سطوته . (٢) الأود: الإعوجاج .

(٣) عزفت: مالت . (٤) الوعث: المكان السهل الذي تغيب فيه الأقدام .

(٥) باخعة: خاضعة ومقرّة .

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وسموتَ بفضل ، وعلوت بنبل .

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال : أنهت لك سبلُ الرشاد ، وخضعت لك رقابُ العباد : إن للأقاويل مناهج ، وللآراء موالج ، وللعويص مخارج ؛ وخير القول أصدقُه ، وأفضلُ الطلب أنجحُه . إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا ، والوفادة قربنا ، فليس من حصرَك منا بأفضلَ ممن عَزَب^(١) عنك ، بل لو قِسْتَ كلَّ رجلٍ منهم وعلمت منهم ما علمنا ، لوجدتَ له في آبائه ذُنْياً أندادا وأكفاء ، كلهم إلى الفضلِ منسوب ، وبالشرف والسودد موصوف ، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف ، يحمي حياه ، ويروى نداماه ، ويذود أعداه ؛ لا تَحْمَد ناره ، ولا يحترز منه جاره . أيها الملك ، من يبُلُّ العرب يعرف فضلهم ؛ فاصطنع العرب ، فإنها الجبال الرواسي عزاً ، والبحور الزواجر طُمِياً^(٢) ، والنجوم الزواهر شرفاً ، والخصى عدداً ؛ فإن تعرف لهم فضلهم يُعزِّوْكَ ، وإن تستصرخهم لا يخذلوك .

قال كسرى - وخشي أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه : حسبك ، أبلغت وأحسنْتَ .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المرشد ، وجنبك المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب^(٣) ؛ ما أحقنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يُحَقِّقُ صدرك ، ولا يَزِرُ لنا حقدا في قلبك ؛ لم نقدِّم أيها الملك لمساماة ، ولم ننتسب لمعاداة ، ولكن لتعلم أنت ورعتك ومن حصرَك من وفود الأمم أننا في المنطق غير مُحجمين ، وفي اليأس غيرُ مقصرين ؛ إن جورينا فغير مسبوقين ، وإن سؤمينا فغير مغلوبين .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين . وهو يُعرِّض به في تركه الوفاء بضمانه السَّواد^(٤) .

(١) عزب : غاب .

(٣) الشصائب : الشدائد .

(٢) الطمي : الامتلاء وارتفاع الموج .

(٤) يريد سواد العراق .

قال قيس: أيا الملك، ما كنتُ في ذلك إلا كوافٍ غدير به، أو كخافر^(١) أخفر بدمته.

قال كسرى: ما يكون لضعيفٍ ضمان، ولا لذليلٍ خِفارة.

قال قيس: أيها الملك، ما أنا فيما خُفر من دمتي، أحقُّ بالزامي العار منك فيما قُتل من رعبتك، وأنتُ هك من حرمتك.

قال كسرى: ذلك، لأن من اتَّمن الخانة، وآستنجد الأئمة، ناله من الخطأ ما نالني، وليس كلُّ الناس سواء؛ كيف رأيت حاجب بن زُرارة لِمَ يُحكم قُواه فيبرم، ويعهد فيوفى، ويعِد فيُنجز؟

قال: وما أحقَّه بذلك وما رأيتَه إلا لي.

قال كسرى: القوم يُزل فأفضلها أشدُّها.

ثم قام عامر بن الطَّفيل العامريّ فقال: كثرُ فنون المنطق، وليس القول أعمى من حِنْدَس^(٢) الظلَّماء، وإنما الفخر في الفَعَال، والعِزُّ في النَجدة؛ والسُّودُّ مطاوعةُ القدرة. وما أعلمك بقدرنا، وأبصرَكَ بفضلنا؛ وبالحري^(٣) إن أدالت الأيام، وثابت الأحلام، أن تُحدِّث لنا أموراً لها أعلام.

قال كسرى: وما تلك الأعلام؟

قال: مجتمَع الأحياء من ربيعة ومضر، على أمرٍ يُذكر.

قال كسرى: وما الأمر الذي يُذكر؟

قال: مالي علم بأكثر مما خبَّرني به مُخبر.

(١) الخافر: المجير.

(٢) الحندس: الظلمة.

(٣) الحري: الخلق الجدير.

قال كسرى: متى تكاهنتَ يا بن الطَّفيل؟

قال: لستُ بكاهن، ولكني بالرمح طاعن.

قال كسرى: فإن أتاك آتٍ من جهة عينك العوراء ما أنت صانع؟

قال: ما هييتي في قَفاي بدون هييتي في وجهي، وما أذهبَ عيني عَيْثُ^(١) ولكن مطاوعة العيث.

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال: إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب، ومِلاك النَّجعة الارتداد، وغفوَ الرأي خيرٌ من استكراه الفكرة، وتوقف الخبرة خيرٌ من اعتساف الحيرة، فاجتَبِذْ^(٢) طاعتنا بلفظك، واكْتَظِمْ^(٣) بادِرَتنا بحلمك، وألِنْ لنا كنفك^(٤) يسْلُسْ لك قيادتنا، فإننا أناس لم يُوقَسْ^(٥) صفاتنا قِراعُ مناقيرٍ من أراد لنا قضا، ولكن منعنا حيانا من كل من رام لنا هضما.

ثم قام الحارث بن ظالم المرِّي فقال: إنَّ من آفة المنطق الكذب، ومن لؤم الأخلاق المَلَقُ^(٦)، ومن خطلِ الرأي خفة الملك المُسلَّط، فإن أعلمناك أن مواجعتنا لك عن ائتلاف، وانقيادنا لك عن تصاف، ما أنت لقبول ذلك منا بخلق، ولا للاعتداد عليه بحقيق، ولكن الوفاء بالعهود، وإحكام ولثِ العقود، والأمر بيننا وبينك مُعتدل، ما لم يأت من قبلك ميلٌ أو زلل.

قال كسرى: من أنت؟

قال: الحارث بن ظالم.

قال: إن في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك، وأن تكون أولى بالغدر، وأقرب

من الوزر.

(١) العيث: الفساد. (٢) اجتَبِذْ: اجتذب واستمل.

(٣) اكتظم: احتمل واصطبر. (٤) كنفك: جانبك.

(٥) لم يوقس: لم يخدش. (٦) الملق: الرياء.

قال الحارث: إِنَّ فِي الْحَقِّ مَغْضِبَةً، وَالسَّرُّوُ التَّغَافُلُ^(١)، وَلَنْ يَسْتَوْجِبَ أَحَدٌ الْحَلَمَ إِلَّا مَعَ الْقُدْرَةِ، فَلْتُشَبِّهْ أَفْعَالُكَ مَجْلِسَكَ.

قال كسرى: هذا فتى القوم.

ثم قال كسرى: قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم، وتفنن فيه متكلموكم ولولا أنني أعلم أن الأدب لم يُثَقَّفْ أودكم، ولم يُحَكَمْ أمركم، وأنه ليس لكم ملكٌ يجمعكم فتنتقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم، وغلب على طباعكم، لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به. وإني لأكره أن أجبه^(٢) وفودي أو أحنق صدورهم، والذي أحبُّ هو إصلاح مُدبركم، وتألف شواذكم، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم؛ وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب. وصفحتم عما كان فيه من خلل؛ فانصرفوا إلى مَلِكِكُمْ فأحسنوا مُؤازرتَه والتزموا طاعته، وارَدَعُوا سُفهاءكم وأقيموا أودهم، وأحسنوا أديهم، فإن في ذلك صلاح العامة.

وفود حاجب بن زُرارة على كسرى

العتبي عن أبيه: أن حاجب بن زُرارة وفد على كسرى لما منع تمياً من ريف العراق، فاستأذن عليه، فأوصل إليه فقال: أسيّد العرب أنت؟ قال: لا. قال: فسيّد مُضَر؟ قال: لا. قال: فسيّد بني أبيك أنت؟ قال: لا. ثم أذن له فدخل عليه. قال: من أنت؟ قال: سيد العرب! قال: أليس قد أوصلت إليك: أسيّد العرب أنت؟ فقلت: لا، حتى اقتصرت بك على بني أبيك، فقلت: لا؟ قال له: أيها الملك، لم أكن كذلك حتى دخلتُ عليك، فلما دخلتُ عليك صرتُ سيّد العرب. قال كسرى: زه^(٣)! املئوا فاه دُرّاً. ثم قال: إنكم معشر العرب عُذُر، فإن أذنتُ لكم أفسدتم البلاد، وأغرمت على العباد، وأذيتُموني. قال حاجب: فإني ضامن للملك ألا يفعلوا.

(١) السَّرُّو: المروءة والشرف. (٢) أجبه: أواجه.

(٣) زه: أحسنت، دليل على الإعجاب.

قال: فمن لي بأن تفني أنت؟ قال: أرهنتك قوسي. فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا: لهذه العصا يفني! قال كسرى: ما كان ليُسَلِّمها لشيء أبداً. فقبضها منه، وأذن لهم أن يدخلوا الريف.

ومات حاجب بن زرارة. فارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه؛ فقال له: ما أنت الذي رهنتها! قال: أجل. قال: فما فعل؟ قال: هلك، وهو أبي، وقد وقى له قومه ووفى هو للملك. فردّها عليه وكساه حلة.

فلما وفد إلى النبي ﷺ عطارد بن حاجب، وهو رئيس تميم، وأسلم على يديه، أهداها للنبي ﷺ، فلم يقبلها؛ فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم.

ثم إن مضر أتت النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، هلك قومك وأكلتهم الضبع. يريدون الجوع - والعرب يسمّون السنة الضبع والذئب. قال جرير:

من ساقه السنة الحصاء والذئب^(١)

فدعا لهم النبي ﷺ فأحيوا، وقد كان دعا عليهم فقال: اللهم أشدّ وطأتك على مضر، وابعث عليهم سنين كسني يوسف.

وفود أبي سفيان إلى كسرى

الأصمعي قال: حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المري، قال: قال أبو سفيان: أهديت لكسرى خيلاً وأدماً، فقبل الخيل وردّ الأدم، وأدخلت عليه فكأن وجهه وجهان من عظمه، فألقى إليّ مخدّة كانت عنده، فقلت: واجوعاه! أهذه حظّي من كسري بن هرمز؟ قال: فخرجت من عنده، فما أمرت على أحد من حشمه إلا أعظمّها، حتى دُفعت إلى خازن له: فأخذها وأعطاني ثمانمائة إناء من فضة وذهب.

قال الأصمعي؛ فحدثت بهذا الحديث التّوشجان الفارسي، فقال: كانت وظيفة المخدّة ألفاً، إلا أن الخازن اقتطع منها مائتين.

(١) صدره: بأوي إليكم بلامن ولا جحد.

وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر

قال: وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر، قال: فلقيت رجلاً ببعض الطريق، فقال لي: أين تريد؟ قلت: هذا الملك. قال: فإنك إذا جئته متروكاً شهراً، ثم تترك شهراً آخر، ثم عسى أن يأذن لك؛ فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مُصيبٌ منه خيراً، وإن رأيت أبا أُمَامَةَ النابغةَ فاطعن^(١)؛ فإنه لا شيء لك! قال: فقدمتُ عليه، ففعل بي ما قال، ثم خلوتُ به وأصبْتُ مالاَ كثيراً ونادمتُه فبينما أنا معه إذا رجل يرتجز حول القبة ويقول:

أَنَامَ أُمٌّ يَسْمَعُ رَبُّ الْقَبَّةِ يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لِعُنْسٍ صُلْبُهُ^(٢)
ضَرَابَةٌ بِالْمِشْفَرِ الْأَذْبَهُ ذَاتَ هِيَاتٍ فِي يَدَيْهَا جَذْبُهُ^(٣)

فقال النعمان: أبو أُمَامَةَ، آتَدْنُوا لَهُ فدخل فحيّاه وشربَ معه، ووردت النعم السود. ولم يكن لأحد من العرب بغير أسود غيره ولا يُفتحل أحدٌ فحلاً أسود. فاستأذنه النابغة في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

فأمر له بمائة ناقة من الإبل السود برُعاتها؛ فما حسدتُ أحداً قط حسدي له في شعره وجزِيلِ عطائه.

وفود قريش على سيف بن ذي يزن

بعد قتله بالحبيشة

نعيم بن حمّاد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، قال: قال ابنُ عباس: لما ظَفِرَ سيفُ بنِ ذي يزن بالحبيشة، وذلك بعد مولد النبي ﷺ، أتته وفود العرب وأشرفوها وشعراؤها تُهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه،

(١) الظعن: الرحيل. (٢) العنس: النوق القوية.

(٣) المشفر: من البعير بمنزلة الشفة للإنسان، والأذبة: الذبان والهيأت: الصياح، وهيت: صاح.

فأتاه وفدُ قريش، فيهم: عبدُ المطلب بن هاشم، وأمّيةُ بن عبد شمس، وأسد بن عبد العزّى، وعبد الله بن جدعان، فقدموا عليه وهو في قصر له يقال له غُمدان، وله يقول أبو الصلت، والد أمية ابن أبي الصلت:

لم يُدرك الثَّارَ أمثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ لَجَجَ في البحرِ للأعداءِ أَحْوالاً^(١)
 أتى هِرْقُلَ وقد شالتْ نعامتهُ فلم يَجِدْ عندهُ القولَ الذي قالاً^(٢)
 ثم انشئْ نحوَ كِسرى بعد تاسِعةٍ من السَّنينَ لقد أبعدتْ إغْلالاً^(٣)
 حتى أتى بَنِي الأحرارِ يقدِّمُهُمُ إنكَ عَمَرِي لقد أَسْرَعْتَ إِرْقَالاً^(٤)
 مَنْ مِثْلُ كِسرى وهَرَمَ الجُنودَ لَهُ ومِثْلُ وهَرَزَ يومَ الجيشِ إذ جالاً
 للهِ درهُمُ مِنْ عَصْبَةٍ خَرَجُوا ما إن رأينا لَهُمُ في الناسِ أمْثالاً^(٥)
 صَيْداً جَاحِجَةً، بِيضاً خِصارَمةَ أَسْداً تَرَبَّبُ في الغاباتِ أشْبالاً^(٦)
 أَرسلتْ أَسْداً على سُوْدِ الكِلابِ فَقَدْ غادرتْ أَوْجُهُهُمُ في الأرضِ أَفْلالاً^(٧)
 اشربْ هنيئاً عَلَيْكَ التاجَ مُرتَفِقاَ في رأسِ غُمدانَ داراً مِنْكَ مِخلالاً^(٨)
 ثم أَطلْ بالمسكِ إذ شالتْ نعامتُهُمُ وأسْبِلْ اليَوْمَ في بُردِيكَ إسْبالاً^(٩)
 تلكَ المكارِمُ لا قعبانٍ مِنْ لَبَنِ شِيباً بِماءِ فَعادَا بعدُ أَبْوالاً^(١٠)

فطلبوا الإذن عليه، فأذن لهم، فدخلوا، فوجدوه متضمخاً بالعنبر، يلمع ويبص المسك في مفرق رأسه، وعليه بُردان أخضران قد اثترز بأحدهما وارتدى بالآخر، وسيفه بين يديه، والملوك عن يمينه وشماله، وأبناء الملوك والمقاول.

فدنا عبدُ المطلب فاستأذنه في الكلام، فقال له: قل. فقال: إنّ الله تعالى أيها

(١) لَجَجَ: خاض اللَّجَّةَ.

(٢) شالت نعامته: غضب وأخذته الغرة.

(٣) بنو الأحرار: الفرس، والإرقال: الإسراع.

(٤) الصّيد: الملوك، والجاحجة: السادة والخضارمة: الأكارم: وتربّب: أي تربّى من التربية.

(٥) أفلالاً: منهزمين.

(٦) شالت نعامتهم: تفرّقوا أو هلكوا.

(٧) القعبان: الأقداح يخلب فيها وشيبا: مزجا.

الملك أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً، باذخاً^(١) شامخاً؛ وأنبئتك منبتاً طابت أرومته، وعزّت جرثومته^(٢)، ونبل أصله، وبسّق فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن؛ فأنت أبيّت اللعن رأس العرب، وربيعها الذي به تُخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه. نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة^(٣) بيته، أشخصنا إليك الذي أنهجك لكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وقد التهنئة لا وفود المرزئة.

قال: من أنت أيها المتكلم.

قال: أنا عبد المطلب بن هاشم.

قال: ابن أختنا؟ قال: نعم. فأدناه وقرّبه؛ ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال: مرحباً وأهلاً، وناقّة ورخلاً، ومُستناخاً سهلاً، وملكاً ربحلاً^(٤)، يُعطي عطاءً جزلاً. فذهبت مثلاً.

وكان أول ما تكلم به قد سمع الملك مقاتلكم، وعرف قرابتكم، وقيل وسيلتكم فأهل الشرف والنباهة أنتم، ولكم القربى ما أقمت، والحباء إذا ظعنتم.

قال: ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود، وأجريت عليهم الأنزال. فأقاموا ببابه شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم في الانصراف. ثم انتبه إليهم انتباهة، فدعا بعبد المطلب من بينهم، فخلا به وأدنى مجلسه، وقال: يا عبد المطلب، إني مفوض إليك من سِرِّ علمي أمراً غيرك كان لم أبح له به، ولكنني رأيتك موضعه فأطلعتك عليه؛ فليكن مَصُوناً حتى يأذن الله فيه؛ فإن الله بالغ أمره: إني أجد في العلم المخزون؛ والكتاب المكنون الذي آدخناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبراً

(١) الباذخ: الرفيع.

(٢) الجرثومة: الأصل.

(٣) السدنة: الحفظة والخدم.

(٤) الرّجّل: العظيم.

عظيماً، وخطرأً جسيماً، فيه شرفُ الحياة، وفضيلةُ الوفاة، للناس كافة، ولرهطك عامة، ولنفسك خاصة .

قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك مَنْ بَرَّ وَسَرَّ وَبَشَّرَ، ما هُوَ؟ فِداك أهلُ الوَبَرِ، زُمَراً بعد زُمَر .

قال ابن ذي يزن: إذا وُلِدَ مولودٌ بِتَهامة، بين كَتفيه شامة، كانت له الإمامة، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب: أبيتَ اللعن، لقد أبتُ بخيرٍ ما آبَ به أحدٌ؛ فلولا إجلالُ الملكِ لسألته أن يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً .

قال ابن ذي يزن: هذا حِينُهُ الذي يُولَدُ فيه أو قَد وُلِدَ، يموت أبوه وأُمُه، ويكفله جدُّه وعمه؛ قد وجدناه مراراً، والله باعته جهاراً، وجاعلٌ له مِنّا أنصاراً، يُعَزُّ بهم أوليائه، ويُدَلِّ بهم أعداءه، ويفتتح كرائم الأرض، ويضرب بهم الناس عن عُرْض^(١)؛ يُخمد النيران، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله حَكَمَ وفَصَلَ؛ وأمره حَزَمَ وعدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويُبطله .

فقال عبدُ المطلب: طال عُمرك، ودام مُلكك، وعلا جَدُّك، وعَزَّ فخرُك؛ فهل الملكُ يَسُرُّني بأن يوضح فيه بعضَ الإيضاح؟

فقال ابن ذي يزن: والبيتُ ذي الطُّنْبِ، والعلاماتِ والنُّصبِ، إنك يا عبد المطلب، لجدُّه من غير كَذِبٍ . فَخَرَّ عبدُ المطلب ساجداً .

قال ابن ذي يزن: أرفع رأسك؛ ثلجَ صدرك، وعلا أَمرك؛ فهل أحسست شيئاً مما ذكرتُ لك؟

قال عبدُ المطلب: أيها الملك، كان لي ابنٌ كنتُ له مُحِبّاً، وعليه حَدِيباً مُشَفَقاً،

(١) غرض: قوّة .

فزوجته كريمة من كرائم قومه، يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام بين كتفيه شامة، فيه كل ما ذكرت من علامة؛ مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمّه.

قال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت، فاحفظ ابنك وأحذر عليه اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم سبيلاً، أطو ما ذكرت لك، دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة، من أن تكون لكم الرئاسة، فيبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون وأبناؤهم. ولولا أني أعلم أن الموت مُجتاحي قبل مبعثه، لسرتُ بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مهاجرة؛ فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب دار هجرته، وبيت نصرته؛ ولولا أني أتوقى عليه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنتُ على حداثة سنّه أمره، وأوطأت أقدام العرب عقبه؛ ولكني صارف إليك ذلك عن غير تقصير مني بمن معك.

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد، وعشر إماء سود، وخسة أرطال فضة، وحلّتين من حلل اليمن، وكِرش^(١) مملوءة عنبراً، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا حال الحول فأنبئي بما يكون من أمره.

فما حال الحول حتى مات ابن ذي يزن، فكان عبد المطلب بن هشام يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاق، ولكن يغبطني بما يبقى لي ذكره وفخره لعقبِي. فإذا قالوا له: وما ذاك؟ قال: سيظهر بعد حين.

وفود عبد المسيح على سطيج

جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس، قال: لما كان ليلة ولد النبي ﷺ، ارتجّ إيوان كسرى، فسقطت منه أربع عشرة شُرقة؛ فعظم ذلك على أهل مملكته،

(١) الكرش: وعاء الطيب.

فما كان أوشك أن كتب إليه صاحبُ اليمن يُخبره أن بُحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحبُ السَّماوة يُخبره أن وادي السَّماوة أنقطع تلك الليلة، وكتب إليه صاحبُ طَبْرِية أن الماء لم يَجِرِ تلك الليلة في بحيرة طبرية؛ وكتب إليه صاحبُ فارس يُخبره أن بُيوت النيران خمدت تلك الليلة، ولم تَحْمَد قبل ذلك بألف سنة. فلما تواترت الكتبُ أبرز سريرَه وظهر لأهل مملكته، فأخبرهم الخبر؛ فقال الموبدَانُ^(١): أيها الملك، إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي. قال له: وما رأيت؟ قال: رأيت إبلاً صعباً، تقود خيلاً عراباً، قد اقتحمت دجلة، وانتشرت في بلادنا. قال: رأيت عظيماً، فما عندك في تأويلها؟ قال: ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء، أرسل إلى عاملك بالبحيرة، يوجّه إليك رجلاً من علمائهم، فإنهم أصحابُ علم بالحِداث. فَبَعَثَ إليه عبدُ المسيح بن نُفيلة الغساني: فلما قدم عليه أخبره كسري الخبر. فقال له: أيها الملك. والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ولكن جَهِّزني إلى خال لي بالشام، يقال له سَطِيح، قال: جَهِّزوه. فلما قدم على سَطِيح وجده قد احْتَضِر؛ فناده فلم يُجِبْهُ، وكَلَّمَهُ فلم يَرِدْ عليه، فقال عبدُ المسيح:

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ يا فاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ^(٢)
 أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنْ أَبْيَضَ فَضْفَاضَ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ
 رَسُولُ قَيْلِ الْعَجَمِ يَهْوِي لِلْوَتَنِ لا يَرْهَبُ الْوَعْدَ وَلَا رَبِّبَ الزَّمَنِ^(٣)

فرفع إليه رأسه، وقال: عبدُ المسيح، على جل مُشِيح، إلى سَطِيح، وقد أوفى على الضريح؛ بعثك ملكُ بني ساسان، لآرتجاج الإيوان، وخمودِ النيران، ورؤيا الموبدَانِ؛ رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عراباً. قد اقتحمت في الواد، وانتشرت في البلاد يا عبدُ المسيح، إذا ظهرت التلاوة، وفاض وادي السَّماوة، وغاضت بحيرة ساوة وظهر صاحبُ الهراوة، وخذت نار فارس، فليست بابل للفرس مقاماً، ولا الشام

(١) الموبدان: فقيه الفرس وحاكم المجوس.

(٢) الغطريف السيد الشريف. (٣) القيل: الملك.

لسطيحٍ شاما . يملك منهم ملوك وملكات، عدد سُقوط الشُّرفات، وكل ما هو آت
آت . ثم قال:

إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرَ أَطْوَارٌ دَهَارِيرُ^(١)
مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْهُرْمَزَانُ وَسَابُورٌ وَسَابُورُ
فَرَبِّهَا أَصْبَحُوا مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةٍ يَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاوِيرُ^(٢)
حَثْوًا الْمَطْيَى وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرَجٌ وَلَا كُورُ^(٣)
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مُحْذُورُ^(٤)

ثم أتى كسرى فأخبره، فغمه ذلك . ثم تعزى فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر
ملكاً يدور الزمان . فهلكوا كلهم في أربعين سنة .

وفود همدان على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدم مالك بن نَمَطٍ في وفد همدان على رسول الله ﷺ ، فلقوه مُقْبِلًا مِنْ تَبُوكَ ،
فقال مالك بن نَمَطٍ: يا رسول الله نصيَّة^(٥) من همدان، من كل حاضر وباد، أَتَوَكُّ
على قُلُوصِ نَوَاجٍ، متصلة بجبال الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من خلاف
خارف ويام وشاكر، عهدهم لا يُنْقَضُ، عن سُنَّةِ مَاحِلٍ^(٦) ولا سوداء عَنَقْفِيرٍ^(٧) ، ما
أقامت لَعْلَعٍ ، وما جرى اليعفورُ بِصُلْعٍ^(٨) .

(١) أفرطهم: تركهم، ودهارير: شديدة .

(٢) المهاوِير: جمع مهصار: وهو الأسد، مأخوذة من الحصر، وهو الكسر والجذب والإمالة .

(٣) الكور: الرحل بأداته .

(٤) مقرونان في قرن: أي مرتبطان في سلكٍ واحد .

(٥) النصيَّة: خيار القوم .

(٦) الماحل: الساعي بالنميمة والإفساد . (٧) العنقفير: الداهية .

(٨) اليعفور: ولد الطيبة، ولعلع: جبل وصلع: الأرض لانبثات لها .

فكتب إليهم النبي ﷺ: هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مخالف خارف، وأهل جناب الهضب، وجفاف الرمل، مع وفدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه، أن لهم فرأعها ووهاطها وعزازها، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علفها، ويرعون عفاها، لنا من دفتهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب^(١) والتاب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري؛ وعليهم الصالغ^(٢) والقارح.

وفود النخع على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدم أبو عمرو النخعي على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رأيت في طريقي هذه رؤيا، رأيت أتاناً تركتها في الحي ولدت جدياً أسفع أحوى^(٣). فقال رسول الله ﷺ: هل لك من أمة تركتها مصيرة^(٤) حملاً؟ قال: نعم، تركت أمة لي أظنها قد حملت؟ قال: فقد ولدت غلاماً وهو ابنك. قال: فما باله أسفع أحوى؟ قال: أدن مني. فدنا منه؛ فقال: هل بك برص تكتمه؟ قال نعم، والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به. قال: فهو ذلك. قال: ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان وذملجان ومسكتان. قال: ذلك ملك العرب عاد إلى أفضل زيه وبهجته. قال: ورأيت عجوزاً شمطاء تخرج من الأرض قال: تلك بقية الدنيا. قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو، ورأيتها تقول: لظى لظى! بصير وأعمى! أطعموني! آكلكم آكلكم! أهلككم ومالككم. فقال النبي ﷺ: تلك فتنة في آخر الزمان. قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال: يقتل الناس إمامهم ثم

(١) الثلب: الجمل تكسرت أسنانه.

(٢) الصالغ: من الشياه: كالقارح من الخيل، وهي التي دخلت في الخامسة أو السادسة.

(٣) الأسفع: الأسود المشرب بالحمرة، والأحوى: الأحمر إلى سواد.

(٤) مصرة حملاً: أي ذات حمل محقق.

يشتجرون^(١) اشتجار أطباق الرأس - وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه - يحسب المسيء أنه محسن، ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء.

وفود كلب على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدم قطن بن حارثة العُليمي في وفد كلب على النبي ﷺ ، فذكر كلاماً ، فكتب له رسول الله ﷺ كتاباً نسخته :

هذا كتاب من محمد رسول الله لعماثر كلب وأحلافها ، ومن ظأرة^(٢) الإسلام من غيرها ، مع قطن بن حارثة العُليمي ، بإقامة الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة لحقها ، في شدة عقدها ، ووفاء عهدا ، بمحضر شهود من المسلمين : سعد بن عبادة ، وعبد الله ابن أنيس ، ودحية بن خليفة الكلبي ، عليهم في الممولة الراعية البساط الظُّوار^(٣) ، في كل خمسين ناقة غير ذات عوار^(٤) ، والحمولة المائرة لهم لآغية ، وفي الشويّ الوري^(٥) مسنة حامل أو حائل ، وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها مما أخرجت أرضها ، وفي العذي^(٦) شطره بقيمة الأمين ، فلا تزداد عليهم وظيفة ولا يفرق . يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله .

وكتب ثابت بن قيس بن شماس

وفود ثقيف على النبي

صلى الله عليه وسلم

وفدت ثقيف على النبي ﷺ ، فكتب لهم كتاباً حين أسلموا : أن لهم ذمة الله ، وأن واديهم حرام ، عضاهه^(٧) وصيده وظلم فيه ، وأن ما كان لهم من دين إلى أجل فبلغ

(١) الدملج: شيء يشبه السوار ، والمسكة : السوار من ذبل أوعاج .

(٢) ظأره : أي عطفه عليه .

(٣) الظُّوار : جمع ظُور ، وهي المرضعة .

(٤) العوار : العيب . (٥) الوري : السمين .

(٦) العذي من الزرع والنخيل : ما لا يسقى إلا بماء السماء .

(٧) العضاه : شجر عظيم له شوك .

أجله فإنه لِيَاط^(١) مُبرأ من الله ورسوله، وأن ما كان لهم من دين ومن رهن وراء عكاظ، فإنه يُقضى إلى رأسه ويَلَاطُ بعكاظ ولا يؤخر.

وفود مذحج على النبي

صلى الله عليه وسلم

وقد ظبيان بن حدّاد في سراة مذحج على النبي ﷺ، فقال بعد السلام على رسول الله ﷺ، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله.

الحمد لله الذي صدع الأرض بالنبات، وفتق السماء بالرجع^(٢). ثم قال: نحن قوم من سراة مذحج من يُحابر بن مالك. ثم قال: فتوقلت^(٣) بنا القلاص؛ من أعالي الخوف ورءوس الهضاب، ترفعها عُرر^(٤) الربا وتخفضها بطنان الرقاق، وتلحقها دياجي الدجى. ثم قال: وسروات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قينان: غرسوا وديانهم وذلّلوا خشانهم، ورعوا قربانهم. ثم ذكر نوحا حين خرج من السفينة بمن معه، قال فكان أكثر بنيه نباتاً. وأسرعهم نباتاً، عادّ وثمود، فرماهم الله بالذمالمق^(٥)، وأهلكهم بالصواعق. ثم قال: وكانت بنو هانيء من ثمود تسكن الطائف، وهم الذين خطّوا مشاربها، وآتوا جداولها، وأحيوا غراسها، ورفعوا عريشها. ثم قال: وإن حمير ملكوا معاقل الأرض وقارآها، وكهول الناس وأغارآها، ورءوس الملوك وغرارها، فكان لهم البيضاء والسوداء، وفارس الحمراء، والجزية الصفراء؛ فبطروا النعم، وأستحقوا النقم، فضرب الله بعضهم ببعض. ثم قال: وإن قبائل من الأزد نزلوا على عهد عمرو بن عامر، ففتحوا فيها الشرائع، وبنوا فيها المصانع، وآتخذوا الدسائع^(٦)؛ ثم ترامت مذحج بأستنتها، وتنزّت بأعتنتها: فغلب العزيز أذلها، وقتل

(١) اللياط: الربا. (٢) الرجع: المطر.

(٣) توقلت: صعدت.

(٤) العرر: جمع عرة، وهي شحمة السنام العليا.

(٥) الذمالمق: الأملس المستدير من الحجارة.

(٦) الدسائع: الدساكر: الواحدة دسيعة.

الكثيرُ أَقْلَهَا . ثم قال : وكان بنو عمرو بن جَذِيمة يَخْبِطُونَ عَصِيدَهَا ^(١) ، ويأكلون حَصِيدَهَا ، وَيُرَشِّحُونَ خَصِيدَهَا ^(٢) .

فقال رسول الله ﷺ . إِنَّ نعيم الدنيا أَقْلٌ وَأصغر عند الله من خُرءٍ بُعِيضة ، ولو عَدَلْتُ عند الله جَنَاحَ ذَبَابٍ لم يكن لكافر منها خَلَاق ، ولا لمسلم منها لَحَاق .

وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي

صلى الله عليه وسلم

وَقَدَّ لَقيط بن عامر بن المنتفق على النبي ﷺ ومعه صاحبٌ له يقال له نَهْيَكُ بن عاصم بن مالك بن المنتفق .

قال لَقيط : فخرجتُ أنا وصاحبي حتى قَدِمْنَا المدينة لَأَنسِلَاخِ رَجَب ، فَأَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ ، فوافيناه حين أَنصرف من صلاة العَدَاة ، فقام في الناس خَطِيباً ، فقال : أَيها الناس ، أَلَا إِنِّي قد خَبَأْتُ لَكُمْ صَوْتِي منذ أربعة أَيام ، لتسمعوا الآن ، أَلَا فهل من امرئٍ قد بَعَثَهُ قَوْمُهُ ؟ - فقالوا : اعْلَمْ لنا ما يقول رسولُ الله ﷺ - أَلَا ، ثم لعله أَن يُلْهِيه حديثُ نفسه أو حديثُ صاحبه أو يُلْهِيه ضَالٌّ ، أَلَا وإِنِّي مَسْئُولٌ هل بَلَغْتَ ، أَلَا اسمعوا أَلَا اجلسوا .

فجلس الناس وقمتُ أنا وصاحبي ، حتى إِذا فرغ لنا فَوَاذُهُ وبصرُهُ ، قلت : يا رسولَ الله ، ما عندك من عِلْمِ الغيب ؟ فضحك لَعَمْرُ الله وهَزَّ رَأْسَهُ ، وعلم أَنِي أَبْتَغِي سَقَطَهُ ؛ فقال : ضَنَّ رَبُّكَ بِمَفَاتِيحِ خَمْسٍ من الغيب لا يعلمهن إِلا الله - وأشار بيده - قلت : وما هي ؟ قال : عِلْمُ المَنِيَّةِ ، قد علم متى مَنِيَّةٌ أَحَدِكُمْ ولا تعلمونه ؛ وعِلْمُ ما في غَدٍ وما أَنت طاعم غَدًا ، ولا تعلمه ، وعلمُ المَنِيِّ حين يكون في الرَّحِمِ ، قد علمه ولا

(١) العصيد : المقطوع من الشجر علفاً للحيوانات .

(٢) الخصيد : المقطوع من شجر التمر ، وترشيحهم له إِصلاحهم له إِلى أَن تعود ثمراته فتطلع .

تعلمونه؛ وعلم الغيث، يُشرف عليكم آزلين مُسْتَنِينَ^(١) فيظلّ يضحك، قد عَلِمَ أن عونكم قريب.

قال لقيط: قالت: لن نعدم من رب يضحك خيراً.

وعلم يوم الساعة. قلت: يا رسول الله، إني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني.
قال: سل عما شئت.

قال: قلت: يا رسول الله، علّمنا مما لا يعلم الناس ومما تعلم؛ فإننا من قبيل لا يصدّقون تصديقنا أحداً؛ من مذبح التي تدنو إلينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها.

قال رسول الله ﷺ: تلبثون ما لبثتم، ثم يُتَوَقَّى نبيّكم ثم تلبثون حتى تُبعث الصيحة، فلعمرُ إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين عند ربك؛ فيُصبح ربُّك يطوف في الأرض وقد خَلَّت عليه البلاد. فيرسل ربُّك السماء بهُضْب^(٢) من عند العرش، فلعمرُ إلهك ما تدع على ظهرها من مَصْرَع قَتِيل، ولا مَدْفَن مَيِّت، إلا شَقَّت القبر عنه حتى تخلقه من قِبَل رأسه فيستوي جالساً، ثم يقول ربك: مَهْم^(٣) - لما كان فيه - فيقول: يا رب، أمس! اليوم! ولعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله.

فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعد ما تفرقنا الرياح والبلَى والسباع؟

قال: أنبئك بمثل ذلك في إل^(٤) الله، أشرفتُ على الأرض وهي مَدْرَة^(٥) يابسة فقلت: لا تحيا هذه أبداً، ثم أرسل ربُّك عليها السماء فلم تلبث إلا أياماً حتى أشرفتُ

(١) آزلين: قد صرّم في جذب وقحط، ومستنين: قد أصابتكم الشدة.

(٢) الهُضْب: المطر. (٣) مهم: كلمة يمانية. ومعناها: ما الأمر وما الشأن.

(٤) في إل الله: أي في ربوبيته وقدرته وعلمه.

(٥) المدرة: القطعة من المدر، وهو الطين.

عليها وهي شربة واحدة^(١)، ولَعَمْرُ إلهك هو أقدرُ على أن يَجْمَعَكُم من الماء على أن يَجْمَع نباتَ الأرض، فتخرجون من الأصواء - قال ابن إسحاق: الأصواء أعلام القبور - ومن مصارعكم، فتنتظرون إليه وينظر إليكم.

قال: قلت: يا رسول الله، وكيف، نحن ملء الأرض وهو شخص واحد ننظر إليه وينظر إلينا؟

قال: أنبتك بمثل ذلك في إلّ الله: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ويريانكم ساعة واحدة، ولعمر إلهك هو أقدر على أن يراكم وتروهم من أن تروهما ويرياكم، لا تضارون في رؤيتهما.

قال: قلت: يا رسول الله، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟

قال: تُعرضون عليه باديةً له صفحاتكم لا يخفي عليه منكم خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء، فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما تُخطيء وجه أحدكم منها قطرة. فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرّبتة^(٢) البيضاء، وأما الكافر فتخطمه^(٣) بمثل الحمم^(٤) الأسود. ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون. قال: فتسلكون جسراً من النار، فيطأ أحدكم الجمر يقول: حس! يقول ربك: أو إنه؟ فتطالعون على حوض الرسول لا يظلم والله ناهله، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وضع عليها قدح يطهره من الطّوف^(٥) والبول والأذى، وتُحبس الشمس والقمر ولا ترون منها واحداً.

قال: قلت: يا رسول الله، فم نُبصر يومئذ؟

(١) البشيرة: حوض يكون في أصل النخلة وحولها يملأ ماء تشربه.

(٢) الربتة: الملاة.

(٣) تخطمه: أي تصيب خطمه، وهو أنفه فتعجل فيه أثراً.

(٤) الحمم: الفحم.

(٥) الطوف: الحدث من الطعام.

قال: بمثل بصرك ساعتك هذه؛ وذلك قبل طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال.

قال: قلت: يا رسول الله، فم نُجَزَى من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، إلا أن يعفو.

قال: قلت: يا رسول الله، فما الجنة وما النار؟

قال: لعمر إلهك إنّ للنار لسبعة أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. وإن للجنة لثمانية أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً.

قال: قلت: يا رسول الله، فعلام نطلع من الجنة؟

قال: على أنها من غسل مُصَفًّى، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة.

قال: قلت: يا رسول الله، أو لنا فيها أزواج؟ أو منهن صالحات؟

قال: الصالحات للصالحين، تلذّون بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذّذن بكم، غير أن لا توالد.

قال لقيط: قلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه، فلم يحبه النبي ﷺ.

قال: قلت: يا رسول الله، علام أبايعك؟ قال: فبسط إليّ يده وقال: على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيال الشُّرك^(١)، وألا تشرك بالله إلهاً غيره.

قال: فقلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟

فقبض ﷺ يده وظن أني مُشترط شيئاً لا يعطينيه.

قال: قلت نحلّ منها حيث شئنا، ولا يجزي عن امرئ إلا نفسه؟ فبسط إليّ يده

(١) زيال الشرك: مفارقه.

وقال: ذلك لك: حُلَّ حيث شئت، ولا يجزي عنك إلا نفسك. قال: فانصرفنا عنه.

وفود قبيلة على النبي

صلى الله عليه وسلم

خرجت قبيلة بنت مخزومة التميمية تبغي الصُّحبة إلى رسول الله ﷺ، وكان عمُّ بناتها، وهو أثوب بن أزهري، قد انتزع منها بناتها، فبكت جُويريةً منهن حُديباء قد أخذتها الفرصة^(١)، عليها سُبَّج من صوف، فرحمتها فذهبت بها. فبينما هما تُرتكان^(٢) الجمل إذ انتفخت منه الأرنب؛ فقالت الحُديباء: الفُصية. والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب. ثم سَنَح الثعلب، فسمَّته اسماً غير الثعلب نسيه ناقلُ الحديث. ثم قالت فيه مثل ما قالت في الأرنب، فبينما هما تُرتكان الجمل إذ برك الجمل وأخذته رعدة. فقالت الحُديباء: أخذتك والأمانة إخذة أثوب. قالت قبيلة: فقلت لها: فما أصنع، ويحك! قالت: قلِّي ثيابك ظهورها لبطونها، وأدَّخري ظهرها لبطنك، وقلِّي أحلاس^(٣) جَمَلِك. ثم خلعت سُبَّجها فقلبتَه، ثم ادرجت ظهرها لبطنها، فلما فعلتُ ما أمرتني به انتفض الجمل، ثم قام فَنَاج^(٤) وبال، فقالت: أعيدي عليه أَدَاتِك. ففعلتُ، ثم خرجنا نُرْتِك، فإذا أثوبُ يسعى وراءنا بالسيف صِلْتَا، فوألنا إلى حِواء ضخم فداراه، حتى ألقى الجمل إلى رُواقه الأوسط، وكان جملًا ذلولًا، واقتحمتُ داخله وأدركني بالسيف، فأصابته طائفةٌ من قرون رأسيه؛ ثم قال: أَلقي إلي ابنة أخي يادْفار^(٥). فألقيتها إليه. فجعلها على منكبه وذهب بها. وكنتُ أعلمُ به من أهل البيت، وخرجتُ إلى أخت لي ناكحٍ في بني شيبان أبتغي الصُّحبة إلى رسول الله ﷺ. فبينما أنا عندها تحسب أني نائمة، إذ جاء زوجها من السامر، فقال لها: وأبيك لقد وجدتُ لقبيلة صاحب صدق. قالت أختي: مَنْ هو؟

(١) الفرصة: أي ريح الحذب فيصير صاحبها أحذب.

(٢) ترتكان الجمل: تحمِلانه على السير السريع.

(٣) الأحلاس: جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القنب.

(٤) نَاج: صاح. (٥) يادفار: أي يا منتنة.

قال: حُرَيْثُ بْنُ حَسَّانَ الشَّيْبَانِيُّ، وَافِدُ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ عَاوِيَا ذَا صَبَاحٍ. فَقَالَتْ أُخْتِي: الْوَيْلُ لِي، لَا تُخْبِرُهَا فَتَتَّبِعَ أَخَا بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا، لَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهَا. قَالَ: لَا ذِكْرَتُهُ.

قَالَتْ: وَسَمِعْتُ مَا قَالَا: فَغَدَوْنَ إِلَى جَمَلِي فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَشَدْتُ عَنْهُ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. فَسَأَلْتُهُ الصُّحْبَةَ فَقَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةً، وَرِكَابَهُ مُنَاقَاةً عِنْدَهُ.

قَالَتْ: فَسَرْتُ مَعَهُ صَاحِبَ صِدْقٍ؛ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْغَدَاةِ: قَدْ أُقِيمَتْ حِينَ شَقِ الْفَجْرِ، وَالنَّجُومُ شَابِكَةٌ فِي السَّمَاءِ، وَالرِّجَالُ لَا تَكَادُ تَعَارَفُ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؛ فَصَفَفْتُ مَعَ الرِّجَالِ؛ وَأَنَا امْرَأَةٌ قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ الَّذِي يَلِينِي مِنَ الصَّفِّ: امْرَأَةٌ أَنْتِ أَمْ رَجُلٌ؟ فَقُلْتُ: لَا بَلْ امْرَأَةٌ. فَقَالَ: إِنَّكَ كَدْتَ تَقْتَنِينِي، فَصَلِّي فِي النِّسَاءِ وَرَاءَكَ. فَإِذَا صَفَّ مِنْ نِسَاءٍ قَدْ حَدَثَ عِنْدَ الْحُجَرَاتِ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِذْ دَخَلْتُ؛ فَكُنْتُ فِيهِنَّ؛ حَتَّى إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَنَوْتُ؛ فَجَعَلْتُ إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا ذَا رُوءٍ وَذَا قَشْرٍ^(١) طَمَحَ إِلَيْهِ بِصُرِي لِأَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَوْقَ النَّاسِ، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ؛ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. وَعَلَيْهِ تَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ - أَسْمَالُ مُلْكَيْتَيْنِ، كَانَتَا مَزْعُفْرَتَيْنِ وَقَدْ نَفَضْتَا؛ وَمَعَهُ عُسَيْبُ نَخْلَةٍ مَقْشُورٍ^(٢) غَيْرَ خُوصَتَيْنِ مِنْ أَعْلَاهُ. وَهُوَ قَاعِدُ الْقَرْفُضَاءِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَتَخَشَّعًا فِي الْجُلُوسَةِ أُرْعَدْتُ مِنَ الْفَرْقِ، فَقَالَ جَلِيسُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُرْعَدْتُ الْمُسْكِينَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ وَأَنَا عِنْدَ ظَهْرِهِ: يَا مُسْكِينَةَ، عَلَيْكَ السَّكِينَةُ.

قَالَتْ: فَلَمَّا قَالَهَا ﷺ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ دَخَلَ فِي قَلْبِي مِنَ الرَّعْبِ.

وَتَقَدَّمَ صَاحِبِي أَوَّلَ رَجُلٍ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ تَمِيمٍ كِتَابًا بِالذَّهْنَاءِ لَا يُجَاوِزُهَا إِلَيْنَا مِنْهُمْ إِلَّا مَسَافِرٌ أَوْ مُجَاوِزٌ.

(٢) مَقْشُورٌ: أَيُّ مَقْشُورٍ عَنْهُ خُوصُهُ.

(١) الْقَشْرُ: اللَّبَاسُ.

قال: يا غلام، اكتب له بالدهناء.

قالت: فلما رأيته أمر بأن يكتب له؛ شخص بي. وهي وطني وداري؛ فقلت: يا رسول الله؛ إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك؛ إنما هذه الدهناء مُقَيَّدُ الجمل ومرعى الغنم؛ ونساء بني تميم وأبناؤها وراء ذلك. فقال: أمسك يا غلام، صدقت المسكينة المسلم أخو المسلم، يسعها الماء والشجر. ويتعاونان على الفَتَانِ^(١).

فلما رأى حُرَيْث أن قد حيل دون كتابه، قال كنت أنا وأنت كما قال في المثل: حَتَفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُظْلَافِهَا! فقلت: أما والله ما علمت إن كنت لدليلاً في الظلمات، جواداً لدى الرَّحْلِ، عفيفاً عن الرفيقة حتى قدمنا على رسول الله ﷺ ولكن لا تلمني أن أسأل حظي إذ سألت حظَّكَ. قال: وأيَّ حظ لك في الدهناء لا أبالك.

قلت مُقَيَّدُ جلي تُريده لجمل آمرأتك! فقال: لا جرم إني أشهد رسول الله أني لك أخٌ ما حييت؛ إذ أثَّنت عليَّ عنده. فقلت: أمّا إذ بدأتها فلن أضيعها.

فقال رسول الله ﷺ: أيلام ابنُ هذه أن يفصل الخُطَّة، وينتصر من وراء الحَجَزة. فبكيتُ ثم قلت: فقد والله ولدته يا رسول الله حراماً، فقاتل معك يوم الرِّبذة، ثم ذهب يمتري من خير، فأصابته حُمَاهَا فمات فقال: لو لم تكوني مسكينة لجررناك على وجهك. أيُغلب أحدكم على أن يصاحب صُويحبه في الدنيا معروفًا، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به استرجع ثم قال: ربّ آسني لما أمضيت، وأعني على ما أبقيت. فوالذي نفسُ محمد بيده إنَّ أحدكم ليبكي فيستعبر له صُويحبه؛ فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم ثم كتب لها في قطعة آدم أحر: لَقِيلَةُ والنسوة من بنات قيلة يُظلمن حقًا، ولا يُكرهن على منكح، وكل مؤمن مسلم لمن نصير أحسن ولا تسئن.

(١) الفَتَان: الشياطين.

كتاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأكيدر دومة

من محمد رسول الله ﷺ لأكيدر دومة، حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها:

إن لنا الضاحية من الضَّحَلِ والبُورِ والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسَّلاح والحافر والحصن، ولكم الضَّامنة من النخل والمعين من المعمور، لا تعدل سارحتكم ولا تُعدُّ فاردتكم^(١)، ولا يُحظر عليكم النبات. تُقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها، عليكم بذلك عهد الله والميثاق، ولكم به الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين.

كتابه صلى الله عليه وسلم

لوائل بن حجر الحضرمي

من محمد رسول الله إلى الأقبال العباهلة^(٢) والأرواع المشاييب^(٣) من أهل حَضْر موت بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة: في التبعة^(٤) شاة، لا مُقَوَّرة الألياط ولا ضيناك، وانطوا الشَّبْجَة^(٥) والتيمة لصاحبها، وفي السيَّوب الخمس؛ لا خِلاط، ولا وِراط،

(١) الفاردة: ما لا تجب فيه الصدقة.

(٢) الأقبال العباهلة: أي الملوك القار ملكهم.

(٣) الأرواع المشاييب: الحسان الوجوه السادة الرؤساء.

(٤) التبعة: اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان.

(٥) الإققرار: الاسترخاء في الجلود، والألياط: جمع ليط، وهو العود شَبْه به الجلد لالتزاقه باللحم والضناك:

الكثيرة اللحم، وأنطوا: أعطوا والشبجة: الوسط، والتيمة: الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة

الأخرى، وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها في منزلة غير سائمة.

ولا شِناق، ولا شِغار^(١)، ومن أَجَبَى فقد أَرَبَى^(٢)، وكلُّ مُسْكِرٍ حرام.

حديث جرير بن عبد الله البجلي

قدم جرير بن عبد الله البجليّ على رسول الله ﷺ: فسأله عن منزله ببيشة، فقال سَهْلٌ ودَكْدَاك^(٣)، وسَلَمٌ وأَرَاك، وَحَمَضٌ وَعَلَاك، إلى نخلة ونخلة، ماؤها ينبوع، وجنابها مَرِيع، وشِتاؤها ربيع.

فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ خَيْرَ الْمَاءِ الشَّيْمُ^(٤)، وخير المال الغنم، وخير المرعى الأَرَاك، والسَّلَمُ إذا أَخْلَفَ كَانَ لَجِينَا، وإذا أَسْقَطَ كَانَ دَرِينَا^(٥)، وإذا أَكَلَ كَانَ لَبِينَا.

وفي كلامه عليه السلام: إن الله خلق الأرض السفلى من الزبد الجُفَاء والماء والكُبَاء.

حديث عياش بن أبي ربيعة

بعث رسول الله ﷺ عياش بن أبي ربيعة إلى بني عبد كلال وقال له: خُذْ كِتَابِي بِيَمِينِكَ وَأَدْفَعْهُ بِيَمِينِكَ فِي أَيْمَانِهِمْ، فَهُمْ قَائِلُونَ لَكَ اقْرَأْ. فاقْرَأْ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾^(٦). فإذا فرغت منها فقل: آمَنَ مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَئِنْ تَأْتَيْكَ حُجَّةٌ إِلَّا وَقَدْ دُحِضَتْ وَلَا كِتَابَ زَخْرَفَ إِلَّا وَذَهَبَ

(١) الخلاط: المخالطة، والوراء: أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفى عن المصدق ولاشناق: أي يخلط غنمه إلى مال غيره والشغار: زواج في الجاهلية وهو أن يزوج الرجل أخته لرجل ما على أن يتزوج أخت ذلك الرجل.

(٢) أجبى: من الإجباء وهو بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه.

(٣) الدكدك: ما تلبّد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيراً.

(٤) الشيم: البارد. (٥) الدرّين: ما بلي من الحشيش.

(٦) سورة البينة الآية ١.

نُورِهِ وَمَعَ^(١) لَوْنِهِ، وَهُمْ قَارِئُونَ، فَإِذَا رَظَنُوا فَقَدْ تَرَجَّعُوا. فَقُلْ: حَسَنَ، آمَنْتُ بِاللَّهِ
وَمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ. فَإِذَا أَسْلَمُوا فَسَلِّمُوا فَضْلَهُمُ الثَّلَاثَةَ الَّتِي إِذَا تَخَضَّعُوا بِهَا سُجَّدَ
لَهُمْ، وَهِيَ الْأَثَلُ قُضِيَيبٌ مَلْمَعٌ بَيَاضٌ، وَقُضِيَيبٌ ذُو عَجَرٍ كَأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ زَانٍ، وَالْأَسْوَدُ
الْبَهِيمُ، كَأَنَّهُ مِنْ سَاسَمٍ^(٢). ثُمَّ أَخْرَجَ بِهَا فَحَرَّقَهَا فِي سَوْقِهِمْ.

حديث راشد بن عبد ربه السلمي

عبد الله بن الحكم الواسطي عن بعض أشياخ أهل الشام، قال: قال استعمل رسول
الله ﷺ أبا سفيان بن حرب على نجران، فولاه الصلاة والحرب، ووجه راشد بن
عبد ربه أميراً على القضاء والمظالم. قال راشد بن عبد ربه:

ضحا القلبُ عن سَلَمَى وَأَقْصَرَ شَاوَهُ	وَرَدَّتْ عَلَيْهِ مَا نَفَثَهُ تَمَاضِيرُ
وَحَكَمَهُ شَيْبُ الْقَذَالِ عَنِ الصَّبَا	وَاللَّشَّيْبُ عَنْ بَعْضِ الْغَوَايَةِ زَاغِرُ
فَأَقْصَرَ جَهْلِي الْيَوْمَ وَارْتَدَّ بَاطِلِي	عَنِ الْجَهْلِ لَمَّا أَبْيَضَ مِنِّي الْقَدَائِرُ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ هَاجَهُ بَعْدَ صَحْوَةٍ	بِمَعْرِضِ ذِي الْأَجَامِ عَيْسٌ بَوَاكِرُ
وَلَمَّا دَنَتْ مِنْ جَانِبِ الْغُوطِ أَخْصَبَتْ	وَحَلَّتْ وَلَاقَاهَا سَلِيمٌ وَعَامِرُ
وَخَبَّرَهَا الرُّكْبَانُ أَنَّ لَيْسَ بَيْنَهَا	وَبَيْنَ قُرَى بُصْرَى وَنَجْرَانَ كَافِرُ
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى	كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ ^(٣)

وفود نابغة بني جعدة

على النبي صلى الله عليه وسلم

وَقَدْ أَبُو لَيْلَى نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْشَدَهُ شِعْرَهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَّاؤُنَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(١) مع لونه: درس وبلي.

(٢) الساسم: شجر أسود، أو هو الابنوس. (٣) النوى: الترحال والبعد.

قال له النبي ﷺ : إلى أين أبا ليلى ؟ قال : إلى الجنة . قال النبي ﷺ : إن شاء الله . فلما انتهى إلى قوله :

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم تكن له بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

قال له النبي ﷺ : لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك ! فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفص له سنّ ، وبقي حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه بمكة وامتدحه ، فقال له : يا أبا ليلى ، إنّ أدنى وسائلك عندنا الشعر ، لك في مال الله حَقَّان : حق برويتك رسول الله ﷺ ، وحقّ بشركتك أهل الإسلام في فيئهم . ثم أحسن صلته وأجازه .

وفود طهفة بن أبي زهير النهدي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدمت وفود العرب على النبي ﷺ ، قام طهفة ابن أبي زهير ، فقال : يا رسول الله ، أتيناك من غَوَرِي تهامة بإكوار الميس^(١) ، ترمى بنا العيس ، نَسْتَحْلِب الصَّبِيرَ ، وَنَسْتَحْلِب الخَبِيرَ ؛ وَنَسْتَعْضِد البَرِيرَ ، وَنَسْتَحْلِب الرِّهَامَ^(٢) ، وَنَسْتَحْلِب الْجَهَامَ^(٣) ، مِنْ أَرْضِ غَائِلَةِ النَّطَاءِ^(٤) ، غَلِيظَةِ الْوِطَاءِ ، قَدْ نَشِفَ الْمَدْهَنُ^(٥) وَيَبَسَ الْجَعِشَنُ^(٦) ، وَسَقَطَ الْأَمْلُوجُ^(٧) ، وَمَاتَ الْعُسْلُوجُ^(٨) ؛ وَهَلَكَ الْهَدْيِي ، وَمَاتَ الْوَدْيُ^(٩) ، بَرِئْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَثْنِ وَالْعَنَنِ^(١٠) ، وَمَا يُحْدِثُ الزَّمَنُ ؛ لَنَا دَعْوَةُ السَّلَامِ ، وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ ، مَا طَمَى

(١) أَكْوَارُ الْمَيْسِ ، الْأَكْوَارُ : الرِّحَالُ ، وَالْمَيْسُ : شَجَرٌ تَصْنَعُ مِنْهُ .

(٢) الرِّهَامُ : الْأَمْطَارُ الضَّعِيفَةُ .

(٣) الْجَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي لَا مَاءَ فِيهِ ، وَنَسْتَجِيلُ : نَرَاهُ جَائِلًا يَذْهَبُ هُنَا وَهَنَالِكَ .

(٤) النَّطَاءُ : الْبَعْدُ . (٥) الْمَدْهَنُ : مَا حَفَرَهُ السَّيْلُ .

(٦) الْجَعِشَنُ : أَصْلُ النَّبَاتِ .

(٧) الْأَمْلُوجُ : وَرَقُ شَجَرٍ يَشْبَهُ الطَّرْفَاءَ وَالسَّرَوَ .

(٨) الْعُسْلُوجُ : الْغَصْنُ إِذَا يَبَسَ وَذَهَبَتْ طَرَاوَتُهُ .

(٩) الْوَدْيُ : فَسِيلُ النَّحْلِ . (١٠) الْعَنَنِ : الْإِعْتَرَاضُ ، يَرِيدُ الشَّرْكَ وَالظُّلْمَ .

البحر، وقام تَعَار؛ ولنا نَعَمْ هُمْلُ أَغْفَال، ما تَبَضَّ بِلَال؛ ووَقِيرٌ ^(١) كثير الرِّسْل، قليل الرِّسْل، أصابتها سُنَّةٌ حَمَاءٌ مُؤَزَلَةٌ ^(٢)، ليس بها علل ولا نهل.

فقال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لهم في مَحْضِهَا وَمَخْضِهَا وَمَذْقِهَا ^(٣)، وآبِث رَاعِيهَا فِي الدَّثَرِ ^(٤)، بِيَانِيعِ الثَّمَرِ، وَافْجُرْ لَهُ الثَّمَدُ ^(٥)، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ، مِنْ أَقَامِ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا. لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ، وَدَائِعِ الشَّرْكِ، وَوَضَائِعِ الْمَلِكِ، لَا تُلْطِظُ ^(٦) فِي الزَّكَاةِ، وَلَا تُلْحَدُ فِي الْحَيَاةِ، وَلَا تَتَأَقِلَ عَنِ الصَّلَاةِ.

وكتب معه كتاباً إلى بني نهد: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي نَهْدٍ بْنِ زَيْدٍ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ فِي الْوُضُفَةِ الْفَرِيضَةِ، وَلَكُمْ الْفَارِضُ ^(٧) وَالْفَرِيشُ، وَذُو الْعَيْنَانِ الرَّكُوبُ وَالْفِلَوُ الضَّبِّيُّ ^(٨)، لَا يُمْنَعُ سَرَحَكُم، وَلَا يُعْضَدُ طَلْحَكُم، وَلَا يُحْبَسُ دَرَكُم، مَا لَمْ تُضْمِرُوا الْإِمَاقَ ^(٩)، وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ ^(١٠). مِنْ أَقْرَبَمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ فَلَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةُ، وَمَنْ أَبَى عَلَيْهِ فَعَلِيهِ الرِّبَاةُ.

وفود جبلة بن الأيهم

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العِجْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَجْدَعِ الْكُوفِيُّ بِهَيْتٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثِقَاتُ شَيْوْخِنَا أَنَّ جَبْلَةَ بْنَ

(١) الوقير: القطيع من الغنم. (٢) مؤزلة: شديدة الضيق.

(٣) المذق: اللبن الممزوج بالماء. (٤) الدثر: الماء الكثير والخصب.

(٥) الثمد: الماء القليل.

(٦) تلطط: تمنع. (٧) الفارض: المريضة.

(٨) الضبيس: الصعب العسر الركوب. (٩) الإماق: الغيظ والبكاء.

(١٠) الرباق: جمع ربق، وهو الحبل يجعل فيه عرى وتشد به البهيمة.

الأيهم بن أبي شمر الغساني لما أراد أن يُسلم كتب إلى عمر بن الخطاب من الشام يُعلمه بذلك وَيَسْتَأْذنه في القدوم عليه . فسرَّ بذلك عمرُ والمسلمون ، فكتب إليه أن اقدمْ ولك مالنا وعليك ما علينا ، فخرج جبلة في خمسمائة فارس من عك وجفنة ، فلما دنا من المدينة ألبسهم ثيابَ الوشي المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس يومئذ جبلةُ تاجه وفيه قرط مارية ، وهي جدته فلم يبق يومئذ بالمدينة أحدٌ إلا خرج ينظر اليه ، حتى النساء والصبيان ، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه ، حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمرَ ابن الخطاب ؛ فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجلٌ من بني فزارة فحله ، فالتفت إليه جبلةُ مغضبا . فلطمه فهشم أنفه ، فاستعدى عليه الفزاري عمرَ بن الخطاب . فبعث إليه فقال : ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه ؟

فقال : إنه وطئ إزاري فحله ، ولولا حُرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه . فقال له عمر : أما أنت فقد أقررت . إمّا أن تُرضيه وإلا أقدته^(١) منك قال : أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة ؟ قال : يا جبلة ، إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضله بشيء إلا [بالتقي] بالعافية . قال : والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك ذلك . قال : إذن أتَنصّر . قال : إن تنصّرت ضربتُ عنقك . قال : واجتمع قومُ جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة ، فقال جبلة : أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين . قال : ذلك لك .

فلما كان جنح الليل خرج جبلةُ وأصحابه ، فلم يثن^(٢) حتى دخل القسطنطينية على هرقل ، فتَنصّر وأقام عنده ، وأعظم هرقلُ قدومَ جبلة ، وسرَّ بذلك وأقطعهُ الأموال والأرضين والرِّباع .

ثم بعث عمر بن الخطاب رسولاً إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، فأجابه إلى المصالحة على غير الإسلام ، فلما أراد أن يكتب جواب عمر قال للرسول : أَلقيتَ ابنَ عمك هذا

(١) أقدته منك : أمكنته . (٢) لم يثن : لم يتوقف ويتمهل .

الذي ببلدنا - يعني جبلة - الذي أتانا راغباً في ديننا ؟ قال : ما لقيته .

قال : القه ، ثم آتني أعطك جواب كتابك .

وذهب الرسول إلى باب جبلة ، فإذا عليه من القهارة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل .

قال الرسول : فلم أزل أتلطف في الإذن حتى أذن لي ، فدخلت عليه ، فرأيت رجلاً أصهب اللحية ذا سبال ؛ وكان عهدي به أسمر أسود اللحية والرأس . فنظرت إليه فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسحالة الذهب^(١) فذرّها في لحيته حتى عاد أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير ، قوائمه أربعة أسود من ذهب ، فلما عرفني رفعتني معه في السرير ، فجعل يسألني عن المسلمين ، فذكرت خيراً ، وقلت : قد أضعفوا أضعافاً على ما تعرف . فقال : كيف تركت عمر بن الخطاب ؟ قلت : بخير . فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة عمر . قال : فأنحدرت عن السرير . فقال : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟ قلت : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا .

قال : نعم ، ﷺ ، ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت . فلما سمعته يقول : ﷺ طمعت فيه ، فقلت له : ويحك يا جبلة ! ألا تسلم وقد عرفت الإسلام وفضله ؟ قال : أبعد ما كان مني ؟

قلت : نعم ، قد فعل رجل من بني فزارة أكثر مما فعلت : ارتد عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع إلى الإسلام وقبِل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلماً .

قال : ذرني من هذا ؛ إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويولّيني الأمر بعده رجعت إلى الإسلام . قلت : ضمنت لك التزويج ولم أضمن لك الإمرة .

قال : فأوماً إلى خادم بين يديه ، فذهب مُسرعا ، فإذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعت ، ونُصبت موائد الذهب وصحاف الفضة ، وقال لي :

(١) سحالة الذهب : ما سقط منه إذا بُرد .

كُلُّ، فقبضت يدي . وقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة . فقال نعم ﷺ ، ولكن نَقَّ قلبك وكُلَّ فيما أحببت . قال: فأكل في الذهب والفضة وأكلتُ في الخَلِيج^(١) ؛ فلما رُفِعَ الطَّعامُ جيء بطساس الفضة وأباريق الذهب ، وأومأ إلى خادم بين يديه ، فمرَّ مُسرَّعا ، فسمعتُ حِسًا ، فالتفتُ ، فإذا خدم معهنَّ الكراسي مُرصَّعة بالجواهر ، فوُضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ، ثم سمعتُ حِسًا ، فإذا عشر جوار قد أقبلن مطمومات الشعر^(٢) متكسرات في الحلى عليهن ثيابُ الديباج ، فلم أر وجوها قط أحسنَ منهن ، فأقعدهنَّ على الكراسي عن يمينه ؛ ثم سمعتُ حِسًا ، فإذا عشر جوارٍ أخرى ، فأجلسهن على الكراسي عن يساره ؛ ثم سمعتُ حِسًا ، فإذا جارية كأنها الشمسُ حسنا ؛ وعلى رأسها تاج ، على ذلك التاج طائر لم أر أحسنَ منه ، وفي يدها اليمنى جام^(٣) فيها مسكٌ وعنبر ، وفي يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد ، فأومأت إلى الطائر أو قال: فصَفَرَت بالطائر ، فوقع في جام ماء الورد فاضطرب فيه ، ثم أومأت إليه أو قال: فصفرت به ، فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة ؛ فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه . وضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ؛ ثم التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه ، فقال: بالله أطربيني ؛ فاندفعن يتغنين يخففن بعيدانهن ويُقلن:

لله دَرَّ عَصَابَةٍ نَادَمَتْهُمْ	يوماً بَجَلَّتْ في الزمان الأول
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ	بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ ^(٤)
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ	قَبْرِ ابْنِ مَارِيَّةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ	لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِيضُ الْوَجْهِ أَعْفَى أَحْسَابُهُمْ	شُمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

قال: فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال: أتدري من قائل هذا ؟ قلتُ: لا . قال:

(١) الخليج: الجفنة . (٢) مطمومات الشعر: ذوات خصل وأجزاء .

(٣) الجام: إناء من فضة .

(٤) البريص: نهر بدمشق ، وكذلك بردى ، والرحيق: الحمر ، والسلسل: اللين .

قائله حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم التفت إلى الجواري اللاتي عن يساره ، فقال : بالله أبكيننا . فاندفعن يتغنين ويخفقن بعيدانهن ويقلن :

لِمَنْ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِمَعَانِ بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ فَالْخَمَانِ ^(١)
ذَاكَ مَعْنَى لَّالِ جَفَنَةٍ فِي الدَّهْرِ مَحَلًّا لِحَادِثِ الْأَزْمَانِ
قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ دَهْرًا مَكِينًا عِنْدَ ذِي التَّاجِ مَقْعَدِي وَمَكَانِي
وَدَنَا الْفِصْحُ فَالْوَلَاءُ يُنْظِمُنَّ سِرَاعًا أَكِلَةَ الْمَرْجَانِ
لَمْ يُعَلَّلَنَّ بِالْمَغَافِرِ وَالصَّمْعِ وَلَا نَقْفٍ حَنْظَلِ الشَّرِيَانِ ^(٢)

قال : فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته ؛ ثم قال : أتدري من قائل هذا ؟
قلت : لا أدري . قال : حسان بن ثابت . ثم أنشأ يقول :

تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارٍ لَطْمَةٍ وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرٌ
تَكْتَفِي مِنْهَا لَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ وَبَعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوْرِ
فِيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي رَجَعْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي قَالَ لِي عُمَرُ
وَيَا لَيْتَنِي أَرَعَى الْمَخَاضَ بِقَفْرَةٍ وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رِبْعَةٍ أَوْ مُضَرٍ
وَيَا لَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

ثم سألتني عن حسان : أحيي هو ؟ قلت : نعم ، تركته حيًا . فأمر لي بكسوة ومال
ونوق موقرة برأ . ثم قال لي : إن وجدته حيًا فادفع إليه الهدية واقربه سلامي ، وإن
وجدته ميتًا فادفعها إلى أهله وأنحر الجبال على قبره .

فلما قدمت على عمر أخبرته خبر جيلة وما دعوته إليه من الإسلام والشرط الذي
شرطه وأني ضمننت له التزويج ولم أضمن له الإمرة ، فقال : هلا ضمننت له الإمرة ؛
فإذا أفاء الله به إلى الإسلام قضى عليه بحكمه عز وجل .

(١) الخمان : من نواحي دمشق .

(٢) المغافير : صمغ شبيهة بالناطف ينضحه العرطف والشريان : شجر من أعضاء الجبال .

ثم ذكرتُ له الهدية التي أهداها إلى حسان بن ثابت، فبعثَ إليه وقد كَفَّ بصره، فأُتي به وقائدٌ يقوده، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين، إني لأجد رياحَ آلِ جفنة عندك! قال: نعم. هذا رجل أقبل من عنده. قال: هات يا بن أخي إنه كرم من كرام مدحتهم في الجاهلية فحلف ألا يلقي أحدا يعرفني إلا أهدى إليّ معه شيئا. فدفعتُ إليه الهدية. المال والثياب، وأخبرته بما كان أمر به في الإبل إن وُجد ميتاً. فقال: وددت أني كنت ميتاً فنُحِرَت على قبري.

قال الزبير: وانصرف حسان وهو يقول:

إِنَّ ابْنَ جَفْنَةَ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ لَمْ تَغْذُهُمْ آبَاؤُهُمْ بِاللُّومِ
لَمْ يَنْسَى بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رَبُّهَا مَلِكًا وَلَا مُتَنَصِّرًا بِالرُّومِ
يُعْطِي الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ إِلَّا كَبْعُضِ عَطِيَّةِ الْمَذْمُومِ

فقال له رجل كان في مجلس عمر: أتذكر ملوكا كفره أبادهم الله وأفناهم؟ قال: ممن الرجل؟ قال: مُزَنِي. قال: أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله ﷺ لطوّقتك طوق الحمامة.

قال: ثم جهزني عمر إلى قيصر وأمرني أن أضمن لجلبة ما اشترط به.

قلما قدمت القسطنطينية وجدتُ الناس مُنصرفين من جنازته، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب.

وفود الأحنف على عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

المدائني قال: قدم الأحنفُ بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في أهل البصرة وأهل الكوفة، فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم، وتكلم الأحنف فقال:

يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، وقد أتتك وفودُ أهل العراق، وإن

إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر^(١)، فهم من المياه العذبة والجنان المخصبة في مثل حَوْلَاء السَّلَى وحدقة البعير^(٢)، تأتيهم ثمارهم غضة لم تتغير؛ وإنا نزلنا أرضاً نشاشة طَرَفٌ في فلاة وطرف في ملح أجاج، جانبٌ منها منابت القصب، وجانب سَبْخَةٌ نشاشة لا يَجِفُ ترابها، ولا يَنْبِت مرعاها، تأتينا منافعها في مثل مريء النعامة، يخرج الرجل الضعيف ممّا يستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة بمثل ذلك تُرَنِّقُ^(٣) ولدها ترنيق العنز، تخاف عليه العدو والسبع، فأبلا ترفع خَسِيسَتَنَا. وتُنْعَشُ رَكِيسَتَنَا^(٤)، وتجبر فاقتنا، وتزيد في عيالنا عيالاً، وفي رجالنا رجالاً، وتُصَفِّرُ درهمنا، وتكبر قفيزنا، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هَلَكْنَا.

قال عمر: هذا والله السيد! هذا والله السيد!

قال الأحنف: فما زلت أسمعها بعدها.

فأراد زيد بن جبلة أن يضع منه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس هناك، وأمه باهلية.

قال عمر: هو خير منك إن كان صادقاً. يريد: إن كانت له نية.

فقال الأحنف:

أنا ابنُ الباهِلِيَّةِ أَرْضَعْتَنِي بِسَدْيٍ لَا أَجَدَّ وَلَا وَخِيمٍ^(٥)
أَغْضَ عَلَى الْقَذَى أَجْفَانِ عَيْنِي إِذَا شَرَّ السَّقِيهِ إِلَى الْحَلِيمِ^(٦)

قال فرجع الوفد واحتبس الأحنف عنده حولا وأشهرًا، ثم قال: إن رسول الله

(١) بني الأصفر: يعني الروم.

(٢) الحولاء: غلاف أخضر مملوء ماءً، والسلى: الجلد الرقيقة التي يكون فيها الولد، ويكتى بحولاء السلى وحدقة البعير عن الخصب والخير.

(٣) الترنيق: إدامة النظر. (٤) الركب: قلب أول الشيء على آخره.

(٥) الأجد: اليابس القليل اللبن.

(٦) أغض: أصبر وأطبق أجفاني والقذى: ما يقع في العين من أذى وشر: من الشر.

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا كُلُّ مَنْافِقٍ صَنَعَ اللِّسَانَ، وَإِنِّي خِفْتُكَ فَاحْتَبَسْتُكَ، فَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْكَ إِلَّا خَيْرٌ؛ رَأَيْتُ لَكَ جَوْلًا^(١) وَمَعْقُولًا؛ فَارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ. وَكُتِبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَحْتَفِرَ لَهُمْ نَهْرًا.

وفود الأحنف وعمرو بن الأهتم

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: وَقَدْ الْأَحْنَفُ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُقْرِعَ بَيْنَهُمَا فِي الرِّيَاسَةِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ بَنُو تَمِيمٍ، قَالَ الْأَحْنَفُ: ثَوَى قَدَحٌ عَنْ قَوْمِهِ طَالَمَا ثَوَى فَلَمَّا أَتَاهُمْ قَالَ قَوْمُوا تَنَاجَرُوا فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ: إِنَّا كُنَّا وَأَنْتُمْ فِي دَارِ جَاهِلِيَّةٍ فَكَانَ الْفَضْلُ فِيهَا لِمَنْ جَهِلَ، فَسَفَكْنَا دِمَاءَكُمْ، وَسَبَيْنَا نِسَاءَكُمْ، وَإِنَّا الْيَوْمَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَالْفَضْلُ فِيهَا لِمَنْ حَلِمَ؛ فَغَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ.

قال: فغلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف ووقعت القرعة لآل الأهتم فقال عمرو بن الأهتم:

لَمَّا دَعَتْنِي لِلرَّيَّاسَةِ مِنْقَرٌ لَدَى مَجْلَسٍ أَضْحَى بِهِ النَّجْمُ بِأَدْيَا شَدَدْتُ لَهَا أَزْرِي وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَهَا لِأَمْثَالِهَا مِمَّا أَشَدُّ إِزَارِيَا

وعمر بن الأهتم: هو الذي تكلم بين يدي رسول الله ﷺ، وسأله عن الزبرقان، فقال عمرو: مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ، مَانِعٌ لَمَّا وَرَاءَ ظَهْرِهِ.

فقال الزبرقان: والله يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال، ولكن حسدني.

قال: أما والله يا رسول الله، إنه لزمير^(٢) المروءة، ضَيِّقُ الْعَطَنِ^(٣)؛ أَحَقُّ الْوَالِدِ

(١) الجول: الرأي.

(٢) زمر المروءة: قليلها.

(٣) العطن: مبرك الجبال ومريض الغنم حول الماء.

لئيم الخال؛ والله ما كذبتُ في الأولى ولقد صدقتُ في الأخرى؛ رضيتُ عن بن عمي
فقلتُ أحسن ما علمتُ ولم أكذب، وسخِطْتُ عليه فقلتُ أقبح ما علمتُ ولم أكذب .
فقال رسول الله ﷺ : إنَّ من البيان لسحراً .

وفود عمرو بن معديكرب

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إذ أوفده سعد

لما فتحت القادسيّة على يدي سعد بن أبي وقاص، أبلى فيها عمرو بن معديكرب
بلاءً حسناً، فأوفده سعدٌ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكتب إليه معه بالفتح
وأثنى في الكتاب على عمرو؛ فلما قدّم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد، فقال:
أعرابي في نمرته^(١)، أسدٌ في تأمورته^(٢)، نبطي في جبايته، يقسم بالسوية، ويعدل في
القضية وينقل^(٣) في السريّة؛ وينقل إلينا حقنا نقل الذرة. فقال عمر: لشّد ما
تقارضتُما الثناء. وكان عمر قد كتب إلى سعد يوم القادسيّة أن يُعطي الناس على قدر
ما معهم من القرآن؛ فقال سعد لعمر بن معديكرب ما معك من القرآن؟ قال: ما
معي شيء. قال: إن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أعطي الناس على قدر ما معهم من
القرآن. فقال عمرو:

إِذَا قُتِلْنَا وَلَا يَبْكِي لَنَا أَحَدٌ قَالَتْ قَرِيشُ أَلَا تِلْكَ الْمَقَادِيرُ
نُعْطِي السَّوِيَّةَ مِنْ طَعْنٍ لَهُ نَفْذٌ وَلَا سَوِيَّةٌ إِذْ تُعْطَى الدَّنَانِيرُ
قال: فكتب سعد بأبياته إلى عمر، فكتب إليه أن يُعْطَى على مقاماته في الحرب .

(١) النمرة: بردة من صوف تلبسها الأعراب .

(٢) التأمورة: عريسة الأسد . (٣) في بعض الأصول: «وينقر» .

وفود أهل اليمامة على أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

وفد أهل اليمامة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بعد إيقاع خالد وقَّتلَه مُسلمة الكذاب، فقال لهم أبو بكر: ما كان يقول صاحبكم؟ قالوا: أعفنا يا خليفة رسول الله. قال: لا بد أن تقولوا. قالوا: كان يقول: يا ضِفْدَع كم تَنَقِّين. لا الشرابَ تَمْنعين، ولا الماءَ تُكَدِّرِينَ، لنا نصفُ الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم لا يعدلون. فقال لهم أبو بكر: ويحكم! ما خرج هذا من إلٍّ ولا برٍّ، فأين ذهب بكم؟ قال أبو عبيد: الإل: الله تعالى. والبر: الرجل الصالح.

وفود عمرو بن معديكرب

على مجاشع بن مسعود

وفد عمرو بن معديكرب الزُّبَيْدِي على مُجاشع بن مسعود السُّلَمِي - وكانت بين عمرو وبين سُلَيْم حروب في الجاهلية - فقدم عليه البصرة يسأله الصلة، فقال له: اذْكُر حاجتك. فقال له: حاجتي صلةٌ مثلي. فأعطاه عشرة آلاف درهم، وفرساً من بنات الغبراء، وسيفاً جُرازاً^(١)، ودرعاً حصينة، وغلاماً خبازاً؛ فلما خرج من عنده. قال له أهل المجلس: كيف وجدتَ صاحبك؟ قال لله بنو سُلَيْم! ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللأواء^(٢) عطاءها، وأثبت في المكرمات بناءها. والله يا بني سُلَيْم، لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أَجَبْنَاكم، ولقد هاجيناكم فما أَفَحَمْنَاكم، ولقد سألناكم فما أَبْخَلْنَاكم:

فَلِلَّهِ مَسْئُولاً نَوَالاً وَنَائِلاً وَصَاحِبَ هَيْجٍ يَوْمَ هَيْجِ مُجَاشِعٍ

(١) جرازاً: ماضياً نافذاً. (٢) اللأواء: الشدة والضيق.

وفود الحسن بن علي رضي الله عنهما

على معاوية رضي الله عنه

أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قال: وفد الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية بعد عام الجماعة، فقال له معاوية: والله لاحبونك بجائزة ما أجزتُ بها أحداً قبلك ولا أجزى بها أحداً بعدك. فأمر له بمائة ألف.

وفي بعض الحديث إن النبي ﷺ دخل على أبنته فاطمة، فوجد الحسن طفلاً يلعب بين يديها، فقال لها: إن الله تعالى سيُصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وفود زيد بن منية على معاوية رحمه الله

العتبي قال: قدم زيد بن منية على معاوية من البصرة - وهو أخو يعلى ابن منية صاحب جل عائشة، ومتولي تلك الحروب، ورأس أهل البصرة. وكان عتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة يعلى بن منية - فلما دخل على معاوية شكاً إليه ديناً لزمه. فقال: يا كعب، أعطه ثلاثين ألفاً. فلما ولى قال: وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى. ثم قال له الحق بصهرك - يعني عتبة - فقدم عليه مصر، فقال: إنني سرتُ إليك شهرين، أخوض فيهما المتالف، ألبس أردية الليل مرّة، وأخوض في لجج السراب أخرى، موقراً من حسن الظن بك، وهارباً من دهر قَطم، ودَيْن لَزَم، بعد غِنَى جَدَعْنَا به أنوف الحاسدين، فلم أجد إلا إليك مَهْرباً وعليك مَعَوَلاً. فقال عتبة: مرحباً بك وأهلاً؛ إن الدهر أعاركم غِنَى، وخالطكم بنا، ثم استرد ما أمكنه أخذه، وقد أبقى لكم منا ما لا ضيعة معه، وأنا واضعٌ يدي ويدك بيد الله فأعطاه ستين ألفاً، كما أعطاه معاوية رحمه الله.

وفود عبد العزيز بن زرارَة

على معاوية رحمه الله

العُتْبِي عن أبيه قال: وفد عبد العزيز بن زرارَة على معاوية وهو سيّد أهل الكوفة. فلما أذن له وقف بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أزل أهرز ذوائب الرّحال إليك؛ إذ لم أجد معوّلاً إلا عليك، امتطى الليل بعد النهار، وأسِم المجاهل بالآثار، يقودني إليك أمل، وتُسوّقني بَلوى، والمجتهد يُعذّر، وإذ بلغتكَ ففقطني. فقال معاوية: احطط عن راحلتك رحلها.

وخرج عبد العزيز بن زرارَة مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة، فهلك هناك؛ فكتب به يزيد بن معاوية إلى معاوية، فقال لزارَة: أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب. قال زرارَة: يا أمير المؤمنين، هو ابني أو ابنك. قال: بل ابنك. قال: للموت ما تلد الوالدة.

أخذه سابق البربري فقال:

وَلِلْمَوْتِ تَغْذُو الْوَلِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنِي الْمَسَاكِينَ

وقال آخر:

لِلْمَوْتِ يُولَدُ مِنَّا كُلُّ مَوْلُودٍ لَا شَيْءَ يَبْقَى وَلَا يَفْنَى بِمَوْجُودٍ

وفود عبد الله بن جعفر

على يزيد بن معاوية

المدائني قال: قدّم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية، فقال له: لم كان عطاؤك؟ فقال له: ألف ألف. قال: قد أضعفناها لك. قال: فذاك أبي وأمي وما قلتها لأحد قبلك! قال: أضعفناها لك ثانية. فقل ليزيد: أتعطي رجلاً واحداً أَرَمَة آلاف ألف؟ فقال: ويحكم، إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين، فما يده فيها إلا عارية.

فلما كان في السنة الثانية قدّم عبد الله بن جعفر، وقدم مولى له يقال له نافع،

كانت له منزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف، وقضى عنه ألف ألف، ثم نظر إليّ فتبسم، فقلت: هذه لتلك الليلة . وكنتُ سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعته فيها، فذكرته بها وقدمتُ عليه هدايا من مصر كثيرة، فأمر بها لعبد الله بن جعفر؛ وكانت له مائة ناقة، فقلت لابن جعفر: لو سألتَه منها شيئاً نَحْتَلِبُه في طريقنا؟ ففعل، فأمر بصرفها كلها إليه . فلما أراد الوداع أرسل إليّ فدخلت عليه، فقال: ويلك! إنما أَخَرْتُكَ لأتفرغ إليك، هات قول جميل .

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

قال؛ فأسمعته، فقال: أحسنت والله؛ هات حاجتك! فما سألتَه شيئاً إلا أعطانيه، فقال: إن يُصلح الله هذا الأمر من قبل ابن الزبير تَلَقَّنَا بالمدينة؛ فإن هذا لا يَحْسُنُ إلا هناك . فمنع والله من ذلك شؤم ابن الزبير .

وفود عبد الله بن جعفر

على عبد الملك بن مروان

قال بُديح: وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، وكان زَوْج ابنته أم كلثوم من الحجاج على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية، وحملها إليه إلى العراق، فمكثت عنده ثمانية أشهر . قال بُديح: فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان، خرجنا معه حتى دخلنا دمشق، فإنا لَنُحِطُّ رحالنا إذ جاءنا الوليد بن عبد الملك على بغلة وَرْدَة ومعه الناس، فقلنا: جاء إلى ابن جعفر ليُحييه ويدعوه إلى منزله . فاستقبله ابنُ جعفر بالترحيب، فقال له: لكن أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً! فقال: مهلاً يا بن أخي، فلستُ أهلاً لهذه المقالة منك . قال: بلى، ولِشَرِّ منها، قال: وفيم ذلك؟ قال: إنك عمدتَ إلى عقيلة نساء العرب، وسيدة بني عبد مناف، ففرشتها عبدٌ ثقيف يتفخّذها . قال: وفي هذا عتب عليّ يا بن أخي؟ قال: وما أكثرُ من هذا؟ قال: والله إن أحق الناس أن لا يلومني في هذا لأنت وأبوك؛ إن كان من

البلکم من الولاية لیصلون رَحمي، ويعرفون حقي، وإنک وأباك منعتماني ما عندكما حتی ركبني من الدین ما والله لو أن عبدًا مُجدَّعًا حبشیًّا أعطاني بها ما أعطاني عبدٌ ثقیف لزوَّجتها؛ فإنما فديتُ بها رقبتي من النار. قال: فما راجعه كلمةٌ حتی عطف عنانه، ومضى حتی دخل على عبد الملك - وكان الوليدُ إذا غضب عَرف ذلك في وجهه - فلما رآه عبد الملك قال: مالک أبا العباس؟ قال: إنک سلَّطت عبدَ ثقیف وملَّکته ورفعتہ حتی تفخَّذَ نساءَ عبد مناف، وأدرکتہ الغيرة. فکتب عبدُ الملك إلى الحجاج يعزم علیه ألاّ يضع کتابه من يده حتی یطلقها... فما قطع الحجاج عنها رزقًا ولا کرامة یُجرِها علیها حتی خرجت من الدنيا. قال: وما زال واصلاً لعبد الله بن جعفر حتی هلك. قال بُدیح: فما كان یأتی علينا هلالٌ إلاّ وعندنا غیر مُقبلة من الحجاج، علیها لُطفٌ وكُسوة ومِيرة، حتی لحق عبدُ الله بن جعفر بالله.

ثم استأذن ابنُ جعفر علی عبد الملك، فلما دخل علیه استقبله عبد الملك بالترحیب، ثم أخذ بيده فأجلسه معه علی سريره، ثم سأله فألطف المسألة، حتی سأله عن مطعمه ومشربه. فلما انقضت مسألته، قال له یحيى بن الحکم: أمین خِبةٌ كان وجَّهک يا أبا جعفر؟ قال: وما خِبةٌ؟ قال: أرضک التي جئت منها. قال: سبحان الله، رسول الله ﷺ یسميها طيبة وتسميها خِبةٌ؟ لقد آخلتما فی الدنيا وأظنكما فی الآخرة مختلفین.

فلما خرج من عنده هیأ له ابنُ جعفر هدايا وألطافاً. فقلت لبُدیح: ما قيمة ذلك؟ قال: قيمته مائة ألف. من وُصفَاء ووصائف وكسوة وحریر ولُطف من لُطف الحجاز. قال: فبعثني بها، فدخلتُ علیه وليس عنده أحد. فجعلت أعرض علیه شيئاً شيئاً. قال: فما رأيت مثل إعظامه لكل ما عرضتُ علیه من ذلك، وجعل یقول كلما أريته شيئاً: عافى الله أبا جعفر! وما رأيت کاليوم، وما نريد أن يتكلف لنا شيئاً من هذا، وإن کُنّا لمتذمِّمين محتشمين. قال: فخرجت من عنده وأذن لأصحابه.

فوالله لبينا أنا عند بن جعفر أحدثه عن تعجب عبد الملك وإعظامه لما أهدى

إليه، إذا بفارس قد أقبل علينا، فقال أبا جعفر، إن أمير المؤمنين يقرأ السلام عليك، ويقول لك: جمعت له وخش رقيق الحجاز وأبأقهم وحبست عنا فلانة، فأبعث بها إلينا - وذلك أنه حين دخل عليه أصحابه جعل يحدثهم عن هدايا ابن جعفر ويعظمها عندهم، فقال له يحيى بن الحكم: وماذا أهدى إليك ابن جعفر؟ جمع لك وخش رقيق الحجاز وأبأقهم وحبس عنك فلانة. قال: ويلك، وما فلانة هذه؟ قال: ما لم يسمع واد أحدٌ بمثلها قطّ جمالاً وكمالاً وخُلُقاً وأدباً، لو أراد كرامتك بعث بها إليك. قال: وأين تراها. وأين تكون؟ قال: هي والله معه، وهي نفسه التي بين جنبيه - فلما قال الرسول ما قال، وكان ابن جعفر في أذنه بعض الوقر، إذا سمع ما يكره تصام، فأقبل عليه فقال: ما يقول يا بُدّيح؟ قال: قلت: فإن أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول: إنه جاءني بريد من ثغر كذا يقول: إن الله نصر المسلمين وأعزهم. قال: اقرأ أمير المؤمنين السلام، وقل له: أعز الله نصرك، وكُتبت عدوك. فقال الرسول: يا أبا جعفر، إني لست أقول هذا. وأعاد مقالته الأولى. فسألني فصرفته إلى وجه آخر. فأقبل عليّ الرسول، فقال: يا ماصّ... أبرسُ أمير المؤمنين تهكّم، وعن أمير المؤمنين تُجيب هذا الجواب؟ أما والله لأُطلنّ دمك. فانصرف، وأقبل عليّ بن جعفر فقال: مَنْ ترى صاحبنا؟ قال: صاحبك بالأمس. قال: أظنه! فما الرأي عندك؟ قلت: يا أبا جعفر، قد تكلفتُ له ما تكلفت، فإن منعته إياه جعلتها سبباً لمنعك، ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بناتك ما كنتُ أرى أن تمنعها إياه. قال: أدعها لي فلما أقبلتُ. رَحَّبَ بها ثم أجلسها إلى جنبه، ثم قال: أما والله ما كنتُ أظن أن يفرق بيني وبينك إلا الموت. قالت: وما ذاك؟ قال: إنه حدث أمر، وليس والله كائناً فيه إلا ما أحببت، جاء الدهر فيه بما جاء. قالت: وما هو؟ قال: إن أمير المؤمنين بعث يطلبك. فإن تهوى فذاك، وإلا والله لم يكن أبداً. قالت: ما شيء لك فيه هوى ولا أظنّ فيه فرجاً عنك إلا فديته بنفسي، وأرسلتُ عينيها بالبكاء. فقال لها: أما إذا فعلت فلا تَرَيْنَ مكروهاً: فمسحتُ عينيها، وأشار إليّ فقال: ويحك يا بُدّيح استحثها قبل أن تتقدّم إليّ من القوم بادرة. قال: ودعا بأربع

وصائف ودعا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار، ودعا مولاة له كانت تلي طيبه، فَدَحَسَتْ لها ربة عظيمة مملوءة طيباً، ثم قال: عجلها وملك. فخرجت أسوقها حتى انتهت إلى الباب؛ وإذا الفارس قد بلغ عني، فما تركني الحجاب أن تَمَسَّ رجلاي الأرض حتى أدخلت على عبد الملك وهو يتلظى، فقال لي يا ماص، وكذا أنت المجيب عن أمير المؤمنين والمتهم برسله؟ قلت: إيذن لي جعلني الله فداك أتكلم. قال: تكلم. قلت: يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأناً، وأقل خطراً من أن يبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرى، وهل أنا إلا عبد من عبيد أمير المؤمنين، نعم، قد قلت ما بلغك، وقد يعلم أمير المؤمنين إنما نعيش في كنف هذا الشيخ، وأن الله لم يزل إليه مُحَسَنًا، فجاءه من قبلك شيء ما أتاه قط مثله، إنما طلبت نفسه التي بين جنبيه، فأجبت بما بلغك لأسهل الأمر عليه؛ ثم سألتني فأخبرته واستشارني فأشرت عليه، وها هي ذه قد جئتُك بها. قال: أدخلها وملك! قال: فأدخلتها عليه وعنده مسلمة ابنته، غلام ما رأيت مثله ولا أجل منه حين أخضر شاربه. فلما جلست وكلمتها أعجب بكلامها، فقال: لله أبوك، أمسكك لنفسي أحب إليك أم أهبك لهذا الغلام، فإنه ابن أمير المؤمنين، قالت: يا أمير المؤمنين، لست لك بحقيقة، وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجهاً. قال: فقام من مكانه ما راجعها، فدخل، وأقبل عليها مسلمة فقال: يا لكاع^(١)، أعلی أمير المؤمنين تختارين؟ قالت: يا عدو نفسه إنما تلومني أن اخترتك؟ لعمر الله لقد قال رأي من آخترتك. قال: فضيقت والله مجلسه. واطلع علينا عبد الملك قد ادهن بدهن وآرى الشيب، وعليه حلة تتلأأ كأنها الذهب، بيده مخضرة^(٢) يخطر بها، فجلس مجلسه على سرير، ثم قال: إياها، لله أبوك، أمسكك لنفسي أحب لك أم أهبك لهذا الغلام؟ قالت: ومن أنت أصلحك الله؟ قال لها الخصي: هذا أمير المؤمنين! قالت: لست مختارة على أمير المؤمنين أحداً. قال: فأين

(١) لكاع: أحق.

(٢) المخضرة: ما يتوكأ عليه كالعصا.

قولك آنفاً؟ قالت: رأيتُ شيخاً كبيراً، وأرى أمير المؤمنين أشبَّ الناس وأجلهم، ولست مختارة عليه أحداً، قال: دونكها يا مسيلمة قال بُديح، فنشرتُ عليه الكُسوة والدنانير التي معي، وأريته الجوارى والطَّيب. قال: عافى الله ابنَ جعفر! أخشي ألا يكونَ لها عندنا نفقة وطيب وكُسوة؟ فقلت: بلى، ولكنه أحبُّ أن يكونَ معها ما تكفي به حتى تستأنس. قال: فقَبضها مسلمة، فلم تلبث عنده إلا يسيراً حتى هَلكت. قال بُديح: فوالله الذي ذهب بنفس مسلمة، ما جلست معه مجلساً ولا وقفتُ موقفاً أنازعه فيه الحديث، إلا قال: ابغني مثل فلانة. فأقول: ابغني مثل ابن جعفر.

قال: فقلت لبديح: ويلك! فما أجازه به؟ قال: قال حين دفع إليه حاجته ودينه: لأجيزنك جائزة لو نُشر لي مروان من قبره ما زِدته عليها. فأمر له بمائة ألف. وإمَّ الله إني لا أحسبه أنفق في هديته ومسيره ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسه مائتي ألف.

وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف: أن أبعث إلي رجلاً يصلح للدين والدنيا، أتخذه سميراً وجليساً وخليلاً. فقال الحجاج: ما ماله إلا عامرُ الشَّعبي. وبعث به إليه؛ فلما دخل عليه وجده قد كَبَا مُهْتَمّاً، فقال: ما بال أمير المؤمنين؟ قال ذكرتُ قول زهير^(١):

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً	خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لِحَامِي
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى	فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِي
فَلَوْ أَنَّنِي أُرْمَى بِنَبْلٍ رَأَيْتُهَا	وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ تَارَةً وَعَلَى الْعَصَا	أَنْوُهُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي ^(٢)

قال له الشَّعبي: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال ليبيدُ بن ربيعة، وقد بلغ سبعين حِجَّةً:

(١) ينسب هذا الشعر لعمر بن قميئة. (٢) أنوء: أثقل.

كأني وقد جاوزتُ سَبْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بها عَنْ مَنْكِبَيَّ رِدَائِيَا
خَلِيفَةَ اللَّهِ مَاذَا تَأْمُرَنَّ بِنَا لَسْنَا إِلَيْكُمْ وَلَا فِي دَارٍ مُنْتَظَرٍ
مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ يَزِيدُنِي قَدْ طَالَ فِي الْحَيِّ إِصْعَادِي وَمُنْحَدَرِي
لَا يَنْفَعُ الْحَاضِرُ الْمَجْهُودُ بَادِيَنَا وَلَا يَعُودُ لَنَا بَادٍ عَلَى حَضَرٍ
إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنَا مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
نَالِ الْخِلَافَةِ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ
هَذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا فَمَنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأَرْمَلِ الذِّكْرِ

فقال: يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثائة، فهاثة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنها لأحب مال إليّ كسبته. ثم خرج، فقالوا له: ما وراءك؟ قال ما يسوءكم! خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني عنه لراض. ثم أنشأ يقول:

رَأَيْتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لَا تَسْتَفِزُّهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجَنِّ رَاقِيَا^(١)

وفود الحجاج بابراهيم بن محمد بن طلحة

على عبد الملك بن مروان

عمران بن عبد العزيز قال: لما ولي الحجاج بن يوسف الحرّمين بعد قتله ابن الزبير، استخلص إبراهيم بن محمد بن طلحة فقرّبه وعظّم منزلته. فلم تزل تلك حاله عنده حتى خرج إلى عبد الملك بن مروان، فخرج معه مُعَادِلًا، لَا يُقَصِّرُ لَهُ فِي بَرٍّ وَلَا إِعْظَامٍ، حَتَّى حَضَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَبْدَأْ بِشَيْءٍ بَعْدَ السَّلَامِ إِلَّا أَنْ قَالَ لَهُ: قَدِمْتَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَجُلِ الْحِجَازِ، لَمْ أَدَعْ لَهُ بِهَا نَظِيرًا فِي الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ وَحُسْنِ الْمَذْهَبِ، مَعَ قَرَابَةِ الرَّحِمِ، وَوُجُوبِ الْحَقِّ، وَعِظَمِ قَدْرِ الْأَبَوَّةِ، وَمَا بَلَوْتُ مِنْهُ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَحُسْنِ الْمَوَازَرَةِ، وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، وَقَدْ

أحضرتُه بآبِكَ ليسهل عليه إدْنُكَ، وتعرفَ له ما عَرَفْتُكَ . فقال: أذْكَرْتَنَا رَحْمًا قَرِيبَةً وحَقًّا واجبا، يا غلام، إِيْذَنْ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ . فلما دخل عليه أدناه عبدُ الملكِ حتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فَرَّاشِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا بَنَ طَلْحَةَ، إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ ذَكَرْنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُكَ بِهِ فِي الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ وَحُسْنِ الْمَذْهَبِ، مَعَ قَرَابَةِ الرَّحْمِ وَوَجُوبِ الْحَقِّ وَعِظَمِ قَدْرِ الْأُبُوءَةِ، وَمَا بَلَاهُ مِنْكَ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَحُسْنِ الْمَوَازَرَةِ، فَلَا تَدَعَنَّ حَاجَةً فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَعَامَّتِكَ إِلَّا ذَكَرْتَهَا . فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ أَوَّلَ الْحَوَائِجِ، وَأَحَقُّ مَا قُدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا، وَلِحَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ أَدَاءً، وَلَكَ فِيهِ وَلِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ نَصِيحَةٌ، وَعِنْدِي نَصِيحَةٌ لَا أَجِدُ بُدًّا مِنْ ذِكْرِهَا، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا وَأَنَا خَالٍ، فَأَخْلِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرَدُّ عَلَيْكَ نَصِيحَتِي . قال: دُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ؟ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْحِجَاكِجِ: قُمْ . فلما خَطَرَفَ^(١) السِّتْرَ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا بَنَ طَلْحَةَ، قُلْ نَصِيحَتَكَ . فقال: تَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ عَمِدْتُ إِلَى الْحِجَاكِجِ فِي تَغَطُّرِهِ وَتَعَجُّرِهِ وَبُعْدِهِ مِنَ الْحَقِّ وَقُرْبِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، فَوَلِيَّتُهُ الْحَرَمِينَ، وَهَمَّا مَا هُمَا، وَبِهَما مَا بِهِمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالْمَوَالِي الْأَخْيَارِ، يَطْوُهُمْ بِطَغَامٍ^(٢) أَهْلُ الشَّامِ، وَرِعَاعٌ لَا رُوبَةَ لَهُمْ فِي إِقَامَةِ حَقٍّ وَلَا فِي إِزَاحَةِ بَاطِلٍ، وَيُسَوِّمُهُمُ الْخَسْفُ، وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِغَيْرِ السَّنَةِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْ سَفْكَ دِمَائِهِمْ، وَمَا أَنْتَهُمْ مِنْ حَرَمِهِمْ؟ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ زَاهِقٌ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَبِيِّكَ غَدًّا إِذَا جِئَاكَ^(٣) لِلْخُصُومَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي أُمَّتِهِ . أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَنْجُو هُنَالِكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ . فَارْبَعٌ^(٤) عَلَى نَفْسِكَ أَوْدَعَ . فقال له عبدُ الملكِ: كَذَبْتَ وَمِنْتَ^(٥) وَظَنَّ بِكَ الْحِجَاكِجُ مَا لَمْ يَجِدْهُ فِيكَ؛ وَقَدْ يُظَنُّ الْخَيْرُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ؛ قُمْ فَأَنْتَ الْكَاذِبُ الْمَائِنُ . قال: فَقَمْتُ وَمَا أَعْرِفُ طَرِيقًا . فلما خَطَرَفْتُ السِّتْرَ لِحَقْنِي لِأَحَقِّ فَقَالَ: احْبِسُوا هَذَا، وَقَالَ لِلْحِجَاكِجِ: ادْخُلْ . فَدْخَلَ، فَمَكَثَ مَلِيًّا مِنَ النَّهَارِ لَا أَشْكُ أَنَّهَا فِي أَمْرِي، ثُمَّ خَرَجَ

(٢) الطَّغَامُ: أَرَاذِلُ النَّاسِ .

(١) خَطَرَفَ السِّتْرَ: انْسَدَلَ .

(٤) أَرْبَعٌ: أَرْفَقَ وَتَهَلَّلَ .

(٣) جِئَاكَ: جَالَسَكَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ .

(٥) الْمَيْنُ: الْكَذِبُ .

الآذِنُ فقال: ادخل يا بن طلحة. فلما كُشِفَ لي الستر لقيني الحجاج وهو خارج وأنا داخل؛ فأعتقني وقبل ما بين يدي، وقال: أما إذا جرى الله المتواخين خيراً بفضل تواصلهما، فجزاك الله عني أفضل الجزاء؛ فوالله لئن سلّمت لك لأرفعنّ ناظرَكَ، ولأعلينّ كعبَكَ، ولأتبعنّ الرجالَ غبارَ قدميك. قال: فقلت: يهزأ بي وحقّ الكعبة!

فلما وصلت إلى عبد الملك، أدناني حتى أدناني عن مجلسي الأول؛ ثم قال: يا بن طلحة، لعلّ أحداً شاركك في نصيحتك هذه! قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم أحداً أنصعَ عندي يداً ولا أعظمَ معروفاً من الحجاج. ولو كنت محابياً أحداً لغرض دنيا لحابيته. ولكني آثرتُ الله ورسوله، وآثرتُ المؤمنين عليه. قال: قد علمتُ أنك لم تُرد الدنيا، ولو أردتها لكانت لك في الحجاج، ولكن أردتَ الله والدار الآخرة. وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالاً لهما؛ وولّيته العراقين وما هنالك من الأمور التي لا يدحضها إلا مثله، وأعلمته أنك استدعيتني إلى ولايته عليها استزادةً له، لألزمه بذلك من حقك ما يؤدّي إليك عني اجرَ نصيحتك. فاخرج معه فإنك غير ذامٍ لصحبته فخرجت مع الحجاج وأكرمني أضعاف إكرامه.

وفود رسول المهلب

على الحجاج بقتل الأزارقة

أبو الحسن المدائني قال: لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاءة صاحب الأزارقة، بعث إلى مالك بن بشير فقال له: إني موفدك إلى الحجاج فسر فإنما هو رجل مثلك. وبعث إليه بجائزة، فردّها وقال: إنما الجائزة بعد الاستحقاق. وتوجّه. فلما دخل على الحجاج، قال له: ما أسمك؟ قال: مالك بن بشير. قال: مُلكٌ وبشارة. كيف تركت المهلب؟ قال: أدرك ما أمل وأمن من خاف. قال: كيف هو بجنده؟ قال: والد رؤوف: قال: فكيف جنده له؟ قال: أولاد برّة. قال: كيف رضاهم

عنه ؟ قال : وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل . قال : فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم ؟ قال : نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ، ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا . قال : كذلك الحدُّ إذا لقي الحدَّ . قال : فما حال قطري ؟ قال : كاذنا يبعض ما كدناه . قال : فما منعكم من اتِّباعه ؟ قال : رأينا المقام من ورائه خيراً من اتِّباعه . قال : فأخبرني عن ولد المهلب . قال : أعباء القتال بالليل ، حُماة السَّرح بالنهار . قال : أيُّهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أبيهم . قال : لتقولن . قال : هم كحلقةٍ مضروبة لا يُعرف طرفاها . قال : أقسمتُ عليك هل رَوَّاتٌ^(١) في هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً . فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع .

وفود جرير

على عبد الملك بن مروان

لما مدح جرير بن الخطفي الحجاج بن يوسف بشعره الذي يقول فيه :

مَنْ سَدَّ مَطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ

وبشعره الذي يقول فيه :

أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى التَّسَاءِ حَفِيزَةً إِذْ لَا يَثْقَنَ بَغْيَرَةَ الْأَزْوَاجِ^(٢)

وقوله :

دَعَا الْحَجَّاجُ مِثْلَ دُعَاءِ نُوحٍ فَأَسْمَعَ ذَا الْمَعَارِجِ فَاسْتَجَابَا

قال له الحجاج : إن الطاقة تعجز عن المكافأة ، ولكني موفدك على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فسير إليه بكتابي هذا فसार إليه ؛ ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له ، فقال :

أَتَصْحُو أَمْ فُوَاذَكَ غَيْرُ صَاحِي

(١) رَوَّاتٌ : نظرت فيه وتأملت .

(٢) الحفيظة : من الحفاظ عليهن .

قال له عبد الملك: بل فؤادك. فلما انتهى إلى قوله:

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ: رَأَيْتَ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِیَاجٍ^(١)
ثَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيشِي وَأَثَبْتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي^(٢)
أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

ارتاح عبد الملك، وكان متكئاً فاستوى جالساً، وقال: من مدحنا منكم فليمدحنا
بمثل هذا أو ليسكت! ثم قال له: يا جرير، أترى أم حزرة تُروِيها مائة ناقة من نعم
كلب؟ قال: إذا لم تُروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله. فأمر له بمائة ناقة من نعم
كلب. كلها سود الحدقة. فقال: يا أمير المؤمنين، إنها أَبَاقُ^(٣) ونحن مشايخ وليس
بأحدنا فضل عن راحلته، فلو أمرت بالرَّعاء. فأمر له بثمانية من الرعاء، وكانت بين
يدي عبد الملك صحاف من فِضة يقرعها بقضيب في يده، فقال له جرير: والمِحْلَبُ
يا أمير المؤمنين، وأشار إلى صحفة منها؛ فنبذها إليه بالقضيب، قال: خُذْهَا لَا
نَفَعْتُكَ! ففي ذلك يقول جرير.

أَعْطَوْا هَنِيْدَةً يَحْدُوْهَا ثَمَانِيَّةٌ مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنّ وَلَا سَرْفٌ^(٤)

وفود جرير عن أهل الحجاز

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قدم جرير بن الخطفي على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، عن أهل الحجاز،
فاستأذنه في الشعر، فقال: مالي وللشعر يا جرير؟ إني لفي شغل عنه! قال يا أمير
المؤمنين، إنها رسالة عن أهل الحجاز. قال: فهاتها إذاً. فقال:

(١) الامتياج: العطاء والمنفعة.

(٢) القوادم: ريش مقدمة الجناح التي تساعد الطائر على الطيران.

(٣) أباق: هاربة.

(٤) الهنيدة: اسم للمائة من الإبل، أو لما فوقها ودونها، وللمائتين.

كم من ضريرٍ أميرِ المؤمنينَ لدى أهلِ الحجازِ دهاهُ البؤسُ والضررُ
أصابتِ السنَّةُ الشَّهَاءَ ما مَلَكَتْ يمينُهُ فَحَنَاهُ الجُهدُ والكِبَرُ^(١)
ومن قَطِيعِ الحِشَا عاشَتْ مُحَبَّاءٌ ما كانتِ الشَّمْسُ تَلْقَاهَا ولا القَمَرُ
لما اجْتَلَتْهَا صُرُوفُ الدهرِ كَارِهَةً قامتِ تُنادِي بأَعْلَى الصَّوْتِ: يا عَمْرُ!

وفود دكين الراجز

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قال دُكين بن رجاء الفُقيمي الراجز: مدحتُ عمرَ بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعبا، فكرهت أن أرمي بها الفجاج فتتشر عليّ، ولم تَطِبْ نفسي ببيعها، فقدمتُ علينا رُفَقَةً من مصر، فسألتهم الصُّحبة، فقالوا: إن خرجت الليلة. فقلت: إني لم أودّع الأمير ولا بدّ من وداعه. قالوا: فإن الأمير لا يُحِبُّ عن طارق ليل. فاستأذنت عليه، فأذن لي وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دُكين، إن لي نفساً تَوَاقَةً، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه فبعين ما أَرَبْتِكَ. قلت له: أشهد لي بذلك أيها الأمير. قال: إني أشهد الله. قلت: ومن خَلَقِه! قال: هذين الشيخين. قلت لأحدهما: من أنت يرحمك الله أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله. فقلت: لقد استسمنتُ الشاهد. وقلت للآخر: من أنت يرحمك الله؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. وكان مُزاحم يُكنى أبا يحيى. قال دُكين: فخرجت بهن إلى بلدي، فرمى الله في أذنابهن بالبركة، حتى اتخذتُ منهنّ الضياع والرِّباع والغلمان. فإني لبصحراء فَلَجٌ^(٢)، إذا بريد يركُضُ إلى الشام، فقلت له: هل من مُغَرِّبَةٍ خَبِرَ؟ قال: مات سليمان بن عبد الملك. قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز. قال: فأنخت قُلُوصي فألقيتُ عليها أداتي وتوجهت عنده؛ فلقيت جريراً في الطريق

(١) السنة الشَّهَاءُ: المجدية.

(٢) الفلج: النصف.

جائياً من عنده، فقلت: من أين أبا حَزْرَةَ؟ قال: من عند أميرٍ يعطي الفقراء ويمنع الشعراء قلت: فما ترى فإني خرجت إليه؟ قال: عَوَّل عليه في مال ابن السبيل كما فعلت. فانطلقتُ فوجدتهُ قاعداً على كرسيٍّ في عَرَصَةٍ^(١) داره، قد أحاط الناس به فلم أجد إليه سبيلاً للوصول، فناديتُ بأعلى صوتي:

يا عَمَرَ الخيراتِ والمكارِمِ وعمرَ الدَّسائِعِ العظامِ^(٢)
إني امرؤٌ من قَطَنِ بنِ دارِمٍ أطلبُ حاجي من أخي مَكَارِمِ
إذ نَتَجِي والليلُ غيرُ نائمٍ في ظلمة الليل وليلي عامِ

عند أبي يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى ففرَّج لي، وقال: يا أمير المؤمنين، إن لهذا البدويَّ عندي شهادة عليك. قال: أعرفها، آدُنْ مني يا دكين، أنا كما ذكرتُ لك أن لي نفساً تَوَاقَةً، وأن نفسي تاقَت إلى أشرف منازل الدنيا، فلما أدركتُها وجدْتُها تتوق إلى الآخرة؛ والله ما رزأتُ من أمور الناس شيئاً فأعطيك منه، وما عندي إلا ألفا درهم، أعطيك أحدهما. فأمر لي بألف درهم. فوالله ما رأيت ألفاً كانت أعظمَ بركةً منها.

وفود كثير والأحوص ونصيب

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

حماد الراوية قال: قال لي كثير عَزَّة: ألا أخبرك عما دعاني إلى ترك الشعر؟ قلت: نعم. قال: شخِصْتُ أنا والأحوص ونُصِيب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكل واحد منا يُدَلُّ عليه بسابقةٍ وإخاءٍ قديمٍ، ونحن لا نشك أن سيشركنا في خلافته، فلما رُفِعَتْ لنا أعلامُ خُناصرة^(٣)، لَقِينَا مسلمة بن عبد الملك، وهو يومئذ

(١) عَرَصَة داره: ساحتها.

(٢) الدَّسائِع: العطايا والأخلاق والمكارم.

(٣) خناصرة: بُليدة من أعمال حلب تحاذي قنصرين نحو البادية.

فتى العرب، فسَلَّمنا فردةً، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا: ما تَوَضَّحَ إلينا خبر حتى انتهينا إليك. ووَجَّنا وَجْمَةً عُرِفَ ذلكَ فينا. فقال: إن يك ذو دين بني مروان قد وَلِيَ وخَشِيتَ حرمانه، فإن ذا دُنْيانا قد بقي، ولكم عندي ما تُحبون، وما ألبث حتى أرجع إليكم وأمنحكم ما أنتم أهله.

فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرام منزل عليه؛ فأقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره، فلا يؤذَن لنا؛ إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع لو أني دنوت من عمر فسمعتُ كلامه فحفظته، كان ذلك رأياً. ففعلت، فكان مما حفظتُ من كلامه: « لكل سفر زاد لا محالة، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعدَّ الله له من ثوابه أو عقابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم في كلام كثير لا أحفظه، ثم قال: « أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي، وتظهر عيَّلي، وتبدو مَسكنتي، في يومٍ لا ينفع فيه إلا الحق والصدق! » ثم بكى حتى ظننتُ أنه قاضٍ نَحْبَه، وارتجَّ المسجدُ وما حوله بالبكاء، وانصرفتُ إلى صاحبي فقلتُ لهما: خُذا في شَرَجٍ^(١) من الشعر غير ما كُنَّا نقول لِعَمَرَ وآبائه؛ فإن الرجل آخريٌّ وليس بدنيوي.

إلى أن استأذن لنا مسلمة في يوم جمعة بعد ما أُذِنَ للعامة. فلما دخلتُ سلَّمتُ ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثَّواء وقلَّت الفائدة، وتحَدَّثَ بجفائك إيانا وفودُ العرب. قال: يا كَثِير، (إنما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَساكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَقَةِ قُلُوبُهُمْ وفي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وفي سَبِيلِ الله وابنِ السَّبِيلِ)^(٢) أفى واحدٍ من هؤلاء أنت؟ قلت: بلى، ابن سبيلٍ منقطعٍ به، وأنا صاحبك. قال: أَلستَ صاحبَ أبي سعيد؟ قلت: بلى، قال: ما أرى ضيفَ أبي سعيد منقطعاً به. قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الإنشاد؟ قال: نعم، ولا تقل إلا حقاً. فقلت:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ إِشَارَةَ مُجْرِمٍ

(١) الشرج: الضرب واللون. (٢) سورة التوبة الآية ٦٠.

وَصَدَقْتَ بِالْفِعْلِ الْمَقَالِ مَعَ الَّذِي
 أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ
 وَقَدْ لَبَسَتْ لُبْسَ الْهَلُوكِ ثِيَابَهَا
 وَتُومِضُ أحياناً بَعِينَ مَرِيضَةٍ
 فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا مُشْمَتَزاً كَأَنَّمَا
 وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنْعٍ
 وَمَا زِلْتَ تَوَاقِياً إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
 فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْواً وَلَمْ يَكُنْ
 تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُونِقاً
 وَأَضْرَرْتَ بِالْفَانِي وَشَمَرْتَ لِلَّذِي
 وَمَالِكَ إِذَا كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٍ
 سَمَا لَكَ هَمٌّ فِي الْفُؤَادِ مُوَرِّقٍ
 فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا
 يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي
 وَلَا بَسْطَ كَفٍّ لِأَمْرِي غَيْرِ مُجْرِمٍ
 وَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ لِقَسَمُوا
 فَأَرْبَحَ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايَعِ

أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمٍ
 مِنَ الْأَوْدِ الْبَاقِي ثِقَافُ الْمَقُومِ^(١)
 تَرَاءَى لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمٍ^(٢)
 وَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ
 سَقَتَكَ مَدُوفاً مِنْ سَمَامٍ وَعَلَقَمٍ^(٣)
 وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُفْعَمٍ
 بَلَغْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقُومِ
 لَطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَقَدُّمٍ
 وَآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مُصَمِّمٍ
 أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الشَّرِّ مُظْلَمٍ
 سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَادِمٍ
 بَلَغْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بُسْلَمٍ
 مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
 بِأَخِذٍ لِدِينَارٍ وَلَا أَخِذٍ دَرَاهِمٍ
 وَلَا السَّفَكِ مِنْهُ ظَالِماً مَلَأَ مُحْجَمٍ
 لَكَ الشُّطْرُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرِ نُدَمٍ
 وَأَعْظَمَ بِهَا أَعْظَمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظَمَ

قال: فأقبل علي وقال: إنك مسئول عما قلت. ثم تقدم الأحوص فاستأذنه في

الإنشاد، فقال: قل، ولا تقل إلا حقاً. فقال:

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا حِكْمَةٌ مِنْ مُؤَلِّفٍ بِمَنْطِقٍ حَقِّاً وَبِمَنْطِقٍ بَاطِلٍ
 فَلَا تَقْبَلْنَ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا وَلَا تَرْجِعْنَ عَنِ النِّسَاءِ الْأَرَامِلِ
 رَأْيَانِكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ الْحَقِّ مَمْنَةً وَلَا شَأْمَةً فَعَلَ الظُّلُومِ الْمُخَاتِلِ^(٤)

(١) الزَّيْغُ: الضَّلَالُ، وَالْأَوْدُ: الْأَعْوَجَاجُ. (٢) الْهَلُوكُ: الْبَغْيُ.

(٣) مَدُوفاً: مَمْرُوجاً. (٤) شَأْمَةٌ: يَسْرَةٌ، وَالْمُخَاتِلُ، الْغَادِرُ.

ولكن أَخَذَتَ الْحَقَّ جُهْدَكَ كُلَّهُ
فَقُلْنَا وَلَمْ نُكَذِّبْ بِمَا قَدْ بَدَأَ لَنَا
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مَضَائِهِ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافًا
لَمَّا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرَحْلِي شِمْلَةً
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعْيبُهُ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ
فَذَادُوا عَدُوَّ السَّلَامِ عَنْ عَقْرِ دَارِهِمْ
وَقَبْلَكَ مَا أُعْطِيَ الْهَنِيْدَةُ جَلَّةً
رَسُولُ الْإِلَهِ الْمُسْتَضَاءِ بِنُورِهِ

تَقَدُّ مِثَالِ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ الْحَقَّ مِنْ قَوْلِ قَائِلٍ
عَلَى فَوْقِهِ إِذْ عَارَ مِنْ نَزْعِ نَابِلٍ^(١)
غَطَارِيفُ كَانُوا كَاللَّيْثِ الْبَوَاسِلِ
تَقَدُّ مِثَالِ الْبَيْدِ بَيْنَ الرَّوَاحِلِ^(٢)
حَبِينَا زَمَانًا مِنْ ذَوِيكَ الْأَوَائِلِ
وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدَّرِّ فِي نَظْمِ قَائِلٍ
سِوَى أَنَّهُ يُبْنَى بِنَاءَ الْمَنَازِلِ
وَمِيرَاثَ آبَاءٍ مَشُورًا بِالْمَنَاصِلِ
وَأَرْسُوًا عُمُودَ الدِّينِ بَعْدَ التَّمَايُلِ
عَلَى الشَّعْرِ كَعَبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلٍ^(٣)
عَلَيْهِ سَلَامٌ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

فقال: إنك مسئول عما قلت. ثم تقدم نصيب فاستأذنه في الإنشاد؛ فلم يأذن له، وأمره بالغزو إلى دابق. فخرج إليها وهو محموم. وأمر لي بثلاثمائة، وللأحوص بمثلها، ولنصيب مائة وخمسين.

وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز

رضي الله عنه

ابن الكلبي: لما استُخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله؛ فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول، حتى قدم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود على عمر بن عبد العزيز، وعليه عمامة قد أرخى طرفيها، وكانت له منه مكانة، فقال جرير:

(١) عار السهم: لم يعرف راميهِ ومن أين أتى.

(٢) وخذت: أسرعت، وشملت: الناقة السريعة.

(٣) السديس: ما دخل في السنة الثامنة والبازل: الذي فطر نابه وانشق وذلك في السنة التاسعة.

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرْخِي عَمَاتِهِ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلُغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنٍ ^(١)
وَحَشَّ الْمَكَانَةَ مِنْ أَهْلِي وَمَنْ وَلَدِي نَائِي الْمَحَلَّةِ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطَنِي

قال: نعم أبا حَزْرَةَ وَنُعْمَى عَيْن. فلما دخل على عمر قال: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك؛ وأقوالهم باقية؛ وسنانهم مسنونة. قال: يا عون، مالي وللشعراء؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن النبي ﷺ قد مُدِّح وأعطى، وفيه أسوة لكل مُسَلِّم. قال: ومن مدحه؟ قال: عباس بن مرداس؛ فكساه حُلَّةً قَطَعَ بها لسانه. قال: وَتَرَوِي قَوْلَهُ؟ قلتُ: نعم:

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نَشَرْتَ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلِمًا
وَنَوَّرْتَ بِالْبِرْهَانِ أَمْرًا مُدَمَّسًا وَأَطْفَأْتَ بِالْبِرْهَانِ نَارًا مُضَرَّمًا ^(٢)
فَمَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي النَّبِيِّ مُحَمَّدًا كُلُّ أَمْرِي يُجْزِي بِمَا قَدْ تَكَلَّمَا
تَعَالَى عَلَوًّا فَوْقَ عَرْشِ إِلَهِنَا وَكَانَ مَكَانُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا

قال: صدقت؛ فمن بالباب منهم؟ قال: ابن عمك عمر بن أبي ربيعة. قال: لا قَرَّبَ اللَّهُ قَرَابَتَهُ، وَلَا حَيًّا وَجْهَهُ! أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ؟

أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ حَانَتْ مَنِيَّتِي شَمِمْتُ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَمَمِ
وَلَيْتَ طَهَوْرِي كَانَ رِبْقَكَ كُلَّهُ وَلَيْتَ حَنَوطِي مِنْ مُشَاشِكَ وَالدَّمِ ^(٣)
وَيَا لَيْتَ سَلَمِي فِي الْقُبُورِ ضَجِيعَتِي هَنَالِكَ أَوْ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا، ويعمل عملاً صالحاً. والله لا دخل عليّ أبداً فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت: جميل بن معمر العذري. قال: هو الذي يقول:
أَلَا لَيْتُنَا نَحْيَا جَمِيعاً وَإِنْ نَمُتْ يُوَافِي لَدَى الْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحَهَا

(١) المصفود في قرن: المقيد بالقيود.

(٢) مدمساً: مظلماً ومضمرماً: موقداً.

(٣) الحنوط: ما يحنط به الميت وإنشاشة: رأس العظم الذي يمكن مضغه.

فما أنا في طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
 أظلل نهارى لا أراها ويلتقى مع الليل روى في المنام وروحها
 أعزب به ؛ فوالله لا دخل على أبدا . فمن غير من ذكرت ؟ قلت : كثير عزة .
 قال : هو الذي يقول :

رهبان مدين والذين عهدتهم يكون من حذر العذاب قعودا
 لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة . راكعين سجودا
 أعزب به . فمن الباب غير من ذكرت ؟ قلت : الأحوص الأنصاري . قال : أبعد
 الله ومحقه ، أليس هو القاتل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هرب بها
 منه :

الله بيني وبين سيدها يفر عني بها وأتبع
 أعزب به . فمن الباب غير من ذكرت ؟ قلت : همام بن غالب الفرزدق . قال :
 أليس هو القاتل يفخر بالزنا :

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أقم الریش كاسره
 فلما استوت رجلاي في الارض قالت أحيي يرجي أم قتيل نحاذره
 وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت مغلقة دوني عليها دساكره^(٢)
 فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا ووليت في أعقاب ليل أباده

عزب به . فوالله لا دخل على أبدا ، فمن الباب غير من ذكرت ؟ قلت : الأخطل
 التغلي . قال : أليس هو القاتل :

فلست بصائم عمري ولست بآكل لحم الأضاحي
 ولست بزاجر عساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
 ولست بقاتم كالغير يدعو قبيل الصبح جي على الفلاح
 ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبج الصبح

(١) الدساكر: القرى ، أو أبنية يتخذها الملوك يكون فيها الشراب واللهو .

أعزب به . فوالله لا وطيء لي بساطاً أبداً وهو كافر؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : جرير بن الخطفي . قال : أليس هو القائل :

لولا مُراقبَةُ اليعونِ أرئنا مُقلَ المهامِ وسوالفِ الأرامِ^(١)
هل ينهينك أن قتلن مُرقشاً أو ما فعلن بعروة بن حزام
دُمَّ المنازلَ بعدَ منزلةِ اللوى والعيشَ بعدَ أولئك الأقوامِ
طرقتك صائدةُ القلوبِ وليس ذا حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

فإن كان ولا بد فهذا . فأذن له ؛ فخرجتُ إليه فقلت : ادخل أبا حزة . فدخل وهو يقول :

إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة في إمامٍ عادِلِ
وسِعَ الخلائقَ عدلهُ ووفاءهُ حتى أرعوى وأقام ميلَ المائلِ
والله أنزل في القرآنِ فريضةً لأبنِ السبيلِ وللفقيرِ العائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفسُ مولعةٌ بحبِّ العاجِلِ

فلما مثل بين يديه قال : آتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقاً . فأنشأ يقول :

كم بالهامة من شعشاء أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والنظيرِ
ممن يعدك تكفي فقد والده كالفرخ في العشِّ لم ينهض ولم يطيرِ
يدعوك دعوةً ملهوفٍ كأن به خبلاً من الجنِّ أو مساً من النَّشْرِ^(٢)
خليفة الله ماذا تأمرن بنا لسنا إليكم ولا في دارٍ مُنتظرِ
ما زلتُ بعدك في همٍ يُورقني قد طال في الحيِّ إصعادي ومنحدري
لا ينفعُ الحاضِرُ المجهودُ باديئنا ولا يعودُ لنا بادٍ على حَضَرِ
إنا لَنرجو إذا ما الغيثُ أخلفنا من الخليفةِ ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قدراً كما أتى ربُّه موسى على قدرِ
هذي الأرامِلُ قد قضيت حاجتها فمن حاجةِ هذا الأرمِلِ الذَّكْرِ

(١) الأرام : الغزلان .

(٢) الخبل : الفساد والجنون ، والمس : الجنون .

فقال: يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثائة، فمائة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنها لأحب مال إليّ كسبته. ثم خرج، فقالوا له: ما وراءك؟ قال ما يسوءكم! خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني عنه لراض. ثم أنشأ يقول:

رَأَيْتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لَا تُسْتَفِزُّهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجَنِّ رَاقِيَا^(١)

وفود نابغة بني جعدة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

الزبير بن بكار قاضي الحرمين، قال: أقحمت السنّة نابغة بني جعدة، فوفد إلى ابن الزبير، فدخل عليه في المسجد الحرام، ثم أنشده:

حَكَيْتَ لَنَا الصَّدِيقَ لَمَّا وَلَيْتَنَا وَعُثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَحَ مُعْدِمُ
وَسَوَّيْتُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقِّ فَاسْتَوَوْا فَعَادَ صَبَاحًا حَالِكُ اللَّوْنِ مُظْلِمُ
أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الْفَلَاحِ عَثْمَمُ^(٢)
لَتَجْبُرَ مِنْهُ جَانِبًا زَعَزَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ الْمُصَمَّمُ

فقال له ابن الزبير: هوّن عليك أبا ليلى، فالشعر أدنى وسائلك عندنا؛ أما صفوة أموالنا فلاّال الزبير، وأما عفوّته^(٣) فإن بني أسد وتيمّا تشغلها عنك، ولكن لك في مال الله سهنان: سهم برويتك رسول الله ﷺ، وسهم بشركتك المسلمين في فيهم. ثم أخذ بيده ودخل به دار النعم، فأعطاه قلائص سبعة، وجملاً رحيلاً، وأوقر^(٤) له

(١) الرقي: كناية عن الشعر، أي كما ينظمه الشعراء من أجل حث الممدوح على العطاء، والرقي: جمع رقية.

(٢) العثمم: الجمل الشديد.

(٣) عفوة المال: خياره وما صفا منه وكثر.

(٤) أوقر: حمل وملأ.

الركاب بُرّاً وتمرّاً وثياباً . فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحَبَّ صِرْفاً . فقال ابن الزبير : ويح أبي ليلي ! لقد بلغ به الجهد . قال النابغة : أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ما وَلَّيتُ قريشَ فعدلتُ ، واستُرحتُ فرحت ، وحدثتُ فصدقت ، ووعدتُ خيراً فأُنجزت ، فأنا والنبيونُ فُرَاطُ القاصفين .

قال الزبير بن بكار : الفارط : الذي يتقدم إلى الماء يصلح الرِّشَاء والدِّلاء والقاصف : الذي يتقدم لشراء الطعام .

وفود أهل الكوفة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

قال : لما قَتَلَ مصعبُ بن الزبير المختارَ بن أبي عُبَيْد ، خرج حاجّاً فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ومعه وجوه أهل العراق ، فقال له : يا أمير المؤمنين جئتكَ بوجوه أهل العراق ، لم أدع لهم بها نظيراً ، لتُعطيهم من هذا المال . قال : جئتني بعبيد أهل العراق لأعطيهم مال الله . والله لا فعلت . فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسهم ، قال لهم : يا أهل الكوفة ، ودِدْتُ والله أن لي بكم من أهل الشام صِرْفَ الدينار والدرهم ، بل لكل عشرة رجلاً . قال عُبَيْد الله بن ظبيان : أتدري يا أمير المؤمنين ما مثلاً ومثلك فيما ذكرت ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : فإن مثلاً ومثلك ومثل أهل الشام كما قال أعشى بكر من وائل :

عَلَّقْتُهَا عَرْضاً وَعَلَّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ^(١)

أحبيناك نحن ، وأحببت أنت أهل الشام ، وأحبَّ أهل الشام عبدَ الملك .

ثم انصرف القومُ من عنده خائبين . فكاتبوا عبد الملك بن مروان وغدروا بمصعب بن الزبير .

(١) علَّقَ : أحب ، والعرض : الزائل الذي لا يدوم وغير الثابت .

وفود رؤية على أبي مسلم

الأصمعي قال: حدّثنا رؤية قال: قدمت على أبي مسلم صاحب الدعوة، فأنشدته،
فناداني: يا رؤية، فنوديت له من كل مكان: يا رؤية! فأجبتُ:
لَبَّيْكَ إِذْ دَعَوْتَنِي لَبَّيْكَ أَحْمَدُ رَبًّا سَاقِي إِلَيْكَ
الْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ فِي يَدَيْكَ

قال: بل في يَدَيِ اللَّهِ عز وجل. قلت: وأنت لما أنعمتَ حُمِدت. ثم استأذنت في
الإنشاد فأذن لي، فأنشدته:

ما زال يَأْتِي الْمَلِكُ مِنْ أَقْطَارِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ
مُشْمَرًا لَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ حَتَّى أَقْرَّ الْمَلِكُ فِي قَرَارِهِ

فقال: إنك أتيتنا وقد شف^(١) المال وأستنفذه الإنفاق، وقد أمرنا لك بمجازرة
وهي تافهة يسيرة، ومنك العود وعلينا المعول، والدهر أطرق مُستتب^(٢)، فلا تلق
بجنبك الأسد^(٣).

قال: فقلت: الذي أفادني الأمير من كلامه أحبُّ إليّ من الذي أفادني من ماله.

وفود العتابي على المأمون

الشَّيباني قال: كان كلثوم العتابي أيام هارون الرشيد في ناحية المأمون، فلما خرج إلى
خراسان شيعه إلى قَوْمِسَ حتى وقف على سِنْدَاد كسرى، فلما حاول وداعه قال له
المأمون: لا تدع زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شيء. فلما أفضت الخلافة إلى
المأمون وفد إليه العتابي زائراً، فحُجِب عنه، فتعرَّض ليحيى بن أكرم فقال: أيها
القاضي، إن رأيت أن تذكر بي أمير المؤمنين. فقال له يحيى: ما أنا بالحاجب. قال

(١) شفّ المال: قلّ ونزّر.

(٢) الأطرق: الضعيف، والمستتب: الدليل.

(٣) أي لا يضيّق صدرك فتسكت كمت به صمم وبكم.

له : قد علمتُ ، ولكنك ذو فضل وذو الفضل معُون . فدخل على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، أجزني من العتابي ولسانه فلم يأذن له وشغل عنه ، فلما رأى العتابي جفاه قد تمادى . كتب إليه :

ما على ذا كُنا افترقنا بسندا دَ ولا هكذا رأينا الإخاء
لم أكن أحسبُ الخلافَ يَزِدنا دُ بها ذو الصفاء إلا صفاء
تَضِرُّبُ الناسَ بالثَّقَفَةِ السُّمِّ رِ على غَدْرِهِمْ وتَنسى الوفاء

فلما قرأ أبياته دعا به ، فلما دنا منه سلَّم بالخلافة ووقف بين يديه ، فقال : يا عتابي ، بلغتنا وفاتك فغممتنا ، ثم انتهت إلينا وفادتك فسررتنا . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو قسم هذا البرُّ على أهل منى وعرفات لوسعهم ؛ فإنه لا دين إلا بك ، ولا دُنيا إلا معك ! قال : سل حاجتك . قال : يدك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة فأحسن جائزته . وانصرف .

وفود أبي عثمان المازني على الواثق

أبو عثمان بكر بن محمد قال : وفدت على الواثق ، فلما دخلت وسلمت قال :

هل خلّيتَ وراءك أحداً يُهمك أمره ؟ قلت أخية لي ربّيتها فكأنها بنتي . قال : ليت شعري . ما قالت حين فارقتها ؟ قال : أنشدتني قول الأعشى :

تقول ابنتي يومَ جدِّ الرّحيل أَرانا سَواءً ومَن قد يَتِمُّ
أَبانا ، فلا رُمّت من عندنا فَإِنا نخافُ بأن تُخْتَرَمُ^(١)
أَرانا إذا أَضْمَرْتكَ البِلا دُ نُجفَى وتُقَطَّعُ مِنّا الرّحِمُ^(٢)

قال : ليت شعري ، ما قلتَ لها ؟ قال : أنشدتها يا أمير المؤمنين قول جرير :
ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

(١) تخترم : تموت . (٢) أضمرت : غيّبتك .

قال: أذاك النجاح . وأمر له بعشرة آلاف درهم . ثم قال: حدّثني حديثاً ترويه عن أبي مَهْدِيّة مُسْتَظَرَفاً . قلت: يا أمير المؤمنين، حدّثني الأصمعي قال: قال لي أبو مَهْدِيّة: بلغني أن الأعراب والأعزاب سواء في الهجاء . قلت: نعم . قال: فاقرأ: ﴿الأعرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ ولا تقرأ: الأعراب، ولا يغرّنكَ العزْب وإن صام وصلى! فضحك الوراق حتى شغل برجله^(١)، وقال: لقد لقي أبو مَهْدِيّة من العزبة شراً . وأمر لي بخمسمائة دينار .

الوافدات على معاوية

وفود سودة ابنة عمارة على معاوية

عامر الشعبي قال: وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها، فلما دخلت عليه سلّمت عليه، فقال لها: كيف أنت يا بنة الأشتر؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين . قال لها: أنت القائلة لأخيك:

شَمَّرَ كَفْعُلْ أَيْبِكَ يَا بْنَ عِمَارَةٍ يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ
وَانْصُرْ عَلِيّاً وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ وَاقْصِدْ لِهِنْدٍ وَابْنِهَا بِهِوَانِ
إِنَّ الْإِمَامَ أَخَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَّمُ الْهَدَى وَمَنَارَةُ الْإِيمَانِ
فَقَدْ الْجِيوشَ وَسِرَّ أَمَامَ لَوَائِهِ قَدْماً بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وَسِنَانِ

قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبُتر الذنب؛ فدع عنك تذكّار ما قد نسي . قال: هيهات، ليس مثلُ مقام أخيك يُنسى . قالت: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خفيّ المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَّمُ فِي رَأْسِهِ نَارَ

وبالله أسألُ يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيتهُ . قال: قد فعلتُ، فقولي حاجتك . قالت: يا أمير المؤمنين، إنك للناس سيد، ولأمورهم مقلّد، والله سائلُك

(١) شغل برجله: رفعها وحركها .

عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تُقَدِّم علينا مَنْ ينهض بعزك ، وَيَبْسُط
سلطانك ، فيحصدنا حِصَادَ السُّنْبُل ، ويدوسنا دِياس البقر ، ويسومنا الحَسِيسَةَ ، ويسألنا
الجليلة ؛ هذا ابنُ أُرطاةَ قدم بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعةُ لكان
فينا عِزٌّ وَمَنَّةٌ ، فإما عزلته فشكرناك ، وإما لا فَعَرَفْنَاكَ !

فقال معاوية : إياي تُهَدِّدين بقومك ؟ والله لقد هممتُ أن أَرَدَّكَ إليه على قَتَبٍ^(١)
أشرسَ فينفذَ حُكْمَهُ فيك . فسكتت ، ثم قالت :

صَلَّى الإلهُ على رُوحِ تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا
قد حَالَفَ الْحَقَّ لَا يَبْغِي بِهِ ثَمْنًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قالت : عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . قال : ما أرى عليك
منه أثراً ! قالت : بلى ، أَتَيْتُهُ يَوْمًا فِي رَجُلٍ وَلَاهُ صَدَقَاتُنَا فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَا بَيْنَ
الْغَثِ^(٢) وَالسَّمِينِ ، فوجدته قائماً يصلي ، فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : أَلَيْكَ
حاجة ؟ فأخبرته خبرَ الرجل . فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني لم آمرهم
بظلم خلقتك ، ولا تَرَكَ حَقَّكَ . ثم أخرج من جيبه قطعةً من جراب فكتب فيه :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا
تبخسوا الناس أشياءهم ولا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ، بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وما أنا عليكم بحفيظ^(٣) . إذا أناك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى
يأتي من يقبضه منك . والسلام .

فعزله يا أمير المؤمنين . ما حَزَمَهُ بِحِزَامٍ^(٤) ، ولا خَتَمَهُ بِخَتَامٍ .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها . فقالت : أَلَيْ خَاصَّةٌ أَمْ
لِقَوْمِي عَامَةٌ ؟ قال : وما أنتِ وغيركِ ؟ قالت : هي والله إذاً الفحشاء واللؤم ، إن لم

(١) القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير .

(٢) الغث: الرديء الفاسد . (٣) سورة هود الآية ٨٥ .

(٤) خزمه: شكه وثقبه ، أي أقفله .

يكن عدلاً شاملاً، وإلا يَسْعني ما يَسْعُ قومي . قال: هيهات! لَمَظَكُم^(١) ابن أبي طالب الجُرأة على السلطان، فبطيئاً ما تُفْطَمون، وغرَمَ قوله:

فلو كنت بواباً على بابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمَدَانِ ادْخُلُوا بِسَلامٍ

وقوله:

نادَيْتَ هَمَدَانِ والأبوابَ مُغلَقَةً ومثلُ هَمَدَانِ سَنَى فَتَحَةَ البابِ^(٢)

كالهِنْدَوَانِي لم تُفَلِّ مِضَارِبُهُ وَجَهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّابٍ^(٣)

اكتبوا لها بحاجتها .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الخُزاعي عن الشَّعْبِي قال: استأذنت بكارةَ الهِلَالِيَّةِ على معاوية بن أبي سفيان، فأذن لها، وهو يومئذ بالمدينة، فدخلت عليه، وكانت امرأة قد أَسَنَّتْ وَعَشَى^(٤) بَصَرَهَا وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا، تَرَعَشُ بين خادمين لها؛ فَسَلَّمَتْ وَجَلَسَتْ . فردَّ عليها معاوية السلام، وقال: كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين . قال: غيرك الدهر! قالت: كذلك هو ذو غير، من عاش كبر ومن مات قُبر . قال عمرو

ابن العاص: هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يا زَيْدُ دُونَكَ فَاسْتَشِرْ^(٥) مِنْ دَارِنَا سِيفاً حُسَاماً فِي التُّرابِ دَفِينَا
قَدْ كُنْتُ أَذْخَرُهُ لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ فَالْيَوْمَ أَبْرَزَهُ الزَّمَانُ مَصُونَا

قال مروان: وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أُتْرَى ابنُ هَنْدٍ لِلْخِلَافَةِ مَالِكاً هِيَهَاتَ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ

(١) لمظكم: ذوقكم، وعودكم وعلمكم .

(٢) سَنَى: سهّل .

(٣) الهندواني: السيف، ووجاب: خائف متهيب .

(٤) عشى بصرها: ضعف .

(٥) في بعض الأصول: « فاحتفر » .

مَتَّكَ نَفْسَكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالَةً أَغْرَاكَ عَمْرُو لِلشَّقَا وَسَعِيدًا

قال سعيد بن العاصي: هي والله القائلة:

قد كنتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى فَوْقَ الْمَنَابِرِ مِنْ أُمِّيَّةٍ خَاطِبَا
فَاللَّهُ أَخَرَهُ مُدَّتِي فَتَطَاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَابَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خَطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحَدٍ عَائِبَا

ثم سكتوا. فقالت: يا معاوية، كلامك أعشى بصري وقصّر حُجَّتِي، أنا والله قائلة ما قالوا، وما خَفِيَ عليك مني أكثر. فضحك وقال: ليس يمنعنا ذلك من بَرِّكَ. اذكرني حاجتك قالت: أمّا الآن فلا.

وفود الزرقاء على معاوية

عبيد الله بن عمرو الغساني عن الشَّعْبِيِّ قال: حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ مِنْ كَانَ يَسْمُرُ مَعَ مَعَاوِيَةَ قَالُوا: بَيْنَمَا مَعَاوِيَةُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَ عَمْرٍو وَسَعِيدٍ وَعُتْبَةَ وَالْوَلِيدِ، إِذْ ذَكَرُوا الزَّرْقَاءَ ابْنَةَ عَدِيِّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ قَيْسِ الْأَهْمَدَانِيَّةِ، وَكَانَتْ شَهِدَتْ مَعَ قَوْمِهَا صَفِّينَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا؟ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَحْنُ نَحْفَظُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَمْرِهَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَشِيرُ عَلَيْكَ بِقَتْلِهَا. قَالَ: بئس الرأي أشرتم به عَلَيَّ؛ أَيَحْسَنُ بِمَثَلِي أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَ أَمْرَأَةً بَعْدَمَا ظَفِرَ بِهَا.---

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعِدَّةٍ مِنْ فُرْسَانِ قَوْمِهَا، وَأَنْ يُمَهِّدَ لَهَا وَطَاءً لِنَا، وَيَسْتَرَهَا بِسِتْرِ خَصِيفٍ^(١)، وَيُوسِّعَ لَهَا فِي النِّفْقَةِ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا عَامِلَهُ فَأَقْرَأَهَا الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الْخِيَارَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا آتِيهِ، وَإِنْ كَانَ حَتَمَ فَالطَّاعَةُ أَوَّلَى. فَحَمَلَهَا وَأَحْسَنَ جَهَازَهَا عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ.

(١) الخصيف: الغليظ.

فلما دخلت على معاوية قال: مرحباً وأهلاً، قدمت خيرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وافد! كيف حالك؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة .
قال: كيف كنتِ في مَسِيرِك؟ قالت: ربيبةً بيت أو طفلاً مُمهداً .

قال: بذلك أمرناهم، أتدرين فيم بعثتُ إليك؟ قالت: أنى لي بعلم ما لم أعلم . قال:
ألستِ الراكبةَ الجملَ الأحمر، والواقفة بين الصقّين يوم صفين تحضّين على القتال
وتوقدين الحرب؟ فما حمّلك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبُتر الذنب، ولم يَعدْ ما ذَهَبَ، والدهر ذو
غَيَرٍ، ومن تفكر أبصر، والأمر يَحْدُث بعده الأمر .

قال لها معاوية: صدقت، أتخفظين كلامك يومئذ؟
قالت: لا والله لا أحفظه، ولقد أنسيته .

قال: لكني أحفظه، لله أبوك حين تقولين: أيها الناس، ارْجِعُوا وارجعوا، إنكم
قد أصبحتم في فتنة غَشَّتْكُمْ^(١) جلابيب الظلم، وجارتْ بكم عن قصد المحجّة، فياها
فتنة عمياء، صماء بكماء، لا تسمع لناعيقها، ولا تنساق لقائدها، إن المصباح لا
يُضيء في الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا
مَنْ استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه. أيها الناس، إن الحق كان يطلب ضالته
فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغُصَص، فكأن قد اندملَ شَعْبُ
الشتات^(٢)، والتأمت كلمة العدل، ودمَعَ الحقُّ باطله؛ فلا يجهلنَّ أحدٌ فيقول: كيف
العدل وأتى؟ ليقض الله أمراً كان مفعولاً. ألا وإنّ خضابَ النساءِ الحِثَاءِ،
وخضابَ الرجالِ الدماء، ولهذا اليوم ما بعده:

والصبرُ خيرٌ في الأمورِ عواقباً

(١) غَشَّتْكُمْ: ألبستكم . (٢) الشتات: الفرقة .

إيهاً في الحرب قُدماً غير ناكصين^(١) ولا متشاكسين .

ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شَرَكْتَ عليا في كل دم سَفَكَهُ .

قالت : أَحَسَنَ اللهُ بِشارَتِكَ ، وأدام سلامَتَكَ ؛ فمثلُكَ بَشَرٌ بخيرٍ وسَرٍّ جليسه .

قال أو يَسُرُّكَ ذلك ؟ قالت : نعم والله ، لقد سُررت بالخبر فَأَنِّي لي بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال : والله لَوْ فَاؤُكُمْ له بعد موته أعجبُ من حُبِّكم له في حياته .

اذكري حاجتك .

قالت يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي ألاَّ أسألَ أميراً أَعَنْتُ عليه أبداً ، ومثلُكَ

أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طَلْبة .

قال : صدقت ! وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكُسا .

وفود أم سنان بنت خيثمة

على معاوية رحمه الله

سعيد بن حُذافة قال : حبَسَ مروانُ بن الحكم هو والي المدينة غلاماً من بني ليث

في جناية جناها ، فأنته جدُّ الغلام أمُّ أبيه ، وهي أم سنان بنت خَيْثمة بن خرشة

المدحجية ، فكلَّمته في الغلام فأغلظ لها مروان . فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه

فانتسبت فعرَفها ، فقال لها : مَرَحبا يا بنة خيثمة ، ما أقدمَكَ أرضنا وقد عهدتُكَ

تشتميننا وتَحُصِّين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة وأعلاماً

ظاهرة وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهِّهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد

عفو ، وإن أولى الناس باتِّباع ما سنَّ أبائُهُ لأنت . قال : صدقت ! نحن كذلك ، فكيف

قولك :

عزَبَ الرِّقَادُ فُمُقِلَّتِي لا تَرُقْدُ واللَّيْلُ يَصْدِرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ

يا آلَ مَذْحِجٍ لا مُقَامَ فَشَمَّرُوا إِنَّ العَدُوَّ لَأَلٍ أَحْمَدُ يَقْصِدُ

(١) ناكصين : فارَّين هاربين .

هَذَا عَلَيَّ كَالْهَلَالِ تَحَقُّهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعُدُ
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنْ يَهْدِمَ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَا زَالَ مُذْ شَهِدَ الْحُرُوبَ مُظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يَفْقَدُ

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة:

إِمَّا هَلَكْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ فَلَمْ تَزَلْ بِالْحَقِّ تُعَرِّفُ هَادِيًا مَهْدِيًّا-
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ حَامَةً قُمْرِيًّا
قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا كَمَا أَوْصَى إِلَيْكَ بَنَا فَكُنْتَ وَفِيًّا
فَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ يُؤَمِّلُ بَعْدَهُ هَيْهَاتَ نَأْمُلُ بَعْدَهُ إِنْسِيًّا

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان نطق، وقول صدق؛ ولئن تحقق فيك ما ظننَّا^(٢) فحظك الأوفر. والله ورثك الشَّانُ^(١) في قلوب المسلمين إلّا هؤلاء. فأدحض^(٢) مقالَتَهُم، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلتَ ذلك تزدد من الله قُرباً، ومن المؤمنين حُباً. قال: وإنك لتقولين ذلك؟ قالت سبحان الله! والله ما مثلك مُدح بباطل. ولا اعتذر إليه بكذب؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا. كان والله عليّ أحبّ إلينا منك، وأنت أحبّ إلينا من غيرك. قال: ممن؟ قالت: من مروان بن الحكم وسعيد ابن العاص. قال: وبم استحققتَ ذلك عندك؟ قالت: بسعة حلمك وكرم عفوك. قال: فإنها يطمعان في ذلك. قالت: هما والله من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله. قال: والله لقد قاربتي، فما حاجتك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، إن مروان تَبَنَّى^(٣) بالمدينة تَبَنَّىكَ مَنْ لَا يَرِيدُ مِنْهَا الْبَرَّاحَ، لَا يَحْكُمُ بَعْدَ، وَلَا يَقْضِي بَسَنَةً، يَتَّبِعُ عَثْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَكْشِفُ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسَ ابْنَ ابْنِي، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ كَيْتَ وَكَيْتَ فَأَلْقَمْتُهُ أَحْشَنَ مِنَ الْحَجَرِ،

(١) الشَّانُ: البغض. (٢) أو حض: إدفع وأبعد وسفه

(٣) تَبَنَّى: أقام.

وألحقته أمرًا من الصَّابِ ثم رجعتُ إلى نفسي باللائمة، وقلت: لِمَ لا أُصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه؟ فأتيتُك يا أميرَ المؤمنين، لتكون في أمري ناظرًا، وعليه مُعَدِّيًا.

قال: صدقت! لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته. اكتبوا لها باطلاقه.
قالت: يا أمير المؤمنين؛ وأنَّى لي بالرجعة وقد نفد زادي، وكَلَّت راحلتي؟ فأمر لها برحلة وخمسة آلاف درهم.

وفود عكرشة بنت الأطرش

على معاوية رحمه الله تعالى

أبو بكرُ الهذلي عن عكرمة قال: دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز لها، فسَلِّمت عليه بالخلافة ثم جلست؛ فقال لها معاوية: الآن يا عكرشة صرتُ عندك أميرَ المؤمنين؟ قالت: نعم، إذ لا عليَّ حيٌّ قال: أَلست المقلِّدة حائل السيف بصِفِّين، وأنت واقفة بين الصِّقِّين تقولين: أيها الناس، عليكم أنفسُكم لا يضُرُّكم مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ إن الجنة لا يرحل عنها من أوطنها، ولا يَهْرَم من سكنها، ولا يموت من دخلها؛ فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها، وكونوا قومًا مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم؛ إن معاوية دلف^(١) إليكم بعُجم العرب غُلف^(٢) القلوب، لا يفقهون الإيمان ولا يدُرُّون ما الحكمة؛ دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبَّوه، فالله الله عبادَ الله في دين الله؛ إياكم والتواكل، فإن ذلك ينقض عُرَى الإسلام، ويطفئ نور الحق هذه بَدْرَ الصغرى، والعقبةُ الأخرى. يا معشر المهاجرين والأنصار، امضوا على بصيرتكم، واصبروا على عزيمتكم، فكأنني بكم غداً ولقد لقيت أهل الشام كالحُمُرِ الناهقة تصنَّع^(٣) صَنَعَ البقر، وتروث روثَ العتاق.

(١) دلف إليكم: مشى.

(٢) غلف القلوب: أي على قلوبهم أكفة لا يفقهون ولا يسمعون.

(٣) تصنَّع: تخلف الرائحة الكريهة.

فكأنّي أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة . فإن كدتِ لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً ، فما حمّلكِ على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبدّ لكم تسؤم ﴾ ^(١) وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال : صدقت ، فاذكري حاجتك . قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتردُّ على فقرائنا ؛ وإنّا قد فقدنا ذلك ، فما يُجبر لنا كسير ؛ ولا يُنعش لنا فقير ؛ فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك تنبّه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه ينوبنا من أمور رعيّتنا أمور تنبثق ، وبحور تنفلق ^(٢) . قالت : يا سبحان الله . والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب .

قال معاوية : يا أهل العراق ، نبّهكم عليّ بن أبي طالب فلم تطاقوا ! ثم أمر بردّ صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

قصة درامية الحجونية

مع معاوية رحمه الله تعالى

سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال : حج معاوية ، فسأله عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون ، يقال له دارمية الحجونية ؛ وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ؛ فبعث إليها فجيء بها ؛ فقال : ما حالكِ يا بنة حام ؟ فقالت : لست لحام إن عبتني ؛ أنا امرأة من بني كنانة . قال : صدقت . أتدرين لِمَ بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : بعثت إليك لأسألك : علام أحببت عليّاً وأبغضتني ؛ وواليتّه وعاديتني ؟ قالت : أو تُعفني . قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإني أحببت عليّاً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ؛ وأبغضتك على قتال

(١) سورة المائدة الآية ١٠١ . (٢) تنفلق : تندقق وتنفجر .

مَنْ هُوَ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِالْأَمْرِ، وَطَلَبَتِكَ مَا لَيْسَ لَكَ بِحَقٍّ. وَوَالَيْتَ عَلَيَّا عَلَىٰ مَا عَقَّدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَلَاءِ، وَحَبَّةَ الْمَسَاكِينِ. وَإِعْظَامَهُ لِأَهْلِ الدِّينِ. وَعَادِيَتِكَ عَلَىٰ سَفْكَ الدَّمَاءِ، وَجَوْرِكَ فِي الْقَضَاءِ، وَحَكْمِكَ بِالْهَوَىٰ.

قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، ورَبْتَ عَجِيزَتُكَ^(١)، قالت: يا هذا، بهند والله كان يُضْرَبُ المثلُ في ذلك لا بي. قال معاوية: يا هذه ارْبَعِي^(٢)، فإننا لم نقل إلا خيراً؛ إنه إذا انتفخ بطنُ المرأة تَمَّ خَلْقُ وَلَدِهَا، وإذا عظم ثدياها تَرَوَّى رَضِيعُهَا. وإذا عظمت عَجِيزَتُهَا رَزَنَ مَجْلِسُهَا. فرجعتُ وسكنتُ. قال لها: ويا هذه، هل رأيتِ علياً؟ قالت: إي والله. قال: فيكيف رأيتِهِ؟ قال: رأيتُهُ والله لم يفتنه الملكُ الذي فتنك، ولم تشغله النعمةُ التي شغلتك. قال: فهل سمعتِ كلامه؟ قالت: نعم والله، فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيتُ صَدْأَ الطَّسْتِ. قال: صدقتِ! فهل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعلُ إذا سألتُكَ؟ قال: نعم. قالت: تعطيني مائة ناقة حراء فيها فحلُّها وراعيها. قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغزو بألبانها الصَّغَارَ، وأستحيي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر.

قال: فإن أعطيتك ذلك فهل أحلُّ عندك محل علي بن أبي طالب؟

قالت: ماءٌ ولا كَصَدَاءِ^(٣)، ومرعى ولا كالسَّعْدَانِ^(٤)، وفتى ولا كمالِكَ، يا سبحان الله، أو دُونَهُ؟ فأنشأ معاوية يقول:

إِذَا لَمْ أَعُدْ بِالْحِلْمِ مَنِّي عَلَيْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يُؤْمَلُ لِلْحِلْمِ
خُذِيهَا هَنِيئًا وَادْكُرِي فِعْلَ مَا جَدِ جَزَاكَ عَلَى حَرْبِ الْعَدَاوَةِ بِالسَّلْمِ-

ثم قال: أما والله لو كان عليٌّ حياً ما أعطاك منها شيئاً.

قالت: لا والله، ولا وِبرَةً واحدةً من مال المسلمين.

(١) ربت عَجِيزَتِكَ: عظمت وكبرت. (٢) اربعي: اربعي: تمهلي وانتظري.

(٣) صداء: عينٌ لم يكن عندهم أعذب من مائها.

(٤) السَّعدان: نبت ذو شوك، وهو أفضل مراعي الإبل.

وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَسَاءِ عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ أُمُّ الْخَيْرِ بِنْتُ الْحُرَيْشِ بْنِ سُرَّاقَةَ الْبَارِقِيِّ بِرَحْلِهَا، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مُجَازِيهِ بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالشَّرِّ شَرًّا بِقَوْلِهَا فِيهِ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ رَكِبَ إِلَيْهَا فَأَقْرَأَهَا كِتَابَهُ؛ فَقَالَتْ: أَمَّا أَنَا فَغَيْرُ زَائِعَةٍ عَنْ طَاعَةٍ، وَلَا مَعْتَلَةٌ بِكَذِبٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَحَبَّ لِقَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأُمُورٍ تَخْتَلِجُ فِي صَدْرِي.

فَلَمَّا شَتَّعَهَا وَأَرَادَ مَفَارَقَتَهَا قَالَ لَهَا: يَا أُمُّ الْخَيْرِ، إِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ مُجَازِينِي بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالشَّرِّ شَرًّا؛ فَمَا لِي عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: يَا هَذَا لَا يُطْمَعُنْكَ بَرُّكَ بِي أَنْ أَسْرُكَ بِبَاطِلٍ. وَلَا تُؤْيِسْكَ مَعْرِفَتِي بِكَ أَنْ أَقُولَ فِيكَ غَيْرَ الْحَقِّ.

فَسَارَتْ خَيْرَ مَسِيرٍ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ. فَأَنْزَلَهَا مَعَ الْحَرَمِ؛ ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَعِنْدَهُ جُلَسَاؤُهُ؛ فَقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَقَالَ لَهَا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمُّ الْخَيْرِ، بِحَقِّ مَا دَعَوْتَنِي بِهِذَا الْاسْمِ. قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَهْ، فَإِنْ بَدِئَهُ السُّلْطَانُ مَدْحَضَةً لَمَّا يُحِبُّ عِلْمَهُ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. قَالَ: صَدَقْتَ! فَكَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ؟ وَكَيْفَ كُنْتُ فِي مَسِيرِكَ؟ قَالَتْ: لَمْ أَزَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ حَتَّى صَرْتُ إِلَيْكَ؛ فَأَنَا فِي مَجْلِسِ أُنَيْقٍ، عِنْدَ مَلِكٍ رَفِيقٍ. قَالَ مُعَاوِيَةُ: بِحُسْنٍ نَيْتِي ظَفِرْتُ بِكُمْ. قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُعِيدُكَ اللَّهُ مِنْ دَخْصِ الْمَقَالِ وَمَا تُرْدِي عَاقِبَتُهُ. قَالَ: لَيْسَ هَذَا أَرَدْنَا. أَخْبَرِينَا كَيْفَ كَانَ كَلَامُكَ إِذْ قُتِلَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ؟ قَالَتْ: لَمْ أَكُنْ زَوْرَتُهُ^(١) قَبْلَ، وَلَا رَوَيْتُهُ بَعْدَ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ كَلِمَاتُ نَفَثِهَا لِسَانِي عِنْدَ الصَّدْمَةِ؛ فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُحْدِثَ لَكَ مَقَالًا غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلْتُ. فَالْتَفَتَ مُعَاوِيَةُ إِلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: أَبْكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَنَا أَحْفَظُ بَعْضَ كَلَامِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: هَاتِ. قَالَ: كَأَنِّي بِهَا وَعَلَيْهَا بُرْدُ زَيْدِي كَثِيفٌ بَيْنَ النَّسِيجِ، وَهِيَ عَلَى جَمَلٍ أَرْمَكُ^(٢) وَقَدْ أَحِيطَ حَوْلَهَا، وَبِيدُهَا سَوَاطِلُ مَنَشَرِ الضَّفِيرَةِ، وَهِيَ كَالْفَحْلِ يَهْدِرُ فِي شِقْشِقَتِهِ^(٣)، تَقُولُ:

(١) زَوْرَتُهُ: حَسَنَتُهُ

(٢) الْأَرْمَكُ: رَمَادِي اللَّوْنِ.

(٣) الشَّقْشَقَةُ: صَوْتُ الْجَمَلِ.

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ! إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحَقَّ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ، وَبَيَّنَ السَّبِيلَ، وَرَفَعَ الْعَلَمَ، وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي عَمَاءِ مَذْلَمَةٍ: فَأَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ؟ أَفِرَاراً عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ فِرَاراً مِنَ الزَّحْفِ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ، أَمْ ارْتِدَاداً عَنِ الْحَقِّ؟ أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ يَقُولُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(١).

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيلَ الصبر، وضعفَ اليقين، وانتشرت الرعدة، وبيدك يا ربَّ أزمّة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله. هَلُمُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَالرَّضِيِّ التَّقِيِّ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ؛ إِنَّهَا إِحْنٌ بَدْرِيَّةٌ، وَأَحْقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَضَغَائِنٌ أُحْدِيَّةٌ وَثَبَ بِهَا وَاثِبْ حِينَ الْغَفْلَةِ، لِيَدْرِكَ ثَارَاتِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ.

ثم قالت: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٢). صبراً يا معشرَ المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم؛ فكأنِّي بكم غداً ولقد لقيتُ أهلَ الشامِ كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَةِ^(٣)، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ فَجَاجِ الْأَرْضِ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْدُنْيَا، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى وَعَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ، حَتَّى تَحُلَّ بِهِمُ النَّدَامَةُ فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ. إِنَّهُ مِنْ ضَلَّ وَاللَّهُ عَنِ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ. أَلَا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ اسْتَصْغَرُوا عَمَرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا، وَاسْتَطَابُوا الْآخِرَةَ فَسَعَوْا لَهَا فَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ، وَتَعَطَّلَ الْحُدُودُ، وَيُظْهَرَ الظَّالِمُونَ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ؛ فَإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَهْرِهِ وَأَبِي سَيْطِهِ، خُلِقَ مِنْ طِينَتِهِ، وَتَقَرَّعَ مِنْ نَبْعَتِهِ^(٤)، وَخَصَّه بِسَرِّهِ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ، وَأَعْلَمَ بِحَبِّهِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبَانَ بِبَغْضِهِ الْمُنَافِقِينَ؛ هَا هُوَ ذَا مُفْلِقُ الْهَامِ، وَمَكْسِرُ الْأَصْنَامِ؛ صَلِّ

(١) سورة محمد الآية ٣١. (٢) سورة التوبة الآية ١٢.

(٣) القسورة: الأسود.

(٤) النبعة: الأصل والشجرة.

والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قُتل مُبارِزي بدر، وأُفنى أهل أحد، وهَزَمَ الأحزاب، وقُتل الله به أهل خير، وفرّق به جمع هوازن؛ فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً، وردّة وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً، وقد اجتهدت في القول؛ وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير، ما أردت بهذا الكلام الا قتلي، ولو قتلتك ما خرجت في ذلك.

قالت: والله ما يسوءني أن يجري قتلي علي يدي من يسعدني الله بشقائه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول. ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟

قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون.

قال معاوية: يا أم الخير؛ هذا أصلك الذي تبين^(١).

قالت: لكن الله يشهد وكفى بالله شهيداً؛ ما أردت بعثمان نقصاً، ولكن كان سابقاً إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غداً.

قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت: وما عسى أن أقول في طلحة؟ أغتيل من مأمنه، وأتي من حيث لم يحذر، وقد وعده رسول الله ﷺ الجنة.

قال: فما تقولين في الزبير؟ قالت: وما أقول في ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الإسلام، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية، فإنّ قريشاً تحدّثت أنك أحلمها: أن تسعني بفضل حلمك، وأن تعفيني من هذه المسائل، وتسالني عما شئت من غيرها.

قال نعم ونعمة عين، قد أعفيتك منها. ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردّها مكرمة.

(١) في بعض الأصول: هذا ثناؤك الذي تشين، يريد أن سوء رأيا في عثمان هو الأصل الذي بنت عليه.

وفود أروى بنت عبد المطلب

علي معاوية رحمه الله

العباس بن بكار قال: حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي، أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة؛ فلما رآها معاوية قال: مرحباً بك وأهلاً يا عمة، فكيف كنت بعدنا؟

فقالت: يا بن أخي، لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير أسمك، وأخذت غير حَقِّك، من غير دين كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام، بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ، فأتعسَ الله منكم الجُدود^(١)، وأضرع^(٢) منكم الخدود، وردَّ الحقَّ إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا ﷺ هو المنصور، فولَّيتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقربُ إليه منكم وأولى بهذا الأمر؛ فكُنَّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى، فغايَتنا الجنة وغايَيتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة، وأقصري عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك.

فقالت له وأنت يا بن النباغة^(٣) تتكلم! وأمك كانت أشهر امرأة تُغنى بمكة، وآخذَهن لأجرة! اربَّع على طَلْعِك، واعنْ بشأن نفسك؛ فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كرم منصَّيها؛ ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش، [كلهم يزعم أنه أبوك] فسئلت أمك عنهم، فقالت: كلهم أثنائي، فانظروا أشبههم به فالحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فليحَقَّتْ به.

(١) الجُدود: الخطوط.

(٢) وأضرع: أذلَّ.

(٣) النباغة: الزانية.

فقال مروان: كفى أيتها العجوز، وأقصدي لما جئت له. فقالت: وأنت أيضاً يا

بن الزرقاء تتكلم!

ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك، وإن أملك القائلة في

قتل حزة:

نحن جزيّناكم يوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سَعَرٍ

ما كان لي عن عُبّةٍ من صَبَرٍ فَشُكِرَ وَحُشِيَ على دَهْرِي

حتى تَرَمَ أعظمي في قبري^(١)

فأجابتها بنت عمي وهي تقول:

خَزيت في بدر وبعد بدر يا بنة جبارٍ عظيم الكفر

فقال: معاوية عفا الله عما سلف يا عمة! هات حاجتك.

قالت: مالي إليك حاجة، وخرجت عنه.

تم الجزء الأول يعون الله وتوفيقه

ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثاني

وأوله: «كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك»

فهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣ -	مقدمة المؤلف	١٩ -	حين مقدمهما من الشام ومصر . لبعضهم في تلمس الخيلة لنصيحة السلطان لشبيب في مسامرة السلطان .
٩ -	كتاب اللؤلؤة: في السلطان	١٩ -	وزير المهند بين الملك والملكة لابن هيرة يوصي مسلم بن سعيد حين وجه إلى خراسان .
١١ -	فرش الكتاب . للحكماء .	٢٠ -	اختيار ابن أوطاة بين إياس والقاسم . بين عدي وإياس في القراء أبو قلابة والقضاء . تولية عبد الملك الشعبي على قضاء البصرة .
١٢ -	نصيحة السلطان ولزوم طاعته . للتني صلى الله عليه وسلم . مما وصى به العباس ابنه حين قدم على عمر .	٢١ -	عمر بن عبد العزيز يسأل أبا مجلز عن يوليه خراسان .
١٣ -	لرجل من المهند ينصح ملكاً ابن عتبة ينصح الوليد .	٢٢ -	عمرو ورجل طلب عملاً . تولية ابن هيرة لإياس تولية ابن الخطاب للمغيرة مكان ابن أبي وقاص على الكوفة .
١٤ -	لابن صفوان في خالصة السلطان . لابن المقفع في خادم السلطان .	٢٣ -	للحجاج يصف سيرته للوليد . لأردشير يوصي ابنه . للحكماء في واجب السلطان
١٥ -	وصاة أبي سفيان وزوجه لابنها معاوية حين عمل لعمر . لأبرويز ينصح صاحب بيت ماله . ليزيد بن معاوية ينصح مسلماً حين ولاه خراسان .	٢٤ -	لبعض الملوك يصف سياسته لأعرابي في وصف أمير . بين الوليد بن عبد الملك وأبيه في السياسة . لأرسطو طاليس يوصي الإسكندر .
١٦ -	لعمرو بن الخطاب ومعاوية حين قدم عليه الشام . الربيع الحارثي في حضرة عمر بن الخطاب .	٢٥ -	لأرسطو طاليس يوصي الإسكندر . لأرسطو طاليس يوصي الإسكندر .
١٧ -	ابن عبد ربه يفسر غريب الخبر .		
١٨ -	زياد أول من استن ترك السلام على قادم عند السلطان . ترك أبي مسلم السلام على المنصور بحضرة السفاح .		
١٩ -	معاوية وابن العاص بين يدي عمر		

- ٣٦ - لبعض الشعراء في التواضع .
 ٣٨ - شعر للمؤلف في الهيبة . للأخطل في معاوية .
 حسن السيرة والرفق بالرعية .
 مما جاء في الكتاب والسنة في معنى هذا العنوان .
 ٣٩ - مشورة سالم وابن كعب على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة . بين عمر بن عبد العزيز وابنه في الرفق . من عمر إلى ابن أرمطة في الرفق .
 مما وصى المنصور به ابنه .
 ٤٠ - وصية خالد القسري لبلال وصية مروان بن الحكم لعبد العزيز ابنه حين ولاه مصر .
 ٤١ - من معاوية إلى زياد في رجل قرأ إليه .
 ٤١ - ما يأخذ به السلطان من الخزم والعزم .
 ٤٢ - وصية عبد الملك لولي عهده الوليد . لبعضهم في السير من الزلل . في الذم يكون من الرعية من كلام للهند في الملوك . الملك سلب ملكه لابن أبي طالب في الفرص .
 ٤٣ - شيء عن عمرو . لعائشة فيه . لعمر في نفسه . هو وعامل البحرين . هو وابن أبي وقاص . ابن أبي وقاص وشاعر هجاء .
 ٤٤ - عمر وأبو موسى الأشعري وأبو

- في معاوية وسياسته .
 لابن عباس يوصي الحسن .
 ٢٦ - للحكماء في السياسة لأبرويز يوصي ابنه شيرويه ، بين المنصور قواده . لأبرويز ينصح ابنه شيرويه .
 ٢٧ - من خطبة لسعيد بن سويد . لابن الحكم في الحاقده على السلطان . لأبرويز يوصي ابنه شيرويه .
 ٢٧ - بسط المعدلة ورد المظالم . إنصاف المأمون أمة من ابنه . الحكم على هشام في خصومة بينه وبين ابراهيم ابن محمد .
 ٢٩ - الحجاج وسليك بن سلكة .
 ٣٠ - لعمر بن عبد العزيز يوصي عاملاً . للمهدي يوصي ابن أبي الجهم . بين ابن عامر وابن أصبغ .
 ٣١ - عمر بن الخطاب وتاج كسري وسواريه . بين مروان ووكيله .
 ٣٢ - قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه . للحكماء في الملك والوزراء . للأحنف في فساد البطانة . لابن الأحنف . لعدي بن زيد . لابن العاص في العدل .
 ٣٣ - صفة الإمام العادل . كتاب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز في وصف الإمام العادل .
 ٣٥ - هبة الإمام في تواضعه . لابن السماك لعبد الملك . النجاشي وقد ولد له ولد .

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
وعامل للخليفة ابن هبيرة والحسن البصري والشعبي .		هريرة والحارث .	
٥٦ - معاوية والأحنف في استخلاف يزيد . كتاب أبي الدرداء إلى معاوية . كتاب عائشة إلى معاوية .		٤٥ - بين عمر بن الخطاب وابن العاص .	
٥٧ - هشام وناصح نصحه بأربع . عبد الملك والحارث في ابن الزبير . الوليد بن عبد الملك .		٤٦ - عمر وأبو سفيان في مال وأدهم .	
٥٨ - من كلام الله تعالى عنان وثقيف لما همت بالارتداد لبعض الحكماء فيما ينفع ويضر .		٤٧ - عمر وأبو سفيان في مال حاول إخفاءه . عمر وعتبة في مال وجده معه .	
٥٩ - بين حكيم وحكيم المراسي في الرأي الفطير . لعل في رأي الشيخ لابن هبيرة يوصي ابنه .		٤٨ - عمر وأبو سفيان في رجل دعا بدعاء الجاهلية .	
٦٠ - لعامر بن الطرب . من أمثالهم - للمهلب في الرأي - لعبس في الخزم - لبعض الشعراء - عبد الله بن عبد الأعلى بعد سخط الخليفة عليه - لسبيع في أهل اليمامة .		كتاب يزيد إلى مروان يأمره بالبيعة . أبو غسان وأهل مروحين منعو الماء . كتاب ابن طاهر إلى الحسن التغلبي .	
٦٢ - للقطامي - شعر للمؤلف - لحبيب .		٤٩ - كتاب الحجاج إلى قتيبة في أمر وكيع . كتاب الحجاج إلى قوم يفسدون في الأرض للحكماء لحبيب . لبعض الشعراء .	
٦٢ - حفظ الأسرار .		٥٠ - بين معاوية وأبي الجهم . معاوية وعقبة الأسدي .	
للحكماء - من عبد الملك للحجاج - للحكماء - لعمر بن العاص - لبعض الشعراء - لبعض الأعراب - للمأمون .		٥١ - الرشيد ومعتز عليه في خطبته . الوليد ومعتز عليه في خطبته . مخاطر بين معاوية وزيد ابن العاص ومخاطر سأله عن أمه .	
٦٣ - ملك من ملوك العجم استشار وزيره .		٥٢ - بين معاوية وخرم أبو جعفر مع مالك وابن طاوس .	
لبعض الشعراء .		٥٣ - أبو هريرة ومروان حين أبطأ بالجمعة .	
		بين أبي جعفر وأبي ذئب .	
		٥٤ - المأمون والحارث بن مسكين .	
		٥٥ - المنصور وسفيان الثوري . أبو النضر	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	لبعض الشعراء .	٧٤ -	أبو جعفر وابن هبيرة أبو جعفر وسلم
٦٥ -	بين معاوية وابن الأشعث في الدخول		في قتل أبي مسلم - للنبي صلى الله عليه وسلم
	على الملوك - لمعاوية في آذنه - للحكماء	٧٤ -	لابن شعبة في حب الولاية
	في الوصول إلى المراد .		وكراهيتها .
٦٦ -	بين رجل وروح - بين رجل والحسن	٧٥ -	بين ابن شيرمة وأبيه في موكب
	بن عبد الحميد - من كلام للهند - بين		طارق .
	النبي صلى الله عليه وسلم ومستأذن - لعلي		لابن الحسن في رجل غيرة الولاية -
	كرم الله وجهه .		بين عمر والمغيرة حين عزله - دعوة ابن
٦٧ -	الحجاب .		عمر على زياد .
	زياد وحاجبه - أبو سفيان بباب عثمان	٧٦ -	بين ابن الخطاب وأبي هريرة - خالد
	- أبو الدرداء بباب معاوية - للوراق .		القسري وتوليته بلالاً - بين عمر
٦٨ -	بين سعيد بن مسلم وأبي هفان في		وطالب عمل بين النبي ﷺ والعباس .
	الحجاب . بين أبي مسهر وابن عبد	٧٧ -	بين النبي صلى الله عليه وسلم ورجل
	كان .		طلب عملاً - لزياد في أغبط الناس
٦٩ -	ابن منصور ورجل من خاصته حجب		عيشاً - بين معاوية والمغيرة حين كبر .
	عنه - للعتابي - أبو دلف ورجل حجب	٧٨ -	باب من أحكام القضاة .
	عنه .		لعمر بن عبد العزيز - كتاب عمر بن
	الحبيب - لأبي بكر العطار - لبعض		الخطاب إلى معاوية في القضاء .
	الشعراء - للحسن بن هانيء - لمحمود	٧٩ -	كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى
	البغدادي للعتابي .		الأشخري في القضاء .
٧٠ -	بين أبي بشر وبعض كتاب العسكر -	٨٠ -	وله أيضاً يوصيه - عمر بن الخطاب
	لابن عبد ربه - لبعض الشعراء .		وابن العاص والغزو في البحر .
	لحسين الجمل - للبغدادي في ابن وهب	٨١ -	الحسن ورجل رد إياس شهادته - من
	- لابن عبد ربه - لحبيب .		عدل شريح الفاضي - لإياس ورده
٧٣ -	باب الوفاء والغدر .		لشهادة ابن أبي سود - عدي بن أرطاة
	بين مروان وعبد الحميد الكاتب - عبد		وشريح .
	الملك بعد قتله ابن سعيد .		

- للحكمةاء .
 ٩٣ - لعبد الله بن الزبير في مقتل أخيه مصعب - للسؤال - للشنفرى .
 ٩٤ - لعلي بن أبي طالب . لأبي دلف العجلي - لابن طاهر - لابن رميلة .
 ٩٥ - للمهلب في أعجب ما رأى في حرب الأزارقة .
 بين هشام وأخيه مسلمة في الذعر - لعنزة يوم الفروق - ما كان يتمثل به ابن المهلب - للخنساء - لعباد بن الحصين - ما كان يتمثل به معاوية يوم صفين .
 ٩٦ - لابن أبي طالب في صفين .
 ٩٧ - لجريز - عاصم بن الحداث والفرزدق - لعنزة وغيره .
 ١٠٥ - فرسان العرب في الجاهلية والإسلام .
 ابن مكدم وقول حسان فيه - فراس بن غم وكلمة لعلي فيه .
 ١٠٦ - من فرسان العرب في الجاهلية - من فرسانهم في الإسلام .
 ابن خازم مع ابن زياد في جرد - شبيب الحوزي - لابن عباس في الأنصار .
 ١٠٧ - لعلي في همدان .
 لابن براق - لتأبط شراً -

- ٨٢ - شريح ورجل يخاصم في سنور .
 ٨٣ - لشريح وقد سئل حكماً . الشعبي في الفصل بين رجل وامرأته .
 ٨٥ - كتاب الفريضة في الحروب ومدار أمرها
 ٨٥ - فرش كتاب الحروب - صفة الحروب - لعنزة الفوارس - للكميث - لنصر بن سيار .
 ٨٦ - من حكمة لسليمان - للعرب .
 ٨٧ - للناطقة الجعدي ودعوة النبي ﷺ له - للناطقة الذبياني يصف الحرب .
 ٨٨ - لابن عبد ربه .
 ٨٩ - العمل في الحروب .
 لأكم بن صيفي - لشبيب الحوزي في الليل لعائشة يوم الجمل - لعنزة يوم بدر - لابن أبي طالب في العواقب - لابن مقرن عند اللقاء .
 ٩٠ - لعمر بن الخطاب في ابن مقرن - لعلي في الفرصة - لبعض الحكماء - لابن مسلم في ابن أبي سود - لبعض الملوك في الحزم .
 ٩١ - للعجم في أشد الأمور تدريياً - بين معاوية وعمر بن العاص .
 لهذبة العذري .
 ٩١ - الصبر والإقدام في الحرب .

- للخزومي - بين ابن الزبير والأشتر .
- ١٠٨ - جائزة عائشة لمن بشرها بنجاة ابن الزبير .
- ١٠٩ - من عمر إلى ابن مقرن في الصائفة - لعمر بن معديكرب .
- ١١٠ - المكيدة في الحرب .
- للنبي ﷺ - للمهلب - لمسلمة ابن عبد الملك - بين المأمون والفضل بن سهل في رأي فات الأمين .
- ١١١ - بين الاسكندر ومؤديه في مدينة فتحها - سعيد ابن العاص وحصن فتحه - عمرو بن العاص وعلم قيسارية .
- ١١٢ - عمر والهرمزان .
- ١١٣ - معن ونفر من الأسرى - ملك من ملوك العجم .
- ١١٤ - وقعة ملك الهياطة بيزدجرد .
- ١١٥ - للنبي ﷺ - مالك الحثعمي وتسميته بالثعلب .
- ١١٥ - وصايا أمراء الجيوش .
- عمر بن عبد العزيز يوصي الجراح - لعمر ابن الخطاب .
- ١١٦ - أبو بكر يوصي يزيد بن أبي سفيان .
- أبو بكر يوصي خالد بن الوليد - من خالد إلى مرازمة فارس .
- ١١٧ - من عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص .
- ١١٨ - عبد الملك يوصي أميره إلى أرض الروم .
- ١١٩ - زياد يوصي قواده - بين الوليد بن عبد الملك وعباد في زياد - معاوية وقد أراد استعمال ابن خالد ثم الغامدي - دريد وابن عوف .
- ١٢٠ - لقتيبة ينصح أصحابه - لأبي مسلم ينصح قواده - لسعيد بن زيد ينصح بنيه - المنصور وعيسى ابن موسى .
- ١٢١ - المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير .
- لجعل يصف لعبد الملك قومه .
- لابن مطاع - للعرب في الدفاع عن الجار - لمروان في معن .
- ١٢٢ - معاوية وهانيء في مال اختانه ابن شهاب .
- ١٢٣ - مقتل محمد بن أبي بكر - المهدي ومعن في رجل أهدر دمه .
- ١٢٤ - الجبن والفرار .
- لعمر بن معديكرب في النزعات - للأحنف لخالد بن الوليد .
- ١٢٥ - للفرار السلمي في الفرار - للحارث بن هشام في الفرار .
- ١٢٦ - لبعض الشعراء لمحمود الوراق -

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	لأمين بن خرم .		لرجل من أسد لابن الكلبي في
١٢٧ -	لصاحب كليلة ودمنة .		جواد سليمان عليه السلام .
١٢٨ -	ذكر بعض الفرارين لعمر بن	١٣٩ -	لبعض الشعراء في فرس - للطائي .
	معديكرب .	١٤٠ -	لبعض الشعراء في أبي دلف .
١٢٩ -	بين الحارث وامرأته .	١٤١ -	لابن عبد ربه في وصف الفرس -
١٣١ -	بين ابن زياد وابن زرة .		لابن الرقاع .
١٣٢ -	عبد الله بن مطيع .	١٤٢ -	لامريء القيس في وصف الخيل .
	لقيس بن الحطيم في الفرار - لقتيبة		لطفيل الخيل .
	بن الحارث لأبي خراش - لحبيب	١٤٣ -	بين عبد الملك بن مروان
	بن عوف .		وأصحابه .
١٣٣ -	للفرزدق في خالد بن أسيد .	١٤٧ -	سوابق الخيل .
	ومن قوله لأحد الجبناء .		لأبي النجم في فرس هشام .
١٣٤ -	بين هند وابن زنباع - لكعب بن	١٤٤ -	بين الرشيد والأصمعي في فرس
	زهير .		سابق .
١٣٤ -	فضائل الخيل .	١٤٨ -	لأبي العتاهية في أم شمر فرس
	للنبي ﷺ في صفة الخيل .		الرشيد - لأبي النجم في الحلبة .
١٣٥ -	صفة جواد الخيل .	١٥٠ -	لبعض الشعراء في فرس أبي الأعور
	للنبي ﷺ - لبعض الضبيين في		السلمي .
	وصف فرس - بين المهدي وابن	١٥١ -	الحلبة والرهان .
	دراج في أفضل الخيل .		من شأنهم مع الفرس السابق .
١٣٦ -	بين معاوية وصعصعة في أفضل	١٥٢ -	وصف السلاح .
	الخيل - بين عمر بن الخطاب		درع على - درع الجراح - لزيد بن
	وعمر بن معديكرب في عراب		حاتم في الأدرع .
	الخيل .	١٥٣ -	بين عمر بن الخطاب وعمر بن
١٣٧ -	لحسان بن ثابت - لزهير - لبعض		معديكرب في الصمصامة .
	الشعراء .	١٥٤ -	الزبير بن العوام وسيفه .
١٣٨ -	لأبي عبيدة في عتاقة الفرس -		لابن الأغر يوصي ابنه - لأعرابي في

٨٨ - كتاب الزبرجدة في الأحواد والأصفاة

فرش كتاب الزبرجدة .

لابن عبد ربه - للنبي صلى الله عليه وسلم .

للحسن والحسين - للمأمون .

١٨٩ - مدح الكرم وذم البخل .

للنبي ﷺ - لأكرم بن صيفي - بين سخي وبخيل .

١٩٠ - من خطبة لخالد القسري . من خطبة لسعيد بن العاص - لأبي ذر .

١٩١ - لكسري في الأسخياء - لمحمود الوراق - بين موسى الهادي وابن يزيد .

لابن عباس - لأبي مسلم الخولاني - لخالد القسري - لعمر بن العاص - لعبد العزيز ابن مروان .

١٩٢ - لأبي عقيل العراقي في مروان لزياد - لبعض الشعراء - لابن خارجة .

١٩٣ - الترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف .

للنبي ﷺ - من عمر إلى أبي موسى - لبعض الحكماء - لبعض أهل

التفسير لأكرم بن صيفي .

لحبيب الطائي - لابن دريد .

١٩٤ - لابن عبد ربه - للأحنف .

متحاربين لحبيب في السيف .

١٥٦ - لابن عبد ربه .

١٥٧ - النزاع بالقوس .

١٥٨ - بين لص ورام .

١٥٩ - للنبي صلى الله عليه وسلم في الرمي .

١٦٠ - النبي صلى الله عليه وسلم ورماة من أسلم .

لعمر بن الخطاب .

١٦١ - لرجل من البادية يذمر قومه - مشاورة المهدي لأهله في حرب خراسان .

١٧٨ - باب في مداراة العدو .

للهند - لأحمد بن يوسف - لسابق البلوى .

١٧٩ - التحفظ من العدو وإن أبدى لك المودة .

للأخطل يحذر بني أمية - لحكيم يوصي ملكاً للحسن بن هانيء .

١٨٠ - بين معاوية وابن الزبير .

١٨١ - باب من أخبار الأزارقة .

١٨٢ - مرداس ومقتله .

١٨٥ - زياد والخوارج - من فرسان الخوارج .

١٨٦ - للمهلب في نفر من الخوارج - تعطش الخوارج إلى القتال .

تفرق كلمة الخوارج .

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٥	- عروة بن أديّة في صلبه - بين السندي وكوفي ذي مروءة.	٢٠٥	- لجبار بن سلمى في عامر ابن الطفيل
١٩٦	- الجود مع الإقلال.	-	- لابن أبي حازم - لعمر بن
	من الكتاب والسنة.		الحارث - للحسن بن هانيء -
	للحكماء - لصريع الغواني.		لعباس بن الأحنف.
١٩٧	- لأبي هريرة في جعفر بن أبي طالب	٢٠٦	- بين عبد الملك بن مروان وابن أم
	- لحماذ عجرد.		الحكم - بين عيسى بن موسى
	لحاتم الطائي - لعبد الملك بن مروان		والقاسم بن معن - عبد الصمد
	في غزوة - لبكر بن النطاح.		الرقاشي وخالد بن ديسم.
١٩٨	- العطية قبل السؤال.	٢٠٧	- بين بشار وسلم يحيى بن خالد وقضاء
	لسعيد بن العاص.		الحوائج - لزياد الأعجم - بين
	لأكرم بن صيفي - لعلي بن أبي		الحسن بن وهب وحبیب.
	طالب.	٢٠٨	- ابن دأب عند المهدي.
١٩٩	- بين ابن أبي سيرة وأبي الأسود.	٢٠٩	- للمهلب يوصي بنيه.
٢٠٠	- بين معاوية وابن صوحان في الجود		للعنابي - للجاحظ.
	- لابن عبد ربه - لبشار -	٢١٠	- عبد الله بن طاهر ودعبل أبان
	لحبیب.		وخلف بن خليفة.
٢٠١	- استنجاح الحوائج.	٢١١	- لأبي العتاهية - لدعبل.
	للنبي ﷺ - لخالد بن صفوان - من	٢١١	- لابن عبد ربه.
	أمثال العرب - لدعبل الخزاعي.	٢١٢	- لطيف الاستمناح.
	لشبيب بن شبة - للحسن بن هانيء.		للحكماء - للعنابي - للحسن بن
٢٠٣	- بين ابن واسع وأمير - عبد الله بن		هانيء.
	طاهر وسوار القاض.	٢١٣	- بين مروان بن أبي حفصة وابن يزيد.
٢٠٤	- أبو حازم الأعرج وسلطان في		عبد الملك ونفر من بني أمية -
	حاجة - لحبيب الطائي - بين		الرشيد وعبد الملك بن صالح -
	المنصور وطالب حاجة.		عبد الملك وأبو الريان.
٢٠٤	- استنجاز المواعد.	٢١٤	- الحجاج والشعبي - معاوية وابن

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٥	بين عدي أرطاة وعمر بن عبد العزيز.	٢١٥	زارة - يزيد بن المهلب وكريز.
٢٣٦	قلعة الكرام في كثرة اللثام.	٢١٦	حاتم الطائي وسائل حاجة.
٢٣٧	لكسري في الشح.	٢١٦	خالد القسري وسائل.
٢٣٧	من جاد أولاً وضناً آخرأ.	٢١٦	قيس بن سعد وامرأة.
٢٣٨	من ضناً أولاً ثم جاد آخرأ.	٢١٧	ابن المهلب واعرابي.
٢٣٩	من مدح أميراً مخيبه.	٢١٧	الرشيد واسحاق الموصلي.
٢٤٠	لاين عبد ربه.	٢١٨	معاوية وزيد بن منبه ابن سويد وأبو ساسان.
٢٤١	ربيعة الرقي ويزيد بن حاتم.	٢١٩	المهدي وأبو دلامة.
٢٤١	أجواد أهل الجاهلية.	٢٢١	بين أبي دلامة وعيسى بن موسى.
٢٤٢	شيء عن حاتم.	٢٢٢	أبو دلف وأبو دلامة.
٢٤٦	أجواد أهل الإسلام.	٢٢٢	أبو دلامة والمهدي.
٢٤٧	جود عبید الله بن عباس.	٢٢٤	أبو دلامة والمنصور.
٢٤٩	جود عبد الله بن جعفر.	٢٢٤	جعفر بن يحيى وعبد الملك ابن صالح.
٢٥٠	جود سعد بن العاص.	٢٢٥	ذو حاجة على باب ملك.
٢٥٢	جود عبید الله بن أبي بكر.	٢٢٦	يحيى بن خالد وشاعر.
٢٥٣	جود عبید الله معمر القرشي.	٢٢٧	العباس القائد وابن عبد ربه.
٢٥٤	الطبقة الثانية من الأجواد.	٢٢٧	المتوكل وعبد الله بن يحيى.
	الحكم بن حنطب -	٢٢٨	من حبيب إلى ابن أبي دواود.
	معن بن زائدة.	٢٢٩	بين زياد وضي.
٢٥٥	يزيد بن المهلب.	٢٣٠	على الأرميني والبطين.
٢٥٨	يزيد بن حاتم.	٢٣١	الأخذ من الأمراء.
٢٥٩	أبو دلف.	٢٣٣	تفضيل بعض الناس على
٢٦٠	خالد بن عبد الله القسري.		في العطاء
	عدي بن حاتم.	٢٣٤	شكر النعمة.
٢٦١	أصفاد الملوك على المدح.		
٢٦٢	المهدي وابن أبي حفصة.		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٦٣ -	عبد الملك وأعشى ربيعة .	٣٠٦ -	كتاب رسول الله ﷺ .
٢٦٤ -	عبد الرحمن بن الحكم والفرزدق .		لا كيدر دومة .
٢٦٥ -	الحسن بن سهل وعلي بن جبلة .		لوائل بن حجر .
٢٦٧ -	أبو جعفر وحاد عجرد .	٣٠٧ -	حديث جرير بن عبد الله البجلي .
٢٦٨ -	أبو مسلم ورؤية .		حديث عياش بن أبي ربيعة .
٢٦٩ -	عبد الله بن جعفر ونصيب .	٣٠٨ -	حديث راشد بن عبد ربه السلمي .
٢٧٠ -	مروان بن محمد وذو الرقة .		وفود نابغة بني جعدة على النبي ﷺ .
٢٧١ -	المنصور وابن هرمة .	٣٠٩ -	وفود طهفة بن أبي زهير على الرسول محمد .
٢٧٢ -	جعفر وابن الجهم .	٣١٠ -	وفود جبلة بن الأيهم على عمر بن الخطاب .
٢٧٤ -	كتاب الجمانة في الوفود .	٣١٥ -	وفود الأحنف على عمر بن الخطاب .
	فرش الوفود .	٣١٧ -	وفود الأحنف وعمر بن الأهم على عمر .
٢٧٥ -	وفود العرب على كسري .	٣١٨ -	وفود عمرو بن معديكرب على عمر .
٢٨٧ -	وفود حاجب بن زراراة على كسري .	٣١٩ -	وفود أهل اليمامة على أبي بكر .
٢٨٨ -	وفود أبي سفيان إلى كسري .		وفود عمرو بن معديكرب على مجاشع .
٢٨٩ -	وفود حسان بن ثابت على النعمان ابن المنذر .	٣٢٠ -	وفود الحسن بن علي على معاوية .
	وفود قریش على سيف بن ذي يزن .		وفود زيد بن منية على معاوية .
٢٩٣ -	وفود عبد المسيح على سطیح .	٣٢١ -	وفود عبد العزيز بن زراراة على معاوية .
٢٩٥ -	وفود همدان على النبي ﷺ .		وفود عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية .
٢٩٦ -	وفود النخع على النبي ﷺ .		
٢٩٧ -	وفود كلب على النبي ﷺ .		
	وفود ثقیف على النبي ﷺ .		
٢٩٨ -	وفود مذبح على النبي ﷺ .		
٢٩٩ -	وفود لقيط بن عامر على النبي ﷺ .		
٣٠٣ -	وفود قيلة على النبي ﷺ .		

الصفحة

الموضوع

الصفحة

الموضوع

- ٣٥١ - عكرشة بنت الأطرس على معاوية .
 ٣٥٢ - قصة درامية الهجومية مع معاوية .
 ٣٥٤ - وفود أم الخير بنت حريش على معاوية .
 ٣٥٨ - أروى بنت عبد المطلب على معاوية .
 ٣٦٠ - فهرس الكتاب .

- ٣٢٢ - وفود عبد الله بن جعفر على عبد الملك .
 ٣٢٦ - وفود الشعبي على عبد الملك .
 ٣٢٧ - وفود الحجاج بابراهيم بن محمد على عبد الملك .
 ٣٢٩ - وفود رسول الملهب على الحجاج يقتل الأزارقة .
 ٣٣٠ - وفود جرير على عبد الملك .
 ٣٣١ - وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز .
 ٣٣٢ - وفود ذكين الراجز على عمر بن عبد العزيز .
 ٣٣٣ - وفود كثير والأحوص على عمر بن عبد العزيز .
 ٣٣٦ - وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز .
 ٣٤٠ - وفود نابغة بني جعدة على ابن الزبير .
 ٣٤١ - وفود أهل الكوفة على ابن الزبير .
 ٣٤٢ - وفود رؤبة على أبي مسلم .
 وفود العتابي على المأمون .
 ٣٤٣ - وفود أبي عثمان المازني على الواثق .
 الوافدات على معاوية .
 ٣٤٦ - وفود بكارة الهلالية على معاوية .
 ٣٤٧ - وفود الزرقاء على معاوية .
 ٣٤٩ - وفود أم سنام بنت حيثمة على معاوية .